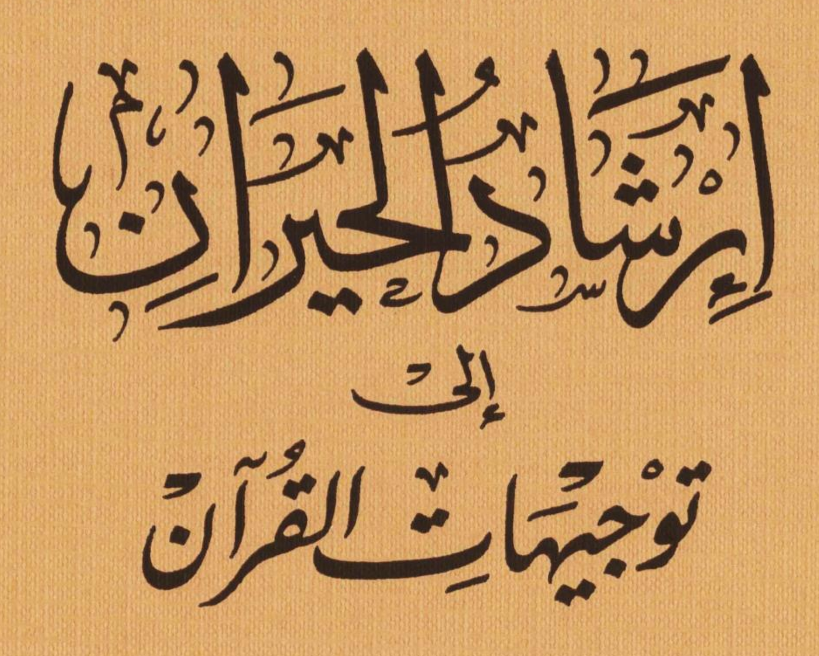
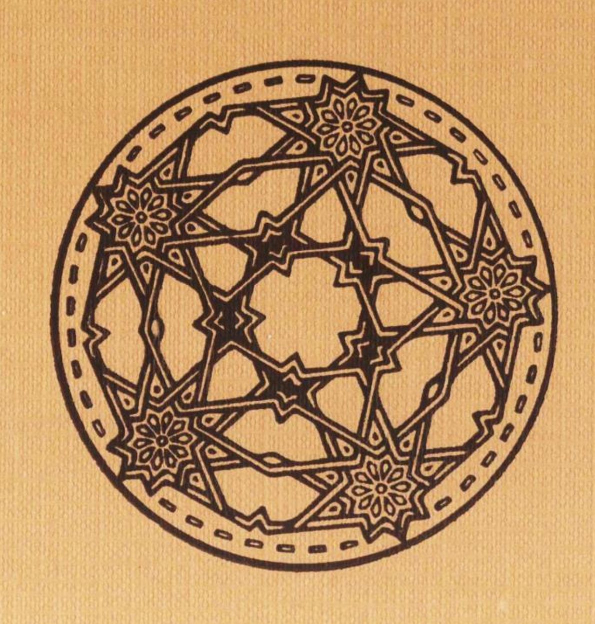


بقلم

فضيلة الشيخ

أحمد عبد السلام أبو مزيريق



دار المدار الإسلامي


إرشاد الحيران
إلى
توجيهات القرآن

إرشاد الحيران

إلى

توجيهات القرآن

9

بقلم

فضيلة الشيخ

أحمد عبد السلام أبو مزيريق

دار المدار الإسلامي

إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن 12/1
الشيخ أحمد عبد السلام أبو مزيريق

الطبعة الأولى
كانون الثاني/يناير/أي النار 2011 إفرنجي

موضوع الكتاب تفسير قرآني
تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي
الحجم 17 × 24 سم
التجليد فنّي

ردمك ISBN 9959-29-182-0
(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2003/5680

دار المدار الإسلامي
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،
هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 89 39 93 3 961 +
05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +
ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان
بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية
زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى
هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقّال** 463 45 21 91 218 +
بريد إلكتروني: oeabooks@yahoo.com

3 ـ التعقيب الأخير التنويه بالقرآن وما فيه من التحذير والتنكير

النص

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿192﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿194﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿195﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿196﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿197﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿198﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿199﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿200﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿201﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿202﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿203﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿204﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿205﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿206﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿207﴾ * وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿208﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿209﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿210﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿211﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿212﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿213﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿214﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿215﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿216﴾
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿217﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿218﴾
وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿219﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿220﴾
هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿221﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿222﴾
يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿223﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ
ٱلْغَاوُۥنَ ﴿224﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿225﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿226﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟
وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿227﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (2)
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3)
إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (4)
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (5)
* وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ
إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7)
فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8)
يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ
كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ
الْمُرْسَلُونَ (10) إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (11)
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۖ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (13)

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿14﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ
وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿15﴾
وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿16﴾
وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ
فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿17﴾ * حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ
وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿18﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا
وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ
وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ
فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿19﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى
ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿20﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا
أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿21﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ
فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿22﴾
إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ
عَظِيمٞ ﴿23﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ

لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * (26) * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ
عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّيَ أُلْقِيَ إِلَيَّ
كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30)
أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي
فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ
أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ (33) وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا
تَأْمُرِينَ (34) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (35)
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (36)
فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ
بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (37) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ
لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (38) قَالَ يَا أَيُّهَا
الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (39) قَالَ عِفْرِيتٌ
مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ (40) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ

أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى
لِيَبْلُوَنِىٓ ءَآشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ (41) * قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ
أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (42) فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ
قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (43)
وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن
قَوْمٍ كَٰفِرِينَ (44) قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ (45) قَالَتْ
رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (46)
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ
فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (47) قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ
قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (48) قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا
بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (49) وَكَانَ
فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (50) قَالُوا۟
تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (51) وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ (52) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ
وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (53) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

ءَلَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿54﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿55﴾
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿56﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿57﴾
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ
مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿58﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿59﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿60﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**وإنه**﴾: الضمير يعود على القرآن الذي من جملته هذه السورة التي ذكرت فيها تلك القصص الدالة على صدق القرآن المنوه به هنا بقوله: ﴿**لتنزيل رب العالمين. . نزل به الروح الأمين. .**﴾ الروح: جبريل عليه السلام. ﴿**والأمين**﴾: الأمين على وحي الله تعالى. ﴿**على قلبك**﴾: القلب والروح والفؤاد: كلمات تدل على المعاني الروحانية التي ميز الله بها الإنسان على غيره من بقية الحيوان. ﴿**لتكون من المنذرين**﴾: من المرسلين الذين يبلغون رسالة الله للناس ويخوفونهم عاقبة المكذبين. ﴿**بلسان عربي مبين**﴾: نزل القرءان بلغة العرب. واضحاً مبيّناً كل ما يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم. . ﴿**وإنه لفي زبر الأولين**﴾: إن ذكر القرءان وما فيه من معنى يتعلق بالعقائد والأخلاق والعبادات موجود في جميع الكتب السابقة. . ﴿**أولم يكن لهم ءاية أن يعلمه علماء بني إسراءيل**﴾: أولم يكن علم علماء بني إسراءيل بالقرءان علامة لهم دالة على صحته وأنه منزل من عند الله كما أنزلت الكتب السابقة؟!. . ﴿**ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين. .**﴾ الأعجمين: جمع أعجم. وأعجمي. وهو الذي لا يفصح في قوله. ويطلق على غير العربي. . ﴿**كذلك سلكناه في قلوب المجرمين. .**﴾ سلك:

دخل فيه.. ودخله. يتعدى بنفسه وبالحرف. مثل سلكه ينابيع.. فما سلك فيها.. والمجرمون: الكافرون. ﴿**لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم..**﴾ ﴿**فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون..**﴾ البغتة: الفجأة. وجملة وهم لا يشعرون توضيح للبغتة.. ﴿**فيقولوا: هل نحن منظرون**﴾؟!: طلب للإمهال. ﴿**أفبعذابنا يستعجلون**﴾؟ حيث طلبوه بقولهم: ﴿**فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم..**﴾ ﴿**أفرأيت إن متعناهم سنين..**﴾ ﴿**ثم جاءهم ما كانوا يوعدون..**﴾ ﴿**ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون..**﴾ أفرأيت: أخبرني.

﴿**إن متعناهم سنين**﴾: متطاولة بطول الأعمار وطيب المعاش.. ﴿**ثم جاءهم ما كانوا يوعدون**﴾: من العذاب الذي طلبوه واستعجلوه.. ﴿**ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون**﴾: ما استفهامية. وأغنى: أفاد. ﴿**ما كانوا يمتعون**﴾: ماذا أفادهم ما كانوا يمتعون به في الدنيا..؟!. ﴿**وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون**﴾: ما أهلكنا قرية من القرى إلا بعد أن ينذرهم رسولهم ويبلغهم ما جاء به إليهم.. ﴿**ذكرى**﴾: تذكرة لهم وموعظة حتى لا تكون لهم حجة يحتجون بها. ﴿**وما كنا ظالمين**﴾: عندما نهلكهم بعد الإنذار والتحذير بإرسال الرسول وتوضيح الدليل بالقرآن المنزل من عند الله: ﴿**وما تنزلت به الشياطين. وما ينبغي لهم وما يستطيعون..**﴾ فهو نفي ورد لمزاعم المشركين حيث قالوا: إن القرءان من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهان.. ﴿**وما ينبغي لهم**﴾: ما يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون: لا يستطيع الشياطين أن يأتوا بالقرءان؛ لأنه منزل من عند الله: ﴿**إنهم عن السمع لمعزولون...**﴾ فمن أين للشياطين أن يحوموا حول القرءان المنزل من العزيز الرحمن؟!.

﴿**فلا تدع مع الله إلهاً ءاخر فتكون من المعذبين**﴾: نهي للرسول عن الشرك.. فغيره أولى بهذا النهي. ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين..**﴾ العشير: القريب والصديق والزوج. والعشيرة القبيلة. وعشيرة الرسول العرب. والأقربون: الأقرب فالأقرب من الأسرة إلى القبيلة إلى الشعب إلى الأمة. ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين..**﴾خفض الجناح: تليين الجانب والتواضع.. والذين اتبعوه من المؤمنين: هم أصحابه. ﴿**فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون**﴾: فإن عصاك البعض من عشيرتك الأقربين مثل أبي لهب عم الرسول ـ وأضرابه من كفار

قريش والكفرة من العرب.. فتبرأ من كفرهم وشركهم وعنادهم ومكرهم: **﴿فتوكل على العزيز الرحيم﴾** يكفك كيدهم وشرهم.. **﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾**: ربك العزيز الرحيم هو الذي يراك في قيامك وسجودك في الساجدين.. فيحفظك ويرعاك ويدفع عنك كيد الكائدين: **﴿إنه هو السميع العليم﴾**.

﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾؟: هل أخبركم بالخبر اليقين؟ أخبركم على مَن تتنزل الشياطين؟ **﴿تنزل على كل أفاك أثيم..﴾** الأفاك: كثير الكذب. الأثيم: كثير الذنب. **﴿يلقون السمع﴾**: الأفاك الأثيم دائماً يلقي سمعه لما يدور بين الناس من أحداث فيؤوله على حسب ما يريده ويلقيه إلى الناس كأنه حقيقة واقعة أو واقع سيكون. **﴿وأكثرهم كاذبون﴾** في هذا.. وقد يصدق قولُهم نادراً صدفة. **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾**: رد لقول المشركين: إن القرآن شعر؛ كما قالوا: إنه كهانة! والشعراء جمع شاعر. وهو من ينمق القول في الوزن والقافية ويزينه للناس ويدخل فيه من خياله الغرائب والعجائب.. فيلتبس فيه الحق بالباطل... فيتبعهم الغاوون من الناس الذين يستهويهم الشعر الكاذب والخيال اللاعب: **﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾**!. الغاوون: جمع غاوٍ. وهو الضال الحائر الذي لا يدري أين هو ولا أين يتجه.. فيسمع كلام الشعراء.. فيحسبه حقاً.. فيهيم كما يهيم الشاعر!. **﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾**: هذا استثناء من ذم الشعراء الذين تقدم ذكرهم.

وهم الشعراء من الصحابة الأجلاء الذين ناضلوا بلسانهم بعد أن ناضلوا بسيوفهم حماية للإسلام ولرسولهم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ. **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**: جملة فيها تهديد ووعيد جاءت في الختام. **﴿طس﴾**: حرفان من حروف الهجاء. **﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾**. اسم الإشارة عائد إلى طس. لأن آيات الكتاب مؤلفة منهما.. والكتاب هو القرءان والقرءان هو الكتاب؛ والقرءان مبين والكتاب مبين. وهو: **﴿هدى وبشرىٰ للمؤمنين..﴾** وهم: **﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾**. وكلمات الجمل واضحةً. **﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم**

أعمالهم. .﴾ تزيين أعمال الكفرة: جعلها مشتهاة لهم وميلهم إليها ومحبتهم فيها. . **﴿فهم يعمهون﴾**: يتحيرون ويترددون في الاشتغال بالأعمال القبيحة التي زينت لهم والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها. . فالعمة: عمى البصيرة. **﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب. .﴾** سوء العذاب: أشده وأفظعه وأدومه. . فهو عذاب فوق عذاب وعذاب بعد عذاب. . فهذا في الدنيا. **﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون. .﴾** الأخسر أكثر خسراناً من الخاسر. . فهم أخسر الخاسرين يوم القيامة. والخاسر: التاجر الذي نقص رأس ماله فلم يزد بالربح. وأصل الخسر: النقص. **﴿وإنك لتلقي القرءان من لدن حكيم عليم﴾**: يلقي إليك القرءان وحياً من الله. **﴿إذ قال موسى لأهله: إني ءانست ناراً. .﴾** آنس الشيء﴾: أبصره وأحس به. وفيه معنى الأنس. . **﴿سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون.**

الشهاب: شعلة من نار ساطعة. والقبس: شعلة نار تقتبس من معظم النار. والإضافة بيانية. والاصطلاء: الاستدفاء بحر النار المقتبسة. **﴿فلما جاءها نودي: أن بورك من في النار ومن حولها﴾** فلما جاء موسى إلى مكان النار التي آنسها ناداه ربه بقوله: **﴿بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين. .﴾** ثم نادى اللَّهُ موسى مبيناً له آثار البركة المذكورة: **﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم. . ﴿والق عصاك﴾**: اطرح عصاك التي في يدك على الأرض. . فألقاها فانقلبت حية تسعى فأبصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب **﴿كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب. .﴾** تهتز: تضطرب. والجانّ: نوع من الحيات دقيق سريع الحركة قوي الضربة تخاف منه العرب أشد الخوف. .

﴿ولى مدبراً ولم يعقب﴾: اعتراه الرعب فهرب ولم يرجع. . حتى قال الله له: **﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون. . إلا من ظلم. . ثم بدل حسناً بعد سوء. . فإني غفور رحيم. .﴾** فالمفردات في هذه الجمل لا تحتاج إلى بيان. **﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾**: جيب القميص طوقه من مدخل الرأس. **﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾**: سوء البياض في اليد البرص. وبياض يد موسى نور. **﴿في تسع آيات﴾**: الآيات التسع هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين والعصا واليد والغرق. **﴿إلى فرعون وقومه إنهم**

كانوا قوماً فاسقين. . فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين. .﴾ مبصرة: مبيِّنة موضّحة تهدي من يهتدي بها. . **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً. .﴾** جحد بها: كذب. وجحدها أنكرها. واستيقن: علم علماً يقيناً. ظلماً وعلواً: جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها. **﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين. .﴾** فعاقبة المفسدين: إغراق فرعون ومعه. **﴿ولقد آتينا داوود وسليمان علماً﴾**. فقد أوتي داوود الرسالة والملك وصنعة الدروع. . وأوتي سليمان الرسالة والملك والحكم على الحيوان والإنسان والجان والمارد من كل شيطان.

وسخر له الريح وأسال له عين القطر وآتاه ملكاً لم يؤته أحد من قبله ولا من بعده. . **﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين. . وورث سليمان داود. .﴾** ورث سليمان من أبيه داوود الرسالة والملك. واختص كل منهما بما يناسبه كما هو واضح. . **﴿وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾**. المنطق في المتعارف: كل لفظ يُعبّر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً. وقد يطلق على كل ما يُصوِّتُ به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد. يقال: نطقت الحمامة. . **﴿إن هذا لهو الفضل المبين. . وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير. .﴾** جنود: جمع جند. ومفرده جندي. والجند: العسكر والأعوان. . وكل من يسخر لعمل شيء. . وجنود الله: ما غاب عن الأبصار. . وأيده بجنود لم تروها. . وما يعلم جنود ربك إلا هو. . وجنود سليمان من الجن والإنس والطير.

﴿فهم يوزعون﴾: وزعهم الوازعون بترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر. **﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. .﴾** واد النمل: المكان الذي فيه قرى النمل. والنمل: حيوان معروف. واحدته نملة. وهو أنواع وأشكال. ومساكنه: قراه المحفورة في الأرض. والحطم: الكسر لشيء صلب. **﴿فتبسم ضاحكاً من قولها. .﴾** التبسم: أقل الضحك وأحسنه. والضحك: معروف. **﴿وقال: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ. .﴾** أوزعني: ألهمني. وأن أعمل صالحاً ترضاه: إتماماً للشكر واستدامة للنعمة. **﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾**: دعاء بدخول الجنة مع عباد الله الصالحين. مثل ما دعا إبراهيم ويوسف ـ عليهم السلام ـ. **﴿وتفقد الطير فقال ما**

لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين..﴾ تفقد: طلب وبحث وتعرف.. والهدهد: طائر معروف جميل الشكل والصوت. **﴿لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين..﴾** السلطان المبين: الحجة القاطعة المبينة للعذر المقبول. **﴿فمكث غير بعيد﴾**: لبث سليمان في مكانه مدة قصيرة.. فجاء الهدهد.. **﴿فقال: أحطت بما لم تحط به..﴾** الإحاطة بالشيء: إدراكه ومعرفته من كل الوجوه. والهدهد عرف شيئاً لم يعرفه سليمان من قبلُ. **﴿وجئتك من سبإ بنبإ يقين﴾**: بيان لقوله: **﴿أحطت بما لم تحط به﴾**.

وسبأ: مدينة عظيمة كانت باليمن. والنبأ: الخبر المهم. واليقين: الحق الذي لا شك فيه. **﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾**: تفصيل لما جاء به من النبإ. وهو أن في سبإ امرأةً ملكة لها كل مقومات الملك من الرجال والعتاد وعظمة الملك. **﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم.. فصدهم عن السبيل: فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض﴾**: عبدوا ما زينه الشيطان لهم من السجود للشمس. وتركوا عبادة الله الخالق القادر العالم.. الخبء: ما خفي وغاب. **﴿ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾**.

﴿قال: سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾: قال سليمان للهدهد: سنتأمل قولك ليظهر لنا فحواه: **﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم.. ثم تول عنهم.. فانظر ماذا يرجعون﴾**، أمر سليمان الهدهد بنقل رسالة إلى الملكة وقومها وإلقائها إليهم.. ثم يتأمل فيما يقولون عنه: **﴿قالت: يا أيها الملأ إني ألقى إليّ كتاب كريم: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم: ألاّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين﴾**: نقل الهدهد الرسالة وألقاه إليهم كما أمره سليمان.. فأعلمت الملكة الملأ من رعيتها بإلقاء كتاب كريم إليها من سليمان مكتوب فيه بعد البسلمة: **﴿ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين. قالت: يا أيها الملأ أفتوني في أمري..﴾** أفتاه في الأمر: أبان له وأظهر له ما خفي عنه.. وقطع الأمر: عزم على تنفيذه.

﴿قالوا: نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾: أجاب الملأ الملكة بأنهم أولوا قوّة في الأجساد والعتاد.. وأولوا نجدة وشجاعة

مفرطة. ونحن مطيعون لك. فَمّرينا بأمرك نمتثل به ونتبع رأيك فيه.. ﴿**قالت: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون**﴾: كلام الملكة هذا يدل عى حصافة في الرأي وسداد في التفكير وتأنّ في هذا الأمر الخطير. وهي عادة في الملوك على مر العصور. ﴿**وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون**﴾: قررت الملكة أمراً لم يكن يخطر على بالهم: بأن ترسل رسلاً بهدية عظيمة إلى سليمان وجنوده.. الهدية: كل ما يتحف به تكريماً أو تقرباً أو تزلفاً أو تألفاً أو اختباراً ـ كما هو هنا ـ مَن يُحترم أو يُخشى.. ﴿**فلما جاء سليمان، قال: أتمدونني بمال**﴾؟!.. فعندما جاء وفد الملكة سليمان وسلموه الهدايا سألهم سليمان وتعجب واستنكر ما فعلوا ونظر إليهم نظر احتقار واستقلال: ﴿**أتمدونني بمال؟!.. فما آتاني الله خير مما آتاكم..**﴾ فالذي أعطيته من الله من الملك والنبوءة خير مما أوتيتم من مال وجاه وسلطان.. فليست هديتكم هذه بشيء عندي.. ﴿**بل أنتم بهديتكم تفرحون..**﴾ الفرح: السرور. والبطر. والفخر.. لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين.

﴿**ارجع إليهم.. فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها..**﴾ لا قبل لهم بها: لا قدرة لهم على مقابلتها ولا طاقة لهم بمقاومتها. ﴿**ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون**﴾. وصاغرون: جمع صاغر. والصاغر: الراضي بالذل. ومعناه هنا: أسارى مهانون. ﴿**قال: يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين... قال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين..**﴾ العفريت: النافذ في الأمر، المبالغ فيه مع دهاء وسرعة في التنفيذ. ﴿**قبل أن تقوم من مقامك**﴾: من مجلسك للحكومة. ﴿**وإني عليه لقوي أمين**﴾: لا يثقل على حمله. ولا أختزل منه شيئاً ولا أبدله.

﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك..**﴾ الطرف: تحريك الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء. وارتداده أنظماً منها.. ﴿**فلما رآه مستقراً عنده**﴾: رأى العرش حاضراً لديه.. ﴿**قال: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر.. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم...**﴾ ﴿**قال: نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون..**﴾ نكروا: غيروا هيئته بوجه من الوجوه. ﴿**فلما جاءت قيل أهكذا عرشك**﴾؟: أعرشك مثل

هذا؟ ﴿**قالت كأنه هو**﴾: يشبهه شبهاً كاملاً. ﴿**وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين... وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين..**﴾ ﴿**قيل لها ادخلي الصرح..**﴾ الصرح: القصر وكل بناء عال. ويطلق على ساحة القصر. وهو المراد هنا.. ﴿**فلما رأته حسبته لجة..**﴾ الماء الكثير المتراكم. ﴿**وكشفت عن ساقيها**﴾: شمرت ثيابها خوفاً من بللها.. قال: ﴿**إنه صرح ممرد من قوارير**﴾: الممرد: مملس ومسو. والقوارير: الزجاج. ﴿**قالت: رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين... ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن أعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون..**﴾ الفريقان: مثنى فريق. والفريق: الجماعة. والمراد بالفريقين: فريق المؤمنين وفريق الكافرين.

﴿**يختصمون**﴾: يتجادلون. ﴿**قال: يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة... لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون..**﴾ لولا: هلا. ﴿**قالوا: اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون..**﴾ التطير: التشاؤم. مأخوذ من زجرهم للطير ليتجه إلى جهة معينة.. فإن اتجه يميناً تفاءلوا، وإن اتجه شمالاً تشاءموا.. ﴿**وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون..**﴾ الرهط: قوم الرجل وقبيلته والمراد به هنا تسعة رجال من ثمود قوم صالح. ﴿**قالوا: تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله..**﴾ تقاسموا: تحالفوا على قتل صالح بالقضاء عليه بغتة ليلاً مع أهله.. ﴿**ثم لنقولن لوليه: ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون..**﴾ الولي: القريب الذي يأخذ بثار قريبه.. والمهلك: مصدر الإهلاك.

﴿**ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون..**﴾ مكر الناس: الحيلة والتدبير بكيفية ارتكاب أمر مكروه.. ومكر الله: أخذ الماكر بكره دون شعور منه.. ﴿**فانظر كيف كان عاقبة مكرهم: إنا دمرناهم وقومهم أجمعين.. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا..**﴾ خاوية: خالية من أهلها ومما فيها من أثاث ومتاع.. فصارت موحشة خربة ﴿**إن في ذلك لآية لقوم يعلمون.. وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون... ولوطاً إذ قال لقومه: أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون**﴾؟! وأنتم تبصرون: تعلمون قباحة هذه الفاحشة ولم تستجبوا من فعلها وبعضكم ينظر بعضاً!: ﴿**أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء؟!.. بل أنتم قوم تجهلون... فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون.. فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين. وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين..**﴾

مبحث الإعراب

﴿**وإنه**﴾ إنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**لتنزيل**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**رَبّ**﴾ مضاف إلى تنزيل. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**نزل**﴾ فعل ماض. ﴿**به**﴾ متعلق بنزل. ﴿**الروحُ**﴾ فاعل نزل. ﴿**الأمينُ**﴾ نعت للروح. ﴿**على قلبك**﴾ متعلق بنزل. ﴿**لتكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بنزل. واسم تكون ضمير الخاطب. ﴿**من المنذرين**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. ﴿**بلسان**﴾ متعلق بنزل. ﴿**عربي**﴾ نعت للسان. ﴿**مبين**﴾ نعت ثان. ﴿**وإنه**﴾ عطف على إنه لتنزيل. ﴿**لفي زبر**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**الأولين**﴾ مضاف إلى زَبر. ﴿**أولم يكن**﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري. والواو للعطف. ولم حرف نفي وجزم. يكن فعل مضارع ناقص. ﴿**لهم**﴾ متعلق به. ﴿**آية**﴾ خبر يكن مقدم. ﴿**أن يعلمه**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**علماءُ**﴾ فاعل.

﴿**بني**﴾ مضاف إلى علماء. ﴿**إسراءيل**﴾ مضاف إلى بني. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم يكن مؤخر. ﴿**ولو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. والواو للعطف. ﴿**نزلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل الشرط. ﴿**على بعض**﴾ متعلق بنزلناه. ﴿**الأعجمين**﴾ مضاف إلى بعض. ﴿**فقرأه**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ما كانوا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**مؤمنين**﴾ خبر كان. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر مقدر. وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**سلكناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. أي: مثلَ ذلك السلك البديع المذكور سلكناه. ﴿**في قلوب**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**المجرمين**﴾ مضاف إلى قلوب. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**به**﴾ متعلق بيؤمنون. ﴿**حتى يروا العذاب**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد حتى. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى متعلق بيؤمنون. ﴿**الأليم**﴾ نعت للعذاب. ﴿**فيأتيهم**﴾ مرتب على يروا منصوب مثله. والفاعل ضمير يعود على العذاب. والضمير المتصل بالفعل

مفعول. ﴿**بغتة**﴾ حال من الفاعل. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للحال. ﴿**لا يشعرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدإ. وجملة وهم لا يشعرون حال من المفعول. ﴿**فيقولوا**﴾ مرتب على قوله: ﴿**فيأتيهم بغتة..**﴾ منصوب مثله. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**منظرون**﴾ اسم مفعول خبر المبتدإ. وجملة ﴿**هل نحن منظرون**﴾ مقول القول.ه ﴿**أفبعذابنا**﴾ الهمزة للاستفهام. والفاء للتعقيب. والجار والمجرور متعلق بما بعده: ﴿**يستعجلون**﴾ فعل وفاعل.

﴿**أفرأيت**﴾ الهمزة للاستفهام. والفاء للتعقيب. رأيت فعل وفاعل. ﴿**إن متعناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط. ﴿**سنين**﴾ ظرف زمان منصوب بالياء. ﴿**ثم جاءهم**﴾ مرتب على قوله: متعناهم. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل جاء. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يُوعَدون**﴾ فعل ونائب فاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يوعدون صلة ما. ﴿**ما أغنى**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف النفي. ﴿**عنهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل أغنى.

﴿**كانوا يمتعون**﴾ إعرابه مثل إعراب كانوا يوعدون. وجملة ﴿**ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون**﴾ جواب شرط إن متعناهم. ﴿**وما أهلكنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**من قرية**﴾ مفعول به جر بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**لها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**منذرون**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**ذكرى**﴾ مفعول لأجله منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**وما كنا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي وواو العطف. ﴿**ظالمين**﴾ خبر كان. ﴿**وما تنزلت**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**به**﴾ متعلق بتنزلت. ﴿**الشياطينُ**﴾ فاعل تنزلت. ﴿**وما ينبغي**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وواو العطف. والفاعل ضمير يعود على التنزل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بينبغي. ﴿**وما يستطيعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**إنهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**عن السمع**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**لمعزولون**﴾ خبرُ إنّ. واللام لتأكيد الخبر. ﴿**فلا تدع**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاء للتعقيب. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**مع**﴾ متعلق بتدع. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى الظرف.

﴿**إلهاً**﴾ مفعول تدع. ﴿**آخر**﴾ نعت لإله. ﴿**فتكون**﴾ فعل مضارع ناقص

منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية. واسمها ضمير المخاطب. ﴿**من المعذبين**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. ﴿**وأنذر**﴾ فعل أمر. ﴿**عشيرتك**﴾ مفعول به. ﴿**الأقربين**﴾ نعت لعشيرتك. ﴿**واخفض جناحك**﴾ معطوف على وأنذر. وهو مثله في الإعراب. ﴿**لمن**﴾ متعلق بأخفض. ﴿**اتبعك**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة اتبعك صلة مَنْ. ﴿**من المؤمنين**﴾ بيان لمن. ﴿**فإن عصوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط وحرف التعقيب. ﴿**فقل**﴾ جواب الشرط. ﴿**إني بريء**﴾ الجملة من إن واسمها وخبرها مقول القول. ﴿**مما**﴾ متعلق ببرىء. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. صلة ما.

﴿**فتوكل**﴾ فعل أمر. والفاء وما بعدها بدل من قوله فقل إني بريء.. ﴿**على العزيز**﴾ متعلق بتوكل. ﴿**الرحيم**﴾ بيان للعزيز.. ﴿**الذي**﴾ في محل جر بدل من العزيز. ﴿**يراك**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الذي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**حين**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بيراك. ﴿**تقوم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**وتقلبك**﴾ معطوف على ضمير المخاطب المنصوب. ﴿**في الساجدين**﴾ متعلق بتقلبك. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل.

﴿**السميع العليم**﴾ خبران لإنّ. ﴿**هل أنبئكم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**على مَن**﴾ متعلق بأنبئكم. ﴿**تنزل**﴾ فعل مضارع حذفت منه التاء. ﴿**الشياطين**﴾ فاعل. ﴿**تنزّلُ**﴾ مثل ما قبله. ﴿**على كل**﴾ متعلق بتنزل. ﴿**أفاك**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**أثيم**﴾ نعت لأفاك. ﴿**يلقون السمع**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة بيانية لا محل لها من الإعراب. ﴿**وأكثرهم**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**كاذبون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**والشعراء**﴾ مبتدأ. والواو للعطف.. ﴿**يتبعهم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الغاوون**﴾ فاعل والجملة خبر.. ﴿**ألم تر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والهمزة للاستفهام. والفاعل ضمير المخاطب.

﴿**أنهم**﴾ أنَّ واسمها. ﴿**في كل**﴾ متعلق بالفعل بعده. ﴿**وادٍ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**يهيمون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبرُ أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول تر. ﴿**وأنهم يقولون**﴾ معطوف على ما قبله. وما﴾ في

محل نصب مفعول به. ﴿**لا يفعلون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة ما. ﴿**إلا الذين**﴾ مستثنى بإلا في محل نصب. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وعملوا**﴾ معطوف عليه. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به. ﴿**وذكروا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على آمنوا. ﴿**كثيراً**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. ﴿**وانتصروا**﴾ معطوف على ذكروا. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بانتصروا. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**ظلموا**﴾ مبني للمجهول وواو الجماعة نائب الفاعل أي: انتصروا بعد ظلمهم. ﴿**وسيعلم الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ظلموا**﴾ صلة الموصول. ﴿**أيَّ**﴾ مفعول مطلق. ﴿**منقلب**﴾ مضاف إلى أيّ.

﴿**ينقلبون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**طسّ تلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آياتُ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**القرءان**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**وكتاب**﴾ معطوف على المضاف إليه. ﴿**مبين**﴾ نعت لكتاب. ﴿**هدى**﴾ حال من الآيات منصوب بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**وبشرى**﴾ عطف على هدى منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**للمؤمنين**﴾ متعلق ببشرى. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للمؤمنين. ﴿**يقيمون**﴾ الصلاة فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول.

﴿**ويؤتون الزكاة**﴾ عطف على يقيمون الصلاة. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**بالآخرة**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**يوقنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة الذين. ﴿**بالآخرة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**زيّنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بزينا. ﴿**أعمالَهم**﴾ مفعول به. وجملة زينا. . خبر إنّ. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للترتيب. ﴿**يعمهون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**سوءُ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**العذاب**﴾ مضاف إلى سوء. وجملة لهم سوءُ العذاب صلة الذين. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. في الآخرة متعلق بالخبر بعده. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الأخسرون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**وإنك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لتُلقَى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير المخاطب. ﴿**القرءان**﴾ مفعول به. ﴿**من لدن**﴾ متعلق بتلقى.

﴿**حكيم عليم**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**إذ**﴾ في محل نصب ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف مقدر، والتقدير: اذكر.. ﴿**قال موسى**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لأهله**﴾ متعلق بقال. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**آنست ناراً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. وجملة إني آنست ناراً مقول القول. ﴿**سآتيكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**منها بخبر**﴾ متعلقان بسآتيكم. ﴿**أو آتيكم بشهاب**﴾ معطوف على سآتيكم. ﴿**قبس**﴾ مضاف إلى شهاب. ﴿**لعلكم**﴾ لعلّ واسمها. ﴿**تصطلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعلّ. ﴿**فلما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. والفاء للتعقيب. ﴿**جاءها**﴾ فعل الشرط. والفاعل ضمير يعود على موسى. والضمير المتصل بالفعل مفعول، يعود على النار. ﴿**نودي**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**أن**﴾ حرف تفسير. ﴿**بورك**﴾ فعل ماض. ﴿**من**﴾ في محل رفع نائب الفاعل.

﴿**في النار**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**ومَنْ**﴾ معطوف على من في النار. ﴿**حولها**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. وجملة نودي.. جواب شرط لمّا. ﴿**وسبحان**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة. والواو للعطف. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبحان. ﴿**رب**﴾ عطف بيان. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى ربّ. ﴿**يا موسى**﴾ منادى مبني على ضم مقدر في محل نصب. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الله**﴾ خبر المبتدإ. والجملة خبر إنّ. ﴿**العزيزُ الحكيمُ**﴾ عطف بيان لله. ﴿**وألق**﴾ فعل أمر معطوف على بورك. والأمر موجه لموسى. ﴿**عصاك**﴾ مفعول به. منصوب بفتحة مقدرة على الألف.

﴿**فلما رآها**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة فلما جاءها.. ﴿**تهتز**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على العصا. والجملة حال من الضمير المنصوب العائد على العصا. ﴿**كأنها**﴾ كأنّ واسمها. ﴿**جانّ**﴾ خبرها. والجملة حالية مثل جملة تهتز. ﴿**ولّى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**مدبراً**﴾ حال من الفاعل. وجملة ولى مدبراً جواب شرط لمّا.. ﴿**ولم يُعَقّب**﴾ معطوف على ولى. ﴿**يا موسى**﴾ منادى. تقدم إعراب مثلها. ﴿**لا تخف**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا**

يخاف﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. **﴿لدى﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿المرسلون﴾** فاعل. **﴿إلا من﴾** في محل نصب مستثنى بإلا. **﴿ظلم﴾** فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. **﴿ثم بدّل﴾** مرتب على ما قبله. **﴿حسناً﴾** مفعول به. **﴿بعد﴾** متعلق ببدّل. **﴿سوء﴾** مضاف إلى بعد. **﴿فإني﴾** إن واسمها. **﴿غفور رحيم﴾** خبرُ إنّ. والفاء رابطة لما قبلها. **﴿وأدخل﴾** فعل أمر موجه لموسى. **﴿يدك﴾** مفعول به.

﴿في حبيبك﴾ متعلق بأدخل. **﴿تخرج﴾** مجزوم في جواب الأمر. والفاعل ضمير يعود على يدك. **﴿بيضاء﴾** حال من يدك. **﴿من غير﴾** متعلق بمحذوف حال ثانية. **﴿سوء﴾** مضاف إلى غير. **﴿في تسع﴾** متعلق بفعل أمر مقدر؛ والتقدير: اذهب في تسع آيات **﴿إلى فرعون﴾** متعلق باذهب كذلك. **﴿وقومه﴾** معطوف على فرعون. **﴿إنهم﴾** إنّ واسمها. **﴿كانوا﴾** كان واسمها. **﴿قوماً﴾** خبر كان. **﴿فاسقين﴾** نعت لقوم. جملة كانوا قوماً فاسقين خبر لإنّ. وجملة إنهم كانوا قوماً فاسقين تعليل للأمر المقدر. **﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾** جملة شرطية. **﴿مبصرة﴾** حال من آياتنا. **﴿قالوا﴾** جواب شرط لما. **﴿هذا﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿سحر﴾** خبر المبتدإ. **﴿مبين﴾** نعت لسحر. والجملة مقول القول. **﴿وجحدوا﴾** فعل وفاعل. والواو للعطف. **﴿بها﴾** متعلق بجحدوا.

﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ الواو للحال. والجملة في محل نصب على الحال من فاعل جحدوا. **﴿ظلماً﴾** مفعول لأجله. **﴿وعلواً﴾** معطوف عليه. **﴿فانظر﴾** فعل أمر. والفاء للتعقيب. **﴿كيف﴾** في محل نصب مفعول انظر. **﴿كان﴾** تامة. **﴿عاقبة﴾** فاعل. **﴿المفسدين﴾** مضاف إلى عاقبة. والتقدير: فانظر كيفية انتهاء المفسدين. **﴿ولقد آتينا داوود﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام التوكيد وواو العطف. **﴿وسليمان﴾** معطوف على داوود.

﴿علماً﴾ مفعول ثان. **﴿وقالا﴾** فعل وفاعل. والواو للعطف. **﴿الحمد﴾** مبتدأ. **﴿لله﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. **﴿الذي﴾** عطف بيان. **﴿فضلنا﴾** فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة الموصول. **﴿على كثير﴾** متعلق بفضلنا. **﴿من عباده﴾** بيان لكثير. **﴿المؤمنين﴾** نعت لعباده. **﴿وورث سليمان داوود﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿وقال﴾**

الفاعل ضمير يعود على سليمان والواو للعطف. ﴿**ياأيها**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. والهاء للتنبيه. ﴿**الناسُ**﴾ نعت لأيٌّ. ﴿**علمنا**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ضمير المتكلمين نائب الفاعل. ﴿**منطق**﴾ مفعول به. الطير مضاف إلى منطق.

وأوتينا معطوف على علمنا. ﴿**من كل**﴾ متعلق بأوتينا. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. إن هذا إن واسمها. ﴿**لهو**﴾ ضمير فضل. ﴿**الفضل**﴾ خبر إنّ. ﴿**المبين**﴾ نعت للفضل. ﴿**وحُشر**﴾ فعل ماض مبنيّ للمجهول. والواو للعطف. ﴿**لسليمان**﴾ متعلق بحشر. ﴿**جنودُه**﴾ نائب الفاعل. ﴿**من الجن**﴾ متعلق ﴿**بحشر**﴾. ﴿**والإنس والطير**﴾ معطوفان على الجن. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**يوزعون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر المبتدإ. ﴿**حتى**﴾ هي التي يبتدأ بها الكلام. ومع ذلك هي غاية لما قبلها. ﴿**إذا أتوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه ظرف الزمان المتضمن لمعنى الشرط. ﴿**على واد**﴾ متعلق بأتوا. ﴿**النمل**﴾ مضاف إلى واد. ﴿**قالت نملة**﴾ فعل وفاعل. جواب شرط إذا.

﴿**يا أيها النمل**﴾ إعرابه مثل يا أيها الناس. ﴿**أدخلوا**﴾ فعل أمر موجه إلى النمل. ﴿**مساكنكم**﴾ مفعول به. ﴿**لا يحطمنكم**﴾ فعل مضارع مبنيّ على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بلا الناهية. والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**سليمانُ**﴾ فاعل. ﴿**وجنوده**﴾ معطوف على سليمان. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للحال. ﴿**لا يشعرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. وجملة لا يشعرون خبر المبتدإ. وجملة وهم لا يشعرون في محل نصب على الحال من سليمان وجنوده. ﴿**فتبسم**﴾ مرتب على ما قبله. وفاعل تبسم ضمير يعود على سليمان.

﴿**ضاحكاً**﴾ منصوب على الحال من سليمان. وهي حال مؤكدة لتبسم. ﴿**من قولها**﴾ متعلق بتبسم ضاحكاً. ﴿**وقال**﴾ معطوف على تبسم. ﴿**ربّ**﴾ منادى. حذف منه حرف النداء وضمير المتكلم. ﴿**أوزعني**﴾ فعل دعاء. والنون للوقاية. وياء المتكلم مفعول به. ﴿**أن أشكر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية.

والفاعل ضمير المتكلم يعود على سليمان. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بأوزعني. أي: ألهمني إلى شكر ﴿**نعمتك**﴾

مفعول أشكر. ﴿**التي**﴾ في محل نصب نعت لنعمتك. ﴿**أنعمت**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة التي. والعائد محذوف. أي: أنعمتها ﴿**عليّ**﴾ متعلق بأنعمت. ﴿**وعلى والدي**﴾ معطوف على قوله عليّ. ﴿**وأن أعمل**﴾ معطوف على أن أشكر. ﴿**صالحاً**﴾ مفعول به. ﴿**ترضاه**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب يعود على رب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة ترضاه في محل نصب نعت لقوله «صالحاً». ﴿**وأدخلني**﴾ معطوف على أوزعني. ﴿**برحمتك في عبادك**﴾ متعلقان بأدخلني. ﴿**الصالحين**﴾ نعت لعباد. ﴿**وتفقد**﴾ الفاعل ضمير يعود على سليمان. والواو للعطف.

﴿**الطير**﴾ مفعول به. ﴿**فقال**﴾ مرتب على تفقد. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**لي**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**لا أرى**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير المتكلم يعود على سليمان. والجملة حال من ضمير ما لي. ﴿**الهدهد**﴾ مفعول به. وجملة ما لي لا أرى الهدهد مقول القول. ﴿**أم كان**﴾ فعل ماض ناقص دخل عليه حرف العطف والإضراب. واسم كان ضمير يعود على الهدهد. ﴿**من الغائبين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**لأعذبنه**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل رفع. واللام لتوكيد الوعيد. والفاعل ضمير المتكلم يعود على سليمان. والضمير المتصل بالفعل مفعول به يعود على الهدهد. ﴿**عذاباً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**شديداً**﴾ نعت له. ﴿**أو لأذبحنه**﴾ معطوف على قوله لأعذبنه. وهو مثله في الإعراب. ﴿**أو ليأتيني**﴾ معطوف على ما قبله. وأصل ليأتيني: ليأتينني. أدغمت نون الوقاية في نون التوكيد. والفاعل ضمير يعود على الهدهد. وياء المتكلم مفعول به عائدة على سليمان.

﴿**سلطان**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مبين**﴾ نعت لسلطان. ﴿**فمكث**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على سليمان. ﴿**غيرَ**﴾ نعت لظرف مقدر. أي: زماناً غير ﴿**بعيد**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**فقال**﴾ مرتب على مقدر: فجاء فسأله سليمان فقال ﴿**أحطت**﴾ فعل وفاعل. والجملة مقول القول. ﴿**بما**﴾ متعلق بأحطت. ﴿**لم تحط**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل ضمير يعود على سليمان. ﴿**به**﴾ متعلق بتحط. وجملة لم تحط به صلة ما. ﴿**وجئتك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو

للعطف. ﴿**من سبإ بنبإ**﴾ متعلقان بجئتك. ﴿**يقين**﴾ نعت لنبإ. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**وجدت امرأةً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وجملة وجدت خبر إنّ. وجملة إني وجدت بيانية لا محل لها من الإعراب. ﴿**تملكهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على «امرأة» والضمير بالفعل مفعول. وجملة تملكهم نعت لامرأة. ﴿**وأوتيت**﴾ فعل ماض مبنيّ للمجهول. ونائب الفاعل ضمير المرأة. ﴿**من كل**﴾ متعلق بأوتيت. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. والجملة معطوفة على جملة تملكهم. ﴿**ولها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عرش**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**عظيم**﴾ نعت لعرش. والجملة معطوفة مثل السابقة. ﴿**وجدتها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وقومَها**﴾ معطوف على الضمير المفعول. ﴿**يسجدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل نصب حال من ضمير المرأة وقومها. ﴿**للشمس**﴾ متعلق بيسجدون. ﴿**من دون**﴾ متعلق بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**وزين**﴾ فعل ماض. والواو للعطف. ﴿**لهم**﴾ متعلق بزين. ﴿**الشيطان**﴾ فاعل زين. ﴿**أعمالهم**﴾ مفعول به. ﴿**فصدهم**﴾ مرتب على زين. ﴿**عن السبيل**﴾ متعلق بصدَّ. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للسببية.

﴿**لا يهتدون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**ألا يسجدوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وأنْ المصدرية الناصبة للفعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيصدّهم. ﴿**لله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الذي**﴾ في محل جر عطف بيان. ﴿**يخرج**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الخبء**﴾ مفعول به. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بالخبء. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**ويعلم**﴾ معطوف على يخرج. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يخفون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وما يعلنون**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**لا إله**﴾ لا واسمها. ﴿**إلا هو**﴾ في محل رفع بدل من الخبر المقدر. والتقدير: لا إله موجود إلا هو. والجملة خبر المبتدإ.

﴿**ربُّ**﴾ عطف بيان لما قبله. ﴿**العرش**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**العظيم**﴾ نعت للعرش. ﴿**قال**﴾ الفاعل ضمير يعود على سليمان. ﴿**سننظر**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**أصدقت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**أم كنت**﴾

كان واسمها دخلت عليها أم العاطفة المقابلة لهمزة الاستفهام. ﴿**من الكاذبين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**اذهب**﴾ فعل أمر موجه إلى الهدهد. ﴿**بكتابي**﴾ متعلق باذهب. ﴿**هذا**﴾ في محل جر عطف بيان لكتابي. ﴿**فألقه**﴾ مرتب على اذهب. ﴿**إليهم**﴾ متعلق بألق. ﴿**ثم تول**﴾ مرتب على فألقه. . ﴿**عنهم**﴾ متعلق بتول. ﴿**فانظر**﴾ مرتب على تول. ﴿**ماذا**﴾ جملة استفهامية في محل نصب بانظر. ﴿**يرجعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما الموصولة. ﴿**قالت**﴾ الفاعل ضمير يعود على الملكة. ﴿**يا أيها**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**الملأ**﴾ نعت لأيُّ باعتبار لفظها. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أُلقِي**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**إلى**﴾ متعلق بألقى. كتاب نائب فاعل. ﴿**كريم**﴾ نعت لكتاب. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**من سليمان**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**وإنه بسم الله الرحمان الرحيم**﴾ معطوف على أنه من سيلمان. ﴿**ألا تعلوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي وأنْ المفسرة.

﴿**عليّ**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وأتوني**﴾ فعل أمر موجه إلى الملكة وقومها. ﴿**مسلمين**﴾ حال من ضمير الجماعة. ﴿**قالت يا أيها الملأ: أفتوني**﴾ فعل أمر موجه إلى الملإ. ﴿**في أمري**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ما كنت قاطعة**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها منفية. بما. ﴿**أمراً**﴾ مفعول باسم الفاعل. حتى تشهدونِ فعل وفاعل ومفعول. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد حتى! وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى متعلق بقاطعة. وحذفت ياء المتلكم تخفيفاً. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أولوا**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**قوة**﴾ مضاف إلى أولوا. ﴿**وأولوا بأس**﴾ معطوف على أولوا قوة. ﴿**شديد**﴾ نعت لبأس. ﴿**والأمر**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**إليك**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**فانظري**﴾ فعل أمر موجه إلى الملكة ﴿**ماذا تأمرين**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**قالت**﴾ الفاعل ضمير يعود على الملكة. ﴿**إنّ الملوك**﴾ إن واسمها. ﴿**إذا دخلوا**﴾ جملة شرطية. ﴿**قرية**﴾ مفعول به. ﴿**أفسدوها**﴾ جواب شرط إذا. والجملة الشرطية خبر إنّ.

﴿**وجعلوا أعزة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**أهلها**﴾ مضاف إلى أعزة. ﴿**أذلة**﴾ مفعول ثان. ﴿**وكذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر من فعل يفعلون أي: يفعلون مثل ذلك الفعل. واسم الإشارة في محل جر

بالكاف. ﴿يفعلون﴾ فعل وفاعل. ﴿وإني﴾ إنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿مرسلة﴾ خبر إنّ. ﴿إليهم بهدية﴾ متعلقان بمرسلة. ﴿فناظرة﴾ مرتب على مرسلة. ﴿بم﴾ متعلق «بيُرجع المرسلون» بم: ما استفهامية دخل عليها حرف الجر فحذف ألفها: أي يرجع المرسلون بأي شيء! يرجع المرسلون فعل وفاعل. والجملة صلة ما.

﴿فلما جاء﴾ الفاعل ضمير يعود على المرسَل. والجملة فعل شرط لما. والفاء للتعقيب. ﴿سليمانَ﴾ مفعول به. ﴿قال﴾ الفاعل ضمير يعود على سليمان. والجملة جواب شرط لمّا. ﴿أتمدونني﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿بمال﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿فما﴾ ما اسم موصول في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿آتاني﴾ فعل ماض. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. الله فاعل. وجملة آتاني الله صلة ما. ﴿خير﴾ خبر المبتدإ. ﴿مما﴾ متعلق بخير. ﴿آتاكم﴾ إعرابها مثل آتاني. ﴿بل﴾ حرف إضراب. ﴿أنتم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿بهديتكم﴾ متعلق بما بعدها: ﴿تفرحون﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ ﴿ارجع﴾ فعل أمر موجه إلى الرسول. ﴿إليهم﴾ متعلق بارجع. ﴿فلنأتينهم﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التعقيب. والفاعل نحن. والفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿بجنود﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿لا قبل﴾ لا واسمها. مبني على الفتح في محل نصب.

﴿لهم﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. ﴿بها﴾ كذلك. وجملة لا قبل لهم بها نعت لجنود. ﴿ولنخرجنهم﴾ فعل مضارع دخل عليه لام التوكيد؛ وواو العطف. مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿منها﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿أذلةً﴾ منصوب على الحال من المفعول. ﴿وهم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿صاغرون﴾ خبر المبتدإ. والجملة معطوفة على أذلة. محلها النصب على الحال. ﴿قال﴾ سليمان. ﴿يا أيها الملأ﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿أيُّكم﴾ مبتدأ. ﴿يأتيني﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الضمير في أيكمُ. والنون للوقاية وياء المتكلم في محل نصب مفعول. ﴿بعرشها﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿قبل﴾ منصوب على الظرفية متعلق بيأتيني. ﴿أن يأتوني﴾ فعل

وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة للفعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى الظرف. ﴿**مسلمين**﴾ حال من الفاعل. وجملة يأتيني بعرشها في محل رفع خبر أيُّكم. ﴿**قال عفريت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من الجن**﴾ بيان له. ﴿**أنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آتيك**﴾ اسم فاعل خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة على الياء. وضمير المخاطب في محل جر مضاف إلى اسم الفاعل. ﴿**به قبل**﴾ متعلقان بآتيك. ﴿**أن تقوم**﴾ فعل مضارع دخلت عليه أن المصدرية الناصبة.

والفاعل ضمير يعود على سليمان. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى قبل. ﴿**من مقامك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وإني**﴾ إنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**عليه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**قوي أمين**﴾ خبران لإنّ. ﴿**قال الذي**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عنده**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**علم**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**من الكتاب**﴾ متعلق بعلم. والجملة صلة الموصول. ﴿**أنا آتيك به قبل..**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**أن يرتد**﴾ مثل أن تقوم.. ﴿**إليك**﴾ متعلق بيرتد. ﴿**طرفُك**﴾ فاعل. ﴿**فلما رآه**﴾ جملة شرطية. ﴿**مستقراً**﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿**عنده**﴾ متعلق بما قبله. ﴿**قال**﴾ سليمان. جواب الشرط. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من فضل**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**ربي**﴾ مضاف إلى فضل. وياء المتكلم مضافة إلى رب.

﴿**ليبلوني**﴾ فعل مضارع منصوب بأن ﴿**مضمرة**﴾ بعد ﴿**لام**﴾ التعليل. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول. والفاعل ضمير يعود على ربّي. ﴿**أأشكر**﴾ فعل مضارع دخلت عليه همزة الاستفهام. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**أم أكفر**﴾ عطف على ما قبله. ﴿**ومن شكر**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الشرط. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**فإنما**﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط. إنما كافة ومكفوفة. ﴿**يشكر**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**لنفسه**﴾ متعلق بيشكر. وجملة فإنما يشكر لنفسه جواب الشرط. ﴿**ومن كفر**﴾ معطوف على من يشكر. ﴿**فإن ربي**﴾ إن واسمها. والفاء رابطة للجواب. ﴿**غنيّ كريم**﴾ خبران لإنّ. والجملة جواب الشرط. ﴿**قال**﴾ سليمانُ: ﴿**نكروا**﴾ فعل أمر موجه إلى الملإ.

﴿**لها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عرشها**﴾ مفعول به. ﴿**ننظر**﴾ فعل مضارع

مجزوم في جواب الأمر. والفاعل نحن. ﴿أتهتدي﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل ضمير يعود على الملكة. ﴿أم تكون﴾ فعل مضارع ناقص معطوف على الفعل قبله. واسم تكون ضمير يعود على الملكة. ﴿من الذين﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. ﴿لا يهتدون﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿فلما جاءت﴾ الملكة جملة ﴿شرطية﴾. ﴿قيل﴾ لها جواب الشرط. ﴿أهكذا:﴾ الهمزة للاستفهام. وها للتنبيه. والكاف للتشبيه. وذا إشارة للعرش المنكّر في محل رفع مبتدأ. ﴿عرشك﴾ خبر المبتدإ. ﴿قالت﴾ الملكة. ﴿كأنه﴾ كأنّ واسمها. ﴿هو﴾ في محل رفع خبر كأنّ. وجملة كأنه هو مقول القول.

وجملة قالت كأنه هو جواب عن السؤال المقدم إليها. ﴿وأوتينا﴾ فعل ماض مبني للمجهول. وضمير المتكلمين نائب الفاعل. والواو للعطف. ﴿العلم﴾ مفعول ثان. ﴿من قبلها﴾ متعلق بأوتينا. ﴿وكنا﴾ كان واسمها. ﴿مسلمين﴾ خبرها. والجملة معطوفة على أوتينا. ﴿وصدها﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والواو للعطف. ﴿ما﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل صدّ. ﴿كانت﴾ اسم كان ضمير يعود على الملكة. ﴿تعبد﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الملكة. والجملة خبر كانت. وجملة كانت تعبد صلة ما. ﴿من دون﴾ متعلق بتعبد. ﴿الله﴾ مضاف إل دون. ﴿إنها﴾ إنّ واسمها. ﴿كانت﴾ اسم كانت ضمير يعود على الملكة. ﴿من قوم﴾ متعلق بمحذوف خبر كانت. وجملة كانت من قوم خبرُ إنّ. وجملة إنها كانت. تعليلية. ﴿كافرين﴾ نعت لقوم. ﴿قيل لها: أدخلي﴾ أمر موجه إلى الملكة.

﴿الصرح﴾ مفعول به. ﴿فلما رأته﴾ جملة شرطية مرتبة على الأمر. ﴿حسبته﴾ جواب الشرط. ﴿لجة﴾ مفعول ثانٍ. ﴿وكشفت﴾ معطوف على حسبت. ﴿عن ساقيها﴾ متعلق بكشفت. ﴿قال﴾ سليمان للملكة: ﴿إنه﴾ إنّ واسمها. ﴿صرحٌ﴾ خبر إنّ. ﴿ممرّدٌ﴾ نعت لصرح. ﴿من قوارير﴾ متعلق لممرد. ﴿قالت﴾ الملكة. ﴿ربّ﴾ منادى حذف منه حرف النداء وياء المتكلم تخفيفاً. ﴿إني﴾ إنّ واسمها. ﴿ظلمت نفسي﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. وجملة إني ظلمت.. مقول القول. ﴿وأسلمت﴾ معطوف على ظلمت. ﴿مع﴾ متعلق بأسلمت. ﴿سليمان﴾ مضاف إلى مع. ﴿لله﴾ متعلق بأسلمت. ﴿ربّ﴾ عطف بيان. ﴿العالمين﴾ مضاف إلى ربّ.

﴿**ولقد أرسلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام التوكيد. وواو العطف. ﴿**إلى ثمود**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**أخاهم**﴾ مفعول به. ﴿**صالحا**﴾ بدل من أخاهم. ﴿**أن اعبدوا**﴾ فعل أمر دخل عليه حرف التفسير. ﴿**الله**﴾ مفعول اعبدوا. ﴿**فإذا هم**: ﴾الفاء للتعقيب إذا فجائية وهم في محل رفع مبتدأ. فريقان خبر المبتدإ. يختصمون فعل وفاعل. والجملة نعت لقوله: فريقان. ﴿**قال**﴾ صالح لقومه: ﴿**يا قوم**﴾ منادى منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. وياء المتكلم المحذوفة للتخفيف في محل جر مضافة إلى قوم. ﴿**لم تستعجلون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه ما الاستفهامية مع لام التعليل. ﴿**بالسيئة قبل**﴾ متعلقان بتستعجلون. ﴿**الحسنة**﴾ مضافة إلى قبل. ﴿**لولا**﴾ حرف تحضيض.

﴿**تستغفرون الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**لعلكم**﴾ لعلّ واسمها. ﴿**تُرحمون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر لعل. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**اطَّيرنا**﴾ فعل وفاعل مقول القول. ﴿**بك**﴾ متعلق باطيرنا. ﴿**وبمن**﴾ معطوف على بك. ﴿**معك**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**قال**﴾ صالح: ﴿**طائرُكم**﴾ مبتدأ. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**اللَّهِ**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب وعطف. ﴿**أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. قوم خبر المبتدإِ. ﴿**تفتنون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل نعت لقوم. ﴿**وكان في المدينة**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**تسعةُ**﴾ اسم كان مؤخر. ﴿**رهط**﴾ مضاف إلى تسعة. ﴿**يفسدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لتسعة. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بيفسدون. ﴿**ولا يصلحون**﴾ معطوف على يفسدون.

﴿**قالوا: تقاسموا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بالله**﴾ متعلق بتقاسموا. والجملة حال من الواو في قالوا. ﴿**لنبيتنه**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة جواب القسم. والرابط اللام. ﴿**وأهله**﴾ معطوف على الضمير المفعول. ثم ﴿**لنقولن**﴾ مرتب على لنبيتنه. ﴿**لوليه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ما شهدنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة مقول القول. ﴿**مهلك**﴾ مفعول به. ﴿**أهله**﴾ مضاف إلى المصدر. ﴿**وإنا**﴾ إنَّ واسمها. ﴿**لصادقون**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. والجملة معطوفة على جملة القول السابق. ﴿**ومكروا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**مكراً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ومكرنا مكراً**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لا**

يشعرون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدإ. **﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾** تقدم إعراب مثلها في آية.. فانظر كيف كان عاقبة المفسدين في هذه السورة. **﴿إنا﴾** إنّ واسمها. **﴿دمرناهم﴾** فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ.

﴿وقومهم﴾ معطوف على الضمير المفعول. **﴿أجمعين﴾** تأكيد للضمير وما عطف عليه. **﴿فتلك﴾** في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. **﴿بيوتُهم﴾** خبر المبتدإ. خاويةً حال من بيوتهم. **﴿بما﴾** متعلق بخاوية. **﴿ظلموا﴾** فعل وفاعل. والجملة صلة ما. **﴿إن﴾** في **﴿ذلك﴾** متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. **﴿لآيةً﴾** اسم إنّ مؤخر. واللام لتوكيد الخبر. **﴿لقوم﴾** متعلق بآية. **﴿يعلمون﴾** فعل وفاعل. والجملة نعت لقوم. **﴿وأنجينا الذين﴾** فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. **﴿آمنوا﴾** صلة الموصول. **﴿وكانوا﴾** كان واسمها. والواو للعطف. **﴿يتقون﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر كان. **﴿ولوطاً﴾** منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا في صدر قصة صالح.

﴿إذ قال﴾ لوط **﴿لقومه﴾** والجملة مضافة إلى الظرف. والظرف متعلق بأرسلنا المقدر. **﴿أتأتون الفاحشة﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الاستفهام. **﴿وأنتم﴾** في محل رفع مبتدأ. والواو للحال. **﴿تبصرون﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. وجملة وأنتم تبصرون حال من واو الجماعة في أتأتون.. **﴿أئنكم﴾** إن واسمها دخل عليها حرف الاستفهام. **﴿لتأتون الرجال﴾** فعل وفاعل ومفعول. واللام لتوكيد الخبر. **﴿شهوةً﴾** مفعول لأجله. **﴿من دون﴾** متعلق لتأتون. **﴿النساء﴾** مضاف إلى دون. **﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾** تقدم إعراب مثل هذا في قوله: بل أنتم قوم تُفتنون. **﴿فما كان﴾** اسم كان قولهم الآتي.. جواب خبر كان. والجملة مرتبة على ما قبلها.. **﴿قومه﴾** مضاف إلى جواب. **﴿إلا﴾** أداة استثناء.. **﴿أن قالوا﴾** أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم كان.

﴿أخرجوا﴾ فعل أمر.. **﴿آل﴾** مفعول به. **﴿لوط﴾** مضاف إلى آل. **﴿من قريتكم﴾** متعلق بأخرجوا. **﴿إنهم﴾** إنّ واسمها. **﴿أناس﴾** خبر إنَّ. **﴿يتَطهّرون﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر إنّ. وجملة إنهم.. تعليلية. **﴿فأنجيناه﴾** فعل وفاعل ومفعول تعقيب على ما قبله.. **﴿وأهله﴾** معطوف على الضمير المفعول. **﴿إلا**

امرأته﴾ منصوب على الاستثناء. **﴿قدرناها﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿من الغابرين﴾** متعلق بقدرناها. **﴿وأمطرنا﴾** معطوف على أنجينا. **﴿عليهم﴾** متعلق بأمطرنا. **﴿مطراً﴾** مفعول به. **﴿فساء مطر﴾** فعل وفاعل. تعقيب على ما قبله. **﴿المنذرين﴾** مضاف إلى مطر.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿وإنه لتنزيل ربّ العالمين﴾: هذا عود إلى ما افتتحت به السورة من التنويه والإشادة بالقرءان، وكونه الآية العظمى بما اقتضاه قوله: **﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾**. لتختتم السورة بإطناب التنويه بالقرءان كما ابتدئت بإيجاز التنويه به؛ والتنبيه على أنه أعظم ءاية اختارها الله أن تكون معجزةَ أفضل المرسلين.. فبواو العطف اتصلت الجمل بالجمل التي قبلها. وبضمير القرآن اتصل عرضَها بعرض صدر السورة. وسمى القرءان تنزيلاً مبالغة. وأضيف لرب العالمين للإعلام بأن هذا التنزيل هو منهج التربية الصحيحة.. فهو رحمة ورأفة لكل العالمين.. **﴿نزل به الروح الأمين﴾**: فصلت هذه الآية عما قبلها.. فهي بيان لكيفية نزول هذا التنزيل. والروح الأمين جبريل.

نزل به على قلب الرسول.. فالقلب أضمن للحفظ والفهم والثبات من سماع الأذن.. **﴿لتكون من المنذرين﴾**: تعليل لنزول التنزيل على الرسول. **﴿بلسان عربي مبين﴾**: تعليل ثان لنزول القرآن على الرسول.. فبعد أن ينذر الناس بسماعه. يستدل به لهم على صحة دعوته.. **﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾**: هذا تنويه آخر بالقرءان؛ بأنه تُصدّقُه كتبُ الأنبئاء الأولين؛ لموافقتها بما فيه: من توحيد وعبادات وأخلاق.. **﴿أولم يكن لهم آيةً أن يعلمه علماء بنيّ إسراءيل﴾**: هذا تنويه ثالث بالقرءان. وهو حجة على التنويه الثاني في قوله: **﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾**.

والاستفهام إنكاري، وتقديم خبر يكن على اسمها للاهتمام والاعتناء بالخبر. والتشويق إلى المؤخّر.. **﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾**: هذه الآية جاءت موصولة بالعطف على ما قبلها زيادة في تقبيح موقف العرب من القرآن المنزل بلسانهم: **﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون**

به حتى يروا العذاب الأليم». فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا: هل نحن منظرون﴾؟ في هذه الآيات بيان لغاية عناد كفار قريش ومكابرتهم مع تعاضد الأدلة الواضحة التي لا عذر لهم بعدها بوجه من الوجوه. **﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾**؟!: استفهام تعجيبي من حالهم التي هم عليها مع الأدلة الواضحة التي تنذرهم وتحذرهم مما يحل بهم من عذاب الدنيا والآخرة: **﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾!** تعقيب هذا الاستفهام على ما قبله من الاستفهام زيادة في التعجيب من حالهم على أبلغ وجه وآكده.. فكأن كلَّ مَنْ من شأه الخطاب قد كلف أنّ يخبر بأن تمتيعهم ماذا أفادهم؟ وأي شيء أغنى عنهم؟ فلم يقدر أحد على أن يخبر بشيء! **﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾**: هذه الآية وُصلت بالعطف على ما قبلها تذكيراً لقريش بأن القرى التي أهلكها الله، والتي تقدم ذكرها في هذه السورة قد كان لها رسل ينذرونها عذاب الله؛ ليقيسوا حالهم على أحوال الأمم التي قبلهم: **﴿ذكرى وما كنا ظالمين﴾**: هذا تعليل لما قبله من الإنذار والتحذير.. فإرسال المنذرين للقرى لأجل الذكرى.. **﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**.

﴿وما تنزلت به الشياطين﴾: هذه الآية وصلت بالعطف على آية: **﴿وإنه لتنزيل ربّ العالمين..﴾** وما بينهما اعتراض استدعاه تناسب المعاني وأخذ بعضه بحجز بعض تَفَنُّناً في الغرض. وهذا رد على قولهم: إن القرءان من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة، بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الأمين. **﴿وما ينبغي لهم﴾**: موصول بقوله وما تنزلت.. **﴿وما يستطيعون﴾**: موصول بما قبله زيادة في تأكيد النفي.. **﴿إنهم عن السمع لمعزولون:﴾** تعليل لما سبقه من كون القرآن نزل من عند الله.. **﴿فلا تدع مع الله إلهاً ءاخر﴾**: تعقيب على ما اتضح من تحقيق الحق وإبطال الباطل.. فينبغي لكل مخاطب أن يتمسك بالحق ويرفض الباطل.

ومن أبطل الباطل عبادة غير الله تعالى.. **﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين.. وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**: وصلت الآية بالعطف على آية.. **﴿لتكون من المنذرين..﴾** فهي تخصيص بعد تعميم؛ للاهتمام بهذا الخاص. ووجه الاهتمام أنهم أولى الناس بقبول نصحه وتعزير جانبه. **﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾**: هذه الآية معترضة بين الآيتين: السابقة واللاحقة. ابتداراً

لكرامة المؤمنين قل الأمر بالتبرىء من الذين لا يؤمنون: **﴿فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون..﴾** فهي تفريع على جملة **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**. وقد أنذرهم فأعرض أكثرهم! **﴿فتوكل على العزيز الرحيم. الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين. إنه هو السميع العليم﴾**: ترتب على إعراض المشركين أمرُ الرسول بالتوكل على ربه العزيز الرحيم...

﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفاك أثيم﴾!: الآية الأولى مسوقة لبيان استحالة تنزل الشياطين على الرسول بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن. والآية الثانية مسوقة لبيان تنزل الشياطين على من كثر كذبه وعظم ذنبه. وهم الكهنة ومدّعوا النبوءة: **﴿يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾**: هذه الآية مبينة للغرض من التنزل. **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾**: هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها مسوقة لإبطال ما قالوا في القرآن من أنه من قبيل الشعر، وأن رسول الله من الشعراء بعد إبطال ما قالوا: إنه من قبيل ما يلقي الشياطين من الكهنة من الأباطيل.

وآية **﴿ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون﴾**: استشهاد على أن الشعراء إنما يتبعهم الغاوون. والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للعضد إلى أن حال الشعراء من الجلاء والظهور بحيث لا تختص برؤية راء دون راء. والمعنى: ألم تر أيها الراءى أن الشعراء يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الأفعال والأقوال والأحوال: **﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون..﴾** فهم لا يهتدون إلى سبيل معين من السبل.. بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة، ويتيهون في تيه المجون والوقاحة، **﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون!. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات..﴾**

فهذا استثناء للشعراء المؤمنين وهم الصالحون الذين يخافون الله: **﴿وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا..﴾** فلهم أن يردوا بشعرهم هجاء عدوهم برد الصاع صاعين.. **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**: هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لما في الأسلوب من التهويل والإطلاق والتعميم والإيهام والتنديد.. وفي الختام براعة المقطع.. كما أن في الابتداء براعة المطلع: **﴿فقد كذبوا فيسأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾**!.

﴿**طسٓ**﴾: مثل السورة التي قبلها ابتدئت بالحروف الهجائية. ومناسبتها لها: أنها كالتتمة لها، حيث زاد فيها ذكر داوود وسليمان. وزاد فيها تفصيل قصة موسى.. وقصة لوط.. وقد اشتمل كلٌّ من السورتين على ذكر القرءان، وكونه من الله تعالى.. وعلى تسلية الرسول بنصره وتأييده وإنذار المعارضين بشدة وعيده.. ﴿**تلك آيات القرءان وكتاب مبين**﴾: وفيما قبلها ﴿**تلك آيات الكتاب المبين**﴾. وما في اسم الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببُعْدِ منزلتِه في الفضل والشرف. والجملة مقررة لما أفادته التسمية من نباهة شأن المسمى.

﴿**والمبين**﴾: المظهر لما في تضاعيفه من الحِكم والأحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب. ولقد فخم شأن القرءان بما جمع فيه من وصف القرءانية المنبئة عن كونه بديعاً في بابه ممتازاً عن غيره بالنظم المعجز، ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الإلهية.. فكأنه كلها. وقُدّم الوصف الأول ها هنا نظراً إلى تقدم حال القرءانية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظراً إلى ما ذكر هناك من الوجه.. ﴿**هدى وبشرى للمؤمنين**﴾: حالان أقيما مقام الفاعل للمبالغة؛ كأنهما نفس الهدى والبشارة. أي: هذه الآيات هادية ومبشرة. وقوله تعالى: ﴿**الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة**﴾ صفة مادحة لهم. وتخصيصهما بالذكر؛ لأنهما قرينتا الإيمان وأساس العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة. وقوله تعالى: ﴿**وهم بالآخرة هم يوقنون**﴾ من تتمة الصلة.

وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم أوحديون فيه. ﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون**﴾: هذه الآية بيان لأحوال الكافرين بعد بيان أحوال المؤمنين. وتزيين الأعمال بجعْلِها مشتهاةً للطبع محبوبةٌ للنفس. ورتب على تزيين الأعمال العمه. وهو السبب الذي جعلهم لا يميزون بين الأعمال الحسنة من الأعمال القبيحة. والتعبير بالمضارع في يعمهون يدل على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر.. ففيه إيذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الأمور. ﴿**أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون**﴾: إشارة إلى المذكورين من

الموصوفين بالكفر والعمه. وسوء العذاب عذاب الدنيا. ﴿**وهم في الآخرة هم الأخسرون**﴾ عذاب الآخرة الذي هو أخسر الخسارة!.

﴿**وإنك لتلقي القرءان من لدن حكيم عليم**﴾: هذه الآية وُصلت بالعطف على آية ﴿**تلك آيات القرءان. .**﴾ فهو انتقال من التنويه بالقرآن إلى التنويه بالذي أنزل عليه؛ تمهيداً لما يعقبه من الأقاصيص. وتصديره بحرفي التوكيد ـ إنّ واللام ـ لإبراز كمال العناية بمضمونه. . والمعنى: إنك يا محمد لتؤتى القرآنَ بطريق التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم. . فإن من تَلقى العلوم والحكم من مثل ذلك العليم الحكيم يكون علماً في رصانة العلم والحكمة، والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على إتقان العمل؟. . ﴿**إذ قال موسى لأهله**﴾: ﴿**إني آنست ناراً**﴾: فصلت هذه الآية فلم تعطف عما قبلها؛ لأنها جاءت مستأنفة استئنافاً ابتدائياً. ومناسبة موقعها إفادة تنظير تلقي النبئ القرءان بتلقي موسى كلامَ الله. وذلك من بديع التخلص إلى ذكر قصص هؤلاء الأنبئاء عقب التنويه بالقرآن.

وفي ذلك انتقال لنوع آخر من الإعجاز؛ وهو الإخبار عن المغيبات. ﴿**سآتيكم منها بخبر**﴾: السين في الفعل للدلالة على نوع بُعْدٍ في المسافة، وتأكيد للوعد. ﴿**أو آتيكم بشهاب قبس**﴾: عطف على ما قبله. قصد به تعيين القبس الجامع لمنفعتي الضياء والتدفئة. ﴿**لعلكم تصطلون**﴾: رجاء أن تستدفئوا بها. . ﴿**فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها**﴾: الجملة شرطية تعقيب على ما قبلها. وأن بورك من في النار مفسرة النداء. أي: البقعة ومن فيها وما فيها مباركة؛ لأنها مهبط الرسالة على موسى الرسول. ﴿**وسبحان الله ربّ العالمين**﴾: تعجيب لموسى من ذلك الأمر، وإيذان ذلك مريده ومكونه ربُّ العالمين تنبيهاً على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون. . ومِن أحكام تربيته للعالمين.

﴿**يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم**﴾: هذه الآية مستأنفة استئنافاً مسوقاً لبيان آثار البركة المذكورة. ﴿**والق عصاك**﴾: معطوف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء. . والفاء في قوله: ﴿**فلما رآها تهتز. .**﴾ فصيحة أفصحت معه في سلك تفسير النداء. . والفاء في قوله: ﴿**فلما رآها تهتز. .**﴾ فصيحة أفصحت عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها، ودلالة على سرعة وقوع مضمونها. كأنه قيل:

فألقاها فانقلبت حية تسعى فأبصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب ولى مدبراً ولم يعقب.

﴿**يا موسى لا تخف؛ إني لا يخاف لدي المرسلون. إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم**. .﴾ فهذا النداء تأنيس وتطمين لموسى عندما رأى ما رأى من حال العصا التي صارت حية تسعى. . فقوله تعالى: ﴿**إني لا يخاف لدي المرسلون**﴾ تعليل للنهي عن الخوف وقوله ﴿**إلا من ظلم**. .﴾ الخ تعريض بموسى عندما وكز القبطي فقتله دون قصد منه. . فقد اعتبر موسى عمله هذا ظلماً. . فقال: ﴿**رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له**. .﴾ فهو زيادة في تطمينه وإزالة خوفه من أصله. وهذا مثل ما حصل لآدم ويونس عليهم السلام. ﴿**وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء**﴾: موصول بالعطف على قوله: ﴿**وألق عصاك**. .﴾ ﴿**في تسع آيات**﴾: هذه الآية داخلة في تسع آيات: هذه، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، والغرق.

﴿**إلى فرعون وقومه**﴾: مبعوث بهذه الآيات إلى فرعون وقومه: ﴿**إنهم كانوا قوماً فاسقين**. .﴾ فالجملة بيان لما قبلها. . ﴿**فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين**﴾: جملة شرطية مرتبة على قوله: ﴿**إلى فرعون وقومه**. .﴾ والآيات المبصرة هي التي تبصر فتهدي غيرها. . ففي الكلام استعارة مكنية تخييلية مرشحة. ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً**﴾: ومع هذا كذبوا بها في حال علمهم بها علماً يقيناً أنها آيات من عند الله؛ لأجل ما فيهم من الظلم والتعدي والعلو والكبر. . ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**﴾! تعقيب موجز، قصد منه طي بساط القصة لينتقل منها إلى قصة داوود وسليمان المبسوطة في هذه السورة: ﴿**ولقد آتينا داود وسليمان علماً**. .﴾ فكما كان في قصة موسى وإرساله إلى فرعون آيات عبرة، ومثل للذين جحدوا رسالة محمد كذلك في قصة سليمان وملِكة سبإ وما رأته من آياته وإيمانها به مثل لعلم النبئ وإظهار الفضيلة ملِكة سبإ؛ إذ لم يصدها مَلكُها عن الاعتراف بآيات سليمان فآمنت به. . وفي ذلك مثل للذين اهتدوا من المؤمنين.

وتصدير الآية بحرف القسم وحرف التحقيق ـ لقد ـ لإظهار كمال الاعتناء

بتحقيق مضمونه. . . ﴿**وقالا**﴾: قال كل واحد منهما شكرا لما أوتيه من العلم: ﴿**الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**. .﴾ عُبّر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازاً. وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو؛ إذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على إيتاء ما أوتي كلٌّ منهما، لا على إيتاء ما أوتي نفسه. ﴿**وورث سليمان داوود**﴾: طوى خبر ملك داوود وبعض أحواله إلى وفاته لأن المقصود هو ذكر قصة سليمان.

﴿**وقال: يا أيها الناس علمنا منطق الطير**. .﴾ فهذه المقالة قالها سليمان في مجمع عظيم: لأن لهْجة هذا الكلام لهجة خطبته في مجمع من الناس الحاضرين مجلسه من الخاصة، والسامعين من العامة. . فهذه الجملة متضمنة شكر الله على ما منحه من علم ومُلك. وأراد سليمان بقوله: علمنا وأوتينا بالنون التي يقال لها نون الواحد المطاع بيانَ حاله وصفته من كونه ملِكاً مطاعاً. . ومعنى قوله: ﴿**من كل شيء**﴾ كثرةُ ما أوتيه؛ كما يقال: فلان يقصده كلُّ أحد. . ويعلم كلَّ شيء. . ﴿**إن هذا لهو الفضل المبين**﴾ إشارة لما ذكر من العلم والملك. ﴿**وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير**. .﴾ وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها زيادة في بيان عظمة الملك الشامل للجن والإنس والطير.

وجملة ﴿**فهم يوزعون**﴾ مرتبة على الحشر المقصود منه التنظيم والتوزيع مع سرعة التنفيذ. . ﴿**حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**﴾: حتى هنا غاية لما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿**فهم يوزعون**﴾ والمعنى: ﴿**وحشر لسليمان جنوده**﴾ فتنظموا وساروا. . ﴿**حتى إذا أتوا على وادي النمل**﴾. وجملة ﴿**قالت نملة**. .﴾ جواب إذا. و﴿**يا أيها النمل**﴾: تحذير مما سيقع من الجنود للنمل عند سيرهم. . ﴿**فتبسم ضاحكاً من قولها**﴾: مرتب على ما قبله من قول النملة وندائها وتحذيرها من شيء قد يقع من الجنود المارين دون علم منهم!. . ﴿**وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي**﴾: زاد على تعجبه مما حصل وسمع أن دعا ربه أن يلهمه شكر هذه النعمة التي أنعم الله عليه بها وعلى والديه. . ﴿**وأن أعمل صالحاً ترضاه**﴾: دعاء آخر بتوفيقه للعمل الصالح المرضي عند الله.

﴿**وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**﴾: دعاء ثالث أن يدخله ربه في زمرة

عباده الصالحين. وهذا الدعاء الأخير الذي دعا به سليمان دعا به قبله إبراهيم حيث قال: ﴿**رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين**﴾. ودعا به يوسف حيث قال: ﴿**رب قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين**﴾. ﴿**وتفقد الطير..**﴾ ﴿**فقال: ما لي لا أرى الهدهد..**﴾ ﴿**أم كان من الغائبين**﴾؟: هذا موصول بالعطف على ما قبله. وهو من تتمة حشر الجنود وضبطهم وحصرهم وتصنيف كل في مكانه ومقامه..

﴿**لأعذبنه عذاباً شديداً**﴾: تهديد شديد ووعيد أكيد!. ﴿**أو لأذبحنه**﴾: زيادة في التنويع وترق في المزيد على ما قبله من الوعيد! ﴿**أو ليأتيني بسلطان مبين**﴾: تخلص من الوعيد السابق إلى تبرير غيبة الهدهد إن أتى بخبر مفيد.. ﴿**فمكث غير بعيد. فقال أحطت بما لم تحط به**﴾: رأى الهدهد بلداً وحكومة وأمة لم يرها سليمان من قبل.. ﴿**وجئتك من سبإ بنبإ يقين**﴾: تفسير لما أبهم وتفصيل لما أجمل. وفي عبارة سبإ ونبإ جناس غير تام لمخالفة السين للنون. وأكد النبإ باليقين زيادة في توضيح الكلام: ﴿**إني وجدت امرأة تملكهم..**﴾ فهو بيان وزيادة تفصيل لما جاء به من النبإ اليقين.

وعبر الهدهد بوجدت دون رأيت؟ إظهار لسبب غيبته ليعلم سليمان أنه في خدمته. وجملة تملكهم وصف لامرأة؛ لأنها ملكة أهل سبإ كلهم: رجالها ونسائها! وهو أمر غريب.. وزيادة على هذا.. ﴿**وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم! وأوتيت من كل شيء**﴾: مثل ما سبق من قول سيلمان: ﴿**وأوتينا من كل شيء..**﴾ فهي من الملوك العظام.. فليست هي من صغار الحكام! وابتدئت الآية بإنّ لأهمية الخبر. ﴿**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله**﴾: هذه الآية مستأنفة استئنافاً بيانياً بين ما هي عليه وقومها من عبادة غير الله تعالى بعد بيان ما هي عليه من الملك.. ثم بين السبب الذي جعلهم يعبدون غير الله تعالى: ﴿**وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل.. فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون..**﴾ فقوله تعالى: ﴿**الله لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم**﴾ في معنى التعليل لوصفه عزّ وجلّ بكمال القدرة والعلم.. ﴿**قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين**﴾؟: استئناف

بياني؛ كأنه قيل: فماذا فعل سليمان عند قول الهدهد هنا؟ فقيل: سننظر.. الخ.

﴿**اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم**﴾: استئناف مبين لكيفية النظر.. ﴿**ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون**﴾؟ بعدما أمره بنقل الكتاب أمره بالبقاء مختفياً لينظر ماذا يرجعون من نتيجة المحاورة في شأن الكتاب الملقى إليهم: ﴿**قالت: يا أيها الملأ إني ألقى إلى كتاب كريم: إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمان الرحيم: ألاّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين..**﴾ طويت أخبار كثيرة دلّ عليها ما بين الجملتين من اقتضاء عدّةِ أحداث؛ إذ التقدير: ذهب الهدهد إلى سبإ، فرمى بالكتاب، فألقى الكتابُ إلى الملكة. فقرأته، فلما قرأته قالت.. وإنما طوي ذكر هذه الأخبار إيذاناً بكمال مسارعته إلى إقامة ما أمر به من الخدمة.. وإشعاراً باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره.

﴿**قالت: يا أيها الملأ أفتوني في أمري**﴾: كُررت حكايةُ قولها؛ للإيذان بغاية اعتنائها بما في حيّز الكتاب.. وقولها: ﴿**ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون**﴾ استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم؛ لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير. ﴿**قالوا: نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد..**﴾ فهذا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها؛ كأنه قيل: فماذا قالوا في جوابها؟ فقيل: قالوا: نحن.. الخ. ﴿**والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين**﴾: الجملة الأولى معطوفة على قولهم ﴿**نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد**﴾. والجملة الثانية مرتبة على الجملة الأولى.. ﴿**قالت: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها..**﴾ فهذا رد لمقالتهم المبنية على الغفلة عن شأن الملوك.. ﴿**وجعلوا أعزة أهلها أذلة**﴾: ترق في الإفساد.

وجملة ﴿**وكذلك يفعلون**﴾ تأكيد لما وصفت من حال الملوك بطريق الاعتراض التذييلي، وتقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة.. فهو استدلال على المستقبل بحكم الماضي. ﴿**وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون**﴾: هذا تقرير لرأيها بعد ما زيّفت آراءهم. وأتت بالجملة الإسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التوكيد للإيذان بأنها مصممة على رأيها لا يلويها عنه صارف، ولا يثنيها عاطف. ﴿**فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال**﴾؟: جملة شرطية مرتبة على ما قبلها.. فيها إنكار لإمدادهم إياه بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه، وتوبيخ لهم بذلك.. وتنكير مالٍ للتحقير. ﴿**فما آتاني الله خير مما آتاكم**﴾: تعقيب معلل

لما قبله.. فقوله: ﴿**بل أنتم بهديتكم تفرحون**﴾ إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إلى سليمان فرح وافتخار وامتنان واعتداد بها.. ﴿**ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون**﴾: وجه سليمان الأمر إلى رئيس البعثة المرسلة.. ورتب على الأمر قسمين: إتيانه إياهم بجنود عظيمة وإخراجهم من أرض مهانين صاغرين!.. ﴿**قال: يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين**﴾؟ كلام موجه من سليمان إلى مَنْ حوله من الملإ يطلب منهم: من يأتي بعرش الملكة قبل مجيئها ومن معها مسلمين؛ ليريها المعجزة الدالة على صدق رسالته.

﴿**قال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين**﴾: أول من أجاب سليمان أحد الجن الأقوياء.. وحدد للموعد وقتاً معيناً. وهو عدة بقاء سليمان في مقامه.. ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾: فصل هذا القول فلم يعطف عما قبله للإيذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتهما على الإتيان به من كمال التباين. ﴿**فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي**﴾: جملة شرطية مرتبة على إتيان العرش بسرعة مذهلة: ﴿**قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾! وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده تأكيد لما حصل من سرعة الإتيان في لمح البصر.. وجملة ﴿**ليبلوني أأشكر أم أكفر**﴾ تعليل لما حصل من حصون العرش عنده.

﴿**ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم**﴾: جملتان شرطيتان متقابلتان جيء بهما تذييلاً وتقريراً لفائدة الشكر وخسارة الكفران. ﴿**قال: نكروا لها عرشها**﴾: هذا قول آخر من سليمان موجه إلى بعضها لملإ من خدمه.. وجملة ﴿**ننظر**﴾ واقع في جواب الأمر. وجملة ﴿**أتهتدي**﴾ جملة استفهامية وقعت نتيجة النظر.. وجملة ﴿**أم تكون من الذين لا يهتدون**﴾ عطف بأمْ على الجملة قبلها. ﴿**فلما جاءت قيل: أهكذا عرشك**﴾؟: شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان. وجملة ﴿**أهكذا عرشك**﴾ جملة دخل عليها الاستفهام التقريري.. ﴿**قالت: كأنه هو**﴾: جواب دال على رجاحة عقلها وشدة احتراسها من الخطإ في الجواب! ﴿**كأنه هو.. وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين**﴾: الجملة موصولة بالعطف على جملة ﴿**فلما جاءت..**﴾ الخ. وهو من تتمة كلام سليمان. وجملة

﴿**وصدها ما كانت تعبد من دون الله**﴾ زيادة بيان لما هي عليه من الكفر مع رجاحة عقلها.. ﴿**إنها كانت من قوم كافرين**﴾: هذا تعليل لما كانت عليه.. ﴿**قيل لها: ادخلي الصرح**﴾: استئناف بياني؛ كأنه قيل: فماذا قيل لها بعد الامتحان المذكور؟ فقيل: قيل لها: ادخلي الصرح. ﴿**فلما رأته حسبته لجة**﴾: جملة شرطية مرتبة على ما قبلها.. ﴿**وكشفت عن ساقيها**﴾: هذه الجملة موصولة بالعطف على الجملة الشرطية. ﴿**قال: إنه صرح ممرد من قوارير**﴾: رد لما توهمته من كون الصرح لجة.. ولما ظهر لها ما ظهر من أمر سليمان.. وعلمت علماً يقينياً بأنه رسول ولم يكن مِلِكاً ﴿**قالت: ربّ إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين..**﴾

﴿**ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً**﴾: أن اعبدوا الله: موصول بالعطف على قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا داوود وسليمان علماً..**﴾ فهو مسوق مثله لتقرير أن الرسول يُلقّى القرآن من لدن حكيم عليم.. وفسُرّ الإرسال بأن أعبدوا الله. وجملة ﴿**فإذا هم فريقان يختصمون**﴾ جملة فجائية مرتبة على ما قبلها.. فلما رأى صالح ما رأى من الفريق الكافر: ﴿**قال: يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة؟! لولا تستغفرون الله**﴾: هلا.. فلولا حرف تحضيض. ﴿**لعلكم ترحمون**﴾: تعليل لما قبله. وهو رجاء الرحمة.

﴿**قالوا اطّيرنا بك وبمن معك**﴾: رفض للأمر بعبادة الله، وتصميم على بقائهم على ما هم عليه، واتهام لصالح بأنه ومن معه مصدر الشؤم!.. ﴿**قال: طائركم عند الله**﴾: رد صالح عليهم مبيناً لهم السبب الحقيقي في الشؤم!.. ﴿**بل أنتم قوم تفتنون**﴾: إضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه. ﴿**وكان في المدينة تسعة رهط**﴾: وصلت هذه الجملة بالعطف على قول الكفرة من ثمود عطف خاص على عام؛ لأن هؤلاء التسعة كل واحد منهم له رأي وأمر في جماعته خاص.. وجملة ﴿**يفسدون في الأرض**﴾ وصف للتسعة.

وجملة ﴿**ولا يصلحون**﴾ تعميم للإفساد السابق.. فإفسادهم ليس فيه رائحة إصلاح: ﴿**قالوا: تقاسموا بالله: لنبيتنه وأهله.. ثم لنقولن لوليه: ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون**﴾: هذه الآية مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ تبيّن بعض ما فعلوا من الفساد.. وجملة ﴿**تقاسموا بالله**﴾ مقول القول، وجملة ﴿**لنبيتنه وأهله**﴾ جواب

القسم. ﴿**ثم لنقولن لوليه**﴾: مرتب على ما قبله. وجملة ﴿**ما شهدنا مهلك أهله**﴾ مقول القول. وجملة ﴿**وإنا لصادقون**﴾ معطوفة على قولهم: ﴿**ما شهدنا مهلك أهله**﴾. ﴿**ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها. وجملة ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ حالية. ﴿**فانظر كيف كان عاقبة مكرهم**﴾: شروع في بيان ما ترتب على ما نشروه من المكر.

وجملة ﴿**إنا دمرناهم وقومهم أجمعين**﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً. وقوله تعالى: ﴿**فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا**﴾ جملة مقررة لما قبلها.. ﴿**إن في ذلك لآية لقوم يعلمون**﴾ تعليل لما حصل من التدمير وخلاء البيوت. ﴿**وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها مقابلة لدمرناهم. وجملة ﴿**وكانوا يتقون**﴾ حالية. ﴿**ولوطاً**﴾: منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم. وقوله تعالى: ﴿**إذ قال لقومه**﴾ ظرف للإرسال على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الإرسال وما جرى بينه وبين قومه من الأقوال والأحوال، وجملة ﴿**أتأتون الفاحشة**﴾ مقول القول جاء في وجه الإنكار والاستغراب! وقوله: ﴿**وأنتم تبصرون**﴾ جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ.. ﴿**أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء**﴾؟!: تثنية للإنكار، وتكرير للتوبيخ، وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح.

وتحلية الجملة بحرفي التأكيد ـ إنّ واللام ـ للإيذان بأن مضمونها مما لا يُصدّق وقوعَه أحد لكمال بعده عن العقول!.. وإيراد المفعول ـ الرجال ـ بعنوان الرجولية لتربية التقبيح، وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الإتيان. وجملة ﴿**بل أنتم قوم تجهلون**﴾ إضراب انتقالي بيّن السبب الحقيقي لفعل ما فعلوا وهو السفه وعدم المبالاة.. وخاطبهم به مشافهة تحقيراً لهم وتهديداً.. ﴿**فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: أخرجوا ءال لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**﴾!: تعقيب على كلام لوط لهم جاء على طريق الاستغراب والاستهزاء.. ﴿**فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين**﴾: تعقيب على تعقيب.. ولكن كيف كان هذا التعقيب بالأمر العجيب.. ﴿**وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين**﴾!!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك

لتكون من المنذرين. . ﴾الخ: في هذا التوجيه التعقيب الذي يتحدث عن القرآن. . فيؤكد أنه تنزيل رب العالمين ـ ومنه هذا القصص الذي مضت به القرون. . فإذا القرءان ينزل به من عند الله ربّ العالمين. . بوساطة الروح الأمين ـ جبريل ـ عليه السلام. نزل بهذا القرءان من عند الله على قلب الرسول محمد ﷺ. وهو أمين على ما نزل به، حفيظ عليه. نزل به على قلبه. . فتلقاه تلقياً مباشراً، ووعاه وعياً مباشراً. نزل به على قلبه ليكون من المنذرين. نزل به بلسان عربي مبين: هو لسان قومه الذي يدعوهم به، ويتلو عليهم القرءان. وهم يعرفون مدى ما يملك البشر أن يقولوا. . ويدركون أن هذا القرءان ليس من جنس كلام البشر ـ وإن كان بلغتهم ـ وأنه بنظمه وبمعانيه وبمنهجه وبتناسقه يَشِي بأنه ءات من مصدر غير بشري بيقين. وينتقل من هذا الدليل الذاتي إلى دليل آخر خارجي: **﴿وإنه لفي زبر الأولين. أولم يكن لهم ءايةً أن يعلمه علماء بني إسرائيل. . ﴾**

فقد وردت صفة الرسول الذي ينزل عليه القرءان، كما وردت أصول العقيدة التي جاء بها في كتب الأولين ومن ثَمّ كان علماء بني إسراءيل يتوقعون هذه الرسالة، وينتظرون هذا الرسول، ويحُسّون أنّ زمانه قد أظلهم، ويحدث بعضهم بعضاً بهذا كما ورد على لسان من أسلم منهم. . . والأخبار في هذا ثابتة كذلك بيقين. إنما يكابر المشركون ويعاندون لمجرد المكابرة والعناد، لا لضعف الحجة ولا لقصور الدليل. . فلو جاءهم به أعجمي لا ينطق العربية فتلاه عليهم قرءاناً عربياً ما ءامنوا به ولا صدقوه ولا اعترفوا أنه موحى به إليه حتى مع هذا الدليل الذي يجبه المكابرين: **﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين. فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾** وفي هذا تسرية عن رسول الله ﷺ وتصوير لعنادهم ومكابرتهم في كل دليل. . ثم يعقب على هذا بأن التكذيب مكتوب على القوم ملازم لهم بحكم عنادهم ومكابرتهم. . فهكذا قضى الأمر أن يتلقوه بالتكذيب؛ كأنه أطبْعٌ في قلوبهم لا يحول. . حتى يأتيهم العذاب وهم في غفلة لا يشعرون: **﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾**.

﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم. فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون. . ﴾ فالتعبير يرسم صورة حسّيّةً لملازمة التكذيب لهم. . فيقول: إنه على هذه الهيئة. هيئة عدم الإيمان، والتكذيب بالقرءان. على هذه الهيئة نظمناه في قلوبهم

وأجريناه. . فهو لا يجري فيها إلا مُكذّباً به. ويظل على هيئته هذه في قلوبهم. . ﴿**حتى يروا العذاب الأليم. . فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون**﴾. وقد بقي بعضهم فعلاً على هذا الوضع حتى فارق هذه الأرض بالقتل أو الموت، ومن ثَمّ إلى العذاب الأليم. . وفي هذه اللحظة فقط يفيقون: ﴿**فيقولوا: هل نحن منظرون**﴾؟!. . هل نحن مؤجلون إلى فرصة أخرى: نُصلح بها ما فات. وهيهات هيهات!.

ولقد كانوا يستعجلون عذاب الله على سبيل الاستهزاء والاستهتار، واغتراراً بما هم فيه من متاع، يُبلّد حسَّهم ويجعلهم مستبعدين النقلة منه إلى العذاب والنكال. شأنُهم شأنُ ذوي النعمة قلّما يخطر ببالهم أن تزول؛ وقلّما يتصورون أن تحول. . فهو يوقظهم هنا من هذه الغفلة، ويرسم لهم صورتهم حين يحل بهم ما يستعجلون: ﴿**أفبعذابنا يستعجلون؟ أفرأيت إن متعناهم سنين!. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون. .**﴾ فيضع صورة الاستعجال بالعذاب في جانب، وفي الجانب الآخر تحقّق الوعيد. وإذا سنون المتاع ساقطة كأنها لم تكن، لا تغني عنهم شيئاً ولا تخفف من عذابهم. . ثم يخوفهم بأنّ الإنذارَ مقدّمةُ الهلاك، وبأن رحمة الله أن لا يهلك قرية حتى يبعث فيها رسولاً يذكرها بدلائل الإيمان: ﴿**وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون. ذكرى وما كنا ظالمين. .**﴾ ولقد أخذ الله على البشر عهد الفطرة أن يوحدوه ويعبدوه.

والفطرة بذاتّها تحسن بوجود الخالق الواحد ما لم تفسد وتنحرف. وبَثّ دلائل الإيمان في الكون. كلُّها يوحي بوجود الخالق الواحد. فإذا نَسِيَ الناسُ عهدَ الفطرة، وأغفلوا دلائل الإيمان جاءهم نذير يذكّرهم ما نَسُوا، ويُوقظهم إلى ما أغفلوا. . فالرسالة ذكرى تُذَكِّر الناسين وتوقظ الغافلين، زيادة في العدل والرحمة. وما كنا ظالمين في أخذ القرى بعد ذلك بالعذاب والهلاك. . فإنما هو جزاء النكسة عن خطّ الهدى ومنهج اليقين. . ثم يبدأ معهم جولة أخرى جديدة عن القرءان الكريم: ﴿**وما تنزلت به الشياطين. وما ينبغي لهم وما يستطيعون. إنهم عن السمع لمعزولون. .**﴾ لقد قرر في الجولة الماضية أنه تنزيل ربّ العالمين نزل به الروح الأمين؛ واستطرد مع تكذيبهم به واستعجالهم ما توعدهم من عذاب فيه. . وها هو ذا ينفي دعواهم أنه من وحي الشياطين على طريقة الكهان الذين كانوا يزعمون أن

الشياطين تأتيهم بخبر الغيب، وبالسمع الذي يتكهنون فيه بالأخبار. وما يليق هذا القرآن بالشياطين وهو يدعو إلى الهدى والصلاح والإيمان. والشياطين تدعو إلى الضلال والفساد والكفر.

وما هم بمستطيعين أن يأتوا به.. فهم معزولون عن سماح الوحي به من الله.. إنما يتنزل به الروح الأمين، بإذن من ربّ العالمين. وليس هذا بميسور للشياطين. وهنا يلتفت بالخطاب إلى الرسول ـ ﷺ ـ يحذره من الشرك ـ وهو أبعدُ من يكون عن الشرك ـ ليكون غيرُه أولى بالحذر. ويكلفه إنذار عشيرته الأقربين. ويأمره بالتوكل على الله الذي يلحظه دائماً ويرعاه: **﴿فلا تدع مع الله إلهاً ءاخر فتكون من العذبين. وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون. فتوكل على العزيز الرحيم. الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين. إنه هو السميع العليم..﴾** وحين يكون الرسول ـ ﷺ ـ متوعّداً بالعذاب مع المعذبين، لو دعا مع الله إلهاً ءاخر. وهذا محال ولكنه فرض للتقريب.. فكيف يكون غيره؛ وكيف ينجو من العذاب من يدعو هذه الدعوة من الآخرين؟! وليس هنالك محاباة، والعذاب لا يتخالف حتى عن الرسول، لو ارتكب هذا الإثم العظيم! وبعد إنذار شخص الرسول يكلّف إنذار أقاربه؛ لتكون من أسواهم عبرة، أن هؤلاء يتهددهم العذاب لو بقوا على الشرك لا يؤمنون.. كذلك يبين الله لرسوله كيف يعامل الذين يستجيبون لدعوة الله على يديه.. وكذلك بين الله له كيف يعامل العصاة من الذين لم يستجيبوا له.. فيدلهم إلى ربهم، ويبرأ مما يعملون.. ثم يتوجه به إلى ربه، يصله به صلة الرعاية الدائمة القريبة.. فربه يراه في قيامه وحده للصلاة، ويراه في صفوف الجماعة الساجدة.

يراه في وحدته ويراه في جماعة المصلين يتعهدهم وينظمهم ويؤمهم ويتنقل بينهم. يرى حركاته وسكناته ويسمع خطراته ودعواته. وفي التعبير على هذا النحو إيناس بالرعاية والقرب والمراقبة والعناية. وهكذا كان رسول الله ﷺ يشعر أنه في كنف ربه وفي جواره وقربه. وفي جو هذا الأنس العلوي كان يعيش. والجولة الأخيرة في السورة حول القرءان أيضاً.. ففي المرة الأولى أكّد أنه تنزيل من ربّ العالمين. نزل به الروح الأمين.. وفي المرة الثانية نفي أن تتنزل به الشياطين. أما

في هذه المرة فيقرر أن الشياطين لا تتنزل على مثل محمد ﷺ في أمانته وصدقه وصلاح منهجه.. إنما تتنزل على كل كذاب أثيم ضال من الكهان الذين يتلقون إيحاءات الشياطين ويذيعونها مع التضخيم والتهويل: ﴿**هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟: تنزل على كل أفاك أثيم: يلقون السمع وأكثرهم كاذبون**..﴾ وكان في العرب كهان يزعمون أن الجن تنقل إليهم الأخبار، وكان الناس يلجأون إليهم ويركنون إلى نبوءاتهم. وأكثرهم كاذبون. والتصديق جرى وراء الأوهام والأكاذيب.

وهم على أية حال لا يدعون إلى هدى، ولا يأمرن بتقوى، ولا يقودون إلى إيمان. وما هكذا كان رسول الله، وهو يدعو الناس بهذا القرءان إلى منهج قويم. ولقد كانوا يقولون عن القرءان أحياناً: إنه شعر، ويقولون عن النبيء: إنه شاعر! وهم في حيرتهم كيف يواجهون هذا القول الذي لا يعرفون له نظيراً، والذي يدخل إلى قلوب الناس ويهز مشاعرهم ويغلبهم على إرادتهم من حيث لا يملكون له رداً.. فجاء القرءان يبين لهم في هذه السورة أن منهج محمد ﷺ ومنهج القرءان غيرُ منهج الشعراء ومنهج الشعر أصلاً.. فإن هذا القرءان يستقيم على نهج واضح، ويدعو إلى غاية محددة ويسير في طريق مستقيم إلى هذه الغاية.

والرسول لا يقول اليوم قولاً ينقضه غداً، ولا يتبع أهواء وانفعالات متقلبة.. إنما يصرُ على دعوة ويثبت على عقيدة ويدأب على منهج لا عوج فيه. والشعراء ليسوا كذلك. الشعراء أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة. تتحكم فيهم مشاعرهم وتقودهم إلى التعبير عنها كيفما كانت. ويرون الأمر الواحد في لحظة أسود، وفي لحظة أبيض. يرضون فيقولون قولاً، ويسخطون فيقولون قولاً آخر.. ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حال! هذا إلى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها، ويتخيلون أفعالاً ونتائج.. ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها.. فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء؛ لأنهم يخلقون وهم في خيالهم واقعاً آخر يعيشون عليه! وليس كذلك صاحب الدعوة المحددة الذي يريد تحقيقها في عالم الواقع ودنيا الناس.. فلصاحب الدعوة هدف وله منهج وله طريق.

وهو يمضي في طريقه على منهجه إلى هدفه مفتوح العين يقظ العقل؛ لا يرضى بالوهم ولا يعيش بالرّؤى ولا يقنع بالأحلام.. حتى تصبح واقعاً في عالم

الناس.. فمنهج الرسول ومنهج الشعراء مختلفان ولا شبهة هناك فالأمر واضح صريح: **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾**؟!.. فهم يتبعون المزاج والهوى ومن ثمّ يتبعهم الغاوون الهائمون مع الهوى، الذين لا منهج لهم ولا هدف. وهم يهيمون في كل واد من وديان الشعور والتصور والقول وفق الانفعال الذي يسيطر عليهم في لحظة من اللحظات تحت وقع مؤثر من المؤثرات.

وهم يقولون ما لا يفعلون؛ لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم، يؤثّرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم! ومن ثَمّ يقولون أشياء كثيرة ولا يفعلونها؛ لأنهم عاشوها في تلك العوالم الموهومة، وليس لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة! إن طبيعة الإسلام، وهو منهج حياة كامل معدّ للتنفيذ في واقع الحياة. وهو حركة ضخمة في الضمائر المكنونة وفي أوضاع الحياة الظاهرة. إن طبيعة الإسلام هذه لا تلائمها طبيعة الشعراء كما عرفتهم البشرية ـ في الغالب ـ لأن الشاعر يخلق حُلماً في حسه ويقنع به.. فأما الإسلام فيريد تحقيق الحلم ويعمل على تحقيقه، ويحوّل المشاعر كلّها لتُحقّق في عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع.

والإسلام يحب للناس أن يواجهوا حقائق الواقع ولا يهربوا منها إلى الخيال المهوّم.. فإذا كانت هذه الحقائق لا تعجبهم ولا تتفق مع منهجه الذي يأخذهم به دفعهم إلى تغييرها وتحقيق المنهج الذي يريد. ومن ثمّ لا تبقى في الطاقة البشرية بقية للأحلام المهوّمة الطائرة.. فالإسلام يستغرق هذه الطاقة في تحقيق الأحلام الرفيعة وفق منهجه الضخم العظيم. ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته ـ كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ ـ إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن.

منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها.. فأما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام في ضوء الإسلام ثم تعبر عن هذا كله شعراً وفناً.. فأما عند ذلك فالإسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن.. فمن ثَمّ يستثني القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء: **﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما**

ظلموا. .﴾ فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام. هؤلاء ءامنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة، واستقامت حياتهم على منهج. وعملوا الصالحات فاتجهت طاقاتهم إلى العمل الخير الجميل، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام. وانتصروا من بعد ما ظلموا فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ليصلوا إلى نصرة الحق الذي اعتنقوه. مثل ما كان شعراء الرسول ﷺ يكافحون بألسنتهم مثل ما يكافحون بأسنّتهم. .

ثم تختم السورة بهذا التهديد الخفي المجمل: ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. .**﴾ فتنتهي بهذا التهديد المخيف الذي يلخص موضوع السورة وكأنه الإيقاع الأخير المرهوب!. وفي هذا رد العجز على الصدر!.

سورة النمل: ﴿**طسٓ. .**﴾ وهي على نسق سورة الشعراء التي قبلها أداء ومقدمة وتعقيباً. . وموضوع السورة ـ كسائر السور المكية ـ هو العقيدة. . ﴿**تلك آيات القرءان وكتاب مبين. .**﴾ فالكتاب هو نفسه القرآن. وذكره بهذه الصفة هنا يبدو أنه للموازنة الخفية بين استقبال المشركين للكتاب المنزل عليهم من عند الله، واستقبال ملكة سبإ وقومها للكتاب الذي أرسله إليهم سليمان. وهو عبد من عباد الله. ثم يصف القرءان بأنه: ﴿**هدى وبشرى للمؤمنين. .**﴾ فالتعبير القرءاني على هذا النحو. . يجعل مادة القرءان وماهيته هدى وبشرى للمؤمنين.

والقرءان يمنح المؤمنين هدى في كل فج، وهدى في كل طريق. كما يطلع عليهم بالبشرى في الحياتين: الأولى والآخرة. وفي تخصيص المؤمنين بالهدى والبشرى تكمن حقيقةٌ ضخمة عميقة. . فالقرءان ليس كتابَ علم نظري أو تطبيقي ينتفع به كل من يقرؤه ويستوعب ما فيه. . إنما القرءان كتاب يخاطب القلب أول ما يخاطب، ويسكب نوره وعطره في القلب المفتوح. الذي يتلقاه بالإيمان واليقين. وكلما كان القلب نَدِيّاً بالإيمان زاد تذوقه لحلاوة القرءان، وأدرك من معانيه وتوجيهاته ما لا يدركه منه القلب الصلد الجاف؛ واهتدى بنوره إلى ما لا يهتدى إليه الجاحد الصادق، وانتفع بصحبته ما لا ينتفع القارىء المطموس! وإن الإنسان ليقرأ الآية أو السورة مرات كثيرة، وهو غافل أو عجول، فلا تنصّ له بشيء؛ وفجأة يشرق النور في قلبه، فتتفتح له عن عوالم ما كانت تخطر له ببال، وتصنع في حياته صنع المعجزة في تحويلها من منهج إلى منهج، ومن طريق إلى طريق. وكل النظم والشرائع والآداب التي يتضمنها هذا القرءان. . إنما تقوم قبل

كل شيء على الإيمان. . فالذي لا يؤمن قلبه بالله، ولا يَتَلَقّى هذا القرءان على وحي من عند الله، وعلى أن ما جاء فيه إنما هو المنهج الذي يريده.

الذي لا يؤمن هذا الإيمان لا يهتدي بالقرءان كما ينبغي، ولا يستبشر بما فيه من بشارات. إن في القرءان كنوزاً ضخمة من الهدى والمعرفة والحركة والتوجيه. والإيمان هو مفتاح هذه الكنوز. ولن تفتح كنوز القرءان إلا بمفتاح الإيمان. والذين ءامنوا حق الإيمان حققوا الخوارق بهذا القرءان. . فأما حين أصبح القرءان كتاباً يترنم المترنمون بئاياته، فتصل إلى الآذان ولا تتعداها إلى القلوب، فإنه لم يَصنع شيئاً، ولم ينتفع به أحد. . فقد ظل كنزاً بلا مفتاح!. والسورة تعرض صفة المؤمنين الذين يجدون القرءان هدى وبشرى. . فإنهم هم: ﴿**الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون. .**﴾ يقيمون الصلاة. . فيؤدونها حقّ أدائها، يقظة قلوبهم لموقفهم بين يدي الله، شاعرة أرواحهم بأنهم في حضرة ذي الجلال والإكرام، مرتفعة مشاعرهم إلى ذلك الأفق الوضيء، مشغولة خواطرهم بنجاء الله ودعائه والتوجه إليه في محضره العظيم.

ويؤتون الزكاة. . فيطهرون نفوسهم من رذيلة الشح؛ ويستعلُون بأرواحهم على فتنة المال؛ ويصلون إخوانهم في الله ببعض ما رزقهم الله! ويقومون بحق الجماعة المسلمة التي هم فيها أعضاء. وهم باءلاخرة هم يوقنون. . فإذا حساب اءلاخرة يشغل بالهم، ويصدرهم عن جموح الشهوات، ويغمر أرواحهم بتقوى الله وخشيته والحياء من الوقوف بين يديه موقف العصاة.

هؤلاء المؤمنون الذاكرون الله القائمون بتكاليفه المشفقون من حسابه الطامعون في رضائه وثوابه. . فهؤلاء هم الذين تتفتح قلوبهم للقرءان. . فإذا هو هدى وبشرى. وإذا هو نور في أرواحهم ودفعة في دمائهم وحركة في حياتهم. وإذا هو زاد هم الذي به يبلغون وريّهم الذي به يشتفون وعند ذكر اءلاخرة يركز عليها ويؤكد في صورة التهديد والوعيد لمن لا يؤمنون بها فيسدرون في غيهم حتى يلاقوا مصيرهم الوخيم: ﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون. .**﴾

فالإيمان بالآخرة هو الزمام الذي يكبح الشهوات والنزوات، ويضمن القصد والاعتدال في الحياة. والذي لا يعتقد بالآخرة لا يملك أن يحرم نفسه شهوة أو

يكبح فيها نزوة، وهو يظن أن الفرصة الوحيدة المتاحة له للمتاع هي فرصة الحياة على هذا الكوكب، وهي قصيرة مهما طالت، وما تكاد تتسع لشيء من مطالب النفوس وأمانيها لا تنال! ثم ما الذي يمسكه حين يملك إرضاء شهواته ونزواته وتحقيق رغباته ولذاته وهو لا يحسب حساب وقفة بين يدي الله؛ ولا يتوقع ثواباً ولا عقاباً يوم يقوم الأشهاد.. ومن ثَمّ يصبح كلُّ تحقيق للشهوة واللذة مُزيَّناً للنفس التي لا تؤمن بالآخرة، تندفع إليه بلا معوّق من تقوى أو حياء.

والنفس مطبوعة على أن تحب ما يلذ لها، وأن تجده حسناً جميلاً؛ ما لم تهتد بآيات الله ورسالاته إلى الإيمان بعالم ءاخر باق بعد هذا العالم الفاني.. فإذا هي تجد لذتها في أعمال أخرى وأشواق أخرى تصغر إلى جوارها لذائذ البطون والأجسام!. والله سبحانه هو الذي خلق النفس البشرية على هذا النحو وجعلها مستعدة للاهتداء إن تفتحت لدلائل الهدى، مستعدة للعلماء إن طمست منافذ الإدراك فيها، ومشيئته نافذة ـ وفق سنته التي خلق النفس البشرية عليها ـ في حالتي الاهتداء والعماء. ومن ثَمّ يقول القرءان عن الذين لا يؤمنون بالآخرة: زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون.. فهم لم يؤمنوا بالآخرة فنفذت سنة الله في من تصبح أعمالهم وشهواتهم مزيَّنَةَ لهم حسنةً عندهم.

وهذا هو معنى التزيين في هذا المقام.. فهم يعمهون لا يرون ما فيها من شر وسوء، والعاقبة معروفة لمن يُزيّن له الشر والسوء: ﴿**أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون**..﴾ سواء كان سوء العذاب لهم في الدنيا أو الآخرة، فالخسارة المطلقة في الآخرة محققة جزاء وفاقاً على الاندفاع في سوء الأعمال. وتنتهي مقدمة السورة بإثبات المصدر الإلهي الذي يتنزل منه هذا القرءان على الرسول ﷺ: ﴿**وإنك لتلقي القرءان من لدن حكيم عليم**..﴾ فلفظ تُلقّى يُلْقِي ظِلّ الهديّة المباشرة السنية من لدن حكيم عليم. يصنع كل شيء بحكمة ويدبّر كلّ أمر يعلم.. وتتجلى حكمته وعلمه في هذا القرءان: في منهجه وتكاليفه وتوجيهاته وطريقته وفي تنزيله في إبّانه وفي توالي أجزائه وتناسق موضوعاته.

التوجيه الثاني: ﴿**إذ قال موسى لأهله إني ءانست ناراً سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون**..﴾: في هذا التوجيه عرض سريع من قصة موسى بعد قوله: ﴿**وإنك لتلقي القرءان من لدن حكيم عليم**..﴾ فكأنما يقول الله

رسوله محمد ﷺ: إنك لست بدعاً في هذا التلقي.. فها هو ذا موسى يتلقى التكليف ويُنادي ليحمل الرسالة إلى فرعون وقومه.. وليس ما تَلْقاه من قومك بدعاً في التكذيب.. فها هم أولاء قوم موسى تستيقن نفوسهم بآيات الله.. ولكنهم يجحدون بها ظلماً وعلواً.. وقد ذكر هذا العرض في سورة طه.. فمضى موسى إلى النار التي آنسها ينشد خبراً.. فإذا هو يتلقى النداء الأسمى: ﴿**فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها**..﴾ فمن ذا كان في النار؛ ومن ذا كان حولها؟ فمن في النار للملائكة.. ومن حولها موسى.

وكشف الله لموسى أن الذي يناديه هو الله العزيز الحكيم: ﴿**يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم**..﴾ فكان هذا النداء للاصطفاء، ووراء الاصطفاء التكليف بحمل الرسالة إلى أكبر الطغاة في الأرض في ذلك الحين. ومن ثَمّ جعل ربُّه يعده ويجهزه ويقويه: ﴿**وألق عصاك**..﴾ فهو باختصار هنا، حيث لا يذكر ذلك النجاء الطويل الذي في سورة طه؛ لأن العبرة المطلوبة هي عبرة النداء والتكليف.. ﴿**فلما رءاها تهتز كأنها جانٌ ولّى مدبراً ولم يعقّب**..﴾ فقد ألقى عصاه كما أمر؛ فإذا هي تدبّ وتسعى وتتحرك حركة سريعة كحركة ذلك النوع الصغير السريع من الحيّات ـ الجان ـ وأدركت موسى طبيعته الانفعالية وأخذته هزة المفاجأة التي لم يخطر له ببال وجرى بعيداً عن الحيّة دون أن يُفكّر في الرجوع! وهي حركة تبدو فيها دهشة المفاجأة العنيفة في مثل تلك الطبيعة الشديدة الانفعال.. ثم نودي موسى بالنداء العلوي المطمئن، وأعلن له عن طبيعة التكليف الذي سيلقاه: ﴿**يا موسى لا تخف إنّي لا يخاف لديّ المرسلون**..﴾ لا تخف.. فأنت مكلف بالرسالة. والرسل لا يخافون في حضرة ربهم وهم يتلقون التكليف.. ﴿**إلا من ظلم ثم بدّل حسناً بعد سوء.. فإني غفور رحيم**..﴾ إنما يخاف الذين ظلموا.. ذلك.. إلا أن يبدلوا حسناً بعد سوء.. فإني غفور رحيم.

وكان موسى من الذين بدلوا حسناً بعد سوء. وذلك عندما قتل القبطي دون قصد منه.. ﴿**فقال: ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي.. فغفر له**..﴾ فالآن.. فقد اطمأنّ موسى وقرّ فيجهزه ربه بالمعجزة الثانية قبل أن يكشف له عن جهة وجهة التكليف: ﴿**وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء**﴾. فكان هذا.. وأدخل موسى يده في فتحة ثوبه.. فخرجت بيضاء مشرقة لا عن مرض.. ولكن عن معجزة.

ووعده ربه أن يؤيده بتسع آيات من هذا النوع الذي شاهد منه اثنتين. وكشف له حينئذٍ إلى وجهته التي من أجلها دعاه وجهزه ورعاه: ﴿**في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين**..﴾ فلم يَعُدَّ هنا بقية الآيات التسع التي كشف عنها في سورة الأعراف.. فالتركيز هنا على قوة الآيات لا على ماهيتها وعلى وضوحها وجحود القوم لها: ﴿**فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين. وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**..﴾ فهذه الآيات الكثيرة العدد الكاشفة عن الحق.. حتى ليبصره كلُّ مَن له عينان. ويصف هذه الآيات نفسَها بأنها مبصرةُ.. فهي تبصر الناس وتقودهم إلى الهدى. ومع هذا.. فقد قالوا عنها: إنها سحر مبين! قالوا ذلك لا عن اقتناع به، ولا عن شبهة فيه.. إنما قالوه ظلماً وعلواً؛ وقد استيقنت نفوسهم أنها الحق الذي لا شبهة فيه.. فقالوا ذلك جحوداً ومكابرة؛ لأنهم لا يريدون الإيمان، ولا يطلبون البرهان. استعلاء على الحق وظلماً له ولأنفسهم بهذا الاستعلاء الذميم.

وكذلك كان كبراء قريش يستقبلون القرءان. ويستيقنون أنه الحق.. ولكنهم يجحدونه ويجحدون دعوة النبيّ إياهم إلى الله الواحد. ذلك أنهم كانوا يريدون الإبقاء على ديانتهم وعقائدهم لما وراءها لمن أوضاع تسندهم ومغانم تتوافد عليهم. وهي تقوم على تلك العقائد الباطلة التي يحسون خطر الدعوة الإسلامية عليها، ويحسونها تتزلزل تحت أقدامهم وترتجّ في ضمائرهم؛ ومطارق الحق المبين تدمغ الباطل الواهي المريب! وكذا الحق لا يجحد الجاحدون لأنهم لا يعرفونه.. بل لأنهم يعرفونه! يجحدونه وقد استيقنته نفوسهم.. لأنهم يحسون الخطر فيه على وجودهم أو الخطر على أوضاعهم، أو الخطر على مصالحهم ومغانمهم.. فيقفون في وجهه مكابرين وهو واضح مبين: فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فعاقبة فرعون وقومِه معروفة كشف عنها القرءان في مواضع أخرى.. إنما يشير إليها هنا هذه الإشارة لعلها توقظ الغافلين من الجاحدين بالحق المكابرين فيه إلى عاقبة فرعون وقومه قبل أن يأخذهم ما أخذ المفسدين.

التوجيه الثالث: ﴿**ولقد آتينا داوود وسليمان علماً وقالا: الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**..﴾: في هذا التوجيه ترد هذه الإشارة إلى داوود، وهذه القصة عن سليمان بعد تلك الحلقة من قصة موسى ـ عليهم السلام ـ وهم

من أنبئاء بني إسراءيل في السورة التي تبدأ بالحديث عن القرءان؛ ويجيء فيها: ﴿**إن هذا القرءان يقص على بني إسراءيل من أكثر الذي هم فيه يختلفون**. . ﴾.

فقصص موسى وداوود وسليمان من أهم الحلقات في تاريخ بني إسرائيل. . فهذه الآية هي إشارة البدء في القصة. وإعلان الافتتاح. . خبر تقريري عن أبرز النعم التي أنعم الله بها على داوود وسيلمان. . نعمة العلم. . فأما عن داوود فقد ورد تفصيل ما آتاه الله من العلم في سور أخرى. . وأما سليمان ففي هذه السورة تفصيل ما علّمه الله من منطق الطير وما إليه. . بالإضافة إلى ما ذكر في سور أخرى من تعليمه القضاء، وتوجيه الرياح المسخرة له بأمر الله. تبدأ القصة بهذه الآية: ﴿**ولقد أتينا داوود وسليمان علماً**. . ﴾ وقبل أن تنتهي الآية يجيء شكرُ داوود وسليمان على هذه النعمة، وإعلان قيمتها وقدرها العظيم. . فتبرز قيمةُ العلم وعظمةُ المنة به من الله على العباد. . وتفضيل من يُؤتاه على كثير من عباد الله المؤمنين.

ولا يذكر هنا نوع العلم وموضوعه لأن جنس العلم هو المقصود بالإبراز والإظهار، وللإيحاء بأن العلم كلّه هبةٌ من الله، وبأن اللائق بكل ذى علم أن يعرف مصدره، وأن يتجه إلى الله بالحمد عليه، وأن يتفقه فيما يرضى الله الذي أنعم به وأعطاه. . فلا يكون العلمُ مبعداً لصاحبه عن الله، ولا منسياً له إياه، وهو بعض منته وعطاياه! والعلم الذي يُبعد القلب عن ربه علم فاسد زائغ عن مصدره وعن هدفه، لا يثمر سعادة لصاحبه ولا للناس؛ إنما يثمر الشقاء والخوف والقلق والدمار، لأنه انقطع عن مصدره، وانحرف عن وجهته، وضلّ طريقه إلى الله.

ولقد انتهت البشرية اليوم إلى مرحلة جيدة من مراحل العلم بتحطيم الذرة واستخدامها. . ولكن ماذا جنت البشرية حتى اليوم من مثل هذا الذي لا يذكر أصحابه الله ولا يخشونه ولا يحمدون له ولا يتوجهون بعلمهم إليه؟ ماذا جنت الضحايا الوحشية في كثير من البلدان التي تعرضت لهذا الهجوم الوحشي؟. وماذا جنت غير الخوف والقلق الذي يؤرّق جفون الشرق والغرب ويتهددهما بالتحطيم والدمار والفناء. وبعد تلك الإشارة إلى الإنعام بمنة العلم على داوود وسليمان وحمدهما الله ربهما على منته، وعرفانهما بقدرها وقيمتها يُفرد سليمان بالحديث: ﴿**وورث سليمان داوود وقال: يا أيها الناس عُلّمنا منطقَ الطير وأوتينا من كل شيء**

إن هذا لهو الفضل المبين. .﴾ فقد ورث سليمان أباه داود ما خلفه من النبوءة والملك مع العلم المشترك بينهما. . ثم يعلن سليمان ما خصه الله به مما سيذكر بعدُ. . فهو يتحدث بنعمة الله عليه إظهاراً لفضله لا مباهاة ولا افتخاراً ويعقب على هذه النعمة: إن هذا لهو الفضل المبين.

فضل الله الكاشف عن مصدره الدال على صاحبه. فما يملك تعليم منطق الطير لبشر إلا الله. وكذلك لا يؤتى أحداً من كل شيء إلا الله. على أن هذا كله لم يكن إلا شقاً واحداً للخارقة التي أتاحها الله لعبده سليمان. أما الشق الآخر فكان تسخير طائفة من الجن والطير لتكون تحت إمرته وطوع أمره؛ جنوده من الإنس سواء بسواء: **﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون. .﴾** فهذا هو موكب سليمان محشود محشوزر. يتألف من الجن والإنس والطير. والإنس معروفون، أما الجن فهم خلق لا تعرف عنهم إلا ما قصه الله علينا من أمرهم في القرءان. . حشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير.

وهو موكب عظيم وحشد كبير. يجمع أوله على ءاخره. . فهم يوزعون. . حتى لا يتفرقوا وتشيع فيهم الفوضى. . فهو حشد عسكري منظم. يطلق عليه اصطلاح الجنود، إشارة إلى الحشد والتنظيم. . **﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. .﴾** فقد سار موكب سليمان في ترتيب ونظام. . حتى إذا أتوا على واد كثير النمل، قالت نملة لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي. قالت هذه النملة للنمل بالوسيلة التي تتفاهم بها أمة النمل: أُدخلوا مساكنكم؛ كي لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بكم. . فأدرك سليمان ما قالت النملة، وهش له وانشرح صدره بإدراك ما قالت وبمضمون ما قالت. . فهي نعمة الله عليه تصله بهذه العوالم المحجوبة المعزولة على الناس؛ لاستغلاق التفاهم بينها وقيام الحواجز.

وانشرح صدره له؛ لأنه عجيبة من العجائب أن يكون للنملة هذا الإدراك، وأن يفهم عنها النملُ فيطيع!. أدرك سليمان هذا. . **﴿فتبسم ضاحكاً من قولها. .﴾** فسرعان ما هزته هذه المشاهدة، وردّت قلبَه إلى ربه الذي أنعم عليه بنعمة المعرفة الخارقة، واتجه إلى ربه في إنابة يتوسل إليه: **﴿وقال: ربّ أوزعني أن أشكر**

نعتمك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ..﴾ ربّ.. بهذا النداء القريب المباشر المتصل.. أوزعني: أجمعني كلي. أجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجَناني وخواطري وخلجاتي وكلماتي وعباراتي وأعمالي وتوجيهاتي. أجمعني كلي. أجمع طاقاتي كلّها: أولَها على ءاخرها وءاخرَها على أولها.

وهو المدلول اللغوي لكلمة أوزعني؛ لتكون كلُّها في شكر نعمتك عليّ وعلى والديّ.. فهذا التعبير.. تَشِي بنعمة الله التي مست قلب سليمان في تلك اللحظة، ويصور نوع تأثره، وقوة توجّهه، وارتعاشة وجدانه، وهو يستشعر فضلَ الله الجزيل، ويتمثّل يدَ الله عليه وعلى والديه، ويحسّ مسَّة النعمة والرحمة في ارتياع وابتهال: ﴿**أوزعني أن أشكر نعتمك.. وأن أعمل صالحاً ترضاه..**﴾ فالعمل الصالح هو كذلك فضل من الله يُوفِّقُ إليه مَنْ يشكر نعمتَه. وسليمان الشاكر الذي يستعين ربَّه ليجمعه ويقفه على شكر نعمته، يستعين ربه كذلك ليوفقه إلى عمل صالح يرضاه.

وهو يشعر أن العمل الصالح توفيق ونعمة أخرى من الله ﴿**وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين..**﴾ فهو يعلم أن الدخول في عباد الله الصالحين رحمة من الله تتدارك العبد فتوفقه إلى العمل الصالح.. فيسلك في عداد الصالحين. يعلم سليمان هذا.. فيضرع إلى ربه أن يكون من المرحومين المُوَفَّقين السالكين في هذا الرعيل. يضرع إلى ربه وهو النبئ الذي أنعم الله وسخر له الجن والإنس والطيرَ غيرَ ءامن مكر الله ـ حتى بعد أن اصطفاه، خائفاً أن يقصر به عمله وأن يقصر به شكره..

التوجيه الرابع: ﴿وتفقد الطير فقال: ما لي لا أرى الهدهد؟ أم كان من الغائبين..﴾: في هذا التوجيه عرض قصة سليمان مع الهدهد وملكة سبإ. ولمّا كان افتتاح الحديث عن سليمان قد تضمن الإشارة إلى نعمة العلم فإن القصة تحتوي دوراً لكل من الجن والإنس والطير. ويبرز فيها دور العلم كذلك.. ففي المشهد الأول يتفقد سليمان النبيّ الملك الطير فلا يجد الهدهد. ويُفهم من هذا أنه هدهد خاص معيّن في نوبته في هذا العرض. وهو يسأل عنه في صيغة مترفعة مرنة جامعة: ما لي لا أرى الهدهد؟ أم كان من الغائبين؟ ويتضح أنه غائب ويعلم الجميع من سؤال سليمان عنه أنه غائب بغير إذن! وحيئنذٍ يتعين أن يؤخذ الأمر

بالحزم، كي لا تكون فوضى.. فالأمر بعد سؤال سليمان هذا السؤال لم يكن سراً.

وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجنود. ومن ثَمّ نجد سليمان الحازم يتهدد الجندي الغائب المخالف: ﴿**لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه**..﴾ ولكن سليمان ليس ملكاً جباراً في الأرض.. ولكن هو نبيء. وهو لم يسمع بعدُ حجّةَ الهدهد الغائب.. فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائياً قبل أن يسمع منه ويتبين عذره.. فمن ثمّ تبرز سمة النبيء العادل: ﴿**أو ليأتينّي بسلطان مبين**..﴾ حجة قوية توضح عذره وتنفي المؤاخذة عنه.. ﴿**فمكث غير بعيد.. فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين. إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون. الله لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم**﴾: إن الهدهد يعرف حزم سليمان وشدته.. فهو يبدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع وتضمن إصغاء سليمان له.. فإذا ضمن إصغاءه بعد هذه المفاجأة أخذ في تفصيل النبإ اليقين جاء به نم سبإ ـ ومملكة سبإ تقع في جنوب الجزيرة باليمن ـ فذكر أنه وجدهم تحكمهم امرأة أوتيت من كل شيء.. فهو دلالة على عظمة ملكها وثرائها وتوافر أسباب الحضارة والقوة والمتاع.. ولها عرش عظيم: سرير ملك فخم ضخم.. يدل على الغنى والترف وارتقاء الصناعة.

وذكر أن الملكة وقومها يسجدون للشمس من دون الله. وهنا يعلل ضلال القوم بأن الشيطان زين لهم أعمالهم.. فأضلهم.. فهم لا يهتدون إلى عبادة الله العليم الخبير.. فسليمان ينصت له ويصغي لما يقول.. والهدهد إلى هذه اللحظة يقف موقف المذنب الذي لم يقض سليمان في أمره بعدُ.. فهو يلمح في ختام النبإ الذي يقصه إلى الله الملك القهار، ربّ الجميع، صاحب العرش العظيم، الذي لا تقاس إليه عروش البشر. ذلك كي يطامن الملك سليمان من عظمته الإنسانية أما هذه العظمة الإلهية: الله لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم.

فيلمس قلب سليمان ـ في سياق التعقيب على صنع الملكة وقومها ـ بهذه الإشارة الخفية.. فنجد أنفسنا أمام هدهد عجيب. صاحب إدراك وذكاء وإيمان،

وبراعة في عرض النبإ ويقظة إلى طبيعة موقفه، وتلميح وإيماء أريب.. فهو يدرك أن هذه ملكة وأن هؤلاء رعية، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله. ويدرك أن السجود لا يكون إلا الله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض.. وأنه هو ربّ العرش العظيم.. وما هكذا تدرك الهدهد إنما هو هدهد خاص أوتي هذا الإدراك الخاص، على سبيل الخارقة التي تخالف المألوف. ولا يتسرع سليمان في تصديقه أو تكذيبه؛ ولا يستخفه النبأ العظيم الذي جاءه به.. إنما يأخذ في تجربته للتأكد من صحته، شأن النبئ العادل والملك الحازم: ﴿**قال: سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين؟ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون**﴾؟ ويسدل الستار على هذا المشهد؛ ليرفع.. فإذا الملكة ـ وقد وصل إليها الكتاب، وهو تستشير الملأ من قومها في هذا الأمر الخطير: ﴿**قالت: يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم. ألاّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين..**﴾ فهي تخبرهم أنه ألقى إليها كتاب كريم. ومن هذا نرجح أنها لم تعلم من ألقى إليها الكتاب ولا كيف ألقاه.. وهي تصف الكتاب بأنه كريم؛ لما فيه من البساطة والحزم والعزم والقوة، ولما يحمله من ذكر اسم الله وذكر سليمان.. ثم استأنفت الحديث تطلب مشورتهم، وتعلن إليهم أنها لم تقطع في الأمر إلا بعد هذه المشورة برضاهم وموافقتهم: ﴿**قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون..**﴾ ففي هذا تبدو سِمَةُ الملكةِ الأريبة.. فواضح منذ اللحظة الأولى أنها أخذت بهذا الكتاب الذي ألقى إليها من حيث لا تعلم، والذي يبدو فيه الحزم والاستعلاء.

وقد نقلت هذا الأثر إلى نفوس الملأ من قومها وهي تصف الكتاب بأنه كريم، وواضح أنها لا تريد المقاومة والخصومة.. ولكنها لا تقول هذا صراحة.. إنما تمهد له بذلك الوصف ثم تطلب الرأي بعد ذلك والمشورة! وعلى عادة الحاشية أبدوا استعدادهم للعمل.. ولكنهم فوضوا للملكة الرأي: ﴿**قالوا: نحن أولو قوة وألو بأس شديد. والأمر إليك فانظر ماذا تأمرين..**﴾ وهنا تظهر شخصية المرأة من وراء شخصية الملكة. المرأة التي تكره الحروب والتدمير، والتي تنضي سلاح الحيلة والملاينة قبل أن تنضي سلاح القوة والمخاشنة: ﴿**قالت: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون..**﴾ فهي تعرف أن من طبيعة الملوك أنهم إذا

دخلوا قرية ـ والقرية تطلق على المدينة الكبيرة ـ أشاعوا فيها الفساد، وأباحوا ذمارها وانتهكوا حرمانها.

وحطموا القوة المدافعة عنها وعلى رأسها رؤساؤها وجعلوهم أذلة؛ لأنهم عنصر المقاومة، وأن هذا هو دأبهم الذي يفعلون. والهديّةُ تُلين القلبَ وتعلن الود، وقد تفلح في دفع القتال. وهي تجربة.. فإن قبلها سليمان فهي إذنْ أمرُ الدنيا، ووسائل الدنيا إذن تجدي. وإن لم يقبلها فهو إذنْ أمر العقيدة الذي لا يصرفه عنه مال، ولا عرض من إعراض هذه الأرض. ويسدل الستار على المشهد؛ ليرفع.. فإذا مشهد رسل الملكة وهديتهم أمام سليمان. وإذا سليمان ينكر عليهم اتجاهَهم إلى شرائه بالمال، أو تحويله عن دعوتهم إلى الإسلام. ويعلن في قوة وإصرار تهديدَه ووعيده الأخير: ﴿**فلما جاء سليمانَ قال: أتمدونني بمال؟ فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون. ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون**..﴾ ففي الرد استهزاء بالمال، واستنكار للاتجاه إليه في مجال غير مجاله: مجال العقيدة والدعوة: أتمدونني بمال؟!.. أتقدمون لي هذا العرض التافع الرخيص.. فما آتاني الله خير مما آتاكم.. فقد آتاني الله خيراً مما لديكم: العلم والنبوءة وتسخير الجن والطير.. فما عاد شيء من عرض الأرض يفرحني.. بل أنتم بهديتكم تفرحون.. ثم يُتبع هذا الاستنكار بالتهديد: ارجع إليهم بالهدية وانتظروا المصير المرهوب: فلنأتينهم بجنود.. جنود لم تسخر لأي بشر في أي مكان، ولا طاقة للملكة وقومها بهم في نضال!.. ويسدل الستار على هذا المشهد العنيف. وينصرف الرسل.

ويدعهم السياق لا يشير إليهم بكلمة كأنما قضى الأمر، وانتهى الكلام في هذا الشأن.. ثُمَّ إذا سليمان يدرك أن هذا الرد سينهي الأمر مع ملكة لا تريد العداء ـ كما يبدو من طريقتها في مقابلة رسالته القوية بهديه! ـ ويُرجّح أنها ستجيب دعوته، أو يؤكّد، وقد كان. ولكن السياق لا يذكر كيف عاد رسلها إليها؟ ولا ماذا قالوا لها؟ ولا ماذا اعتزمت بعدها؟.. إنما يترك فجوة نعلم مما بعدها أنّها قادمة، وأن سليمان يعرف هذا، وأنه يتذاكر مع جنوده في استحضار عرشها الذي خلفته في بلادها محروساً مصوناً: ﴿**قال: يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني**

مسلمين؟ قال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين. قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك..﴾ فما الذي قصد إليه سليمان بمن استحضر عرشها قبل مجيئها مسلمة مع قومها؟ المرجّح أن هذه كانت وسيلة لعرض مظاهر القوة الخارقة التي تؤيده؛ لتؤثر في قلب الملكة وتقودها إلى الإيمان بالله والإذعان لدعوته. وقد عرض عفريت من الجن أن يأتيه به قبل انقضاء جلسته هذه. وكان يجلس للحكم والقضاء من الصبح إلى الظهر؛ كما يروي.. فاستطول سليمان هذه الفترة واستبطأها ـ فيما يبدو ـ فإذا الذي عنده علم من الكتاب يعرض أن يأتي به في غمضت عين! ومن يكون هذا غير سليمان النبيء؟!.. **﴿فلما رآه مستقراً عنده قال: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر.. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم..﴾**

فقد لمست هذه المفاجأة الضخمة من سرعة الاستجابة في لمحة بصر قلب سليمان وراعه أن يحقق الله له مطالبه على هذا النحو المعجز؛ واستشعر أن النعمة ـ على هذا النحو ـ ابتلاء ضخم يحتاج إلى يقظة منه ليجز تازه، ويحتاج إلى عون من الله ليتقوى عليه، ويحتاج إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم ليعلم الله منه هذا الشعور فيتولاه .والله غني عن شكر الشاكرين. حميد على من يشكر.. وبعد هذه الانتفاضة أمام النعمة والشعور بما وراءها من الابتلاء يمضي سليمان في تهيئة المفاجآت للملكة القادمة بعد قليل: **﴿قال: نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون﴾** غيروا معالمه المميزة له، لِنَعْرِفَ إن كانت فراستها وفطنتها تهتدي إليه بعد هذا التنكير أم يلبس عليها الأمر فلا تنفذ إلى معرفته من وراء هذا التغيير.

ولعل هذا كان اختباراً من سليمان لذكائها وتصرفها في أثناء مفاجأتها بعرشها.. ثُمّ إذا مشهد الملكة ساعة الحضور: **﴿فلما جاءت قيل: أهكذا عرشك؟ قالت كأنه هو..﴾** فهذه مفاجأة ضخمة لا تخطر للملكة على بال.. فأين عرشها في مملكتها وعليه أقفالها وحراسها أين هو من بيت المقدس مقر ملك سليمان؟ وكيف جيء به؟ ومن ذا الذي جاء به؟!.. ولكن العرش عرشها من وراء هذا التغيير والتنكير! تُرى تنفي أنه هو بناء على تلك الملابسات، أم تُراها تقول:

إنه هو بناءً على ما تراه فيه من أمّارات؟! وقد انتهت إلى جواب ذكي أريب: قالت: كأنه هو، لا تنفي ولا تثبت، وتدل على فراسة وبديهة في مواجهة المفاجأة العجيبة. وجملة ﴿**وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين**﴾ من قول سليمان على ما يظهر من سياق الكلام.

﴿**وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين.**.﴾ فهي على قوة ذكائها وسلامة عقلها صدها عن عبادة الله ما كانت تعبد من الشمس والأصنام؛ لأنها نشأت بين قوم كافرين.. فقلدتهم دون نظر وتمييز بين الوهم واليقين. وكان سيلمان قد أعد للملكة مفاجأة أخرى لم يكشف السياق عنها بعدُ، كما كشف عن المفاجأة الأولى قبل ذكر حضورها ـ وهذه طريقة أخرى في الأداء القرءاني في القصة غير الطريقة الأولى: ﴿**قيل لها: أُدخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها، قال: إنه صرح ممرد من قوارير. قالت: ربّ إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين.**.﴾ فقد كانت المفاجأة قصراً من البلّوْر، أقيمت أرضيته وساحته فوق وظهر كأنه لجة.. فلما قيل لها: أُدخلي الصرح حسبت أنها ستخوض تلك اللجة! فكشفت عن ساقيها.. فلما تمت المفاجأة كشف لها سليمان عن سرها: قال: إنه صرح ممرد من قوارير!.

ووقفت الملكة مفجوءة مدهوشة أمام هذه العجائب التي تعجز البشر، وتدل على أن سليمان مسخّر له قوي أكبر من طاقة البشر.. فرجعت إلى الله وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره، معلنة إسلامها مع سليمان، لا لسليمان.. ولكن لله ربّ العالمين. لقد اهتدى قلبها واستنار.. فعرفت أن الإسلام لله ليس استسلاماً لأحد من خلقه، ولو كان هو سليمان الشيء الملك صاحب هذه المعجزات.. إنما الإسلام إسلام لله ربّ العالمين. ومصاحبة للمؤمنين به والداعين إلى طريقه على سنّة المساواة..

وسجل السياق القرءاني هذه القصة وأبرزها للكشف عن طبيعة الإيمان بالله والإسلام له.. فهي العزة التي ترفع المغلوبين إلى صف الغالبين.. بل التي يصبح فيها الغالب والمغلوب أخوين في الله!.. وقد كان كبراء قريش يستعصون على دعوة الرسول إياهم إلى الإسلام، وفي نفوسهم الكبر أن ينقادوا إلى محمد بن عبدالله.. فتكون له الرياسة عليهم والاستعلاء.. فها هي ذى امرأة في التاريخ

تُعلمهم أن الإسلام لله يسوّي بين الداعي والمدعوين. بين القائد والتابعين.. فإنما يُسلمون مع رسول الله لِلَّهِ ربّ العالمين!.

التوجيه الخامس: ﴿**ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً: أن أعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون..**﴾: في هذا التوجيه تلخيص رسالة صالح ـ عليه السلام ـ في حقيقة واحدة: أن اعبدوا الله.. فهذه هي القاعدة التي ترتكز عليها رسالة الله إلى الناس في كل جيل، ومع كل رسول يهتف بهم إلى الإيمان بهذه الحقيقة الواحدة.. فقد أمضت البشرية أجيالاً وأزماناً لا يعلمها إلا الله وهي تقف أمام هذه الحقيقة البسيطة وقفة الإنكار والجحود، أو وقفة الهزء والتكذيب. وما تزال إلى اليوم تزوغ عن هذه الحقيقة الخالدة، وتجنح إلى شتى السبل التي تتفرق بها عن سبيل الله الواحد المستقيم.. فأما قوم صالح ـ ثمود ـ فيحكي السياق هنا خاصة موقفهم بعد دعوته إياهم، وجهده معهم بأنهم أصبحوا فريقين يختصمون. فريقاً يستجيب له، وفريقاً يخالف عنه، وكان الفريق المعارض هو الكثرة.

وهنا فجوة في السورة على طريقة القصص القرءاني: ندرك منها أن المكذبين المعرضين استعجلوا عذاب الله الذي أنذرهم به صالح، بدلاً من أن يطلبوا هدى الله ورحمته ـ شأنهم في هذا شأن مشركي قريش مع الرسول الكريم ـ فأنكر عليهم صالح أن يستعجلوا بالعذاب ولا يطلبوا الهداية، وحاول أن يوجههم إلى الاستغفار لعل الله يدركهم برحمته! ﴿**قال: يا قوم لِمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة؟ لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون**﴾! فقد بلغ من فساد القلوب أن يقول المكذبون: ﴿**اللهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم..**﴾ بدلاً من أن يقولوا: اللهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إلى الإيمان به والتصديق!. وكذلك كان قوم صالح يقولون. ولا يستجيبون لتوجيه رسولهم إلى طريق الرحمة والتوبة والاستغفار.

ويعتذرون عن ضيقهم به وبالذين آمنوا معه بأنهم يرونهم شؤماً عليهم ويتوقعون الشر من ورائهم: ﴿**قالوا: اطّيرنا بك وبمن معك..**﴾ فلما قال قومُ صالح قولتهم الجاهلة الساذجة، الضالة في تيه الوهم والخرافة، ردهم صالح إلى نور اليقين، وإلى حقيقته الواضحة البعيدة عن الضباب والظلام: ﴿**قال: طائركم عند الله..**﴾ فحظكم ومستقبلكم ومصيركم عند الله. واللَّهُ قد سنّ سننا وأمر الناس

بأمور وبيّن لهم الطريق المستنير.. فمن اتبع سنّة الله وسار على هداه فهناك الخير بدون حاجة إلى زجر الطير. ومن انحرف عن السنّة وحاد عن السواء فهناك الشر بدون حاجة إلى التشاؤم والتطير.. ﴿**بل أنتم قوم تفتنون**..﴾ فتُفتنون بنعمة الله، وتُختبرون بما يقع لكم من خير ومن شر.. فاليقظة وتدبر السنن وتتبع الحوادث والشعور بما وراءها من فتنة وابتلاء هو الكفيل بتحقيق الخير في النهاية.

لا التشاؤم والتطير ببعض خلق الله من الطير ومن الناس سواء. وهكذا تردُّ العقيدة الصحيحة الناسَ إلى الوضوح والاستقامة في تقدير الأمور. وتردُّ قلوبهم إلى اليقظة والتدبر فيما يقع لهم أو حولهم. وتُشعرهم أن يد الله وراء هذا كلِّه، وأن ليس شيء مما يقع عبثاً أو مصادفة.. فبذلك ترتفع قيمةُ الحياة وقيمةُ الناس.. ولكن هذا المنطق المستقيم.. إنما تستجيب له القلوب التي لم تفسد، ولم تنحرف الانحراف الذي لا رجعة منه. وكان من قوم صالح من كبرائهم ورؤساء عشائرهم تسعة نفر لم يبق في قلوبهم موضع للصلاح والإصلاح.. فراحوا يأتمرون به ويدبرون له ولأهله في الظلام.. ﴿**وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون. قالوا: تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لتقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون**..﴾ فهؤلاء الرهط التسعة الذين تمخضت قلوبهم وأعمالُهم للفساد وللإفساد لم يعد بها متسع للصلاح والإصلاح.. فضاقت لنفوسهم بدعوة صالح وحجته، وبيّتوا فيما بينهم أمراً. ومن العجب أن يتداعوا إلى القسم بالله مع هذا الشر المنكر الذي يبيتونه.. وهو قتل صالح وأهله بياتاً! وهو لا يدعوهم إلا لعبادة الله!. وإنه لمن العجب كذلك أن يقولوا: ﴿**تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله.. ثم لنقولن لوليه: ما شهدنا مهلك أهله**﴾ ولا حضرنا مقتله.. ﴿**وإنا لصادقون**..﴾ فقد قتلوهم في الظلام.. فلم يشهدوا هلاكهم. أي: لم يروه بسبب الضلام!.

فهو احتيال سطحي وحيلة ساذجة.. ولكنهم يُطمْئِنون أنفسهم بها، ويبرّرون كذبهم الذي اعتزموه للتخلص من أولياء دم صالح وأهله!.. نعم.. من العجب أن يحرص مثل هؤلاء على أن يكونوا صادقين!. ولكن النفس الإنسانية مليئة بالانحرافات والالتواءات، وبخاصة حين لا تهتدي بنور الإيمان الذي يرسم لها الطريق المستقيم.. كذلك دبروا. وكذلك مكروا.. ولكن الله كان بالمرصاد يراهم

ولا يرونه، ويعلم تدبيرهم ويطلع على مكرهم وهم لا يشعرون: ﴿**ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون**. .﴾ فأين مكرٌ من مكر؟! وأين تدبير من تدبير؟! وأين قوة من قوة؟! وكم ذا يخطىء الجبارون وينخدعون بما يملكون من قوة ومن حيلة. . ويغفلون عن العين التي ترى ولا تغفل. . والقوة التي تملك الأمر كله وتباغتهم من حيث لا يشعرون: ﴿**فانظر كيف كان عاقبة مكرهم. . إنا دمرناهم وقومهم أجمعين. . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا**. .﴾ فمن لمحة إلى لمحة إذا التدمير والهلاك. . فإذا الدور الخاوية والبيوت الخالية. . وقد كانوا منذ لحظة واحدة في الآية السابقة من السورة يدبرون ويمكرون. . ويحسبون أنهم قادرون على تحقيق ما يمكرون!.

وهذه السرعة في عرض هذه الصفحة بعد هذه مقصودة في السياق؛ لتظهر المباغتة الحاسمة القاضية. مباغتة القدرة التي لا تُغلبُ، للمخدوعين بقوتهم. . ومباغتة التدبير الذي لا يخيب، للماكرين المستعزين بمكرهم. ﴿**إن في ذلك لآية لقوم يعلمون**. .﴾ فالعلم هو الذي عليه التركيز في السورة وتعقيباتها. . وبعد مشهد المباغتة يجيء ذكرُ نجاة المؤمنين الذين يخافون الله ويتقونه: ﴿**وأنجينا الذين ءامنوا وكانوا يتقون**. .﴾ فالذي يخاف الله يقيه من المخاوف. . فلا يجمع عليه خوفين!.

التوجيه السادس: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه: أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾؟!. . : في هذا التوجيه عرض حلقة قصيرة من قصة لوط تجيء مختصرة تُبرزُ هَمَّ قوم لوط بإخراج لوط ـ عليه السلام ـ لأنه أنكر عليهم الفاحشة الشاذة التي كانوا يأتونها عن إجماع وإنفاق وتعارف وعلانية. فاحشة الشذوذ الجنسي بإتيان الرجال وترك النساء. على غير الفطرة التي فطر اللَّهُ الناسَ عليها. .

وهي ظاهرة غريبة في تاريخ الجماعات البشرية. . فقد يشذ أفراد لأسباب مَرَضية نفسية. . أو لملابسات وقتية. . فيميل الذكور لإتيان الذكور. وأكثر ما يكون هذا في معسكرات الجنود. . أو في السجون التي يقيم فيها المسجونون فترات طويلة معرضين لضغط الميل الجنسي. . أما أن يشيع هكذا الشذوذ فيصبح هو القاعدة في بلد بأسره مع وجود النساء وتيسر الزواج. . فهذا هو الحادث الغريب حقاً في تاريخ الجماعات البشرية!!. . فقد جعل الله من الفطرة ميل

الجنس إلى الجنس الآخر، لأنه جعل الحياة كلها تقوم على قاعدة التزاوج.. فقال: ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**..﴾ فجعل الله الأحياء كلها أزواجاً، سواء نبات الأرض والأنفس وما لا يعلمه الناس في شتى المخلوقات. والتزاوج يبدو أصيلاً في بناء الكون كله ـ فضلاً على الأحياء ـ.. فالذرة ذاتها مؤلفة من كهارب وإلكترونات. أي: من كهربائية إيجابية وأخرى سلبية. وهي وحدة الكانسات المكرورة فيها جميعاً كما يبدو حتى الآن.

وعلى أية حال.. فالحقيقة المضمونة أن الأحياء كلها تقوم على قاعدة التزواج. حتى التي لا يوجد لها من جنسها ذكر وأنثى تجتمع خلايا التذكير والتأنيث في آحادها، وتتكاثر بهذا الاجتماع. ولما كان التزاوج هو قاعدة الحياة في ناموس فقد جعل الله التجاذب بين الزوجين هو الفطرة، التي لا تحتاج إلى تعليم، ولا تتوقف على تفكير. وذلك كي تسير الحياة في طريقها بدافع الفطرة الأصيل.

والأحياء يجدون لذتهم في تحقيق مطالب الفطرة والقدرة المدبِّرة تحقق ما تشاؤه من وراء لذتهم المودعة في كيانهم بلا وعي منهم ولا توجيه من غيرهم. وقد جعل الله تركيب أعضاء الأنثى وأعضاء الذكر، وميول هذا وتلك بحيث تحقق اللذة الفطرية من اجتماعهما. ولم يجعل هذا في أعضاء الذكرين وميولهما.

ومن ثَمّ يكون عجيباً أن تنحرف الفطرة انحرافاً جماعياً كما حدث في قوم لوط بدون ضرورة دافعة إلى عكس اتجاه الفطرة المستقيم.

وهكذا واجه لوط ـ عليه السلام ـ قومه بالاستنكار والعجب مما يفعلون!. فعجب في عبارته الأولى: ﴿**أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون**﴾؟!.. فعجب من إتيانهم هذه الفاحشة، وهم يبصرون الحياة في جميع أنواعها وأجناسها تجري على نسق الفطرة، وهم وحدهم الشواذ في وسط الحياة والأحياء!. وصرح في عبارته الثانية بطبيعة تلك الفاحشة: ﴿**أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون**..﴾ فمجرد الكشف عنها يكفي لإبراز شذوذها وغرابتها لمألوف البشرية؛ ولمألوف الفطرة جميعاً.. ثم دمغهم بالجهل بمعنييه: الجهل بفقدان العلم. والجهل بمعنى السفه والحمق. وكلا المعنيين متحقق في هذا الانحراف

البغيض.. فالذي لا يعرف منطق الفطرة يجهل كل شيء، ولا يعلم شيئاً أصلاً. والذي يميل هذا الميل عن الفطرة سفيه أحمق معتدٍ على جميع الحقوق!.. فماذا كان جواب قوم لوط على هذا الاستنكار للانحراف، وهذا التوجيه إلى وحي الفطرة السليمة؟ كان جوابُهم في اختصار؛ أن همُّوا بإخراج لوط ومن سمع دعوته. وهم أهل بيته ـ إلا امرأته ـ بحجة أنهم أناس ينظرون: ﴿**فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: أخرجوا ءال لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**..﴾ فقولهم هذا قد يكون تهكماً بالتطهر من هذا الرجس القذر.. وقد يكون إنكار عليه أن يسمِّيَ هذا تطهراً.. فهم من انحراف الفطرة بحيث لا يستشعرون ما في ميلهم المنحرف من قذارة وقد يكون ضيقاً بالطهر والتطهر إذا كان يكلفهم الإقلاع عن ذلك الشذوذ!!..

فعلى أية حال.. فقد هموا همهم، وحزموا أمرهم.. فأراد الله غير ما كانوا يريدون: ﴿**فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين. وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين**﴾!!..

فلا يذكر النص تفصيلات هنا عن هذا المطر المهلك كما وردت تفصيلاته في السور الأخرى.. فنكتفي نحن بهذا مجاراة للسياق.

1 ـ الحمد لله وسلام على من اصطفاه

النص

* قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ
ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ ﴿61﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ
حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿62﴾ أَمَّن جَعَلَ
ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ
بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿63﴾
أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿64﴾
أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿65﴾
أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿66﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿67﴾

بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿68﴾ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿69﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿70﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿71﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿72﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿73﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿74﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿75﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿76﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿77﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿78﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿79﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿80﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿81﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿82﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿83﴾

* وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿84﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿85﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿86﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿87﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿88﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿89﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿90﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿91﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿92﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿93﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿94﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿95﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**قل: الحمد لله**..﴾ الحمد: الثناء باللسان على صاحب الإحسان. ﴿**وسلام على عباده الذين اصطفى**..﴾ سلام: أمنة واطمئنان وسلامة وأمان. الذين اصطفى: اختارهم الله وجعلهم من خير خلقه؛ مثل الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

﴿**آلله خيرٌ أمّا تشركون**﴾: يقول الله لرسوله محمد ﷺ: قل، لقومك من المشركين: أألذي أنعم على أوليائه بما قصه عليكم، خير.. أم الأصنام التي تعبدونها من دون الله التي لا تنفع ولا تضر؟! ﴿**أمّن خلق السماوات والأرض**..﴾ خلق: أنشأ وأبدع على غير مثال سابق. ﴿**وأنزل من السماء ماء... فأنبتنا به حدائق ذات بهجة**..﴾ حدائق: جمع حديقة، وهو البستان عليه حائط محوّط.. فإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة. بهجة: منظر حسن. يقال: بهج الشيء ببهجته، أي: صار بهيجاً. ﴿**ما كان لكم أن تنبتوا شجرها.. أإله مع الله؟!.. بل هم قوم يعدلون**﴾! يعدلون: يميلون، يُقال: عدل عنه، أي: مال عنه، يتركون الحق على عمد، وعلى علم بأنهم على خطإ!. ﴿**أمّن جعل الأرض قراراً**﴾: يستقرون عليها لا تميد بهم. ﴿**وجعل خلالها أنهاراً**﴾: وأوجد بين أصقاعها أنهاراً لترويها. ﴿**وجعل لها رواسي**﴾: جبالاً راسية شامخة راسخة. ﴿**وجعل بين البحرين حاجزاً**﴾: وجعل بين البحرين العذب والملح حاجزاً حتى لا يختلطا. أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون الحق حيث أشركوا بالله؟! ﴿**أمّن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾؟: بل من يجيب دعاء المحتاج عند احتياجه إلى الله. ﴿**ويكشف السوء**﴾: كل آفة تصيب الإنسان ولا يستطيع دفعها. ﴿**ويجعلكم خلفاء الأرض**﴾: تخلفون موتاكم فيها. وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل. ﴿**أإله مع الله قليلاً ما تذّكرون**﴾؟! ﴿**أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر**﴾: بل من يهديكم إذا ضللتم وأظلمت عليكم السبل في البر والبحر؟!.. ﴿**ومن يرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته**﴾؟!.. «نشراً»: جمع نشور، كرسول ورُسل. بين يدي رحمته: بين يدي المطر.. فالريح تجمع السحاب في الجو فيتراكم فتنزل المطر منه. وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿**ألم تر أن الله يزجى سحاباً.. ثم يؤلف بينه**..

ثم يجعله ركاماً.. فترى الودق يخرج من خلاله..﴾ ﴿أإله مع الله تعالى الله عما يشركون...﴾ ﴿أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده﴾: ينشئه ويبتدعه.. ثم يفنيه. ثم يعيده بالبعث يوم القيامة. **﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾**؟: بسبب الماء وما تنبت الأرض مما يأكل الناس والأنعام.. **﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾**: ائتوا بأدلة عقلية أو نقلية تصدق ما أنتم عليه من عبادة غير الله، **﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾**: قل لهم يا محمد: القول الحق الذي لا مراء فيه: لا يعلم الذي في السماوات والأرض من المخلوقات الغَيْبَ إلا الله وحده سبحانه وتعالى.

﴿وما يشعرون أيان يُبعثون﴾: لا يدري أحد بوقت يوم القيامة الذي يُبعث فيه الناس؛ لأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. **﴿بل ادّارك علمهم في الآخرة..﴾** ادّارك: تتابع وتلاحق وتكامل. وأصل ادّارك اتْدَارك. أبدلت التاء دالاً وأدغمت الدال في الدال. **﴿بل هم في شك منها.. بل هم منها عمون..﴾** العمون جمع عَمي. وهو ذُو العَمَى. **﴿وقال الذين كفروا إذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون..﴾** إذا كنا تراباً: إذا استحالت أجسادنا إلى تراب.. أإنا لمخرجون من قبورنا لحياة جديدة؟!.. **﴿لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل﴾**: لقد وعدنا الواعدُ هذا ووعدوا آباءنا من قبل! **﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾**: ما هذا الوعد إلا حكايات وخرافات القدماء بقيت حتى وصلت إلينا!.. **﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾**: قل لهم: سيروا في الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة من سبقكم من المجرمين. **﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾**: ولا تحزن يا محمد على تكذيبهم وإعراضهم ولا يضق صدرك من مكرهم.. فإن اللَّه عاصمك منهم. **﴿ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾**؟: متى يأتي وقت هذا العذاب الموعود به؟ إن كنتم صادقين فأخبرونا متى يحين وقته؟!..

﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون..﴾ ردف لكم: تبعكم ولحقكم. يقال: ردفه، وردف له، تستعجلون به من العذاب، **﴿وإن ربك لذو فضل على الناس..﴾** فلا يعجل لهم العذاب.. **﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾** على هذا.. بل يعدونه دليلاً على كذب الرسل، **﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون..﴾** تُكِنُّ: تخفي. ويعلنون: يُظهرون: **﴿وما من غائبة في**

السماء والأرض إلا في كتاب مبين..﴾ غائبة: خافية غير ظاهرة للحواس. **﴿إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون..﴾** قصّ عليه الخبر: حدّث به على وجهه.. **﴿وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين... إن ربك يقضي بينهم بحكمه... وهو العزيز العليم... فتوكل على الله﴾**: فوّض إليه جميع أمورك. **﴿إنك على الحق المبين... إنك لا تسمع الموتى... ولا تسمع الصمَّ الدعاء... إذا ولوا مدبرين... وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون...﴾** **﴿وإذا وقع القول عليهم﴾**: حق عليهم ما وعدوا به.. **﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم..﴾** الدابة: كل ما دبّ وتحرك ومشى.. من الأرض: من موادّ الأرض.. كالمعادن والفحم والنفط.. تكلمهم: تحدثهم بلسان الحال. وتجرّحهم أو تقطعهم إرباً إرباً في الحال! **﴿إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون..﴾** أيقن به، وتيقنه: علمه وحققه. والناس الآن لا يعلمون حقيقة آيات الله؛ لأنهم انصرفوا إلى عبادة المادة.. فلم يكن منهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.. فغلب عليهم عمل الشر.. فاستحقوا بذلك ما حل بهم من الحوادث المؤلمة والمآسي المفجعة في النفس والنفيس! **﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً..﴾** الحشر: الجمع والضم والحصر. والفوج: الجماعة، ويطلق على الجماعة المارّة السريعة. **﴿ممن يكذب بآياتنا﴾**: بيان للفوج. **﴿فهم يوزعون﴾**: يحبس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة. **﴿حتى إذا جاءوا﴾**: وصلوا إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب. **﴿قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾**: قال الله لهم موبخاً لهم على التكذيب أكذبتم بآياتي؟ والآيات آيات القرآن. أكذبتم بها غير ناظرين فيها نظراً يؤدي إلى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق قطعاً؟! **﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾**؟: يخاطبون بذلك تبكيتا.. ثم يكبّون في النار. وذلك قوله تعالى: **﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون..﴾** أي: حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله.. بما ظلموا: بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بآيات الله.. فهم لا ينطقون: لا يتكلمون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الأليم. **﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾**: ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الإظلام، ليستريحوا فيه بالنوم والقرار.

وجعلنا النهار بما فيه من الإضاءة ليبصروا طرق التقلب في أمور المعاش.. ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾: في هذا دلالة واضحة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة بها دلالة تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها إلا الله! ﴿**ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل آتوه داخرين**﴾: النفخ في الصور هنا النفخة الثانية التي يقوم الناس فيها لرب العالمين. والفزع: الذعر والفرَق الشديد، والمستثنى في قوله: ﴿**إلا من شاء الله**﴾ المؤمنون.. فهم الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون. وكل آتوه: حاضروه. داخرين: صاغرين منقادين. ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**﴾: هذا من تمام الدلائل الناطقة بعظيم القدرة مثل قوله: ﴿**ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه..**﴾ الآية. ومعنى تحسبها جامدة ثابتة. وهر تمر مر السحاب تسير سيراً خفياً لا تدركه الحواس ولكن يدركها العقل عند التأمل.. ﴿**صنع الله**﴾: صنع الله ذلك صنعاً بديعاً دالاً على قدرة الله ﴿**الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون**﴾. ﴿**من جاء بالحسنة فله خير منها**﴾: بيان لما أشير إليه بإحاطة علم الله تعالى بأفعالهم من ترتيب أجزيتها عليها. والحسنة: الخصلة الحسنة. وهو الإيمان والعمل الصالح. ووجه الخيرية في الحسنة قوله تعالى: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾. ﴿**وهم من فزع يومئذ آمنون**﴾: تصريح بما أبهم سابقاً من المستثنى. ﴿**ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار**﴾: السيئة: الخصلة السيئة. وهو الكفر والمعاصي.. والكبّ: القلب والتنكيس ﴿**هل تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾: لا تجزون شيئاً إلا العمل الذي كنتم تعملونه ﴿**إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها..**﴾ البلدة: مكة. ومعنى حرمها: جعلها حرماً آمنا.. ﴿**وله كل شيء**﴾: يشمل مكة وغيرها من جميع ما خلق الله. ﴿**وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن.. فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل: إنما أنا من المنذرين**﴾: مفردات هذا الكلام واضحة. وكذلك قوله: ﴿**وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون**﴾.

مبحث الإعراب

﴿**قل: الحمد**﴾ مبتدأ. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. و﴿**سلام**﴾ معطوف على الحمد. ﴿**على عباده**﴾ متعلق بمحذوف خبر سلام. ﴿**الذين**﴾ في

محل جر نعت لعباده. ﴿اصطفى﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة الموصول. ﴿الله﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الاستفهام ﴿خير﴾ خبر المبتدأ. **أمْ مَا﴾** في محل رفع مبتدأ دخلت أمْ عليه. ﴿تشركون﴾ فعل وفاعل صلة ما. والخبر مقدر دل عليه ما قبله من قوله «خير». ﴿أمّن﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿خلق﴾ فاعله ضمير يعود على الله، ﴿السماوات﴾ مفعول به. ﴿والأرض﴾ معطوف عليه. ﴿وأنزل﴾ معطوف على خلق. ﴿لكم من السماء﴾ متعلقان بأنزل. ﴿ماءً﴾ مفعول به، ﴿فأنبتنا﴾ فعل وفاعل. مرتب على أنزل. ﴿به﴾ متعلق بأنبتنا. ﴿حدائق﴾ مفعول به، ﴿ذات﴾ نعت لحدائق باعتبار لفظها. ﴿بهجةٍ﴾ مضاف إلى ذات. ﴿ما كان﴾ فعل ماض ناقص. ﴿لكم﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿أن تنبتوا شجرها﴾ فعل وفاعل ومفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم كان مؤخر. وخبر أمّن مقدر. والتقدير: أمن خلق ما ذكر خير أمّا تشركون. ﴿أإله﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿مع﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿الله﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿بل هم﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿قومٌ﴾ خبر المبتدأ. ﴿يعدلون﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع نعت لقوم. ﴿أم من جعل﴾ مثل أم من خلق في الإعراب. ﴿الأرض﴾ مفعول أول. ﴿قراراً﴾ مفعول ثان. ﴿وجعل﴾ معطوف على جعل الأرض. ﴿خلالها﴾ ظرف متعلق بمحذوف نعت لما بعده. ﴿أنهاراً﴾ مفعول به. ﴿وجعل لها﴾ متعلق بجعل. ﴿رواسي﴾ مفعول به. ﴿وجعل بين﴾ متعلق بجعل. ﴿البحرين﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿حاجزاً﴾ مفعول به. ﴿أإله مع الله﴾ إعرابها مثل ما قبلها. ﴿بل أكثرهم﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿لا يعلمون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدأ. ﴿أم من يجيب﴾ مثل ما سبق. ﴿المضطر﴾ مفعول به. ﴿إذا﴾ ظرف متعلق بيجيب. ﴿دعاه﴾ فاعله ضمير يعود على المضطر. والضمير المتصل بالفعل مفعوله. ﴿ويكشف﴾ معطوف على يجيب. ﴿السوء﴾ مفعول به، ﴿ويجعلكم﴾ كذلك. ﴿خلفاء﴾ مفعول ثان. والمفعول الأول الضمير المتصل بالفعل. ﴿الأرض﴾ مضاف إلى خلفاء. ﴿أإله مع الله﴾ مثل ما سبق. ﴿قليلاً﴾ نعت لمصدر مقدر. ﴿ما﴾ زائدة. ﴿تذكرون﴾ فعل وفاعل. ﴿أم من يهديكم﴾ مثل ما سبق - ﴿ في ظلمات﴾ متعلق بيهديكم. ﴿البر﴾ مضاف إلى ظلمات.

﴿**والبحر**﴾ معطوف على البر. ﴿**ومن يرسل**﴾ معطوف على يهديكم. ﴿**الرياح**﴾ مفعول به.

﴿**نشرا**﴾ حال من الرياح. ﴿**بين**﴾ متعلق بما قبله. ﴿**يدي**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**رحمته**﴾ مضاف إلى يدي. ﴿**أإله مع الله، تعالى الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عما**﴾ متعلق بتعالى. ﴿**يشركون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**أم من يبدأ**﴾ مثل ما سبق. ﴿**الخلق**﴾ مفعول به. ﴿**ثم يعيده**﴾ معطوف بثم على يبدأ. ﴿**ومن**﴾ معطوف على من يبدأ. . ﴿**يرزقكم**﴾ صلة من. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بيرزقكم. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماء. ﴿**أإله مع الله قل: هاتوا**﴾ فعل أمر للمخاطبين. ﴿**برهانكم**﴾ مفعول به، ﴿**إن كنتم صادقين.**﴾ كان واسمها وخبرها فعل شرط إن. والجواب مقدر يدل عليه ما قبله. ﴿**قل: لا يعلم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**الغيب**﴾ مفعول به. ﴿**إلا اللهُ**﴾ استثناء منقطع. والله مبتدأ. خبره مقدر. أي: لكن الله يعلم الغيب. ﴿**وما يشعرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**أيّان**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بالفعل قبله. ﴿**يبعثون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل مضافة إلى الظرف. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**ادّارك علمهم**﴾ فعل وفاعل. ﴿**في الآخرة**﴾ متعلق بادّارك. ﴿**بل هم**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**في شك**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**منها**﴾ متعلق بشك. ﴿**بل هم**﴾ مثل ما قبله. ﴿**منها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**عمون**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**وقال الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**إذا**﴾ في محل نصب ظرف متعلق بقوله: لمخرجون. ﴿ **كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**ترابا**﴾ خبرها ﴿**وآباؤنا**﴾: معطوف على اسم كان. ﴿**أئنا**﴾ إن واسمها دخل عليها حرف الاستفهام. ﴿**لمخرجون**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**لقد وُعدنا**﴾ الفعل ونائب الفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**هذا. نحن**﴾ ضمير فصل. ﴿**وآباؤنا**﴾ معطوف على نائب الفاعل. ﴿**وهذا**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**من قبلُ**﴾ متعلق بفعل مقدر. أي: ووعد آباؤنا من قبل. ﴿**إن هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلاّ**﴾ ملغاة. ﴿**أساطيرُ**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**الأولين**﴾ مضاف لأساطير. ﴿**قل: سيروا**﴾ فعل أمر للمخاطبين ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**فانظروا**﴾ مرتب على سيروا. ﴿**كيف**﴾ في محل نصب. ﴿**كان عاقبة**﴾ فعل وفاعل. ﴿**المجرمين**﴾ مضاف إلى عاقبة. ﴿**ولا تحزن**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل ضمير المخاطب. والواو للعطف. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولا تكن**﴾ معطوف على الفعل قبله. واسم تكن ضمير المخاطب. ﴿**في ضيق**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكن. ﴿**مما**﴾ متعلق بضيق. ﴿**يمكرون**﴾ فعل وفاعل والجملة صلة ما. ﴿**ويقولون**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**متى**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**الوعدُ**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ كان واسمها وخبرها فعل شرط إنْ. وجواب الشرط مقدر دل عليه ما قبل الشرط. ﴿**قل: عسى**﴾ فعل ماض ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر. واسمها ضمير يعود على العذاب الموعود. ﴿**أن يكون**﴾ اسمها ضمير الشأن. ﴿**ردف**﴾ فعل ماض. ﴿**لكم**﴾ متعلق بردف. ﴿**بعض**﴾ فاعل. ﴿**الذي**﴾ في محل جر مضاف إلى بعض. ﴿**تستعجلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. وجملة ردف لكم بعض الذي... خبر يكون. وأن يكون وما بعدها خبر عسى. وجملة عسى وما بعدها مقول القول. ﴿**وإن ربك**﴾ إنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**لذو**﴾ خبر إنّ. واللام مؤكدة. ﴿**فضل**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**على الناس**﴾ متعلق بفضل. ﴿**ولكنّ أكثرهم**﴾ لكنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**لا يشكرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر لكنّ. ﴿**وإنّ ربك**﴾ إنّ واسمها ﴿**ليعلم**﴾ فعل مضارع دخل عليه لام التوكيد. والفاعل ضمير يعود على ربك. والجملة خبر إنّ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**تكن صدورهم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وما يعلنون**﴾ عطف على ما تُكِنّ صدروهم. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف. وما للنفي. ﴿**من غائبة**﴾ مبتدأ جر بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**في السماء**﴾ متعلق بمحذوف نعت للمبتدأ. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماء. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**في كتاب**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**مبين**﴾ نعت لكتاب. ﴿**إن هذا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**القرآن**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**يقص**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على القرآن. ﴿**على بني**﴾ متعلق بيقص. ﴿**إسرائيل**﴾ مضاف إلى بني. ﴿**أكثر**﴾ مفعول به. ﴿**الذي**﴾ في محل جر مضاف إلى أكثر. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فيه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يختلفون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدأ. والجملة من المبتدأ والخبر صلة

الموصول. ﴿وإنه﴾ إن واسمها. والواو للعطف ﴿لهدى﴾ خبر إن مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين خبر إنّ. ﴿ورحمة﴾ معطوف على هدى.

﴿للمؤمنين﴾ متعلق برحمة. ﴿إن ربك﴾ إنّ واسمها. ﴿يقضي﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ربك. والجملة خبر إن. ﴿بينهم بحكمه﴾ متعلقان بيقضي. ﴿وهو﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿العزيز العليم﴾ خَبَرَا المبتدأ. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿فتوكل﴾ فعل أمر مرتب على ما قبله. ﴿على الله﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿إنك﴾ إنّ واسمها. ﴿على الحق﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿المبين﴾ نعت للحق. ﴿إنك﴾ إنّ واسمها. ﴿لا تُسمع﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿الموتى﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿ولا تسمع الصم﴾ معطوف على قوله: لا تسمع الموتى. ﴿الدعاء﴾ مفعول ثان. ﴿إذا﴾ في محل نصب ظرف متعلق بلا تسمع. ﴿ولّوا﴾ فعل وفاعل. والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿مدبرين﴾ حال من الفاعل. ﴿وما﴾ الواو للعطف. وما للنفي تعمل عمل ليس. ﴿أنت﴾ في محل رفع اسم ما. ﴿بهادي﴾ اسم فاعل مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب خبر ما. ﴿العمي﴾ مضاف إلى هادي. ﴿عن ضلالتهم﴾ متعلق بهادى. ﴿إن تسمع﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿إلا﴾ ملغاة. ﴿مَنْ﴾ في محل نصب مفعول بتسمع. ﴿يؤمن﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. بآياتنا متعلق بيؤمن. ﴿فهم﴾ في محل رفع مبتدأ مرتب على ما قبله. ﴿مسلمون﴾ خبر المبتدأ. ﴿وإذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه. ﴿وقع القول﴾ فعل وفاعل. وهو فعل شرط إذا في محل جر بالإضافة. ﴿عليهم﴾ متعلق بوقع. ﴿أخرجنا﴾ فعل وفاعل. جواب شرط إذا. ﴿لهم﴾ متعلق بأخرجنا. ﴿دابّة﴾ مفعول بأخرجنا. ﴿من الأرض﴾ متعلق بمحذوف نعت لدابة. ﴿تكلمهم﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على دابة. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة تكلمهم في محل نصب حال من دابة. ﴿إن الناس﴾ إنّ واسمها. ﴿كانوا﴾ كان واسمها. ﴿بآياتنا﴾ متعلق بما بعده: ﴿لا يوقنون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر كان وكان واسمها وخبرها خبر إنّ. وإنّ واسمها وخبرها تعليل لما قبله. . ﴿ويوم﴾ ظرف منصوب متعلق بفعل مقدر. والتقدير:

واذكر يوم نحشر: ﴿**من كل**﴾ متعلق بنحشر: ﴿**أمة**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**فوجاً**﴾ مفعول بنحشر. ﴿**ممّن**﴾ بيان من قوله: من كل أمة فوجاً.

﴿**يكذب**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بيكذب. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يُوزَعون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل خبر المبتدأ. والفاء للتعقيب والترتيب. ﴿**حتى**﴾ ابتدائية. ﴿**إذا**﴾ ظرفية شرطية: ﴿**جاءوا**﴾ فعل وفاعل. وهو فعل شرط إذا. ﴿**قال:**﴾ جواب شرط إذا. ﴿**أكذبتم**﴾ فعل وفاعل. والهمزة للاستفهام. ﴿**بآياتي**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولم**﴾ الواو للحال. ولم حرف نفي وجزم وقلب. ﴿**تحيطوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لم الجازمة وعلامة جزمه حذف النون. ﴿**بها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**علماً**﴾ منصوب على التمييز. وجملة ولم تحيطوا بها علماً حال من الفاعل. ﴿**أم**﴾ حرف عطف. ﴿**ماذا**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم خبر المبتدأ. ﴿**ووقع القول عليهم**﴾ مثل قوله: وقع القول عليهم السابقة. ﴿**بما**﴾ ما﴾ مصدرية: ﴿**ظلموا**﴾ فعل وفاعل مؤول مع ما بمصدر مجرور بباء السببية متعلق بوقع. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب والترتيب. ﴿**لا ينطقون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدأ. ﴿**ألم يروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وهمزة الاستفهام. ﴿**أنا**﴾ وأنّ واسمها. ﴿**جعلنا الليل**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر أنّ.

وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بيروا. ﴿**ليسكنوا**﴾ فعل وفاعل. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**فيه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل. ﴿**مبصراً**﴾ مفعول ثان بجعلنا. ﴿**إنّ في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدّم. ﴿**لآيات**﴾ اسم إن مؤخر منصوب بالكسرة. واللام للتوكيد. ﴿**لقوم**﴾ متعلق بآيات. ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لقوم. ﴿**ويوم**﴾ معطوف على قوله: يوم نحشر. ﴿**ينفخ**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**في الصور**﴾ متعلق بينفخ. ﴿**ففزع من**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**ومن في الأرض**﴾ معطوف على مَنْ في السماوات. ﴿**إلا مَنَ**﴾ في محل نصب على الاستثناء بإلا. ﴿**شاء الله**﴾ فعل

وفاعل. والجملة صلة مَنْ. ﴿**وكل**﴾ مبتدأ. والتنوين عوض عن المضاف إليه. ﴿**آتُوه**﴾ خبر المبتدأ مرفوع بالواو. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**داخرين**﴾ حال من ضمير آتوه المقدر.

﴿**وترى**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الجبال**﴾ مفعول بترى. ﴿**تحسبها**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**جامدة**﴾ مفعول ثان. ﴿**وهي**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للحال ﴿**تمر**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الجبال. والجملة حال من الجبال. ﴿**مرّ**﴾ مفعول مطلق. ﴿**السحاب**﴾ مضاف إلى المصدر. ﴿**صنع**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى صنع. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت لله. ﴿**أتقن**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة الموصول. ﴿**كلَّ**﴾ مفعول بأتقن ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**خبير**﴾ خبر إنّ. ﴿**بما**﴾ متعلق بخبير. ﴿**تفعلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**مَنْ**﴾ اسم شرط. ﴿**جاء**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة فعل شرط مَنْ. ﴿**بالحسنة**﴾ متعلق بجاء. ﴿**فله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**خير**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**منها**﴾ متعلق بخير. وجملة فله خير منها جواب شرط مَنْ. والرابط الفاء. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ ﴿**من فزع**﴾ متعلق بما بعده ﴿**يومئذ**﴾ مضاف إلى فزع. ﴿**آمنون**﴾ خبر المبتدأ. والجملة حالية. ﴿**ومن جاء بالسيئة**﴾ معطوف على من جاء بالحسنة. وهو مثله في الإعراب ﴿**فكبت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**وجوهُهم**﴾ نائب الفاعل. ﴿**في النار**﴾ متعلق بكبت. وجملة فكبت وجوههم في النار مرتب على جواب الشرط المقدر. والتقدير: ومن جاء بالسيئة فله النار فكبت وجوههم فيها. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام مراد به النفي. ﴿**تجزون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل. إلا استثناء مفرّغ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول بتجزون. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**أمرتُ**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير المتكلم. ﴿**أن أعبد**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**ربَّ**﴾ مفعول بأعبد. ﴿**هذه**﴾ في محل جر مضاف إلى رب. ﴿**البلدة**﴾ عطف بيان لهذه. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت لرب. ﴿**حرمها**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة حرمها صلة الموصول. وأن وما دخلت

عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة. متعلق بأمرت. أي: أمرت بعبادة رب هذه... ﴿وله﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿كلُّ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿شيء﴾ مضاف إلى كل. ﴿وأمرت أن أكون﴾ معطوف على أمرت أن أعبد. وهو مثله في الإعراب. ﴿من المسلمين﴾ متعلق بمحذوف خبر أكون. واسمها ضمير المتكلم. ﴿وأن أتلو﴾ معطوف على أن أكون. ﴿القرآن﴾ مفعول بأتلو. ﴿فمن اهتدى﴾ فعل ماض دخلت عليه أداة الشرط وفاء التعقيب. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿فإنما يهتدي﴾ فعل مضارع دخلت عليه أداة الحصر وفاء الربط. والفاعل ضمير من اهتدى. ﴿لنفسه﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿ومن ضل﴾ معطوف على من اهتدى. ﴿فقل: إنما أنا﴾ في محل رفع مبتدأ دخلت عليه أداة الحصر وفاء الربط. والجملة دلت على جواب الشرط. ﴿من المنذرين﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة مقول القول. ﴿وقل: الحمد لله﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿سيريكم﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿آياته﴾ مفعول ثان. ﴿فتعرفونها﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة رتبت على ما قبلها بالفاء. ﴿وما ربُك﴾ اسم ما. ﴿بغافل﴾ خبرها جرّ بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿عما﴾ متعلق بغافل. ﴿تعملون﴾ صلة ما.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿قل: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾. فمناسبة هذا الكلام لما قبله يتضح فيما يلي: لمّا قصّ الله تعالى على رسوله محمد ﷺ قصص الأنبياء المذكورين في هذه السورة والتي قبلها. وبين أخبارهم الناطقة بكمال قدرته، وعظم شأنه ـ سبحانه وتعالى ـ وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة. الدالّة على جلالة أقدراهم، وصحة أخبارهم وبيّن على ألسنتهم حقّيّة الإسلام والتوحيد، وبطلان الكفر والإشراك وأن من اقتدى بهم فقد اهتدى. ومن أعرض عنهم فقد تردّى في مهاوي الردى؛ وشرح صدره ـ عليه الصلاة والسلام ـ بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية، ونوّر قلبه بأنوار الملكات السبحانية، الفائضة من عالم القدس؛ وقرر بذلك ما نطقت به الآية القرآنية: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾؛ أمر الله رسوله بأن يحمده تعالى على ما أفاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها لطامع، ولا مطمح

من دونها لطامح. وأمره بأن يسلم على كافة الأنبياء الذين من جملتهم الذين قُصّت عليه أخبارهم التي هي من جملة المعارف التي أوحيت إليه، أداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين. واستوفى عرض الاعتبار بالإنذار حقه بذكر عواقب بعض الأمم التي كذبت الرسل، وهي أشبه أحوالاً بأحوال المكذبين بمحمد ﷺ وبالكتاب الذي أنزل عليه... فجملة هذا الكلام استئناف منفصل عما قبله بلا عطف. وجملة **﴿آلله خير أم ما تشركون﴾** استفهام مستعمل في الإلجاء وإلزام المخاطب بالإقرار بالحق، وتنبيهه على خطئه.

وهذا دليل إجمالي يُقصد به ابتداء النظر في التحقيق بالإلهية والعبادة. والاستفهام هنا على حقيقته بقرينة وجود أم المعادلة للهمزة فإن التهكم يبنى على الاستعمال الحقيقي؛ كما هو معلوم عند علماء البلاغة. وهذا الكلام كالمقدمة للأدلة الآتية: **﴿أمن خلق السماوات والأرض...﴾** الخ: أم منقطعة بمعنى بل، وهي للإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض، مع مراعاة وجود معنى الاستفهام. انتقل بهذا الإضراب من الاستفهام الحقيقي التهكمي إلى الاستفهام التقريري ومن المقدمة الإجمالية إلى الغرض المقصود. وهو الاستدلال. والخطاب في لكم في قوله: **﴿وأنزل لكم..﴾** موجّه إلى المشركين، للتعريض بأنهم ما شكروا نعمة الله. وتقديم صلتي الإنزال - لكم من السماء - على مفعوله - ماءً - تشويق للمؤخر. وجملة **﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾** مرتبة على قوله **﴿وأنزل لكم من السماء ماء﴾**، جيء بها لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى، والإيذان بأن إنبات تلك الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال، مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه إلا الله وحده، حسبما ينبيء عنه تقييدها بقوله تعالى: **﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾**. وجملة **﴿أإله مع الله﴾** استئناف. وهو كالنتيجة للجملة قبلها. والاستفهام إنكاري وبل في قوله: **﴿بل هم قوم يعدلون﴾** للإضراب عن الاستفهام الإنكاري تفيد معنى لكن باعتبار ما تضمنه الإنكار من انتفاء أن يكون مع الله إله. فكان حق الناس أن لا يشركوا معه في الألوهية غيره.. فجيء بالاستدراك؛ لأن المخاطبين بقوله: **﴿أنزل لكم.. وما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾** لم ينتفعوا بالدليل؛ مع أنه دليل واضح مكشوف.. فهم مكابرون بإعراضهم عن الاهتداء بهذا الدليل. ولمّا كانت تلك الدلالة أوضح الدلالات المحسوسة الدالة على انفراد الله بالخلق، وصف

الذين أشركوا مع الله غيره بأنهم معرضون إعراض مكابرة، عدولاً عن الحق الواضح. والإخبار عنهم بالمضارع ـ يعدلون ـ لإفادة أنهم مستمرون على شركهم، لم يستنيروا بدليل العقل، ولا أقلعوا بعد التذكير بدليل النقل. وفي الإخبار عنهم بأنهم قوم، إيماء إلى تمكّن صفة العدول عن الحق منهم حتى كأنها من مقومات قوميتهم. ﴿**أم مّن جعل الأرض قراراً**﴾: أم مثل أم السابقة.

وهذا انتقال من الاستدلال المشوب بالامتنان إلى الاستدلال بدلائل قدرته وعلمه. ووصف الأرض بالقرار للمبالغة. وهذا تدبير عجيب. ولا يدرك تمام هذا الصنع العجيب إلا عند العلم بأنّ هذه الأرض سابحة في الهواء متحركة في كل لحظة، وهي مع ذلك قارة فيما يبدو لسكانها.. فهذا تدبير أعجب! وفيه مع ذلك رحمة ونعمة. ومع جعلها قراراً شق فيها الأنهار فجعلها خلالها. ﴿**وجعل لها رواسي.. وجعل بين البحرين حاجزاً..**﴾ فجَعْل الحاجز بين البحرين من بديع الحكمة. وهو حاجز معنويّ حاصل من دفع كِلاَ الماءين أحدِهما الآخر عن الاختلاط به بسبب تفاوت الثقل النسبي لاختلاف الأجزاء المركب منها: الماء المالح والماء العذب. والحاجز حاجز من طبعهما. وليس جسماً آخر فاصلاً بينهما. وهذا الجعل كناية عن خلق البحرين أيضاً؛ لأن الحجز بينهما يقتضي خلقَهما، وخلق الملوحة والعذوبة فيهما.. ثم ذيّل بالاستفهام الإنكاري وبالاستدلال بجملة مماثلة لما ذيل به الاستدلال الذي قبلها على طريقة التكرير تعديداً للإنكار وتمهيداً للتوبيخ: ﴿**أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون..!! أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض**﴾: ارتقى السياق بالاستدلال من التذكير بالتصرف الرباني في ذوات المخلوقات إلى التذكير بتصرفه في أحوال الناس التي لا يخلو عنها أحد في بعض شؤون الحياة. وذلك حال الاضطرار إلى تحصيل الخير، وحال انتياب السوء، وحال التصرف في الأرض ومنافعها. فهذه ثلاثة الأنواع لأحوال الناس وهي حالة الاحتياج، وحالة البؤس، وحالة الانتفاع.. فحالة الاحتياج أشير إليها بقوله: ﴿**أمّن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾. وحالة البؤس هي المشار إليها بقوله: ﴿**ويكشف السوء**﴾. وحالة الانتفاع هي المشار إليها بقوله: ﴿**ويجعلكم خلفاء الأرض**﴾. وقد جمعت الآية الإشارة إلى مراتب المناسب. وهو ما يجلب نفعاً، أو يدفع ضرراً. وهو من مسالك العلة في أصول الفقه. ولِما اقتضته الخلافة من تجدُّد الأبناء عقب الآباء، والأجيال بعد

الأجيال، وما اقتضته الاستجابة وكشف السوء من كثرة الداعين والمستائين عبّر في أفعال الجعل التي تعلقت بصيغة المضارع الدال على التجدد، بخلاف أفعال الجعل الأربعة التي في الآية قبلها..

ثم استؤنف عقب هذا الاستدلال باستفهام إنكاري تكريراً لما تقدم عقب الأدلة السابقة زيادة في تعداد خطئهم بقوله: ﴿**أإله مع الله قليلاً ما تذكّرون**﴾. والقليل هنا مكنًّى به عن المعدوم. والكناية بالقليل عن المعدوم مستعملة في كلام العرب. وهذه الكناية تلميح وتعريض. ﴿**أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرًا بَيْنَ يدي رحمته**﴾: هذا الكلام انتقال من نوع دلائل التصرف في أحوال عامة الناس إلى دلائل التصرف في أحوال المسافرين منهم في البر والبحر.. فإنهم أدرى بهذه الأحوال وأقدر لما في خلالها من النعمة والامتنان. ولهذه المناسبة أدمج الامتنان بفوائد الرياح في إثارة السحاب الذي به المطر. وذيل هذا الدليل بتنزيه الله تعالى عن إشراكهم معه آلهة؛ لأن هذا خاتمة الاستدلال عليهم بما لا ينازعون في أنه من تصرف الله.. فجيء بعده بالتنزيه عن الشرك كله: ﴿**أإله مع الله تعالى الله عما يشركون**﴾. وذلك تصريح بما أشارت إليه التذييلات السابقة ﴿**أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض**﴾: هذا انتقال إلى الاستدلال بتصرف الله تعالى بالحياة الأولى والثانية، وبإعطاء المدد لدوام الحياة الأولى مدّة مقدّرة. وفيه تذكير بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد. والاستفهام تقريري؛ لأنهم لا ينكرون أن الله يبدأ الخلق وأنه يرزقهم. وأدمج في خلال الاستفهام قوله: ثم يعيده؛ لأن تسليم بدئِه الخلق يلجئهم إلى فهم إمكان إعادة الخلق التي أحالوها. وإذ قد كانوا منكرين للبعث ذُيّلت الآية بأمر التعجيز بالإتيان ببرهان على عدم البعث: ﴿**أإله مع الله قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله**﴾: لما أبطلت الآيات السابقة إلهية أصنام المشركين بالأدلة المتظاهرة فانقطع دابر عقيدة الإشراك، ثَنى عِنانَ الإبطال إلى أثر من آثار الشرك، وهو ادعاء علم الغيب بالكهانة ودعوى أخبار الجن، كما كان يزعمه الكهّان والعرّافون وسدنة الأصنام.. فأبطلت الآية هذه المزاعم إبطالاً عاماً معياره الاستثناء بقوله: ﴿**إلا الله**﴾. والقصد هنا تزييف آثار الشرك؛ وهو الكهانة ونحوها.. وإذ قد كانت المخلوقات لا تعدو أن تكون من أهل السماوات ومن أهل الأرض لانحصار عالم الموجودات في ذلك، كان

قوله: لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب في قوّة لا يعلم أحدٌ الغيبَ..

ولكن أطنب الكلام لقصد التنصيص على تعميم المخلوقات كلها؛ فإن مقام علم العقيدة مقام بيان، يناسبه الإطناب. وأردف هذا الخبر بإدماج انتفاء علم هؤلاء الغيب الزاعمين علم الغيب أنهم لا يشعرون بوقت بعثهم.. وجملة ﴿**بل ادّارك علمهم في الآخرة**﴾ انتقال من الإخبار عنهم بعدم شعورهم بوقت بعثهم إلى وصف علمهم بالآخرة التي هي البعث من أول أحوالها، بأنه متتابع بعضه إثر بعض منحط في الحضيض بسبب الجهل وعدم الشعور. وتوارث ذلك الخلفُ عن السلف وهو إنكار الجميع بالبعث. وجملة ﴿**بل هم في شك منها**﴾ إضراب انتقالٍ للارتقاء من كونهم غير عالمين إلى كونهم شاكين حيث حكموا على المجهول بالشك فيه. وهذا هو الجهل المركب!. ﴿**بل هم منها عمون**﴾: ارتقاء ثالث وهو آخر درجات الارتقاء في إثبات ضلالاتهم. وهو أنهم عميان عن شأن الآخرة أصلاً. وترتيب هذه الإضرابات الثلاثة ترتيب لتنزيل أحوالهم.. فوصفوا أولاً بأنهم لا يشعرون بوقت البعث.. ثم بأنهم تلقفوا في شأن الآخرة. التي البعث من شؤونها علماً مضطرباً وجهلاً مركباً فخبطوا في شك ومِرْية.. فأعقبهم عمى وضلالة، بحيث إن هذه الانتقالات متتابعة متداركة بعضها إثر بعض في الانحطاط والغباوة والجهل والضلال!. ﴿**وقال الذين كفروا إذا كنا تراباً وآباؤنا أإنا لمخرجون**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على ما قبلها زيادة بيان لجهل عموم الكفرة بالآخرة وإنكارهم لها.. والتعبير باسم الموصول ـ الذين ـ لما فيه من الإيماء إلى علة قولهم هذه المقالة؛ وهي ما أفادته الصلة ـ كفروا ـ من كونهم كافرين. وقولهم: إذا كنا.. ظرف مقدم على عامله. والمستفهم عنه هو أإنا لمخرجون!. وجملة ﴿**لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل**﴾: استئناف مسوق لتقرير الإنكار. وتصديرها بالقسم وحرف التحقيق ـ لقد ـ لمزيد التأكيد. وقولهم: ﴿**إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾ تقرير إثر تقرير. وقد قصروا القرآن على كونه أساطير الأولين. ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**﴾. فُصلت هذه الآية فلم تعطف؛ لأنها رد على مقالتهم التي في الآية السابقة. وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين توضيح لسبب عاقبتهم السيئة. ﴿**ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون**﴾: الآية موصولة بالعطف على ما قبلها تسلية للرسول ـ ﷺ. ﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾: هذه الآية معطوفة

على آية ﴿**وقال الذين كفروا إذا كنا تراباً. .**﴾ والتعبير هنا بالمضارع ـ يقولون ـ للدلالة على تجدد القول منهم. والاستفهام ـ متى ـ تهكم منهم بقرينة إن كنتم صادقين. ﴿**قل: عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون**﴾: أمر الله رسوله بالجواب على قولهم؛ لأن هذا من علم الغيب.

والجواب جار على أسلوب الحكيم بحمل استفاهمهم على حقيقة الاستفهام تنبيهاً على أن حقهم أن يسألوا عن وقت الوعيد ليتقدموه بالإيمان. وعسى للرجاء. وهو مستعمل في التقريب مع التحقيق. وردف لكم متضمّن معنى اقترب. ﴿**وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون**﴾: موقع هذه الآية موقع الاستدراك على قوله: ﴿**عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون**﴾. والتعبير بذو فضل يدل على أن الفضل من شؤونه تعالى. وتنكير فضلٍ للتعظيم. والتأكيد بإن وإضافة الرب إلى ضمير الرسول ـ ربك ـ واللام ـ لذو ـ منظور فيه إلى حال الناس، لا إلى حال الرسول. . فالتأكيد واقع موقع التعريض بهم لقرينة قوله: ﴿**ولكن أكثرهم لا يشكرون**﴾. ولكنّ استدراك ناشيء عن عموم الفضل منه تعالى. . فإن عمومه وتكرره يستحق بأن يعلمه الناس فيشكروه. ﴿**وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون**﴾: عطفت هذه الآية على الآية التي قبلها، لوقوعها موقع التوضيح والبيان؛ لأن قوله: ﴿**وإن ربك لذو فضل**﴾. . يُثِير سؤالاً في نفوس المؤمنين بأن يقولوا: إنّ هؤلاء المكذبين قد أضمروا المكر، وأعلنوا الاستهزاء. . فحالهم لا يقتضى إمهالهم. . فيجاب بأن الذي أمهلهم مطلع على ما في صدورهم وما أعلنوه، وإنه أمهلهم مع علمه بهم لحكمة يعلمها. وإسناد لكنّ إلى الصدور مجاز عقلي؛ باعتبار أن الصدور مكانه. ﴿**وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على الآية التي قبلها. وهي في معنى التذييل المقرر لما قبلها والكتاب يعبر به عن علم الله تعالى الشامل لكل شيء. واستعير له لفظ كتاب مبين؛ لما فيه من التحقق وعدم قبول التغيير. ﴿**إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**﴾: هذا إبطال لقول الذين كفروا: ﴿**إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾. وله مناسبة بقوله تعالى: ﴿**وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين**﴾؛ لأن القرآن وحي من عند الله تعالى إلى رسوله محمد ﷺ فكل ما فيه فهو من آثار علم الله. . فإذا أراد الله تعليم المسلمين شيئاً مما يشتمل عليه القرآن، فهو العلم الحق إذا بلغت الأفهام إلى

إدراك المراد منه على حسب مراتب الدلالة التي أصولها في علم العربية وفي علم أصول الفقه.

ومن ذلك ما اشتمل عليه القرآن من تحقيق أمور الشرائع الماضية والأمم الغابرة مما خبطت فيه كتب اليهود خبطاً، من جراء ما طرأ على كتبهم من التشتت والتلاشي وسوء النقل من لغة إلى لغة في عصور انحطاطهم السياسي والاجتماعي.. ففي القرآن من الأصول الصريحة في حقيقة الألوهية مما يكشف سوء تأويل اليهود لكلمات كتابهم في متشابه التجسيم ونحوه.. فإنك لا تجد فيما كتب اليهود ما يساوي قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء..**﴾ فموقع قوله تعالى: ﴿**إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**﴾ استكمال نواحِي هدْي القرآنِ لجميع الأمم.. فإن السورة افتتحت بأنه هدى وبشرى للمؤمنين، وأن المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة يعمهون في ضلالهم.. فلم ينتفعوا بهديه. واستكملت هذه الآية ما جاء به من هدى بني إسرائيل لما يُهِمّ مما اختلفوا فيه.. ﴿**وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين..**﴾ فهذا راجع إلى قوله تعالى في مطلع السورة: ﴿**هدى وبشرى للمؤمنين**﴾. ذكر هنا لاستيعاب جهات الهدى من كون القرآن بشرى ورحمة.. ﴿**إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم**﴾: هذه الآية مستأنفة مبيّنة لما سبق من اختلاف الناس في القرآن.. فمنهم المهتدي به.. ومنهم المعرض الطاعن فيه.. فالله يقضي بينهم بحكمه العادل الذي لا يُردّ، المبْني على العلم والحكمة. ﴿**فتوكل على الله**﴾: فرّعت الفاء على الإخبار بأن رب الرسول يقضي بين المختلفين في شأن القرآن، أمراً للرسول بأن يطمئنّ بَالاً، ويتوكل على ربه فيما يقضي به.. فإنَّه يقضي له بحقه، وعلى معانده بما يستحقه.. فالأمر بالتوكل مستعمل في كنايته وصريحِهِ.. فإنّ من لازمه أنه أدّى رسالة ربه، وأنّ إعراض المعرضين عن أمر الله ليس تقصيراً من الرسول. وصيغة التفعل للمبالغة. وقد وقعت جملة ﴿**إنك على الحق المبين**﴾ موقعاً لم يخاطب الله تعالى أحداً من رسله بمثله.. فكان ذلك شهادة لرسوله بالعظمة الكاملة، المنزهة عن كل نقص؛ لما دل عليه حرف على من التمكّن، وما دل عليه وصف مبين من الوضوح والنهوض. وجاءت جملة ﴿**إنك على الحق المبين**﴾ مجيء التعليل للأمر بالتوكّل على الله، إشعاراً بأنه على الحق.. فلا يترقب عن توكله على الحكم العدل إلا أن يكون حكمه في تأييده ونفعه، وجيء في فعل التوكل بعنوان اسم

الله؛ لأن ذلك الاسم يتضمّن معاني الكمال كلها، ومن أعلاها العدل في القضاء، ونصر المحق.

﴿إنّك لا تسمع الموتى ولا تُسمع الصمَّ الدعاءَ إذا ولَّوْا مدبرين﴾: هذا استئناف بياني جواباً عما يخطر في بال السامع عقب قوله: **﴿إنك على الحق المبين﴾**، من التساؤل عن إعراض أهل الشرك لما عليه الرسول من الحق المبين. وهو أيضاً تعليل آخر للأمر بالتوكل على الله بالنظر إلى مدلوله الكنائي. وهذا عذر للرسول وتسلية له. ولكونها تعليلاً لجانب من التركيب، وهو الجانب الكنائي غير الذي علل بجملة إنك على الحق المبين. لم تعطف هذه الجملة على التي قبلها، تنبيهاً على استقلالها بالتعليل. والموتى والصُّمّ مستعاران للقوم الذين لا يقبلون القول الحق، ويكابرون مَنْ يقوله لهم. شُبّهوا بالموتى على طريقة الاستعارة في انتفاء فهمهم معاني القرآن. وشبّهوا بالصمّ كذلك في انتفاء أثر بلاغة ألفاظه عن نفوسهم. وللقرآن أثران: أحدهما ما يشتمل عليه من المعاني المقبولة لدى أهل العقول السليمة. وهي المعاني التي يدركها ويسلّم لها من تبلغ إليه، ولو بطريق الترجمة، بحيث يستوي في إدراكها العربي والعجمي. وهذا أثر عقلي. والأثر الثاني دلالة نظمه وبلاغته على أنه خارج عن مقدرة بلغاء العرب. وهذا أثر لفظي. وهو دليل الإعجاز. وهو خاص بالعرب مباشرة، وحاصل لغيرهم من أهل النظر والتأمل إذا تدبّروا في عجز البلغاء من أهل اللسان الذي جاء به القرآن.. فهؤلاء يوقنون بأن عجز بلغاء أهل ذلك اللسان عن معارضته دال على أنه فوق مقدرتهم. وتقييد الصم بزمان توليهم مدبرين؛ لأن تلك الحالة أوغل في انتفاء إسماعهم؛ لأنّ الأصمّ إذا كان مواجهاً للمتكلم قد يسمع بعض الكلام بالصراخ، ويستفيد بقيته بحركة الشفتين. أما إذا ولّى مدبراً فقد ابتعد عن الصوت ولم يلاحظ حركة الشفتين.. فذلك أبعد له عن السمع.

وكرّر تشبيه المشركين في إعراضهم عن الحق بقوله: **﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾**، بأن شبّهوا بالعُمي بعد أن شبّهوا بالموتى والصمّ على طريقة الاستعارة إطناباً في تشنيع حالهم الموصوفة على ما هو المعروف عند البلغاء في تكرير التشبيه. وحسن هذا التكرير هنا ما بين التشبيهين من الفروق مع اتّحاد الغاية.. فإنهم شبّهوا بالموتى في انتفاء إدراك المعاني الذي يتمتع به العقلاء..

وبالصمّ في انتفاء إدراك بلاغة الكلام الذي يضطلع به بلغاء العرب. . وشبهوا ثالثاً بالعُمْى في انتفاء التمييز بين طريق الهدى وطريق الضلال مِن حيث إنهم لم يتّبعوا هدى دين الإسلام. وعدل في الجملة الأخيرة عن صيغتي النّفْيَيْنِ السابقين إلى تسليط النفي هنا على جملة اسمية للدلالة على ثبات النفي. وأكّد ذلك الثبات بالباء المزيدة لتأكيد النفي. ووجه إيثار هذه الجملة بهذين التحقيقين هو أنه لما أفضى الكلام إلى نفي اهتدائهم، وكان اهتداؤهم غاية مطمع الرسول، كان المقام مشعراً ببقيّة من طمعه في اهتدائهم حرصاً عليهم فأكّد له ما يُقلِع طمعه إقلاعاً نهائياً. وقوله: ﴿**إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا**﴾، استئناف بياني لترقب السامع معرفة مَنْ يهتدون بالقرآن. وأوثر التعبير بالمضارع في قوله: مَنْ يؤمن. . ليشمل من آمنوا من قبل. . فيفيد المضارعُ استمرار إيمانهم، ومن سيؤمنون من بعدُ. . وقد ظهر من التقسيم الحاصل من قوله: ﴿**إنك لا تسمع الموتى. .**﴾ إلى هنا: أن الناس قسمان: منهم من طبع الله على قلبه وعلم أنه لا يؤمن. ومنهم من أحياه الله وفتح سمعه وبصره فعرف وسمع ورأى فهو مسلم. . فجملة فهم مسلمون مفرعة على ما قبلها، مفيدة للدوام والثبات؛ لأنهم إذا آمنوا فقد صار الإسلام راسخاً فيهم ومتمكناً منهم. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على قوله: ﴿**إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون. وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم. .**﴾ إلى قوله: ﴿**إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون وإذا وقع القول عليهم. .**﴾ الخ الآية. إنه وعيد قد وقع في هذا الزمان، بأن أخرج الله للناس دابة من الأرض من الحديد والنحاس والفحم والنفط تحطم الأجسام وتقطع الأنام بما لها من سرعة الحركة وقوة الاصطدام!!

﴿**إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. .**﴾ فقد تركوا القرآن وراءهم ظهرياً، وتمسكوا بما حذرهم منه. . فكان ما قضاه الله أمراً مقضياً. ﴿**ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون**﴾: هذا الكلام متصل بالعطف على ما قبله. ولما كان أكثر الناس لا يوقنون بآيات القرآن، ولا يؤمنون بيوم الحساب الذي أكّد وقوعه بالحجة والبرهان، وانهمكوا في شهوات الدنيا. . حتى وقع

عليهم القول في العاجل فأصابتهم المصائب بسبب ما ارتكبوا من القبائح والرذائل! : ذكّرهم بيوم الحشر حين يحشر من كل أمة جماعةً كانوا في الدنيا زعماء الضلال وقادة المكذبين بوعيد الله الذي حذّرت منه الآيات التي كذبوا بها، واستهزأوا بمن أخبرهم بها.. فهاهم أولئك يحشرون في مقدمة المكذبين مهانين مأسورين مساقين إلى العذاب المهين!.. ﴿**حتى إذا جاءوا**﴾: على هذه الحالة، ﴿**قال: أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً؟!.. أم ماذا كنتم تعملون**﴾؟!!.. فهذا الكلام تبكيت وتوبيخ وإهانة، جزاءً لما كانوا فيه في الدنيا من العناد والاستكبار والطغيان والفساد!. ﴿**ووقع القول عليهم بما ظلموا.. فهم لا ينطقون**﴾: هذا نهاية ما وقع عليهم من القول. وهو العذاب الدائم في جهنم بسبب ما ارتكبوا من الظلم والفساد والكفر والمآثم! وجملة فهم لا ينطقون مفرعة على جملة ووقع القول عليهم بما ظلموا.. فلا كلام ولا اعتذار ولا إنكار.. ﴿**هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون**﴾ ﴿**ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا**﴾؟!: فصلت هذه الآية ولم تعطف على ما قبلها؛ لأنها جاءت معترضة بين آية: ﴿**ووقع القول عليهم...**﴾ وبين آية ﴿**ويوم ينفخ في الصور**﴾؛ ليتخلل الوعيد بالاستدلال، فتكون الدعوة إلى الحق بالإرهاب تارة، وباستدعاء النظر تارة أخرى، والاستفهام مستعمل كناية عن التعجيب من حالهم؛ لأنها لغرابتها تستلزم سؤال من يسأل عن عدم رؤيتهم فهذه علاقة أو مسوغ استعمال الاستفهام في التعجيب... فهذا الكلام تذكير بدلائل التوحيد، حيث إنهم أشركوا بالله مع وجود الدلائل الملازمة لهم طول حياتهم تخطر ببالهم مرتين كل يوم على الأقل.

وتلك هي آية اختلاف الليل والنهار الدالة على انفراد الله تعالى بالتصرف في هذا العالم. وتذكير أيضاً لتمثيل الموت والحياة بعده بسكون الليل وانبثاق النهار عقبه. وجملة ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾ تعليل للتعجيب من حالهم؛ إذ لم يستدلوا باختلاف الليل والنهار على الوحدانية ولا على البعث. وفي جليل تلك الآيات ودقيقها عدّة آيات... فهذا وجه جعل ذلك آيات، ولم تُجعل آيتين ومعنى لقوم يؤمنون: لناس شأنهم الإيمان والاعتراف بالحجة والبرهان. ولذلك جعل الإيمان صفة جارية على قوم. ويكون الإيمان مقصوداً به أنه مرجوّ منهم، جيء فيه بصيغة المضارع. ﴿**ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل آتوه داخرين**﴾: اتصلت هذه الآية بالعطف على آية

﴿**ويوم نحشر من كل أمة فوجاً**. . .﴾ عطف عام على خاص. ولعل تأخير بيان الأحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل أمة؛ لتثنية التهويل بتكرير التذكير إيذانًا بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء، حقيقة بالتذكير على حيالها. ولو روعي الترغيب الوقوعي لربما توهم أن الكل داهية واحدة قد أمر بذكرها والنفخ في الصور تقريب لكيفية صدور الأمر التكويني لإحياء الأموات. والاستثناء مجمل، بيّنه قولُه تعالى بعد: ﴿**من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون**﴾. وقوله: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون. لا يحزنهم الفزع الأكبر**. . .﴾ وجيء بصيغة الماضي في قوله: ففزع، مع أن النفخ مستقبل للإشعار بتحقق الفزع وأنه واقع لا محالة. ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب**﴾: هذا استدلال على قدرة الله ووحدانيته بالتصرف في الجبال؛ مثل قوله تعالى: ﴿**أو لم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً**﴾. خص الخطاب فيه بالرسول تعليماً له؛ لمعنى يدرك هو كُنْهَهُ. أطلعه الله على هذا السر العجيب في نظام الأرض. اختص الله رسوله بعلم ذلك في وقته، وائتمنه على علمه بهذا السر العجيب في قرآنه ولم يأمره بتبليغه؛ إذ لا يتعلق بعلمه للناس مصلحة حينئذ، حتى إذا كشف العلم عنه من نقابه، وجد أهل القرآن ذلك حقاً في كتابه، فاستلوا سيفَ الحجة به، وكان في قرابه. وهذا التأويل للآية هو الذي يساعد قوله: ﴿**وترى الجبال**. . .﴾ المقتضى أن الرائي يراها في هيئة الساكنة.

وقوله بعد ذلك كله: ﴿**صنع الله الذي أتقن كل شيء**﴾، المقتضى أنّه اعتبار بحالة نظامها المألوف، لا بحالة انخرام النظام؛ لأن خَرْم النظام لا يناسب وصفه بالصنع المُتْقَن. . . ولكنه يوصف بالأمر العظيم أو نحو ذلك من أحوال الآخرة التي لا تدخل تحت التصور. وانتصب قوله: ﴿**صنع الله**﴾ على المصدرية مؤكدًا لمضمون جملة تمر مر السحاب بتقدير: صنَعَ اللهُ ذلك صُنعاً. وهذا المجيد لهذا النظام العجيب؛ إذ تتحرك الأجسام العظيمة مسافات شاسعة، والناس يحسّونها قارّة ثابتة، وهي تتحرك بهم ولا يشعرون. ووصف الله ﴿**بالذي أتقن كل شيء**﴾ تعميم قصد به التذييل. وجملة ﴿**إنه خبير بما تفعلون**﴾ تذييل في آخر الكلام للتذكير والوعظ لأنه إتقان الصنع أثر من آثار سعة العلم. . . ﴿**من جاء بالحسنة فله**

خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون. ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزونَ إلا ما كنتم تعملون﴾: هذه الآية تفصيل وبيان لقوله تعالى: ﴿**ففزع...**﴾ والمجيء مستعمل في حقيقته. والباء في قوله بالحسنة وبالسيئة للمصاحبة المجازية... وخير منها: اسم تفضيل اتصلت به. مِنْ التفضيلية؛ لقوله تعالى: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾؛ ولأنّ الحسنة من فعل العبد، والجزاء عليها من عطاء الله. وقوله تعالى: ﴿**وهم من فزع يومئذ آمنون**﴾ تبيين لقوله السابق: ﴿**إلاّ من شاء الله**﴾. وهؤلاء هم الذين كانوا أهل الحسنات. ومدار الإضافة في قوله: ﴿**من فزعِ يومئذٍ...**﴾ كون الفزع أعظم الأفزاع وأكبرها؛ كأنَّ ما عداه ليس بفزع بالنسبة إليه. وجملة ﴿**ومن جاء بالسيئة فكبّت وجوههم في النار**﴾: مقابلة من جاء بالحسنة... وعدّىَ الكبُّ في هذه الآية إلى الوجوه؛ دون بقية الجسد؛ لأن الوجوه أول ما يقلب إلى الأرض عند الكبّ. وهي إهانة لأصحابها. وقوله: ﴿**هل تجزون إلا ما كنتم تعَمَلون**﴾ تذييل مقرر لمضمون الزواجر المتقدمة. والخطاب للمشركين الذين يسمعون القرآن على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب... فكانت هذه الجملة كالتلخيص لما تقدم؛ وهو أن الجزاء على حسب أعمالهم. والاستفهام في معنى النفي لقرينة الاستثناء. ﴿**إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها**﴾: أتت هذه السورة على كثير من مطاعن المشركين في القرآن وفيما جاء به من أصول الإسلام من التوحيد والبعث والوعيد بأفانين من التصريح والتضمن والتعريض بأحوال المكذبين السالفين؛ مفِصّلاً ذلك تفصيلاً، ابتداء من قوله: ﴿**تلك آيات القرآن وكتاب مبين. هدى وبشرى للمؤمنين...**﴾ إلى هنا... فلما كان في خلال ذلك إلحاحهم على الرسول أن يأتيهم بما وعدهم... أو أن يعين لهم أجَلَ ذلك... ﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين...**﴾ وأتت على دحْض مطاعنهم وتعللاتهم وتوركهم بمختلف الأدلّة قياساً وتمثيلاً... وثبّت الله رسوله بضروب من التثبيت؛ ابتداء من قوله: ﴿**إذ قال موسى لأهله...**﴾ وقوله: ﴿**فتوكل على الله إنك على الحق المبين...**﴾ وما صاحب ذلك من ذكر مَا لقيه الرسل السابقون.

بعد ذلك كله استؤنف الكلام ليكون فذلكة الحساب، وختاماً للسورة، وفصلَ الخطاب، أفسد به على المشركين ازدهاءهم بما يحسبونه أنهم أفحموا الرسول بما ألقوا عليه؛ ويطيرُ غُرابَ غرورهم بما نظموه من سفسطة، وجاءوا به من

خليطة. . . ويزيد الرسول تثبيتاً وتطميناً بأنه أرْضَى ربَّه بأداء أمانة التبليغ. وذلك بأن أمر الرسول أن يقول لهم: **﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها. . .﴾** فهذا تلقين للرسول. والجملة مقول قول محذوف؛ دل عليه ما عطف عليه في هذه الآية مرتين: وهو **﴿فقل إنما أنا من المنذرين، وقل الحمد لله. . .﴾** فإنّ الأول مفرع عليه، فهو متصل به، والثاني معطوف على أول الكلام. وافتتح الكلام بأداة الحصر ـ إنما ـ لإفادة حصر إضافي باعتبار ما تضمنته محاوراتهم السابقة من طلب تعجيل الوعيد، وما تطاولوا به من إنكار الحشر. . . وقد أدمج من خلال هذا، تنويها بشأن مكة، وتعريضاً لهم بكفرهم بالذي أسكنهم بها وحرّمها؛ فانتفعوا لتحريمها. وتعقيب هذا الجملة: **﴿وله كل شيء﴾** احتراس، لئلا يتوهم من إضافة ربوبيته إلى البلدة اقتصاد ملكه عليها؛ ليعلم أنّ تلك الإضافة لتشريف المضاف إليه، لا لتعريف المضاف بتعيين مظهر ملكه. وتكرير أُمرت في قوله: **﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾**؛ للإشارة إلى الاختلاف بين الأمْرين. . . فإن الأول أمر بعمله في خاصة نفسه. . . والأمر الثاني أمر بمقتضى الرسالة، وقد شمل دعوة الخلق جميعاً إلى التوحيد. ولهذه النكتة لم تكرر أمرت في قوله: **﴿وأن أتلو القرآن﴾**؛ لأن كُلاً من الإسلام والتلاوة من شؤون الرسالة. وفي قوله: **﴿أن أكون من المسلمين﴾** تنويه بهذه الأمة: إذ جعل الله رسوله من آحادها. وحذف متعلق التلاوة ـ على الناس ـ لظهوره. وفرع على التلاوة ما يقتضى انقسام الناس إلى مهتد وضال: **﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين. وقل الحمد لله﴾**: في هذا رد العجز على الصدر في قوله الحمد لله وسلام. . . حيث ربط هذه الجملة بتلك التي ابتدىء بها هذا الجزء. . . وفيه براعة المقطع كما في الأول براعة المطلع. وقوله: **﴿سيريكم آياته فتعرفونها. . .﴾** ربط بأول السورة في قوله: **﴿تلك آيات القرآن. . .﴾** وفيه رد العجز على الصدر. وفيه براعة المقطع. وقد جاءت خاتمة جامعة بالغة أقصى حدٍّ من بلاغة وبراعة حُسْنِ الختام: **﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾**!.

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. . .﴾: في هذا التوجيه يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يقول الكلمة التي تليق أن يفتتح

بها المؤمن حديثه ودعوته وجداله... وأن يختمه كذلك: قل: الحمد لله... المستحق للحمد من عباده على آلائه، وفي أولها هدايتهم إليه، وإلى طريقه الذي يختاره، ومنهجه الذي يرضاه، وسلام على عباده الذين اصطفى لحمل رسالته وتبليغ دعوته وبيان منهجه. وبعد هذا الافتتاح يأخذ في توقيعاته على القلوب المنكرة لآيات الله مبتدئاً بسؤال موجه إلى المخاطبين لا يحتمل إلا إجابة واحدة يستنكر به أن يشركوا بالله هذه الآلهة المدّعاة: **﴿آلله خيرٌ أمّا ما تشركون﴾**؟!... وما يشركون أصنام وأوثان أو ملائكة وجن، أو خلق من خلق الله على أية حال، لا يرتقي أن يكون شبيها بالله تعالى فضلاً على أن يكون خيراً منه، ولا يخطر على قلب عاقل أن يعقد مقارنة أو موازنة. ومن ثمّ يبدو هذا السؤال بهذه الصيغة وكأنه تهكم مَحْضٌ، وتوبيخٌ صِرْف؛ لأنه غير قابل أن يوجّه على سبيل الجدّ، أو أن يطلب عنه جواب! ومن ثم يعدل عنه إلى سؤال آخر، مستمدّ من واقع هذا الكون حولهم، ومن مشاهده التي يرونها بأعينهم: **﴿أمْ مَنْ خلق السماوات والأرض﴾**؟ والسماوات والأرض حقيقة قائمة لا يملك أحد إنكار وجودها، ولا يملك كذلك أن يدّعي أنّ هذه الآلهة المدّعاة خلقتْها... وهي أصنام أو أوثان، أو ملائكة أو شياطين أو شمس أو قمر... فالبداهة تصرخ في وجه هذا الادّعاء، ولم يكن أحد من المشركين يزعم أن هذا الكون قائم بنفسه، مخلوق بذاته، كما وجد من يدّعي مثل هذا الادعاء المتهافت في القرون الأخيرة!... فكان مجرد التفكير بوجود السماوات والأرض، والتوجيه إلى التفكير فيمن خلقها كفيلاً بإلزام الحجّة، ودحض الشرك، وإفحام المشركين.

وما يزال هذا السؤال قائماً.. فإن خلق السماوات والأرض على هذا النحو الذي يبدو فيه القصد، ويتضح فيه التدبير، ويظهر فيه التناسق المطلق الذي لا يمكن أن يكون فلتة ولا مصادفة: مُلْجئاً بذاته إلى الإقرار بوجود الخالق الواحد، الذي تتضح وحدانيتُه بآثاره. ناطق بأنّ هناك تصميماً واحداً متناسقاً لهذا الكون لا تعدّد في طبيعته، ولا تعدد في اتجاهه.. فلا بدّ أنّه صادر عن إرادة واحدة غير متعددة. إرادة قاصدة لا يفوتها القصد في الكبير ولا في الصغير. **﴿وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾**: والماء النازل من السماء حقيقة كذلك مشهودة يستحيل إنكارها، ويتعذر تعليلها بغير الإقرار بخالق مدبر، فطر السماوات والأرضَ وفْق هذا الناموس الذي يسمح بنزول

المطر بهذا القدر، الذي توجد به الحياة على النحو الذي وجدت به.. فما يمكن أن يقع هذا كله مصادفة: وأن تتوافق المصادفات بهذا الترتيب الدقيق، وبهذا التقدير المضبوط، المنظور فيه إلى حاجة الأحياء وبخاصة الإنسان. هذا التخصيص الذي يعبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿**وأنزل لكم**..﴾ والقرآن يوجه القلوب والأبصار إلى الآثار المحيية لهذا الماء المنزل للناس وفق حاجة حياتهم، منظوراً فيه إلى وجودهم وحاجاتهم وضروراتهم. يوجه القلوب والأبصار إلى تلك الآثار الحية القائمة حيالهم وهم عنها غافلون: ﴿**فأنبتنا به حدائق ذات بهجة**..﴾ حدائق بهيجة ناضرة حية مفرحة. ومنظر الحدائق يبعث في القلب البهجة والنشاط والحيوية، وتأمُّل هذه البهجة والجمال الناضر الحي الذي يبعثها، كفيلٌ بإحياء القلوب. وتدبُّرُ آثار الإبداع في الحدائق كفيلٌ بتمجيد الصانع الذي أبدع هذا الجمال العجيب. وإن تلوين زهرة واحدة وتنسيقها ليعجز عنه أعظم رجال الفنون من البشر. وإن تموج الألوان وتداخل الخطوط وتنظيم الوريقات في الزهرة الواحدة ليبدو معجزة تتقاصر دونها عبقرية الفن في القديم والحديث، فضلاً على معجزة الحياة النامية في الشجر ـ وهي السر الأكبر الذي يعجز عن فهمه البشر ـ: ﴿**ما كان لكم أن تنبتوا شجرها**﴾!. وسرّ الحياة كان وما يزال مُستَغْلَقًا على الناس!. سواء أكان في النبات أم في الحيوان أم في الإنسان.. فما يملك أحد حتى اللحظة أن يقول: كيف جاءت هذه الحياة، ولا كيف تلبست بتلك الخلائق من نبات أو حيوان أو إنسان.

ولا بد من الرجوع فيها إلى مصدر وراء هذا الكون المنظور. وعندما يصل في هذه الوقفة أمام الحياة النامية في الحدائق البهجة إلى إثارة التطلع والانتباه وتحريك التأمل والتفكير يهجم عليهم بسؤال: ﴿**أإله مع الله**﴾؟!.. فلا مجال لمثل هذا الادعاء؛ ولا مفرّ من الإقرار والإذعان... وعندئذ يبدو موقف القوم عجيباً، وهم يسوون آلهتهم المدّعاة بالله! فيعبدونها عبادة الله: ﴿**بل هم قوم يعدلون**...﴾ فهم يحيدون عن الحق الواضح المبين عندما يسوون بين عبادة الله وعبادة الأصنام! فكلا الأمرين تصرف عجيب لا يليق!... ثُمّ ينتقل بهم إلى حقيقة كونية أخرى يواجههم بها كما واجههم بحقيقة الخلق الأولى: ﴿**أم من جعل الأرض قراراً**﴾؟... فقد كانت الحقيقية الكونية الأولى هي حقيقة خلق السماوات والأرض. أما هذه... فهي الهيئة التي خلق الله عليها الأرض. لقد جعلها قراراً

للحياة، مستقرّة مطمئنّة صالحة يمكن أن توجد فيها الحياة وتنمو وتتكاثر. . . فلو تغيّر وضعها من الشمس والقمر، أو تغيّر حجمها، أو تغيّرت عناصرها والعناصر المحيطة في الجوّ بها، أو تغيّرت سرعة دورتها حول نفسها، أو سرعة دورتها حول الشمس، أو سرعة دورة القمر حولها. . . إلى آخر هذه الملابسات الكثيرة التي لا يمكن أن تتمّ مصادفة، وأن تتناسق كلّها هذا التناسق. . . لو تغيّر شيء من هذا كلّه أدنى تغيير لما كانت الأرض قراراً صالحاً للحياة. وربما أن المخاطبين إذ ذاك لم يكونوا يدركون من قوله تعالى: ﴿**أم من جعل الأرض قراراً**﴾ كلَّ هذه العجائب. . . ولكنهم كانوا يرون الأرض مستقراً صالحاً للحياة على وجه الإجمال؛ ولا يملكون أن يدّعوا أنّ أحداً من آلهتهم كان له شرك في خلق الأرض على هذا المنوال، وهذا يكفي. . . ثم يبقى النص بعد ذلك مفتوحاً للأجيال؛ وكلما اتّسع علمُ البشر أدركوا شيئاً من معناه الضخم المتجدد على توالي الأجيال. وتلك معجزة القرآن في خطابه لجميع العقول حسب ترقيها في درجات الكمال!. . . ثم بيّن فائدة أخرى من فوائد تكوين الأرض: ﴿**وجعل خلالها أنهاراً**. . .﴾ فالأنهار في الأرض هي شرايين الحياة. . . وهي تنتشر فيها إلى الشرق وإلى الغرب، وإلى الشمال وإلى الجنوب، تحمل معها الخصب والحياة والنماء. والأنهار تتكون من تجمع مياه الأمطار وجريانها وفق طبيعة الأرض. والله الذي خلق هذا الكونَ هو الذي قدر في تصميمه إمكان تكون السحاب ونزول المطر وجريان الأنهار. وما يملك أحد أن يقول: إن أحداً سوى الخالق المدبّر قد شارك في خلق هذا الكون على هذا النحو.

وجريان الأنهار حقيقة واقعة يراها المشركون. . . فمن ذا أوجد هذه الحقيقة؟ وفائدة أخرى: ﴿**وجعل لها رواسي**. . .﴾ فالجبال الراسخة الشامخة، وهي ثابتة مستقرة على الأرض. . . وهي في الغالب منابع الأنهار، حيث تجري منها مياه الأمطار إلى الوديان، وتشق مجراها بسبب تدفقها من قمم الجبال العالية بعنف وقوة. والرواسي الثابتة تقابل الأنهار الجارية في المشهد الكوني الذي يعرضه القرآن هنا. والتقابل التصويري ملحوظ في التعبير القرآني أما قوله: ﴿**وجعل بين البحرين حاجزاً**﴾ تكملة لعرض الدلائل على الوحدة والقدرة والعلم والحكمة. . . والحاجز بين الماءين: الحلو والمالح: حاجز معنوي، وحاجز طبيعي. وهو ظاهر للعيان في الطبيعي. . . وظهر لأهل العلم في المعنوي، حيث استطاع العلماء اليوم

أن يستخلصوا من الماء المالح ماءً عذباً فراتاً! وما ذاك إلا من اطلاعهم على سر الحاجز المعنوي. وهذا هو الإعجاز العلمي في القرآن. وهذا من سنن الله في خلق هذا الكون وتصميمه على هذا النحو الدقيق!... فمن فعل هذا كله؟ مَنْ؟!. وما يملك أحد أن يدَّعي أن غير الله يفعل هذا! ووحدة التصميم أمامه تجبره على الاعتراف بوحدة الخالق وعلمه وقدرته وحكمته: ﴿**أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون...**﴾ فيذكر العلم هنا؛ لأن هذه الحقيقة الكونية تحتاج إلى العلم؛ لتملّي الصنعة فيها والتنسيق، وتدبُّر السنة فيها والناموس، ولأن التركيز في السورة كلها على العلم... ثُمّ ينتقل بهم من مشاهد الكون إلى خاصة أنفسهم: ﴿**أم من يجيب المضطرّ إذا دعاه... ويكشف السوء...**﴾ فالمضطرّ في لحظات الكربة والضيق لا يجد له ملجأً إلا الله يدعوه ليكشف عنه الضر والسوء. ذلك حين تضيق الحلقة وتشتد الخنقة، وتتخاذل القوى، وتتهاوى الأسناد؛ وينظر الإنسان حوالَيْهِ فيجد نفسه مجرداً من وسائل النصرة وأسباب الخلاص. لا قوّتُه ولا قوُّةٌ في الأرض تنجده. وكل ما كان يعدّه لساعة الشدّة قد زاغ عنه أو تخلّى، وكل ما كان يرجوه للكربة قد تنكر له أو تولّى... في هذه اللحظة تستيقظ الفطرة فتلجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة، ويتجه الإنسان إلى الله ولو كان قد نسيه من قبلُ في ساعات الرخاء... فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه. هو وحده دون سواه. يجيبه ويكشف عنه السوء ويرده إلى الأمن والسلامة، وينجيه من الضيقة الآخذة بالخناق. والناس يغفلون عن هذه الحقيقة في ساعات الرخاء، وفترات الغفلة.

يغفلون عنها فيلتمسون القوة والنصرة والحماية في قوة من قوى الأرض الهزيلة... فأما حين تلجئهم الشدة، ويضطرهم الكرب، فتزول عن فطرتهم غشاوة الغفلة، ويرجعون إلى ربهم منيبين مهما يكونوا من قبلُ غافلين أو مكابرين. والقرآن يرد المكابرين الجاحدين إلى هذه الحقيقة الكامنة في فطرتهم، ويسوقها لهم في مجال الحقائق الكونية التي ساقها من قبلُ. حقائق خلق السماوات والأرض، وإنزال الماء من السماء، وإنبات الحدائق البهجة، وجعل الأرض قراراً، والجبال رواسي، وإجراء الأنهار، والحاجز بين البحرين... فالتجاء المضطر إلى الله، واستجابة الله له دون سواه حقيقة كهذه الحقائق. هذه في الآفاق وتلك في الأنفس سواء بسواء. ويمضي في لمس مشاعرهم بما هو واقع في حياتهم:

﴿**ويجعلكم خلفاء الأرض**...﴾ فمن يجعل الناس خلفاء الأرض؟ أليس هو الله الذي استخلف جنسهم في الأرض أولاً؟!. ثُمّ جعلهم قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، يخلف بعضهم بعضاً في مملكة الأرض التي جعلهم فيها خلفاء؟. أليس هو الله الذي فطرهم وفق النواميس التي تسمح بوجودهم في هذه الأرض، وزودهم بالطاقات والاستعدادات التي تُقدرهم على الخلافة فيها، وتعدهم لهذه المهمة الضخمة الكبرى. النواميس التي تجعل الأرض لهم قراراً؛ والتي تنظم الكون كله متناسقاً بعضه مع بعض، بحيث تتهيّأ للأرض تلك الموافقات والظروف المساعدة للحياة. ولو اختلّ شرط واحد من الشروط الكثيرة المتوافرة في تصميم هذا الوجود وتنسيقه لأصبح وجود الحياة على هذه الأرض مستحيلاً؟!.. وأخيراً.. أليس هو الله الذي قدر الموت والحياة، واستخلف جيلاً بعد جيل، ولو عاش الأولون لضاقت الأرض بهم وبالآخرين؛ ولأبطأ سير الحياة والحضارة والتفكير؛ لأن تجدد الأجيال هو الذي يسمح بتجدد الأفكار والتجارب والمحاولات، وتجدُّدِ أنماطِ الحياة بغير تصادم بين القدامى والمحدثين إلا في عالم الفكر والشعور؛ فأما لو كان القدامى أحياء لتضخم التصادم والاعتراض! ولتعطل موكب الحياة المندفع إلى الأمام! إنها كلها حقائق في الأنفس كتلك الحقائق في الآفاق... فمن الذي حقق وجودها وأنشأها؟ مَنْ؟ ﴿**أإله مع الله**﴾؟!.. إنهم لينسون ويغفلون. وهذه الحقائق كامنة في أعماق النفوس، مشهودة في واقع الحياة: ﴿**قليلاً ما تذكرون**﴾!..

فلو تذكر الإنسان وتدبّر مثل هذه الحقائق لبقي موصولاً بالله صلة الفطرة الأولى... ولَمَا غفل عن ربه، ولا أشرك به أحداً...ثم يمضي السياق إلى بعض الحقائق الأخرى الممثّلة في حياة الناس ونشاطهم على هذه الأرض، ومشاهداتهم التي لا تنكر: ﴿**أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته**﴾؟. والناس منهم المخاطبون أوّل مرة بهذا القرآن ـ يسلكون فجاج البر والبحر في أسفارهم، ويسبرون أسرار البر والبحر في تجاربهم... ويهتدون... فمن يهديهم؟ مَنْ أودع كيانهم تلك القوى المدركة؟ مَنْ أقدرهم على الاهتداء بالنجوم وبالآلات وبالمعالم؟ من وصل فطرتهم بطبيعة هذا الكون، وطاقاتهم بأسراره؟ مَنْ جعل لِآذانهم تلك القدرة على التقاط الأصوات؟.. ولعيونهم تلك القدرة على لمح الأضواء، ولحواسهم تلك القدرة على إحساس

المحسوسات.. ثُمّ جعل لهم تلك الطاقة المدركة المسماة بالعقل أو القلب، للانتفاع بكل المدركات.. وتجميع تجارب الحواس والإلهامات؟ مَنْ؟ ﴿**أإله مع الله**﴾؟.. والرياح مهما قيل في أسبابها الفلكية والجغرافية، تابعة للتصميم الكوني الأول الذي يسمح بجريانها على النحو الذي تجري به حاملة السحب من مكان إلى مكان.. فمن الذي فطر هذا الكون على خلقته، ومَنْ أرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته؟ أإله مع الله؟!.. ﴿**تعالى الله عما يشركون**﴾. ويختم السياق هذه الإيقاعات بسؤالٍ عن خلقتهم وإعادتهم ورزقهم من السماء والأرض مع التحدي والإفحام: ﴿**أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض**﴾؟. وبدء الخلق حقيقة واقعة لا يملك أحد إنكارها، ولا يمكن لأحد تعليلها بغير وُجودِ الله ووحدانية وجُودِهِ؛ لأن وُجود هذا الكون على هذا النحو الذي يظهر فيه التدبير والقصد ملجىء للإقرار بوجود الله ووحدانيته.. فأما إعادة الخلق فهذه التي كانوا يجادلون فيها ويمارون.. ولكن الإقرار ببدء الخلق على هذا النحو ملجىء كذلك للتصديق بإعادة الخلق؛ ليلقوا جزاءهم الحقَّ على أعمالهم في دار الفناء التي لا يتم فيها الجزاءُ الحقُّ على الأعمال، وإن كان يتم فيها أحياناً بعض الجزاء..

فهذا التنسيق الواضح في خلقة الكون يقتضي أن يتم تمامه بالتنسيق المطلق بين العمل والجزاء، وهذا لا يتمُّ في الحياة الدنيا.. فلا بد إذن من التصديق بحياة أخرى، يتحقق فيها التناسق والكمال. ومِنْ هذا التلازم بين الإقرار بِمُبْدِئِ الحياة والإقرار بمُعيدها يسألهم ذلك السؤال: ﴿**أم من يبدأ الخلق ثم يعيده**﴾؟. والرزق من السماء والأرض متصل بالبدء والإعادة سواء. ورزق العباد من الأرض يتمثل في صور شتّى: أظهرها النبات والحيوان، والماء والهوى، الطعام والشراب والاستنشاق. وأما رزقهم من السماء فلهم منه في الحياة الدنيا: الضوء والحرارة والمطر وسائر ما ييسّره الله لهم من القوى والطاقات. ولهم منه في الآخرة عطاء الله الذي يقسمه لهم ـ وهو من السماء بمدلولها المعنوي الذي يتردد كثيراً في القرآن والسنّة؛ وهو معنى الارتفاع والاستعلاء. وقد ذكر رزقهم من السماء والأرض بعد ذكر البدء والإعادة لأن رزق السماء والأرض له علاقة بالبدء والإعادة.. فعلاقة رزق الأرض بالبدء معروفة... فهو الذي يعيش عليه العباد. وعلاقته بالإعادة أن الناس يجزون في الآخرة على عملهم وتصرفهم في هذا الرزق

الذي أُعْطَوه في الدنيا. وهكذا تبدو دقة التناسق في السياق القرآني العجيب! والبدء والإعادة حقيقة، والرزق من السماء والأرض حقيقة... ولكنهم يغفلون عن هذه الحقائق! فيردهم القرآن إليها في تحدّ وإفحام: ﴿**أإله مع الله**﴾؟... ﴿**قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾. وإنهم لعاجزون عن البرهان، كما يعجز عنه من يحاوله حتى الآن! وهذه طريقة القرآن في الجدل عن العقيدة. يستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس... فيجعل الكون كلّه إطارا للمنطق الذي يأخذ به القلوب، ويوقظ به الفطرة ويجلوها لتُحَكِّمَ منطقها الواضح الواصل البسيط؛ ويستجيش به المشاعر والوجدانات بما هو مركوز فيها من الحقائق التي تُغشّيِها الغفلة والنسيان، ويحجبها الجحود والكفران. فيصل بهذا المنطق إلى تقرير الحقائق العميقة الثابتة في تصميم الكون وأغوار النفس؛ والتي لا تقبل المراء الذي يقود إليه المنطق الذهني البارد، الذي انتقلت عدواه إلى المسلمين من المنطق الفلسفي المبني على الفروض والتخمين!.. وقد تعلق به بعض الباحثين من المسلمين.

التوجيه الثاني: ﴿**قل: لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله**﴾: في هذا التوجيه توجيه الرسول بأن يقول للناس هذا القول... فبعد تلك الجولة في الآفاق وفي النفس لإثبات الوحدانية ونفي الشرك... يأخذ معهم في جولة أخرى عن الغيب المستور الذي لا يعلمه إلا الخالق الواحد المدبّر، وعن الآخرة وهي غيب من غيب الله، يشهد المنطق الصادق، والبداهة الحاضرة، والفطرة النيّرة بضرورة وقوعها، ويعجز الإدراك والعلم البشري عن تحديد موعدها... فالإيمان بالآخرة وما فيها من بعث وحشر وحساب وثواب وعقاب عنصر أصيل في العقيدة لا يستقيم منهجها في هذه الحياة إلا به... فلا بد من عالم مُرتقَبٍ يكمل فيه الجزاء، ويتناسق فيه العمل والأجر، ويتعلق به القلب، وتحسب حسابه النفس، ويُقيّم الإنسان نشاطه في هذه الأرض على أساس ما ينتظره هناك ولقد وقفت البشرية في أجيالها المختلفة ورسالاتها المتوالية موقفاً عجيباً من قضيّة البعث والدار الآخرة على بساطتها وضرورتها... فكان أعجب ما تندهش له أن ينبّئَها رسول أن هناك بعثا بعد الموت وحياة بعد الدثور. ولم تكن معجزةُ بدْءِ الحياةِ الواقعةِ التي لا تُنكر، تُلْهِمَ البشريةَ أن الحياة الأخرى أهون وأيسر في المتعارف البشري... فمن ثم كانت البشرية تعرض عن نذير الآخرة... وتستمرىء الجحود والمعصية، وتستطرد في الكفر والتكذيب. والآخرة غيب. ولا يعلم الغيب إلا الله. وهم كانوا

يطلبون تحديد موعدها أو يُكذّبوا بالنُذُر، ويحسبوها أساطير الأولين سبق تكرارها ولم تتحقق... فهنا يقرر السياق أن الغيب من أمر الله، وأن علمهم عن الآخرة ضئيل: ﴿**وما يشعرون أيان يبعثون**...﴾ فهو ينفي عنهم العلم بموعد البعث في أغمض صوره وهو الشعور... فهم لا يعلمون بهذا الموعد يقيناً. ذلك من الغيب الذي يقرر النص أن لا أحد يعلمه في السماوات ولا في الأرض... ثُمّ يضرب عن هذا ليتحدث في موقفهم هم مِن الآخرة ومدى علمهم بحقيقتها: ﴿**بل ادّارك علمهم في الآخرة**...﴾ فانتهى إلى حدوده وقصر عن الوصول إليها ووقف دونها لا يبلغها... ﴿**بل هم في شكّ منها**...﴾ فلا يستيقنون بِمَجيئها وينكرون إمكانها، بل أن يعرفوا موعدها وينتظروا وقوعها... ﴿**بل هم منها عمون**...﴾ فهم عنها في عمى، لا يبصرون من أمرها شيئاً، ولا يدركون من طبيعتها شيئاً، وهذه أشد بعدا عن الثانية وعن الأولى.

﴿**وقال الذين كفروا إذا كنا تراباً وآباؤنا أئِنا لمخرجون**﴾؟!..: فهذه كانت العقدة التي يقف أمامها الذين كفروا دائماً: أئنا لمخرجون في الوقت الذي نكون تراباً... يقولون هذا وتقف الصورة المادية بينهم وبين تصوّر الحياة الأخرىٰ... فينسون أنهم خُلقوا أوّلَ مرّة ولم يكونوا من قبلُ شيئاً... فهل عجب أن يعودوا كما بدأهم أول مرة. أو على نحو آخر في المرة الآخرة؟!... ولكنهم كانوا هكذا يقولون!... وبعضهم ما يزال يقوله اليوم مع شيء من الاختلاف!... هكذا كانوا يقولون... ثُمّ يتبعون هذه القولة الجاهلة المطموسة بالتهكم والاستنكار: ﴿**لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**...﴾ فهم كانوا يعرفون أنّ الرسل من قبل قد أنذروا آباءهم بالبعث والنشور. مما يدل على أنّ العرب لم تكن أذهانهم خالية من العقيدة، ولا غفلا من معانيها... إنما كانوا يرون أن الوعود لم تتحقق منذ أمد بعيد... فيبنون على هذا استهتارهم بالوعد الجديد قائلين: إنّها أساطير الأوّلين؛ يرويها محمد ﷺ غافلين أنّ للساعة موعدها الذي لا يقدم لاستعجال البشر، ولا يتأخر لرجائهم... إنما يجيء في الوقت المعلوم لله، المجهول للعباد في السماوات والأرض سواء، وهنا يلمس قلوبهم بتوجيهها إلى مصارع الذين كذبوا قبلهم بالوعيد ويُسمّيهم المجرمين: ﴿**قل: سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**...﴾ ففي هذا التوجيه توسيع لآفاق تفكيرهم... فالجيل من البشر ليس مقطوعاً عن شجرة البشرية... فهو محكوم

بالسنن المتحكّمة فيها... فما حدث للمجرمين من قبل يحدث للمجرمين من بعد... فإن السنن لا تحيد ولا تحابى... والسير في الأرض يطلع النفوس على مُثُلٌ وسِيَر وأحوال فيها عبرة، وفيها تفتح لنوافذ مضيئة؛ وفيها لمسات للقلوب قد توقظها وتحييها. والقرآن يوجه الناس إلى البحث عن السنن المطّردة، وتدبر خطواتها وحلقاتها؛ ليعيشوا حياة متصلة الأوشاج متسعة الآفاق، غير متحجّرة ولا مغلقة، ولا ضيقة ولا منقطعة. وبعد أن يوجههم هذا التوجيه يأمر الله رسوله بأن ينفض يديه من أمرهم، ويدعهم لمصيرهم الذي وجههم إلى نظائره... ولا يضيق صدره بمكرهم فإنهم لن يضروه شيئاً... فلا يحزن عليهم... فقد أدى واجبه تجاههم وأبلغهم وبصرهم: ﴿**ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون**﴾.

وهذا النص يصور حساسية قلب الرسول وحزنه على مصير قومه الذي يعلمه من مصائر المكذبين قبلهم. ويدل كذلك على شدة مكرهم به وبالدعوة وبالمسلمين حتى ليضيق صدره الرحب الكبير... ثم يمضي السياق في سرد مقولاتهم عن قضية البعث، واستهانتهم بالوعيد بالعذاب في الدنيا أو الآخرة: ﴿**ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾؟! فكانوا يقولون هذا كلما خوفوا بمصائر المجرمين قبلهم... ومصارعهم التي يمرون عليها مصبحين: كقرى لوط... وآثار ثمود... وآثار عاد... ومساكن سبإ... كانوا يقولون مستهزئين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. متى هذا العذاب الذي تخوفوننا به؟ إن كنتم صادقين فهاتوه، أو خبّرونا بموعده على التحديد! وهنا يجيء الرد يلقي ظلال الهول المتربص، وظلال التهكم المنذر في كلمات قصار: ﴿**قل: عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون...**﴾ فبذلك يثير في قلوبهم الخوف والقلق من شبح العذاب... فقد يكون وراءهم ـ رديفاً لهم كما يكون الرديف وراء الراكب فوق الدابة ـ وهم لا يشعرون. وهم في غفلتهم يستعجلون به، وهو خلف رديف!.. فيا لها من مفاجأة ترتعش لها الأوصال! وهم يستهزئون ويستهترون!.. فمن يدري؟.. إن الغيب لمحجوب، وإن الستار لمُسْبَل... فما يدري أحد ما وراءه... فقد يكون على قيد، ما يذهل وما يهول!.. إنما العاقل من يحذر، ومن يتهيأ ويستعد في كل لحظة لما وراء الستر المسدول!.. ﴿**وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون...**﴾ فإن فضله ليتجلى في إمْهَالِهِم وتأخير العذاب عنهم وهم مذنبون أو مقصرون، عسى أن يتوبوا إليه، ويثوبوا إلى

الطريق المستقيم... ولكن أكثرهم لا يشكرون على هذا الفضل... إنما يستهزئون ويستعجلون، أو يسدرون في غيهم ولا يتدبّرون... فهو يمهلهم ويؤخر العذاب عنهم مع علمه بما تكنه صدورهم وما تعلنه أقوالهم وأفعالهم وإن ربك ليعلم ما تُكنّ صدورهم وما يعلنون.. فهو الإمهال عن علم: والإمهال عن فضل... وهم بعد ذلك محاسبون عما تكنّ صدورهم وما يعلنون. ويختم السياق هذه الجولة بتقرير علم الله الشامل الكامل الذي لا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض: ﴿**وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين...**﴾ ويجول الفكر والخيال في السماء والأرض وراء كل غائبة من شيء، ومن سر ومن قوة ومن خبر، وهي مقيدة بِعلمِ الله، لا تند منها شاردة، ولا تغيب منها غائبة، والتركيز في السورة كلها على العلم. والإشارات إليه كثيرة، وهذه واحدة منها تختم بها هذه الجولة.

التوجيه الثالث: ﴿**إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**﴾ في هذا التوجيه بيان قضية تعرّض لها القرآن، وبحث فيها، وقضى فيها بحكمه الحق العادل. وهي قضية اختلاف بنى إسرائيل في أمر دينهم ورسلهم وما اختلقُوا عليهم من خرافات وأكاذيب... فحدثهم حديث الصدق عن تاريخهم وأنبئائهم مجردا من الأساطير الكثيرة التي اختلفت فيها رواياتهم، مُطَهّراً من الأقذار التي ألصقتها هذه الروايات بالأنبياء، والتي لم يكد نبيء من الأنشاء يخرج منها نظيفاً... فقد جاء القرآن فطهر صفحات هؤلاء الكرام مما لوثتهم به الأساطير الإسرائيلية التي أضافها اليهود إلى التوراة... فغيروها وطمسوا معالمها... وأزالوا عنها كل قداسة واحترام!.. كما صحح تلك الأساطير التي قِيلتْ عن عيسى وأمه في كتب اليهود من جهة، وفي كتب النصارى من جهة أخرى!.. فهذا هو الكتاب والقرآن المهيمن على الكتب كلها التي كانت قبله... فهو الذي يفصل في خلافات القوم فيها... ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه هو الذي يجادل فيه المشركون وهو الحكم الفصل بين المتجادلين! ﴿**وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين...**﴾ فالقرآن هدى يقيهم من الاختلاف والضلال، ويوحد المنهج ويبين الطريق، ويصلهم بالسُّنن الكونية الكبرى، التي لا تختلف ولا تحيد. والقرآن رحمة، يرحمهم من الشك والقلق والحيرة والتخبط بين المناهج والنظريات التي لا تثبت على حال. ويصلهم بالله يطمئنون إلى جواره ويسكنون إلى كنفه، ويعيشون

في سلام مع أنفسهم ومع الناس من حولهم، وينتهون إلى رضوان الله وثوابه الجزيل. والمنهج القرآنى منهج فريد في إعادة إنشاء النفوس وتركيبها وفق نسق الفطرة الخالصة؛ حيث تجدها متسقة مع الكون الذي تعيش فيه، متمشية مع السنن التي تحكم هذا الكون في يسر وبساطة بلا تكلف ولا تعمّل. ومن ثم تستشعر في أعماقها السلام والطمأنينة الكبرى؛ لأنها تعيش في كون لا تصطدم مع قوانينه وسننه ولا تعاديه ولا يعاديها متى اهتدت إلى مواضع اتصالها به، وعرفت أن ناموسها هو ناموسه.

وهذا التناسق بين النفس والكون، وذلك السلام الأكبر بين القلب البشري والوجود الأكبر ينبع منه السلام بين الجماعة والسلام بين البشر، وتفيض منه الطمأنينة والاستقرار... فهذه هي الرحمة في أشمل صورها ومعانيها. وبعد هذه اللمحة إلى فضل الله على الناس بهذا القرآن الذي يفصل بين بني إسرائيل في اختلافهم، ويقود المؤمنين إلى الهدى، ويسبغ عليهم الرحمة... يقرر لرسوله أن ربه سيفصل فيما بينه وبين قومه ويحكم بينهم حكمه الذي لا مرد له. حكمه القوي المبني على العلم اليقين: ﴿**إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم... فتوكل على الله إنك على الحق المبين...**﴾ فقد جعل الله انتصار الحق سنة كونية كخلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، سنة لا تتخلف... فقد تبطى لحكمة يعلمها الله، وتتحقق بها غايات يُقدّرها الله... ولكن السنّة ماضية. وعْدَ اللهِ لا يُخلِف اللهُ وعدَه... فلا يتم الإيمان إلا باعتقاد صدقه وانتظار تحققه. ولوعد الله أجل لا يستقدم عنه ولا يستأخر. ويمضي السياق في تسلية الرسول وتأسيته على جموح القوم ولجاجهم في العناد وإصرارهم على الكفر، بعد الجهد الشاق في النصح والبيان، وبعد مخاطبتهم بهذا القرآن... يمضى في تسليته والتسرية عنه من هذا كُلِّهِ... فهو لم يقصر في دعوته... ولكنه إنما يُسمع أحياء القلوب الذين تَعِى آذانهم فتتحرك قلوبهم فيقبلون على الناصح الأمين... فأما الذين ماتت قلوبهم وعميت أبصارهم عن دلائل الهدى والإيمان فما له فيهم حيلة وليس له إلى قلوبهم سبيل. ولا ضيّر عليه في ضلالهم وشرودهم الطويل: ﴿**إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين. وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون...**﴾ والتعبير القرآني البديع يرسم صورة حيّة متحركة لحالة نفسية غير محسوسة: حالة جمود القلب،

وخمود الروح، وبلادة الحس، وهمود الشعور... فيخرجهم مرة في صورة الموتى، والرسول يدعو، وهم لا يسمعون الدعاء؛ لأنّ الموتى لا يشعرون!.. ويخرجهم مرة في هيئة الصم مدبرين عن الداعي؛ لأنهم لا يسمعون!.. ويخرجهم مرة في صورة العمى يمضون في عماهم؛ لا يرون الهادى؛ لأنهم لا يبصرون!.. وتتراءى هذه الصور المجسّمة المتحرّكة... فتُمثّل المعنى وتعمّقه في الشعور. وفي مقابل الموتى والصم والعمى يقف المؤمنون... فهم الأحياء، وهم السامعون، وهم المبصرون... **﴿فإنك لا تسمع الموتى...﴾** إنما تسمع الذين تهيأت قلوبهم لتلقى آياتٍ بالحياة والسمع والبصر. وآية الحياة الشعور. وآية السمع والبصر الانتفاع بالمسموع والمنظور. والمؤمنون ينتفعون بحياتهم وسمعهم وأبصارهم. وعمل الرسول هو أن يُسمعهم... فيدلهم على آيات الله... فيستسلمون لتوّهم ولحظتهم فهم مسلمون. إنّ الإسلام بسيط وواضح وقريب إلى الفطرة السليمة... فما يكاد القلب السليم يعرفه حتى يستسلم له، فلا يشاق فيه. وهكذا يصور القرآن تلك القلوب القابلة للهدى المستعدة للاستماع التي لا تجادل ولا تمارى بمجرد أن يدعوها الرسول فيصلها بآيات الله فتؤمن لها وتستجيب.

التوجيه الرابع: **﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلمهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون...﴾**: في هذا التوجيه لفت النظر إلى ما يأتى به القدر قبل يوم النشر والحشر... فهو وعيد يقع للناس يوم ينسون ربهم، ويتركون كتابه وراءهم ظهرياً منبوذا بينهم، يومئذ يقع عليهم هذا الوعيد الذي نراه الآن، ونسمع به من آلات تحرق وتدمّر. وحوادث السيارات والطائرات والدبابات تُقتّل وتكسّر... فلا أحد رجع إلى الله!.. ولا أحد تدارك أمره بالتوبة إلى الله... ولا حول ولا قوة إلا بالله..!!. ومن هذا المشهد الخطير إلى مشهد يوم الحشر العسير: **﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون... حتى إذا جاءوا قال: أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون. ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون...﴾** إن هذه الآيات مرتبطة بالآية قبلها ارتباطاً وثيقاً حيث قرن ما وقع في الدنيا بسبب كفر الناس من طغيان الطغاة الجبابرة العتاة بما يقع لهم يوم الفزع الأكبر من توبيخ وتبكيت وتأنيب على كفرهم بآيات الله!!.. مع أن الله حذرهم وأنذرهم وأراهم في الدنيا من الآيات ما يلفت نظرهم: **﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا...﴾** فهم لم ينظروا

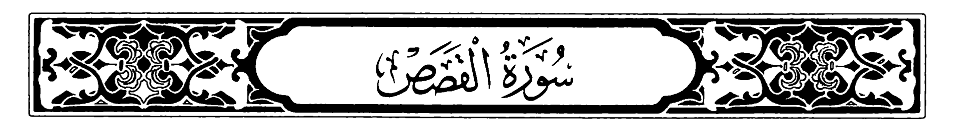
إلى هذا. وتحدوا هذا النظام وتسابقوا في الدنيا وما فيها من حطام، وجعلوها غاية الغايات... فما أحد يفكر ولا ينظر ولا يعتبر إلا فيما يهمه من جمع المال وأكل الحرام... وهذا هو أكثر حال الناس اليوم... ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم**﴾!.. ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون...**﴾ وبعد ما بين نتيجة المكذبين المجرمين المضلين وما حصل بسببهم من مصائب الدنيا للناس أجمعين، بيْن عرض الحشر العام الشامل لكل الأنام: ﴿**ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل آتوه داخرين...**﴾ فهو مشهد مفزع لكل من في السماوات والأرض مذهل ومرعب ورهيب أكثر مما يُتخيل ويَخطر بالبال... فهو ـ حقاً ـ يوم عصيب.

إلا من شاء الله من ذوي التهذيب والترحيب والتقريب. ومع هذا... فهم يكذبون بيوم الدين ويحيلون وقوعه؛ ﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾! وما دروا أن الله قادر وعليم وحكيم... فها هي الجبال يراها الناس وهم عنها غافلون... وتراها أنت يا محمدُ منها ما لا يراه منها الجاهلون: ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون...**﴾ فهذا يوم الحساب عما يفعل الناس... ففي هذا اليوم المفزع الرهيب يكون الأمن والطمأنينة والسلامة من الفزع جزاء الذين أحسنوا في الحياة واستيقنوا مما وعَدتْ به الآيات... فالأمْنُ مِنْ هذا الفزع هو وحده جزاء... وما بعده فضل من الله ونعمة ومنّة. ولقد خافوا الله في الدنيا... فلم يجمع عليهم خوف الدنيا وفزع الآخرة... بل نالوا من الثواب ما هو أجزل من حسناتهم وأوفر: ﴿**من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون...**﴾ ثم يعرض مشهد الذين ساءت أعمالهم في الدنيا وشاءت شهواتُهم المُتعَ في الدنيا التي انتهت بانتهاء تلك الحياة: ﴿**ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار...**﴾ فهو مشهد مفزع وهم يكبَّون في النار على وجوهم، ويزيدهم عذاباً نفسياً فوق العذاب الحسي... وهو التبكيت والتقريع فوق هذا العذاب الفظيع: ﴿**هل تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾؟!.. فقد تنكبوا الهدى، وأشاحوا عنه بوجوههم... فهم يجزون به كبّاً لهذه الوجوه في النار؛ وقد أعرضت من قبل عن الحق الواضح وضوح الشمس في رابعة النهار. وفي النهاية تجيء الإيقاعات الأخيرة، حيث يلخص الرسول دعوته ومنهجه في الدعوة؛ ويكلهم إلى مصيرهم الذي يرتضونه لأنفسهم

بعد ما مضى من بيان، وقد عرفوا نهاية المطاف في الربح والخسران. . : ﴿**إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء. . .**﴾ فالمشركون من العرب كانوا يدينون بحرمة هذه البلدة ـ الكعبة الحرام، والبيت الحرام ـ وكانوا يستمدون سيادتهم على غيرهم من عقيدة تحريم البيت. . . ثم لا يوحدون الله الذي حرمه وأقام حياتهم كلها عليه. والرسول ﷺ ـ يقوّم العقيدة كما ينبغى أن تقوّم. . . ويعلن أنه مأمور أن يعبد ربَّ هذه البلدة. . . لا شريك له. . . ويكمّل التصور الإسلامي للألوهية الواحدة. . . فرب هذه البلدة هو رب كل شيء في الوجود ـ وله كل شيء ـ ويعلن أنه مأمور بأن يكون من المسلمين: ﴿**وأمرت أن أكون من المسلمين**﴾ ـ فهذا قوامُ دعْوتهِ. . . أما وسيلة هذه الدعوة فهي تلاوة القرآن: ﴿**وأن أتلو القرآن. . .**﴾ فالقرآن هو كتاب هذه الدعوة ودستورها؛ ووسيلتها كذلك. . .

فقد أمر الله رسوله أن يجاهد به الكفار. . . وفيه وحده الغناء في جهاد الأرواح والعقول. . . وفيه ما يأخذ على النفس أقطارها. . . وعلى المشاعر طرقها. . . وفيه ما يزلزل القلوب القاسية ويهزها هزاً لا تبقى معه على قرار. . . وما شرع القتال بعد ذلك إلا لحماية المؤمنين من الفتنة، وضمان حرية الدعوة بهذا القرآن، والقيام على تنفيذ الشرائع بقوة السلطان. . . أما الدعوة ذاتها فَحَسْبها كتابها: ﴿**وأن أتلو القرآن. . . فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين**﴾: في هذا تتمثل فردية التبعية في ميزان الله: فيما يختص بالهدى والضلال. . . وفي فردية التبعة تتمثل كرامة هذا الإنسان الذي يضمنها الإسلام. . . فلا يساق سوق القطيع إلى الإيمان. . . إنما هي تلاوة القرآن وتركه يعمل عمله في النفوس وفق منهجه الدقيق العميق الذي يخاطب الفطرة في أعماقها وفق ناموسها المتسق مع منهج القرآن. ﴿**وقل: الحمد لله**﴾: مقدمة لما يتحدث عنه من صنع الله: ﴿**سيريكم آياته فتعرفونها. . .**﴾ وصدق الله. . . ففي كل يوم يرى عباده بعض آياته في الأنفس والآفاق. ويكشف لهم عن بعض أسرار هذا الكون الحافل بالأسرار. . . ﴿**وما ربك بغافل عما تَعْمَلُون**﴾!!. . وهكذا يلقى إلى الناس في الختام هذا الإيقاع الأخير، في هذا التعبير الملفوف. اللطيف. المخيف. . . ثمّ يدعهم يعملون ما يعملون؛ وفي أنفسهم أثر هذا الإيقاع العميق: ﴿**وما ربك بغافل عما تعلمون**﴾!.

2 ـ تفصيل قصة موسى وهارون، مع فرعون وهامان وقارون



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (1) نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ
مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (2) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ
وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ
وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (3) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (4)
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ (5) وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ
وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (6)
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ
إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ (7) وَقَالَتِ
ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ

أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿8﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ
فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿9﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ
قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿10﴾
* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿11﴾
فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿12﴾
وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿13﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ
فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ
فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ
إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿14﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿15﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا
لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿16﴾ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي
ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿17﴾
فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ

أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن
تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿18﴾
* وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿19﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿20﴾
وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿21﴾
وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴿22﴾
وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا
قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿23﴾ فَسَقَىٰ
لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ
خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿24﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ
قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا
فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ
ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿25﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ
إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿26﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ
أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ
فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿27﴾ قَالَ

ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ
فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (28)
* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا
قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29)
فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ
ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (30)
وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا
وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ (31)
ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ
جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (32) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ
مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ
أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ
أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ
بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا
بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ (35)
فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا

سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿36﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿37﴾ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿38﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿39﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿40﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿41﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿42﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿43﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**طسمٓ تلك آيات الكتاب المبين**﴾: ابتداء هذه السورة مثل ابتداء سورة الشعراء. ﴿**نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون...**﴾ التلاوة: سرد الكلام المتوالى المتكرر. والنبأ: الخبر المهم الذي يحق أن يتنبه له. ﴿**إن فرعون عَلاَ في الأرض...**﴾ العلو في الأرض: التجبر والتكبر والطغيان المتكرر... ﴿**وجعل أهلها شيعاً...**﴾ الشيع: الفرق المختلفة المتنافرة. كل فريق ينحاز لفريقه... ﴿**يستضعف طائفة منهم...**﴾ الاستضعاف: جعل الشخص ضعيفاً حقيراً مستهاناً به. والطائفة: الجماعة المميزة بلون أو صفة... ﴿**يذبّح أبناءهم...**﴾ التذبيح: كثرة القتل بالذبح بقطع الرقبة. ﴿**ويستحي نساءهم...**﴾ الاستِحْياء: ترك الشخص حياً بقصد الإبقاء عليه لغرض من الأغراض. وفرعون ذبح أبناء بني إسرائيل خوفاً منهم.

واستحيا نساءهم قهراً لهم، واستبقاءهن للخدمة أو للمتعة. ﴿**إنه كان من المفسدين...**﴾ المفسد: الشخص الذي يزاول الفساد ويحث غيره عليه. والفساد: كل ما فيه شر ومضرة للعباد. ﴿**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض...**﴾ الإرادة: القصد إلى الشيء. المنّ: الإنعام والإحسان والتفضل. والذين استضعفوا في الأرض: بنو إسرائيل في مصر. ﴿**ونجعلهم أئمة...**﴾ الأئمة: المقتدى بهم في الخير أو الشر. والمراد في الآية الخير. أما في الشر كمثل قوله تعالى: فقاتلوا أئمة الكفر... وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار. ﴿**ونجعلهم الوارثين...**﴾ الوارث: من يأخذ الشيء باستحقاق. وأصله أخذ الوارث مال مورثه الهالك. ﴿**ونمكن لهم في الأرض...**﴾ التمكين: جعل الشيء متمكّناً وثابتاً في مكانه. والتمكن في الأرض: التسلط والتحكم فيمن في الأرض من الناس. مثل: ﴿**وكذلك مكنا ليوسف في الأرض...**﴾ ﴿**ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون...**﴾ هامان: مساعد فرعون... والأصل في الحذر: الاحتراز عن كل ما فيه مضرة. ﴿**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه...**﴾ الوحي هنا: الإلهام بشيء يخطر بالبال... والإرضاع: إلقام الثدى للصبى ليمص منه اللبن... ﴿**فإذا خفت عليه فألقيه في اليم...**﴾ الإلقاء: رمى الشيء من اليد

إلى الأرض... واستعمل هنا في طرح التابوت الذي وضع فيه موسى في النيل ليصل إلى قصور فرعون. ﴿**ولا تخافي ولا تحزني**...﴾ الخوف: توقع المكروه في المستقبل. والحزن: التأسف على ما فات، ﴿**إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾: تطمين لأم موسى برده إليها وبطول حياته حتى يكون رسولاً. ﴿**فالتقطه آل فرعون**...﴾ الالتقاط: أخذ الشيء برؤوس الأصابع... ثم استعمل في أخذ كل شيء معتنىً به. وآل فرعون: أولياؤه وأتباعه... فهو أعم من الأهل. ﴿**ليكون لهم عدواً وحزناً**...﴾ العدوُّ: ضد الصديق. والحزن: ضد الفرح والسرور. ﴿**إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**﴾: جملة معترضة تبين خطأ هؤلاء جميعاً. والخطأ: ضد الصواب.

﴿**وقالت امرأة فرعون: قرة عين لي ولك**...﴾ وقرّة العين: ما قرت به... يقال: قرّت عينه تَقِرُّ قُرّة وقرورًا رأتْ ما كانت متشوقة اليه... فبردت واستقرت. ﴿**لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا**...﴾ عسى: فعل من أفعال الترجى في المحبوب... فهم رجوا من اتخاذه ولدًا النفع وقرة العين. ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ بما يترتب على ما فعلوا في نهاية الأمر!.. ﴿**وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً**﴾، الفؤاد: القلب. والفارغ: الخالي. ﴿**إنْ كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها**..﴾: كادت: من أفعال المقاربة. أى: قربت وهمت. والإبداء: الإظهار والإعلان. ربطنا على قلبها: ألهمناها الصبر. يقال: ربط الله على قلبه، ألهمه الصبر وقوّاه. ﴿**وقالت لأخته قصيه**...﴾ القصّ: تتّبع الأثر. يُقال: قص أثره قصا، تتبعه. ﴿**فبصرت به عن جنب**..﴾: بصرت به: ألقت ببصرها إليه وهو عن جنب في ناحية بعيدة. ﴿**وحرمنا عليه المراضع من قبلُ**...﴾ حرّمنا عليه: منعناه: حكمنا عليه... المراضع: جمع مرضع. وهي التي لها ولد رضيع. والمرضعة: هي التي لها ولد يرضعها الآن. ﴿**فقالت: هل أدلكم على أهل بيت**﴾؟.. دله عليه: سدده وأرشده إليه. وساعده عليه. ﴿**يكفلونه لكم**﴾: يراعونه ويحفظونه ويقومون بكل ما ينُوبُه لأجلكم. ﴿**وهم له ناصحون**﴾: مخلصون صادقون في تربيته وكفالته. وأصل النصيحة: كلمة يعبر بها عن جملة: هي إرادة الخير للمنصوح له. ﴿**فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾: ترتب على امتناع موسى من المراضع وإقباله إلى أمه رجوعه إليها لتأنس به وتقوم على تربيته منشرحة الصدر قريرة العين لعلمها بحقيقة

وعد الله إياها. . . ﴿**ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلما**. . .﴾ بلغ أشده واستوى: وصل إلى سن القوة والكمال في العقل والجسم. آتيناه حكماً وعلما: أعطيناه حكماً صائباً ومعرفة بحقائق الأشياء. ﴿**وكذلك نجزى المحسنين**﴾: مثل ذلك الجزاء نجزى المحسنين الذين يحسنون في قولهم وفعلهم. ﴿**ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها**﴾: دخل موسى المدينة في وقت خلوها من الناس وانصرافهم عنها إلى بيوتهم للراحة. . . ﴿**فوجد فيها رجلين يقتتلان**. . .﴾ الاقتتال: المنازعة الشديدة بين الخصمين. ﴿**هذا من شيعته**﴾: ممن يشايعه موسى ويواليه. . . ﴿**وهذا من عدوه**﴾: ممن يناويه ويعاديه. ﴿**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه**. . .﴾ استغاثه سأله أن يغيثه بالإعانة والنصر. ﴿**فوكزه موسى فقضى عليه**. . .﴾ الوكز: الدفع والضرب بجمع الكف. فقضى عليه: قتله. . . ﴿**قال: هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين**﴾: استعظم موسى ما حصل منه وعدّه من عمل الشيطان وسماه ظلماً. . .

﴿**قال رب: إنى ظلمت نفسي فاغفر لي**﴾: استغفر موسى من هذا جرياً على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم دون قصد. . . ﴿**فغفر له**﴾: ترتب على قوله: ﴿**إني ظلمت نفسى فاغفر لي**. ﴿**إنه هو الغفور الرحيم**﴾: تعليل لقوله: فغفر له. ﴿**قال: رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين**. . .﴾ دعا موسى ربه بأن لا يجعله معيناً ومساعداً للمجرمين بسبب ما أنعم عليه بالقوة. ﴿**فأصبح في المدينة خائفاً يترقب**﴾: أصبح موسى خائفاً يخشى عاقبة ما فرط منه في قتل الرجل. . . يترقب: يتوقع ويترصد ولينظر يميناً وشمالاً خوفاً وتوقعاً مما سيحصل له بعد. . . ﴿**فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه**. . .﴾ استنصره: طلب نصرته. والأمس: هو اليوم السابق لليوم الحاضر. والاستصراخ: الاستنجاد برفع الصوت. ﴿**قال له موسى: إنك لغوي مبين**. . .﴾ الغويّ: من أنصف بالغيّ، وهو ضد الهدى والرشاد، ﴿**فلما أن أراد أنْ يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس**. . .﴾ البطش: الأخذ بالعنف والسطوة والبأس. ﴿**إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض**. . .﴾ الجبار: هو الذي يفعل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب. وهو المتعظم الذي لا يتواضع. . . ولا يرى لأحد عليه حقاً، قاسٍ قلبه لا تدخله الرحمة. . . ﴿**وما تريد أن تكون من المصلحين**. . .﴾ المصلح: من يصلح بين الناس بالقول

والفعل. وهي ضد المفسد. ﴿**وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى**. . .﴾ أقصى المدينة: أبعد مكان فيها. يسعى: يسرع قاصداً إعلامه: ﴿**قال يا موسىٰ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك**. . .﴾ الائتمار: المشاورة في أمر مهم وخطير. ومؤامرة الملإ في قتل موسى متى وكيف يكون؟!. ﴿**فاخرج إنى لك من الناصحين**. . .﴾ الناصح: من يشير بالخير على الغير، بإخلاص ومحبة. . . ﴿**فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجّني من القوم الظالمين**﴾: معنى الكلمات في الآية واضح. ﴿**ولما توجه تلقاء مدين**. . .﴾ توجّهَ: ولى وجهه تلقاء مدين. . . ﴿**قال: عسى ربي أن يهديني سواء السبيل**. . .﴾ فقصد جهة بلاد مدين وطلب راجياً من ربه أن يهديه الطريق السوي السهل المستطاع. . . ﴿**ولما ورد ماء مدين**. .﴾ ورد: بلغ ووصل إلى مكان معاطن السقي خارج البلد. ﴿**وجد عليه أمة من الناس يسقون**. . **ووجد من دونهم امرأتين تذودان**. .﴾ تذودان: تمنعان ما معهما من الأغنام عن التقدم وإلى مكان السقي خوفاً ومهابة. . ﴿**قال: ما خطبكما**﴾؟ ما شأنكما وما قصتكما حيث جئتما هنا وحدكما دون مساعد. . ﴿**قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير**﴾!. . الرعاء: جمع راع. وهو الذي يحرس الماشية ويقوم بشؤونها. . ﴿**وأبونا شيخ كبير**﴾: طاعن في السن ضعيف لا يستطيع مزاولة الرعي والسقي. . فسقى لهما. . ثم تولى إلى الظل. .﴾ ﴿**فقال ـ رب ـ: إني لما أنزلت إلىّ من خير فقير**. . **فجاءته إحداهما تمشي على استحياء**. .﴾ الاستحياء: شدة الحياء كما هو شأن الشريفات من النساء. ﴿**قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا**. .﴾ أجر ما سقيت لنا: جزاء السقي الذي قمت به نحونا. .

﴿**فلما جاءه وقص عليه القصص**. .﴾ قصّ عليه القصص: أخبره بما جرى له في مصر وفي الطريق حتى وصل إليه. ﴿**قال: لا تخف نجوت من القوم الظالمين**. . **قالت إحداهما يا أبت: استأجره**. .﴾ استأجره: اجعله راعياً وقائماً بشؤون غنمنا بدلنا، مقابل أَجْرٍ يعطى له. . ﴿**إن خير من استأجرت القوي الأمين**﴾: رأت قوته في سقيه عندما اقتحم البئر وهابته الأمة القوية. . وأمين في معاملته معهما ومع من جاءته تمشي على استحياء. ﴿**قال: إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج**﴾: قال الأب لموسى: إني أريد أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين على أن تكون أجيراً لي ثمانية أعوام. . ﴿**فإن أتممت عشراً فمن عندك**﴾: فإن أكملت عشر سنين فهو تفضل منك دون إلزام مني. .

﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ بإلزام إتمام العشر.. **﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾** في حسن المعاملة، وليّن الجانب، والوفاء بالعهد.. **﴿قال ذلك بيني وبينك﴾**: قال موسى: ذلك العهد قائم وثابت بيني وبينك. **﴿أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ﴾**: شرط على ما عهد به من الثماني أو العشر.. والله على ما نقول وكيل: تفويض منهما على ما اتفقا عليه إلى الله تعالى. **﴿فلما قضى موسى الأجل﴾**: أكمل المدة المتفق عليها بينهما.. **﴿وسار بأهله﴾**: خرج من مدين بأهله إلى مصر. **﴿آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً..﴾** آنس الشيء: أبصره وأحسّ به. ومثله آنست.. **﴿لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون..﴾** الجذوة: القبسة من النار. وأصلها العود الغليظ سواء كانت في رأسه ناراً أَوْلاَ.

﴿فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين..﴾ شاطىء الوادي الأيمن: جانب الوادي عن يمين موسى وهو متجه إلى ناحية مصر. البُقْعَة: القطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها. وقد تقدم معنى هذا الكلام في سورتي طه والنمل مع اختلاف في بعض الكلمات. وكذلك: **﴿وأن الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين. أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب..﴾** الرهب: الخوف، **﴿فذانك برهانان﴾**: إشارة إلى العصا واليد. وهما حجتان نيّرتان. والبُرهان مأخوذ من قولهم: بره الرجل إذا ابيضّ. ونظيره تسمية الحجة سلطاناً من السليط، وهو الزيت؛ لإنارتها **﴿إلى فرعون وملإه إنهم كانوا قوماً فاسقين..﴾** **﴿قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون... وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداً يصدقني إني أخاف أن يكذبون..﴾** أفصح: أوضح بياناً... رداً: مخفف رِدْءً. والردء: القوة والعماد والعون. **﴿قال: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما..﴾** شدة العضد: قوة الشخص بقوة اليد على مزاولة الأمور وشدتها بشدة العضد. والعضد: ما بين المرفق إلى الكتف. **﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون.. فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا: ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾**: معنى كلمات هذه الآية والتي قبلها واضح لا يحتاج إلى بيان. **﴿وقال موسى: ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون**

له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾ كذلك معنى كلمات هذه الآية واضح **﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحاً. .﴾** أوقد: أشعل النار بوضع الحطب عليها لشيّ الطين وحرقه ليكون آجراً صلباً. . يُبْنِى منه بناء شامخ يرقى عليه إلى مكان إله موسى!. . **﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون. . فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين. . وجعلناهم أئِمّة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين. . ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾**: هذه الخمس الآيات كلماتها لا تحتاج إلى بيان.

مبحث الإعراب

﴿طسُمٌّ تلك آيات الكتاب المبين﴾ تقدم إعراب مثل هذا الكلام أول سورة الشعراء. **﴿نتلو﴾** فعل مضارع. والفاعل نحن. **﴿عليك﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿من نبإٍ﴾** من في محل نصب مفعول نتلو. أي: بعض نبإٍ. . **﴿موسى﴾** مضاف إلى نبإ. و**﴿فرعون﴾** معطوف على موسى **﴿بالحق﴾** متعلق بمحذوف حال من نبإ. أي: ملتبساً بالحق. **﴿لقوم﴾** متعلق بنتلو. **﴿يؤمنون﴾** فعل وفاعل. والجملة نعت لقوم. **﴿إنّ فرعون﴾** إنّ واسمها. **﴿علا﴾** فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على فرعون. **﴿في الأرض﴾** متعلق بعلا. **﴿وجعل﴾** معطوف على علا. **﴿أهلها﴾** مفعول أول. **﴿شيعا﴾** مفعول ثان. **﴿يستضعف﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على فرعون. **﴿طائفة﴾** مفعول به. **﴿منهم﴾** متعلق بمحذوف نعت لطائفة. وجملة يستضعف بيانية لا محل لها من الإعراب. **﴿يذبح﴾** تفسير ليستضعف. . **﴿أبناءهم﴾** مفعول به. **﴿ويستحيي﴾** معطوف على يذبح. **﴿نساءهم﴾** مفعول به. **﴿إنه﴾** إنّ واسمها. **﴿كان﴾** اسم كان ضمير يعود على فرعون. **﴿من المفسدين﴾** متعلق بمحذوف خبر كان. وجملة كان من المفسدين في محل رفع خبر إنّ. وجملة إنه كان من المفسدين تعليلية لا محل لها من الإعراب. **﴿ونريد﴾** فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة معطوفة على جملة إن فرعون علا في الأرض. . **﴿أن نمن﴾** فعل مضارع دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. والفاعل نحن. وأن

وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول نريد. ﴿على الذين﴾ متعلق بنمُنّ. ﴿استضعفوا﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿في الأرض﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿ونجعلهم﴾ معطوف على نمن. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿أئمّة﴾ مفعول ثان، ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ معطوف على نجعلهم أئمّة. ﴿ونمكن﴾ معطوف على نمن. ﴿لهم في الأرض﴾ متعلقان بنمكن. ﴿ونرى﴾ عطف على نمنّ. ﴿فرعون﴾ مفعول أول.

﴿وهامان وجنودهما﴾ معطوفان على فرعون. ﴿منهم﴾ متعلق بنرى. ﴿ما﴾ في محل نصب مفعول ثان. ﴿كانوا﴾ كان واسمها. يحذرون فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا ﴿يحذرون﴾ صلة ما. ﴿وأوحينا﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿إلى أم﴾ متعلق بأوحينا. ﴿موسى﴾ مضاف إلى أم. مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿أن﴾ تفسيرية. ﴿أرضعيه﴾ فعل أمر. والفاعل ضمير يعود على أم موسى. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿فإذا﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. والفاء للتعقيب. ﴿خفت﴾ فعل وفاعل. ﴿عليه﴾ متعلق بخفت. ﴿فألقيه﴾ فعل أمر مثل أرضعيه. والجملة جواب شرط إذا. والفاء رابطة للجواب. ﴿في اليم﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿ولا تخافى﴾ فعل مضارع دخلت عليه لا الناهية الجازمة. والواو للعطف. والفاعل ضمير المخاطبة. ﴿ولا تحزني﴾ معطوف على ما قبله وإعرابه مثله. ﴿إنا﴾ إنّ واسمها. ﴿رادوه﴾ خبرها. . ﴿إليك﴾ متعلق برادّوه. ﴿وجاعلوه﴾ معطوف على رادّوه: ﴿من المرسلين﴾ متعلق بما قبله. وجملة إنا رادوه إليك. . تعليلية. ﴿فالتقطه﴾ فعل ماض. والفاء للتعقيب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿آل﴾ فاعل. ﴿فرعون﴾ مضاف إلى آل. ﴿ليكون﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد لام العاقبة. واسم يكون ضمير يعود على موسى. ﴿لهم﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿عدوا﴾ خبر يكون. ﴿وحزنا﴾ معطوف على الخبر قبله. واللام داخل على مصدر مؤول بأن وما بعدها مجرور به متعلق بالتقطه. ﴿إن فرعون﴾ إنّ واسمها. ﴿وهامان وجنودهما﴾ معطوفان على فرعون. ﴿كانوا﴾ كان واسمها. ﴿خاطئين﴾ خبر كان. وجملة كانوا خاطئين في محل رفع خبر إنّ. والجملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب. ﴿وقالت امرأةُ﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على جملة فالتقطه. . ﴿فرعون﴾ مضاف إلى امرأة. ﴿قُرّةُ﴾ خبر لمبتدأ مقدر، أي: هو قرةُ. ﴿عينٍ﴾ مضاف إلى

قرّة. ﴿لي﴾ متعلق بمحذوف نعت لقرة. ﴿ولك﴾ عطف على لي. ﴿لا تقتلوه﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه لا الناهية الجازمة. ﴿عسى﴾ من أفعال الترجي. فعل ماض ناقص. واسمه ضمير يعود على موسى ﴿أن ينفعنا﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية والفاعل ضمير يعود على موسى. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبر عسى. وجملة عسى أن ينفعنا تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿أو نتخذه﴾ معطوف على ينفعنا. ﴿ولدا﴾ مفعول ثان. ﴿وهم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿لا يشعرون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدأ. وجملة وهم لا يشعرون حال من آل فرعون.

﴿وأصبح﴾ فعل ماض ناقص. ﴿فؤادُ﴾ اسم أصبح. ﴿أمِّ﴾ مضاف إلى فؤاد. ﴿موسى﴾ مضاف إلى أم. ﴿فارغاً﴾ خبر أصبح. ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. ﴿كادت﴾ فعل ماض ناقص. واسمه ضمير يعود على أم موسى. ﴿لتبدى﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على أم موسى. واللام فارقة بين إن المخففة وإن النافية. ﴿به﴾ متعلق بتبدى وجملة لتبدي به في محل نصب خبر كادت. ﴿لولا﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿أن ربطنا﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية. ﴿على قلبها﴾ متعلق بربطنا. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ. أي: لولا ربطنا.. وخبر المبتدإ محذوف. أي: موجود. ﴿لتكون﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام. واسم تكون ضمير يعود على أم موسى. ﴿من المؤمنين﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. واللام داخل على مصدر مؤول مع أن وما دخلت عليه مجرور بها متعلق بربطنا. وجواب شرط لولا محذوف يدل عليه قوله: إن كادت لتبدى به. ﴿وقالت﴾ أمُّ موسى. ﴿لأخته﴾ متعلق بقالت. ﴿قُصّيه﴾ فعل أمر. والفاعل ياء المخاطبة في قصيه. والضمير المتصل مفعول. وجملة قصيه مقول القول. ﴿فبصُرت﴾ فعل ماض. والفاء للتعقيب. والفاعل ضمير يعود على أخته. ﴿به عن جنب﴾ متعلق ببصرت. ﴿وهم لا يشعرون﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب الجملة السابقة. ﴿وحرمنا﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿عليه﴾ متعلق بحرمنا ﴿المراضع﴾ مفعول به. ﴿من قبلُ﴾ متعلق بحرمنا. ﴿فقالت﴾ أخت موسى. ﴿هل أدلكم﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والضمير المتصل بالفعل مفعول.

والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**على أهل**﴾ متعلق بأدلكم. ﴿**بيتٍ**﴾ مضاف إلى أهل. ﴿**يكفلونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة بيانية. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**له**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**ناصحون**﴾ خبر المتبدأ، والجملة حال من فاعل يكفلونه. ﴿**فرددناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب والترتيب. ﴿**إلى أمه**﴾ متعلق برددناه. ﴿**كي**﴾ حرف تعْليل. ﴿**تقر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد كي. ﴿**عينُها**﴾ فاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بكي التعليلية متعلق برددناه. ﴿**ولا تحزن**﴾ معطوف على تقر. ﴿**ولتعلم**﴾ معطوف على كي تقر. ﴿**أنَّ وعد**﴾ إنَّ واسمها، ﴿**الله**﴾ مضاف إلى وعد. ﴿**حقٌّ**﴾ خبر إنّ وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول تعلم.

﴿**ولكن**﴾ حرف استدراك ينصب الاسم ويرفع الخبر. ﴿**أكثرهم**﴾ اسم لكن والضمير مضاف إليه. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر لكنّ. ﴿**ولما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**بلغ**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**أشدَّه**﴾ مفعول به. ﴿**واستوى**﴾ معطوف على بلغ. ﴿**آتيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة جواب شرط لمّا. ﴿**حكما**﴾ مفعول ثان بآتيناه. ﴿**وعلما**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**وكذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق. وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**نجزي**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**المحسنين**﴾ مفعول به. وتقدير الكلام: نجزي المحسنين جزاء مثْلَ هذا الجزاء. ﴿**ودخل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**المدينة**﴾ مفعول به. ﴿**على حين**﴾ متعلق بدخل. ﴿**غفلةٍ**﴾ مضاف إلى حين. ﴿**من أهلها**﴾ متعلق بمحذوف نعت لغفلة. ﴿**فوجد**﴾ مرتب على دخل. ﴿**فيها**﴾ متعلق بوجد. ﴿**رجلين**﴾ مفعول به. ﴿**يقتتلان**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لرجلين. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من شيعته**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة بيانية. ﴿**وهذا من عدوّهِ**﴾ معطوف على ما قبله. وهو مثله في الإعراب. ﴿**فاستغاثه**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع فاعل. . ﴿**من شيعته**﴾ متعلق بمحذوف صلة الموصول. ﴿**على الذي**﴾ متعلق باستغاثه. ﴿**من عدوه**﴾ متعلق بما تعلق به الأول. ﴿**فوكزه**﴾ مرتب على استغاثه. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**موسى**﴾ فاعل وكز. ﴿**فقضى**﴾ مرتب على وكزه. . ﴿**عليه**﴾ متعلق بقضى. . ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من**

عمل﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. **﴿الشيطان﴾** مضاف إلى عمل. وجملة هذا من عمل الشيطان مقول القول. **﴿إنه﴾** إنّ واسمها، **﴿عدوٌّ مضلٌّ مبين﴾**: أخبارٌ لإنّ. وجملة إن واسمها وخبرها تعليلية. **﴿قال موسى: ربِّ﴾** منادى حذف منه حرف النداء وياء المتكلم تخفيفاً. **﴿إني﴾** إنّ واسمها. **﴿ظلمت﴾** فعل وفاعل. **﴿نفسي﴾** مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل. ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى نفس. **﴿فاغفر﴾** فعل دعاء مرتب على ظلمت. والفاعل ضمير المخاطب يعود على ربّ. **﴿لي﴾** متعلق باغفر. **﴿فغفر﴾** فعل ماض مرتب على ما قبله، والفاعل ضمير يعود على ما عاد عليه ضمير اغفر. **﴿له﴾** متعلق بغفر. **﴿إنّه﴾** إنّ واسمها.

﴿هو﴾ ضمير فصل. **﴿الغفور الرحيم﴾** خبران لإنّ. وجملة إنه.. تعليلية.. **﴿قال﴾** موسى: **﴿رب﴾** منادى. **﴿بما﴾** متعلق بمحذوف مقدر.. **﴿أنعمت﴾** فعل وفاعل. **﴿عليّ﴾** متعلق بأنعمت. وجملة أنعمت صلة ما. **﴿فلن أكون﴾** فعل مضارع ناقص منصوب بلن. والفاء عاطفة على فعل مقدر. أي: قال رب أشكرك وأعترف بالنعمة التي أنعمتها عليّ فلن أكون. واسم أكون ضمير المتكلم. **﴿ظهيراً﴾** خبر أكون. **﴿للمجرمين﴾** متعلق بالخبر قبله. **﴿فأصبح﴾** فعل ماض ناقص. واسم أصبح ضمير يعود على موسى. **﴿في المدينة﴾** متعلق بأصبح. **﴿خائفاً﴾** خبر أصبح. **﴿يترقب﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على موسى. والجملة خبر ثان لأصبح. وجملة فأصبح.. مترتبة على ما قبلها.. **﴿فإذا الذي﴾** في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف المفاجأة وفاء التعقيب. **﴿استنصره﴾** فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذي، والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿بالأمس﴾** متعلق باستنصره. **﴿يستصرخه﴾** فعل مضارع. والفاعل هو فاعل استنصره. وجملة يستصرخه خبر المبتدأ. **﴿قال له﴾** متعلق بقال. **﴿موسى﴾** فاعل. **﴿إنك﴾** إنّ واسمها. **﴿لغويّ﴾** خبر إنّ. واللام لتأكيد الخبر. **﴿مبين﴾** نعت لغويّ. **﴿فلما﴾** ظرف متضمن معنى الشرط. **﴿أن﴾** صلة. **﴿أراد﴾** فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على موسى. **﴿أن يبطش﴾** فعل مضارع منصوب بأن والفاعل ضمير يعود على موسى. **﴿بالذي﴾** متعلق بيبطش. **﴿هو﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿عدوٌّ﴾** خبر المبتدأ. **﴿لهما﴾** متعلق بعدوّ. وجملة هو عدو لهما صلة الموصول. وأن يبطش مؤول بمصدر منصوب مفعول بأراد. **﴿قال: يا موسى﴾**

منادى مبني على ضم مقدر في محل نصب. والجملة جواب شرط لمّا. ﴿**أتريد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**أن تقتلني**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على موسى. وياء المتكلم في محل نصب مفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول. وجملة أتريد أن تقتلني مقول القول. ﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر. وما في محل جر بالكاف. ﴿**قتلت نفساً**﴾ فعل وفاعل مفعول. والجملة صلة ما. ﴿**بالأمس**﴾ متعلق بقتلت. ﴿**إن تريد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**إلاّ أن تكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأنْ. وإلاّ أداة استثناء مفرغ. واسم تكون ضمير يعود على موسى. ﴿**جباراً**﴾ خبر تكون. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بجبار.

﴿**وما تريد أن تكون**﴾ مثل أن تريد إلا أن تكون في الإعراب. ﴿**من المصلحين**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. ﴿**وجاء رجل**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من أقصى**﴾ متعلق بجاء. ﴿**المدينة**﴾ مضاف إلى أقصى. ﴿**يسعى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على رجل. والجملة في محل نصب حال من رجل. ﴿**قال: يا موسى**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إنّ الملأ**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يأتمرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع خبر إنّ. وجملة إن الملأ يأتمرون مقول القول. ﴿**بك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ليقتلوك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيأتمرون. أي: يأتمرون بك لأجل قتلك. ﴿**فاخرج**﴾ فعل أمر مرتب على قول الرجل: إن الملأ.. ﴿**إنّي**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لك**﴾ متعلق بما بعدها: ﴿**من الناصحين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. فخرج﴾ مرتب على قوله: فاخْرُجْ. وفاعل خرج ضمير يعود على موسى. ﴿**منها**﴾ متعلق بخرج. ﴿**خائفاً**﴾ حال من فاعل خرج. ﴿**يترقب**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على موسى. والجملة حال ثانية من فاعل خرج. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**رب**﴾.. ﴿**نجني**﴾ فعل دعاء. والفاعل ضمير يعود على الرب. وياء المتكلم في محل نصب مفعول. ﴿**من القوم**﴾ متعلق بنجّني. ﴿**الظالمين**﴾ نعت للقوم. ﴿**ولمّا توجه**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**تلقاء**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بتوجه. ﴿**مدين**﴾ مضاف إلى الظرف. مجرور بالفتحة للعلمية

والتأنيث. ﴿**قال**﴾ موسى. جواب الشرط. ﴿**عسى ربي**﴾ عسى واسمها. ﴿**أن يهديني**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على الرب. وياء المتكلم في محل نصب مفعول أول. ﴿**سواء**﴾ مفعول ثان. ﴿**السبيل**﴾ مضاف إلى سواء. وأن ما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبر عسى. ﴿**ولما ورد**﴾ مثل ولما توجّه في الإعراب. ﴿**ماء**﴾ مفعول به. ﴿**مدين**﴾ مضاف إلى ماء. ﴿**وجد**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على موسى. والجملة جواب الشرط. ﴿**عليه**﴾ متعلق بوجد. ﴿**أمة**﴾ مفعول به. ﴿**من الناس**﴾ متعلق بمحذوف نعت للناس. ﴿**يسقون**﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من الناس. ﴿**ووجد**﴾ معطوف على وجد عليه. ﴿**من دونهم**﴾ متعلق بوجد. ﴿**امرأتين**﴾ مفعول به. ﴿**تذودان**﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من امرأتين. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿ما﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**خطبكما**﴾ خبر المتبدأ.

﴿**قالتا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لا نسقي**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل نحن، وجملة لا نسقي مقول القول. ﴿**حتى يصدر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى التي هي بمعنى إلى. متعلق بالفعل قبله. ﴿**الرعاء**﴾ فاعل يصدر. ﴿**وأبونا**﴾ مبتدأ مرفوع بالواو.. ﴿شيخ﴾ خبر المبتدأ. ﴿**كبير**﴾ نعت لشيخ. ﴿**فسقى**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**لهما**﴾ متعلق بسقى. ﴿**ثم تولى**﴾ معطوف بثم على فسقي. ﴿**إلى الظل**﴾ متعلق بتولى. ﴿**فقال**﴾ مرتب على تولى. ﴿**رب**﴾.. ﴿**إني**﴾ إنّ واسمها. ﴿**إليّ من خير**﴾ متعلقان بأنزلت. ﴿**فقيرٌ**﴾ خبر إنّ. وجملة إني لما أنزلت... مقول القول. ﴿**فجاءته**﴾ مرتب على قال رب... ﴿**إحداهما**﴾ فاعل جاءت مرفوع بضمة مقدرة على الألف.. ﴿**تمشي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على إحداهما. والجملة حال من فاعل جاءت. ﴿**على استحياء**﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل تمشي، تمشي. أي: جاءته ماشيةً كائنةً على استحياء. ﴿**قالت**﴾ هي.. ﴿**إن أبي**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يدعوك**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الأب.. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة يدعوك خبر إنّ. وجملة إن أبي... مقول القول. ﴿**ليجزيك**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام. والفاعل ضمير يعود على الأب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيدعوك. أبي: يدعوك لجزائك

﴿**أجْر ما سقيت لنا**﴾. . ﴿**أجر**﴾ مفعول ثان. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى أجر. وما بعدها مؤولة بمصدر. أي: أجر سقيك ﴿**لنا**﴾ متعلق بما قبله. ﴿**فلما جاءه**﴾ جملة شرطية. ﴿**وقص**﴾ معطوف على جاءه. والفاعل في الفعلين ضمير موسى. ﴿**عليه**﴾ متعلق بقص. ﴿**القصص**﴾ مفعول به. ﴿**قال**﴾ الأبُ. ﴿**لا تخف**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب يعود على موسى. والجملة مقول القول. ﴿**نجوت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من القوم**﴾ متعلق بنجوت. ﴿**الظالمين**﴾ نعت للقوم. ﴿**قالت إحداهما**﴾ فعل وفاعل. ﴿**يا أبت**﴾ منادى حذفت منه ياء المتكلم وعوض عنها التاء. ﴿**استأجره**﴾ طلب منها لأبيها استئجار موسى. ﴿**إنّ خير**﴾ إنّ واسمها. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل جر مضاف إلى خير. ﴿**استأجرت**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول، ﴿**القويُّ الأمينُ**﴾ خبر إنّ. وجملة إن خير. . تعليلية.

﴿**قال**﴾ الأب لموسى: ﴿**إنّي**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أريد**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم يعود على الأب. والجملة خبر إنّ. وجملة إني أريد مقول القول. ﴿**أن أنكحك**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**إحدى**﴾ مفعول ثان منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**ابنتي**﴾ مضاف إلى إحدى مجرور بالياء. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى ابنتي حركت بالفتحة للتخفيف. ﴿**هاتين**﴾ عطف بيان لابنتي. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بأريد. أي: إني أريد إنكاحَك إحدى ابنتي. وجملة أريد خبر إنّ. وجملة إني أريد. . مقول القول. ﴿**على أن تأجُرني**﴾ حرف على دخل على مصدر مؤول مع أن وما بعدها متعلق بمحذوف حال من المفعول. أي: مشروطاً عليك ذلك. ﴿**ثماني**﴾ مفعول ثاني بتأجرني. والمفعول الأول ياء المتكلم في تأجرني. ﴿**حجج**﴾ مضاف إلى ثماني. ﴿**فإن أتممت عشراً**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط إن. والفاء للترتيب والتعقيب. ﴿**فمن عندك**﴾ متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف. والتقدير: فهو كائن من عندك. والجملة جواب شرط إنْ. والفاء رابطة للجواب. ﴿**وما أريد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير المتكلم. والواو للعطف. ﴿**أن أشق**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير الفاعل الأول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بأريد. أي: ما أريد مشقةً عليك في هذا الأمر. ﴿**ستجدني**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير

المتكلم. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. وحركت بالفتحة للتخفيف. ﴿**إن شاء الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط. والجملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب. ﴿**من الصالحين**﴾ متعلق بستجدني. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بيني**﴾ ظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة مقول القول: ﴿**وبينك**﴾ معطوف على بيني. ﴿**أيّما**﴾ اسم شرط. ﴿**الأجلين**﴾ مضاف إلى أيّ. وما زائدة. ﴿**قضيت**﴾ فعل وفاعل. والجملة فعل شرط أيَّما. ﴿**فلا عدوان**﴾ لا النافية للجنس واسمها. ﴿**عليّ**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. والجملة جواب شرط أيّما. والفاء رابطة للجواب. و﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**على ما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**نقول**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والجملة صلة ما.

﴿**وكيل**﴾ خبر المبتدأ. وجملة والله على ما نقول وكيل تذييلية. ﴿**فلما قضى موسى الأجل**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط لمّا. والفاء للتعقيب. ﴿**وسار**﴾ موسى﴾ معطوف على قضى.. ﴿**بأهله**﴾ متعلق بسار. ﴿**آنس**﴾ موسى جواب شرط لمّا. ﴿**من جانب**﴾ متعلق بآنس. ﴿**الطور**﴾ مضاف إلى جانب. ﴿**ناراً**﴾ مفعول بآنس. ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿**لأهله**﴾ متعلق بقال. ﴿**إنّي**﴾ إنّ واسمها. ﴿**آنست ناراً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. وجملة إني.. مقول القول. ﴿**لعلي**﴾ لعل واسمها. ﴿**آتيكم**﴾ خبر لعل. ﴿**منها بخبر**﴾ متعلقان بآتيكم. ﴿**أو جذوة**﴾ معطوف على خبر. ﴿**من النار**﴾ بيان بجذوة. ﴿**لعلكم**﴾ لعل واسمها. ﴿**تصطلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل رفع خبر لعلّ. ﴿**فلمّا أتاها**﴾ فاعل أتى ضمير يعود على موسى. والضمير المتصل بالفعل يعود على النار مفعول به. والجملة فعل شرط لما. والفاء للتعقيب والترتيب. ﴿**نودي**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على موسى. والجملة جواب شرط لمّا. ﴿**من شاطىء**﴾ متعلق بنودي ﴿**الوادي**﴾ مضاف إلى شاطىء. ﴿**الأيْمَن**﴾ نعت لشاطىء. ﴿**في البقعة**﴾ متعلق بنودي. ﴿**المباركة**﴾ نعت للبقعة. ﴿**من الشجرة**﴾ بدل اشتمال من قوله: في البقعة المباركة. ﴿**أن**﴾ تفسيرية. ﴿**يا موسى**﴾ منادى.. ﴿**إنّي**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الله العزيز الحكيم**﴾ أخبار متعددة للمبتدأ. والجملة خبر إنّ. وجملة إني أنا الله.. مُفسَّرة لا محل لها من الإعراب. ﴿**وأنْ ألق**﴾ فعل أمر دخلت أن التفسيرية وهو معطوف على قوله: أن يا موسى.. والفاعل ضمير يعود على موسى. ﴿**عصاك**﴾ مفعول

به. ﴿**فلما رآها**﴾ إعرابها مثل إعراب فلما أتاها. ﴿**تهتز**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على العصا. وجملة تهتز حال من العصا. ﴿**كأنها**﴾ كأنّ واسمها. ﴿**جانّ**﴾ خبر كأنّ. والجملة حال ثانية.. ﴿**ولى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على موسى. والجملة جواب شرط لمّا. ﴿**مدبراً**﴾ حال من الفاعل. ﴿**ولم يعقب**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل ضمير يعود على موسى. والجملة معطوفة على ولّى. ﴿**يا موسى**﴾ منادى.. ﴿**أقبل**﴾ أمر لموسى. ﴿**ولا تخف**﴾ عطف نَهْيٍ على أمْرٍ. ﴿**إنك**﴾ إنّ واسمها. من الآمنين متعلق بمحذوف خبر إنّ. وجملة إنك من الآمنين تعليلية. ﴿**اسلك**﴾ أمر لموسى. ﴿**يدك**﴾ مفعول به. ﴿**في جيبك**﴾ متعلق باسلك. ﴿**تخرج**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. والفاعل ضمير يعود على اليد. ﴿**بيضاء**﴾ حال من فاعل تخرج. ﴿**من غير**﴾ متعلق بتخرج. ﴿**سوء**﴾ مضاف إلى غير. واضمم معطوف على اسلك. ﴿**إليك**﴾ متعلق باضمم. ﴿**جناحك**﴾ مفعول به.

﴿**من الرهب**﴾ متعلق باضمم. ﴿**فذانك**﴾ مثنى مبتدأ مرفوع بالألف. والفاء للتعقيب والترتيب. ﴿**برهانان**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**من ربك**﴾ متعلق بمحذوف نعت للمثنى برهانان. ﴿**إلى فرعون**﴾ متعلق بما تعلق به ما قبله. ﴿**وملإه**﴾ معطوف على فرعون. ﴿**إنهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**قوماً**﴾ خبر كان. ﴿**فاسقين**﴾ نعت للخبر. وجملة كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر إنّ. وإن واسمها وخبرها تعليل لا محل لها من الإعراب. ﴿**قال**﴾ موسى ﴿**رب**﴾.. ﴿**إنّي**﴾ إنّ واسمها. ﴿**قتلت**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إنّ. وجملة إني قتلت.. مقول القول. ﴿**منهم**﴾ متعلق بقتلت. ﴿**نفساً**﴾ مفعول به. ﴿**فأخاف**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**أن يقتلوني**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بأخاف. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**وأخي**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.. ﴿**هارون**﴾ عطف بيان لأخي. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**أفصح**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**منّي**﴾ متعلق بأفصح. ﴿**لساناً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**فأرسله**﴾ طلب موجه من موسى إلى ربه. ﴿**معي**﴾ متعلق بأرسله ﴿**رِدًا**﴾: حال من المفعول. ﴿**يصدقنى**﴾: مجزوم في جواب الطلب ﴿**إني**﴾ إن واسمها. ﴿**أخاف أن يكذبوني**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة أخاف أن يقتلوني وجملة أخاف خبر إنّ. ﴿**قال**﴾ الله لموسى: ﴿**سنشد**﴾ فعل

مضارع والفاعل نحن. ﴿**عضدَك**﴾ مفعول به ﴿**بأخيك**﴾ متعلق بسنشد. ﴿**ونجعل**﴾ معطوف على سنشد. ﴿**لكما**﴾ متعلق بنجعل. ﴿**سلطاناً**﴾ مفعول به. ﴿**فلا يصلون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والفاء للترتيب والتعقيب. ﴿**إليكما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بحال مقدر. ﴿**أنتما**﴾ في محل رفع مبتدأ. و﴿**مَن**﴾ معطوف على المبتدأ. ﴿**اتبعكما**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على من. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة مَنْ. ﴿**الغالبون**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**فلما جاءهم موسى**﴾ جملة شرطية مرتبة على ما قبلها. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بجاءهم ﴿**بينات**﴾ حال من آيات. ﴿**قالوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**ما هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف النفي ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**سحر**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**مفترى**﴾ نعت لسحر مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**وما سمعنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**بهذا**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**في آبائنا**﴾ متعلق بحال من اسم الإشارة. ﴿**الأولين**﴾ نعت لآبائنا. ﴿**وقال موسى: ربي**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. ﴿**أعلم**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**بمن**﴾ متعلق بأعلم.

﴿**جاء**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**بالهدى**﴾ متعلق بجاء. وجملة جاء صلة مَنْ. ﴿**من عنده**﴾ متعلق بجاء. ﴿**وَمَنْ**﴾ عطف على من جاء. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون مقدم. ﴿**عاقبة**﴾ اسم تكون. والجملة صلة مَنْ. ﴿**الدار**﴾ مضاف إلى عاقبة. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يفلح الظالمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر إنّ. وجملة إنه لا يفلح الظالمون تعليلية. ﴿**وقال فرعون**﴾ فعل وفاعل معطوف على قول موسى. ﴿**يا أيها**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. وها للتنبيه. ﴿**الملأ**﴾ نعت لأيُّ باعتبار لفظها، ﴿**ما علمت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**من إله**﴾ مِنْ صلة وإله مفعول به مجرور بالباء في محل نصب. ﴿**غيري**﴾ نعت لإله. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى غير. ﴿**فأوقد**﴾ فعل أمر. والفاء للتعقيب والترتيب. ﴿**لي**﴾ متعلق بأوقد. ﴿**يا هامان**﴾ منادى مبنيّ على الضم في محل نصب. ﴿**على الطين**﴾ متعلق بأوقد. ﴿**فاجعل**﴾ لي مرتبة على أوقد لي. ﴿**صرحاً**﴾ مفعول به. ﴿**لعلي**﴾ لعل واسمها. ﴿**أطلع**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير المتكلم. والجملة خبر لعلّ. ﴿**إلى إله**﴾ متعلق بأطلع. ﴿**موسى**﴾ مضاف إلى إله مجرور بكسرة مقدرة على الألف.

﴿وإني﴾ إن واسمها. **﴿لأظنه﴾** فعل مضارع والفاعل ضمير المتكلم واللام لتوكيد الخبر. وجملة لأظنه خبر إنّ. والجملة عطف على ما قبلها. **﴿من الكاذبين﴾** متعلق بأظنه. **﴿واستكبر﴾** فعل ماض والفاعل ضمير يعود على فرعون. **﴿هو﴾** ضمير فصل. **﴿وجنوده﴾** معطوف على فاعل استكبر. **﴿في الأرض﴾** متعلق باستكبر. **﴿بغير﴾** كذلك. **﴿الحق﴾** مضاف إلى غير. **﴿وظنوا﴾** فعل وفاعل معطوف على استكبروا. **﴿أنهم﴾** أنّ واسمها. **﴿إلينا﴾** متعلق بما بعده: **﴿لا يرجعون﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر أنَّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب سد مسد مفعولي ظن. **﴿فأخذناه﴾** فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. **﴿وجنوده﴾** معطوف على الضمير المفعول. **﴿فنبذناهم﴾** مرتب على أخذناه وجنوده. **﴿في اليم﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾** تقدم إعراب مثلها. **﴿وجعلناهم﴾** فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. **﴿أئمة﴾** مفعول ثان. **﴿يدعون﴾** فعل وفاعل. والجملة نعت لأئمة.

﴿إلى النار﴾ متعلق بيدعون. **﴿ويوم﴾** منصوب على الظرفية. **﴿القيامة﴾** مضاف إلى يوم. **﴿لا يُنصرون﴾** لا نافية والفعل مبني للمجهول وواو الجماعة نائب الفاعل. والظرف متعلق بهذا الفعل. **﴿وأتبعناهم﴾** معطوف على جعلناهم. **﴿في هذه﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿الدنيا﴾** عطف بيان. **﴿لعنة﴾** مفعول ثان. **﴿ويوم القيامة﴾** متعلق بما بعده: **﴿هم﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿من المقبوحين﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. **﴿ولقد آتينا موسى﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. **﴿الكتاب﴾** مفعول ثان. **﴿من بعد﴾** متعلق بآتينا. **﴿ما﴾** مصدرية. **﴿أهلكنا القرون﴾** فعل وفاعل ومفعول. وما وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى بعد. **﴿الأولى﴾** نعت للقرون منصوب بفتحة مقدرة على الألف. **﴿بصائر﴾** حال من الكتاب. **﴿للناس﴾** متعلق ببصائر. **﴿وهدى ورحمة﴾** معطوفان على بصائر. **﴿لعلهم﴾** لعل واسمها. **﴿يتذكرون﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر لعل. والجملة تعليل.

مبحث الاسلوب البلاغي

﴿طسٓمٓ تلك آيات الكتاب المبين﴾: سميت هذه السورة بسورة القصص؛ لما

فيها من ذكر قصة موسى وهارون مع فرعون وهامان وقارون. وعلاقتها بما قبلها: إنها ابتدئت بحروف مثل الحروف التي في السورتين: سورة الشعراء وسورة النمل. وفيها تفصيل لما أجمل في السورتين.. فكانت هذه السورة شارحة لما أجمل في السورتين معاً على الترتيب.. فذكر في هذه من ذلك ما هو أبسط وأكثر مما تقدم في السورتين. وجملة ﴿**نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون**﴾ مستأنفة استئنافاً ابتدائياً. ومهد لنبإ موسى وفرعون بقوله: نتلو عليك؛ للتشويق لهذا النبإ؛ لما فيه من شتى العبر بعظيم تصرف الله في خلقه.. وإسناد التلاوة إلى الله اسنادٌ مجازيٌّ؛ لأنه الذي يأمر بتلاوة ما يوحى إليه من الكلام. والذي يتلو حقيقة هو جبريل ـ عليه السلام ـ بأمرٍ مِنَ الله. وجعلت التلاوة على النبي؛ لأنه الذي يتلقى ذلك المتلوّ. وعبر عن هذا الخبر بالنبإ، للإفادة أنه خبر ذو شأن وأهمية. واللام في قوله لقوم يؤمنون لام التعليل.. والمراد بقوم يؤمنون: قوم الإيمان شأنهم وسجيتُهم، كما دل عليه عبارة قوم.

وجيء بصيغة المضارع للدلالة على أن إيمانهم موجود في الحال ومستمر متجدد. ﴿**إن فرعون علا في الأرض**﴾: استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود.. وتصديره بحرف التوكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده. والمعنى: إن فرعون تجبر وطغى في أرض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان. وابتدئت القصة بذكر أسبابها لتكون عبرة للمؤمنين، يتخذون منها سنناً يعلمون بها علل الأشياء ومعلولاتها، ويسيرون في شؤونهم على طرائقها.. فلولا تجبر فرعون، وهو من قبيح الفعال، ما حل به وبقومه الاستئصال. والعلوُّ مستعار لمعنى التفوق على غيره غير محقوق بحق من دين أو شريعة أو رعى حقوق المخلوقات معه.. وإنما يتبع ما تحْدُوه إليه شهوته وإرضاء هواه! وحسبك أن فرعون كان يجعل نفسه إلهاً..! وجملة ﴿**وجعل أهْلَها شيعاً**﴾ متّصلة بالعطف على جملة علا في الأرض. جعل فرعونُ أهلَ مصر شيعاً وفرقاً ذات نزعات. تشيع كل فرقة إليه وتتزلف له بادّعاء الولاء والمحبة، وتتعادى الفِرقُ عليه ليأمن تألبهم عليه. وجملة ﴿**يستضعف طائفة منهم**﴾ استئناف بياني في جواب ماذا صنع بعد ذلك؟.. والتعبير بالمضارع لحكاية الحال الماضية. وجملة ﴿**يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم**﴾ تفسير لما قبلها.. وجملة ﴿**إنه كان من المفسدين**﴾ تعليل لجملة إن فرعون علا في الأرض.. وهو دال على شدّة تمكّن الإفساد منه. ذلك أن فعله

هذا اشتمل على مفاسد عظيمة: أولاً - التكبر والتجبر: فإنه مفسدة نفسية خطيرة تتولد منها مفاسد جمة: من احْتقار الناس والاستخفاف بحقوقهم، وبث عداوته فيهم، وسوء ظنه بهم، وأن لا يرقب فيهم موجبات فضل سوى ما يرضي شهوته وغضبه.. فإذا انضم إلى ذلك أنه ولي أمرهم وراعيهم كانت صفة الكبر مقتضية سوء رعايته لهم والاجتراء على دحض حقوقهم، وأن يرمقهم بعين الاحتقار.. فلا يعبأ بجلب المصالح لهم ودفع المضار عنهم؛ وأن يبتز منافعهم لنفسه، ويسخر من استطاع منهم لخدمة أغراضه، وأن لا يلين لهم في سياسة.. فيعاملهم بالغلظة. وفي ذلك بث الرعب في نفوسهم من بطشه وجبروته.. فهذه الصفة هي أمُّ المفاسد وجماعُها.. ولذلك قدمت على ما يذكر بعدها!. ثانياً - أنه جعل أهل المملكة شيعاً وفرقهم أقساماً.. وجعل منهم شيعاً مقربين منه.. ويفهم منه أنه جعل بعضهم بضد ذلك. وذلك فساد في الأمة يثير بينها التحاسد والتباغض، وجعل بعضها يتربص الدوائر ببعض..

فتكون الفرق المحظوظة عنده متطاولة على الفرق الأخرى. وتكدح الفرق الأخرى لتزحزح المحظوظين عن حظوظهم بإلقاء السعاية والوشايات الكاذبة فتحلوا محل الآخرين. وهكذا يذهب الزمان في مكايد بعضهم لبعض.. فيكون بعضهم لبعض فتنة!.. ثالثاً - أنه يستضعف طائفة من أهل مملكته فيجعلها محقرة مهضومة الجانب، لا مساواة بينها وبين فرق أخرى، ولا عدل في معاملتها كما يعامل به الفرق الأخرى، في حين أن لها من الحق في الأرض ما لغيرها؛ لأن الأرض لأهلها وسكانها الذين نشأوا فيها واستوطنوها.. رابعاً - إنه يذبح أبناءهم.. والقصد من ذلك أن لا تكون لغيره قوة.. خامساً - أنه يستحيي نساءهم ليصرن متعة له ولشيعته، وليظهر ضعف رجالهن وقهرهم أمامهن حيث يذبح أبناءهم وهم سكوت!.. وهذا الأخير خاص ببني إسرائل ولهذا عقبه بقوله: ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**﴾: اتصل هذا الكلام بالعطف على ما تقدم من الكلام في قوله: إن فرعون علا في الأرض.. فالمناسبة ما في المعطوف عليه من نبإ تذبيح الأبناء واستحياء النساء. وذلك من علو فرعون في الأرض. وهو بيان لنبإ موسى وفرعون.. فإن إرادة الله الخيرَ بالذين استضعفهم فرعون من تمام نبإ موسى وفرعون. وهو موقع عبرة عظيمة من

عبر هذه القصة. وجيء بصيغة المضارع في حكاية إرادة مضت؛ لاستحضار ذلك الوقت كأنه في الحال. ونكتة إظهار الذين استضعفوا في الأرض دون إيراد ضمير الطائفة؛ للتنبيه على مافي الصلة من التعليل.. فإن الله رحيم لعباده.. وينصر المستضعفين المظلومين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً!. وخص بالذكر من المنّ أربعة أشياء، عطفت على فعل نمنّ عطف الخاص على العام. وهي: جعلهم أئمة. وجعلهم الوارثين. والتمكين لهم في الأرض. وأن يكون زوال مُلكِ فرعونَ على أيديهم!. ﴿**أوحينا إلى أم موسى: أن أرضعيه**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على آية ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض.. إذ الكل من أجزاء النبإ. وتتضمن هذه الآية تفصيلاً لمجمل قوله: ونريد أن نمنّ. والوحي هنا وحيُ إلهام. وقوله: أن أرضعيه تفسير لأوحينا.. والأمر بإرضاعه يؤذن بجمل طُويت.. أمرها الله بإرضاعه لتقوى بنيته بلبن أمه خصوصاً في أول الولادة؛ إذ فيه مادة خاصة تنظف المعدة وتقويها وتجعل فيها مادة كالخميرة لمستقبل الرضاعة. وهو من إعجاز القرآن العلمي. وجملة ﴿**فإذا خفت عليه..**﴾ مرتبة على قوله: أن أرضيعه. وجملة ﴿**فألقيه في اليم**﴾ جواب شرط إذا خفت عليه. وقوله: ولا تخافي ولا تحزني معطوفان على ما سبقهما من الكلام. وجملة ﴿**إنا رادوه إليك**﴾ في موقع العلة للنهيين.. وجملة ﴿**وجاعلوه من المرسلين**﴾ معطوفة على إنا رادوه إليك. جيء بها لإدخال المسرة عليها؛ بحيث يبقى حيّاً إلى أن يكون رسولاً مثل إخوانه من المرسلين.. ففي هذه الآية خبران: وأوحينا.. فإذا خفت عليه.. وأمران: أن أرضعيه.. فألقيه.. ونهيان: ولا تخافي ولا تحزني.. وبشارتان: إنا رادوه إليك، وجاعلوه من المرسلين. وهذا من إعجاز القرآن البياني اللساني.

﴿**فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً**﴾: الفاء فصيحة؛ لأنها أفصحت عن كلام مقدر. والتقدير: ففعلت ما أمرت به من إرضاعه وإلقائه في اليم لمّا خافت عليه. وحذف ما حذف من الكلام تعويلاً على دلالة الحال، وإيذاناً بكمال سرعة الامتثال. ومعنى التقاط آل فرعون موسى أخذُهم إياه أخذ اللقطة. وهو الأخذ بالاعتناء والصيانة عن الضياع. وجملة ﴿**ليكون لهم عدواً وحزناً**﴾ استعارة تهكمية. وجملة ﴿**إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**﴾ في موضع العلة لجملة ليكون لهم عدواً وحزناً. ﴿**وقالت امرأة فرعون: قرة عين لي ولك، لا**

تقتلوه، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وهم لا يشعرون﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على آية فالتقطه آل فرعون. يدل هذا الكلام على أن الذين انتشلوا موسى جعلوه بين أيدي فرعون وامرأته، ولما رأته رقت له وصرفت فرعون عن قتله بعد أن همّ به.

وكانت امرأة فرعون امرأة ملهمة للخير.. وقدر الله نجاة موسى بسببها.. فقد سخّر الله لنجاة موسى ثلاث نسوة: أمَّه. وامرأةَ فرعون. وأختَه! عناية من الله لموسى حسب قول الله تعالى: **﴿وألقيت عليك محبة مني، ولتُصنع على عيني..﴾** وموقع جملة قرة عين لي ولك موقع التمهيد والمقدمة للغرض.. وموقع جملة لا تقتلوه موقع التفريع عن المقدمة؛ ولذلك فصلت عنها.. وأما جملة عسى أن ينفعنا فهي في موضع العلة لمضمون جملة لا تقتلوه.. فاتصالها بها كاتصال جملة قرّة عين لي ولك بها.. ولكن نظم الكلام قضى بهذا الترتيب البليغ؛ بأن جعل الوازع الطبيعي عن القتل، وهو وازع المحبة هو المقدمة؛ لأنه أشد تعلقاً بالنفس.. فهو يشبه المعلوم البديهي. وجعل الوازع العقلي بعد النهي علّةً؛ لاحتياجه إلى الفكر والتروي.. فتكون مهلة التفكير بعد سماع النهي الممهد بالوازع الطبيعي.. فلا تخشى جماع من النهي ورفضه إياه. ويتضمن قولها: عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً إزالة ما خامر نفس فرعون من خشية فساد مُلكه على يد فتى من أبناء بني إسرائيل؛ بأنّ هذا الطفل لا يكون هو؛ لأنه لمّا انضمّ إليهم وصار منهم بالتربية.. فإنه يُرجى منه نفعهم، وأنه لهم كالولد.. فأقنعت فرعون بقياس على الأحوال المجربة في علاقة التربية والمعاشرة والتبني والإحسان؛ ولذلك وقعت بَعْدَ الجملة المعترضة في قوله: وهم لا يشعرون. **﴿وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغاً..﴾** هذه الجملة متصلة بالعطف على جملة فالتقطه آل فرعون.. وجملة **﴿إن كادت لتبدي به﴾** دلّت على جواب جملة **﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾**. وجملة **﴿لتكون من المؤمنين﴾** علةٌ للربط على القلب. **﴿وقالت لأخته قصّيه﴾**: هذه الجملة متصلة بالعطف على ما ترتب على الأمر في قوله: فألقيه في اليم.. فألقته وقالت لأخته قصّيه.. **﴿فبصرت به عن جنب﴾**: مرتب على جملة قصّيه.. فصارت تراقبه من بعيد بجانب اليم.. **﴿وهم لا يشعرون﴾** بها.. **﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾**: هذه الجملة متصلة بالعطف على جملة فالتقطه آل فرعون.. ولما أخذوه وأرادوا إرضاعه امتنع عن المراضع.. فقالت أخته حين

علمت بالتقاط آل فرعون إياه وجاءت إليهم.. ﴿**فقالت هل أدلكم..**﴾؟ عرضت سعيها في ذلك بطريق الاستفهام المستعمل في العرض تلطفاً مع آل فرعون وإبعاداً للظنّة عن نفسها. وجملة ﴿**وهم له ناصحون**﴾ محتملة أن يكون النصح لموسى، وأن يكون لفرعون تخلصاً من إتهامها معرفته. وهي تورية لطيفة!

وجئ بالجملة الإسمية لقصد تأكيد أنّ النصح من سجاياهم، ومما ثبت لهم.. ﴿**فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق**﴾: الفاء فصيحة؛ لأنها أفصحت عن كلام مقدر؛ والتقدير: فقبلوا ذلك منها، ودلتهم على أمه وكلموها على إرضاعه فقبلت.. فرددناه إليها.. وقوله: كي تقر عينها.. ولتعلم أن وعد الله حق تعليل لما تضمنه الكلام السابق من رده إليها وسلامته مما تخافه عليه.. وموضع العبرة في هذه القصة: أنها تتضمن أموراً ذات شأن فيها ذكرى للمؤمنين، وموعظة للمشركين: أولاً ـ إظهار أن ما علمه الله وقدره هو كائن لا محالة وأن الحذر لا ينجي من القدر. ثانياً ـ إظهار أنّ العلوّ الحق لله تعالى، وللمؤمنين، وأنَّ علوَّ فرعون لم يُغْنِ عنه شيئاً في دفع عواقب الجبروت والفساد؛ ليكون ذلك عبرة للجبابرة المشركين من أهل مكة. ثالثاً ـ أن تمهيد القصة بعلو فرعون وفساد أعماله مشير إلى أنّ ذلك هو سبب الانتقام منه، والأخذ بنصر المستضعفين ليجد الجبابرةُ سوءَ عاقبةِ ظلمِهم، وليرجو الصابرون على الظلم أن تكون العاقبة لهم. رابعاً ـ الإشارة إلى حكمة ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم**﴾ في جانب بني إسرائيل. وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شر لكم في جانب فرعون؛ إذ كانوا فرحين باستخدام بني إسرائيل. خامساً ـ أنّ إصابة قوم فرعون بغتة مِن قِبَل مَن أمّلوا منه النفع أشدُّ عبرة للمعتبر، وأوقع حسرة على المستبصر، وأدلَّ على أن انتقام الله يكون أعظم من انتقام العدوّ، كما قال: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزناً مع قوله: عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً. سادساً ـ أنه لا يجوز بحكم التعقّل أن تستأصل أمة كاملة لتوقع مفسدة فيها لعدم التوازن بين المفسدتين ولأنّ الإحاطة بأفراد أمة كاملة متعذرة، فلا يكون المتوقع فساده إلا في الجانب المغفول عنه من الأفراد.. فتحصل مفسدتان هما أخذ البريء وانفلات المجرم. سابعاً ـ تعليم أن الله بالغ أمره بتهيئة الأسباب المفضية إليه. ولو شاء الله لأهلك فرعون ومن معه بحادث سماوي، ولما قدّر لإهلاكهم الصورة المرتبة. ولأنجي موسى وبني إسرائيل إِنجاءً أسرع.. ولكنه أراد أن يحصل ذلك بمشاهدة

تنقلات الأحوال بما حصل لموسى، وما آل إليه أمرُ فرعون وقومه. وتكون في ذلك عبرة للمشركين.. وليتوسموا من بوارق ظهور النبئ وانتقال أحوال دعوته في مدارج القوة.. حتى يكون مآلُهم ومآلُه مآل موسى وفرعون! ثامناً ـ العبرة بأن وجود الصالحين من بين المفسدين يخفّفُ من لَأْواء فساد المفسدين.. فإن وجود امرأة فرعون كان سبباً في صد فرعون عن قتل موسى مع أن فرعون تحقق أن موسى من بني إسرائيل. تاسعاً ـ ما في قوله تعالى: ﴿**ولتعلم أن وعد الله**﴾ حق من الإيحاء إلى تذكير المؤمنين بأنّ نصرهم حاصل بعد حين. وإلى وعيد المشركين بأن وعيدهم لا مفر لهم منه. عاشراً ـ ما في قوله تعالى: ﴿**ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾ من الإشارة إلى أن المرء يُؤتى من جهله النظر في أدلة العقلُ.

﴿**ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً**﴾: هذا الكلام اعتراض بين أجزاء القصة المرتبة على حسب ظهورها في الخارج. وبلوغ الأشد اكتمال نمو الجسم. واستوى تفسير وتأكيد لبلوغ الأشد. وجملة آتيناه حكماً وعلماً جواب الشرط. وفي هذا اكتمال نموِّ العقل. وجملة ﴿**وكذلك نجزي المحسنين**﴾ تذييلية مقررة لمضمون كل ما تقدم لموسى مع آل فرعون ورده لأمه لتربيه على دين قومه؛ ليتعلم شريعتهم، وليهتدي بهديهم؛ لأن شريعة يوسف وهديه وسنته بقيت مع بني إسرائيل.. فموسى حصل له مثل ما حصل ليوسف من امتحان واختبار!.. ﴿**ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها**﴾: اتصل هذا الكلام بالعطف على ما جرى لموسى قبل هذا الوقت.. ﴿**فوجد فيها رجلين يقتتلان**﴾: مرتب على ما قبله.. ﴿**هذا من شيعته وهذا من عدوه**﴾: بيان لصفة الرجلين باختلاف الجنسين.. ﴿**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه**﴾: مرتب على ما قبله.. ﴿**فوكزه موسى:**﴾ مرتب كذلك.. ﴿**فقضى عليه**﴾ أيضاً.. وجملة ﴿**قال: هذا من عمل الشيطان**﴾، مستأنفة استئنافاً بيانياً تبيّنُ ما حصل لموسى بعد قتله القبطي، عدوَّ بني إسرائيل. وجملة ﴿**إنه عدو مضل مبين**﴾ تعليل للعمل الغير المقصود.. فكل ما ينتج عنه يعتبر نتيجة للغضب الذي يثيره الشيطان في نفس الإنسان. ﴿**قال ـ رب ـ: إني ظلمت نفسي**﴾: هذه الجملة جاءت مستأنفة؛ لأنها واقعة موقع الحوار. اعتذر بها موسى لربه.. ﴿**فاغفر لي**﴾: مرتب على ما قبله.. ﴿**فغفر له**﴾: مرتب على طلب المغفرة. ﴿**إنه هو الغفور الرحيم**﴾: تعليل لحصول المغفرة لمن يطلبها من ربه.. ﴿**قال ـ رب ـ: بما أنعمت عليّ**﴾: إعادة قال

أفادت تأكيد الفعل لقال رب إني ظلمت.. واقتران جملة فلن أكون ظهيراً للمجرمين بالفاء؛ لأن الموصول كثيراً ما يعامل معاملة اسم الشرط. ﴿**فأصبح في المدينة خائفاً يترقب**﴾: تعقيب وتَرْتِيبٌ على ما تقدم من فعلِ موسى وقوله.. ﴿**فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه**﴾: تعقيب على ما قبله.. ومفاجأة لم يتوقعها موسى من صاحبه بالأمس.. ولهذا أجابه موسى موبخاً له ومستعتباً عليه: ﴿**قال له موسى: إنك لغوي مبين.. فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال ـ يا موسى ـ: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس**﴾؟!: جملة شرطية ترتبت على ما حصل لموسى من حوار بينه وبين صاحبه الإسرائيلي. وفهم عدوهما من حوارهما أنه الذي قتل القبطي بالأمس.

فقال ما قال.. واستمر في قوله إلى أن قال: ﴿**إن تريد إلاّ أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين.. وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى**﴾: الجملة متصلة بالعطف على ما تضمنه كلام القبط مع موسى.. فانتشر الكلام في قتل موسى القبطي وسمع هذا الرجل ما قالوه عن موسى وعلم ما دبروه له.. وجملة يسعى: تعطي السامع مدى اهتمام الرجل بإخبار موسى.. وجملة ﴿**قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك**﴾: مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ تبين الغرض الذي جاء من أجله. وفي خبره جدٌّ بتأكيده. وكونه صادراً من مصدر عال ناتجاً عن تدبر وترو وأخذ ورد.. فكانت نتيجته قتل موسى!. ﴿**فاخرج إني لك من الناصحين**﴾: عقب على إخباره بإبداء نصيحة تفيد موسى وتنجيه من مغبة ما دُبّر له.. ﴿**فخرج منها خائفاً يترقب**﴾: ترتب على قول الناصح خروج موسى من المدينة على غاية من الحذر وأخذ الحيطة لنفسه. ومع ذلك التجأ إلى ربه بالدعاء والتضرع: ﴿**رب نجني من القوم الظالمين..**﴾ فهذه هي قصة موسى في مرحلتها الأولى من ولادته.. إلى أن بلغ أشده واستوى.. إلى أن حصل ما حصل من أمر القتل ومؤامرة الملإ بقتله. ومحل العبرة في هذه القصة من قوله: ولما بلغ أشده.. إلى قوله: فخرج.. هو أن الله يصطفي من يشاء من عباده.. وأنه أعلم حيث يجعل رسالاته.. وأنه إذا تعلقت إرادته بشيء هيأ له أسبابه بقدرته، وأبرزه على أتقن تدبيره.. وأن الناظر البصير في آثار ذلك التدبير يقتبس منها دلالة على صدق الرسول في دعوته.. وأن أوضح تلك المظاهر هو مظهر استقامة السيرة ومحبّة الحق.. وأن دليل عناية الله بمن اصطفاه لذلك هو نصره على أعدائه

ونجاته مما دبروا له من المكايد. وفي ذلك كله مثل للمشركين لو نظروا في حال الرسول في ذاته وفي حالهم معه.. ثم إن في قوله: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك إيماءً إلى أن الرسول سيخرج من مكة، وأن الله منجيه من ظالميه. **﴿ولما توجه تلقاء مدين قال: عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾**: هذه هجرة نبوية تشبه هجرة إبراهيم ـ عليه السلام ـ عندما هاجر من العراق إلى الشام. وهو عطف على مقدر.. **﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾**: كلمة لمّا في هذه الجملة وفي التي قبلها ظرف للوقت. وهو توقيت وجود شيء لوجود غيره متضمن معنى الشرط.

وجملة قال: عسى ربي.. جواب شرط لمّا الأولى. وجملة وجد عليه أمة.. جواب شرط لمّا الثانية. وجملة **﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾** معطوفة على جواب الشرط الثاني. وجملة **﴿قال: ما خطبكما﴾**: مستأنفة استئنافاً بيانياً للحالة التي كانت عليها المرأتان.. **﴿قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاءُ﴾**: رد لسؤال موسى لهما. وجملة **﴿وأبونا شيخ كبير﴾** عطف على ما تضمنه قولهما. وهو اعتذار عن مجيئهما إلى هذا المكان.. فسقى لهما﴾: مرتب على ما سبقه من الكلام.. **﴿ثم تولى إلى الظل:﴾** بعد ما سقى لهما وذهبتا إلى أبيهما. رجع إلى مكان فيه ظل ليستريح.. **﴿فقال رب: إني لما أنزلت إليَّ مِنْ خيرٌ فقيرٌ﴾**: مرتب على ما قبله.. ففي كلام موسى هذا اتجاه إلى ربه وتفويض إليه في حله وترحاله.. فقد قال قبل هذا الكلام هنا: عسى ربي أن يهديني سواء السبيل هناك!.. **﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾**: تعقيب على ما سبق من فعل موسى وقوله .. وذكر تمشي ليبنى عليه على استحياء وإلا فإن فعل جاءت مُغْن عن ذكر تمشي. وعلى للاستعلاء المجازي مستعارة للتمكن من الوصف. والاستحياء مبالغة في الحياء. وجملة **﴿قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾**، مستأنفة استئنافاً بيانياً. بينت له الغرض من دعوته.. مبادرة بالإكرام. وتأكيد الجملة في قولها: إنّ أبي.. تحقيق لخبرها واهتمام به، وقصد إدخال المسرة على المُخْبَرِ بِهِ. وأسندت الدعوة إلى أبيها وعلّلتها بالجزاء لئلاّ يُوهم كلامها ريبة.. ففي كلامها هذا من الدلالةِ على كمال العقل وقوة الحياء وشدة العفة ما لا يخفى!.. **﴿فلما جاءه وقص عليه القصص قال: لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾**: أسرع موسى ـ عليه السلام ـ في استجابة خبر المرأة.. فذهب

معها إلى أبيها.. فلما جاءه.. قال له الأب: لا تخف.. فجملة نجوت من القوم الظالمين تعليل للنهي عن الخوف. ووَصفَ قومَ فرعون بالظالمين تصديقاً لما أخبره به موسى من رَومِهِمْ قتْلَه.

﴿قالت إحداهما يا أبت: استأجره إن خير من استأجرت القويُّ الأمينُ﴾: قبل هذا الكلام كلام مقدر: وهو ما لقيه موسى من الجزاء بإضافته وإطعامه والحفاوة به.. وانتقل منه إلى عرض إحدى المرأتين على أبيها أن يستأجره للعمل في ماشيته، إذ لم يكن بينهم رجل يقوم بذلك. وقد كبر أبوهما.. فلما رأت أمانته وورعه، رأت أنهُ خيرُ من يُستأجر للعمل عندهم؛ لقوته على العمل وأمانته.. وجعل خير من استأجره مسنداً إليه بجعله اسماً؛ لأن جعل القوي الأمين خبراً مع صحة جعل القوي الأمين هو المسند إليه؛ فإنهما متساويان في المعرفة من حيث إن المراد بالتعريف في الموصول المضاف إليه خير، وفي المعرف باللام هنا العموم في كليهما.. فأوثر بالتقديم في جزءي الجملة ما هو أهم وأولى بالعناية، وهو خير أجير لأن الجملة سيقت مساق التعليل لجملة استأجره.. فوصف الأجير أهم في مقام تعليلها، ونفس السامع أشد ترقباً لحاله. ومجيء هذا العموم عقب الحديث عن شخص معين يؤذن بأن المتحدث عنه ممن يشمله ذلك العموم.. فكان ذلك مصادفاً المحزّ في البلاغة؛ إذ صار إثبات الأمانة والقوّة لهذا المتحدّث عنه إثباتاً للحكم بدليل.. فكانت الجملة مشتملة على خصوصية تقديم الأهمّ، وعلى إيجاز الحذف، وعلى المذهب الكلامي. وبذلك استوفت غاية مقتضى الحال.. فكانت بالغة حدّ الإعجاز البياني!.. **﴿قال: إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج﴾**: هذا الكلام مستأنف استئنافاً بيانياً؛ كأنه قيل: فما قال أبوهما بعد أن سمع كلامها؟ فقيل: قال: إني أريد.. وفي تأكيد الجملة بإنّ إظهار لمزيد الرغبة فيما تضمنته الجملة. وفي قوله: هاتين إيماء إلى أنه كانت له بنات أخر غيرهما. والقصد أن يختار موسى إحدى هاتين على أن يعطيه مهراً. وهو رعي ثماني سنوات.. **﴿فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾**: مرتب على ما قبله.. فهو يطلب منه زيادة سنتين بعد الثماني على وجه التفضل لا الإلزام: **﴿وما أريد أن أشق عليك.. ستجدني إن شاء الله من الصالحين..﴾** قال موسى: **﴿ذلك بيني وبينك: أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عَلَيَّ..﴾** فقبل موسى الشرط، وجعل ذلك عهداً بينهما.. ثم جعلا ذلك كله تحت وكالة الله الذي لا

تخفى عليه خافية: ﴿**والله على ما نقول وكيل**﴾. والمراد بهذا الكلام توثيق العهد وأنه لا سبيل لأحد منهما إلى الخروج عنه أصلاً.. ﴿**فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً**﴾: أفصحت الفاء في هذه الجملة الشرطية عن كلام مقدر.. تقديره: عقد العقد وباشر موسى ما أريد منه.. فلما أتم الأجلين وخرج من مدين وسار بأهله تلقاء مصر ووصل سيناء آنس من جانب الطور ناراً. ﴿**قال لأهله امكثوا**﴾: استئناف بياني. ﴿**إني آنست ناراً**﴾: استئناف تعليلي. ﴿**لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون**﴾: علل موسى نفسه بوجود خبر جديد وجذوة نار تفيد.

وعلل أهله بفائدة النار بما فيها من الإضاءة والدفء من البرد والظلام الشديد. ﴿**فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة: أن يا موسى؛ إني أنا الله رب العالمين**﴾: قد تقدم معنى هذا الكلام في سورتي طه وطس مع اختلاف في اللفظ. ﴿**وأن ألق عصاك**﴾: هذه الجملة متصلة بالعطف على جملة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين. والفاء في قوله: ﴿**فلما رآها**﴾ فصيحة، أفصحت عن جمل حذفت تعويلاً على دلالة الحال عليها، وإشعاراً بغاية سرعة تحقق مدلولاتها. وتقدير الكلام: فألقاها فصارت حية فاهتزت فلما رآها تهتز وتتحرك كأنها جان لسرعة حركتها، ﴿**ولى مدبراً ولم يعقب. يا موسى أقبل ولا تخف.. إنك من الآمنين.. اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء.. واضمم إليك جناحك من الرهب.. فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوماً فاسقين. قال رب: إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن تقتلوني.. وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداً يصدقني إني أخاف أن يكذبوني.. قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً.. فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون**﴾: هذا الكلام واضح المعاني مرتب المباني، بالغ الغاية في إعجاز القرآن في أسلوبه البياني، وما فيه من الإطناب لا تخفي حكمته على أهل الذوق من علماء علم المعاني!.. ﴿**فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا: ما هذا إلا سحر مفترى**﴾!: طوى ما بين نداء الله إياه وبين حضوره عند فرعون من الأحداث لعدم تعلُّق الغرض به.. ففي الكلام إيجاز تقتضيه بلاغة الإعجاز. وأَسْنَدَ الآيات إلى موسى وحده؛ لأنه الرسول الأصلي الذي تأتي المعجزات على يديه. وجملة ﴿**وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين**﴾:

متصل بالعطف على قولهم: ما هذا إلا سحر مفترى.

والإشارة في الجملتين إلى ما جاء به موسى من الآيات البينات. ﴿**وقال موسى: ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده**﴾: لمّا قالوا قولاً صريحاً في تكذيبه، واستظهروا على قولهم بأن ما جاء به موسى شيءٌ ما علمه آباؤهم، أجاب موسى كلامهم بمثله في تأييد صدقه.. فإنه يعلّمه الله.. فما علم آبائهم في جانب علم الله بشيءٍ. وكان مقتضى الاستعمال أن يحكي كلام موسى بفعل القول غير معطوف بالواو شأن حكاية المحاورات.. فخولف ذلك هنا لمجيء حرف العطف؛ لأنه قصد هنا التوازن بين حجّة ملإ فرعون وحجّة موسى. وعاقبة الدار كلمة جرت مجرى المثل في خاتمة الخير بعد المشقّة؛ تشبيه لعامل العمل بالسائر المنتجع إذا صادف دار خصب واستقر بها. وأيّد ذلك كله بجملة ﴿**إنه لا يفلح الظالمون**﴾ دلالة على ثقته بأنه على الحق، وضمير إنه ضمير الشأن؛ لأن الجملة بعده ذاتّ معنىً له شأن وخطر.. فحاصل كلام موسى: ربي أعلم منكم بحال من أهّله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيئاً وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى. ولو كان كما تزعمون كاذباً ساحراً مفترياً لما أهّله لذلك؛ لأنه غنيّ حكيم لا يرسل الكاذبين، ولا ينبىء الساحرين. ولا يفلح عنده الظالمون. ﴿**وقال فرعون يا أيها الملأ: ما علمت لكم من إله غيري**﴾: كلام فرعون المحكي هنا واقع في مقام غير مقام المحاورة مع موسى فهو كلام أقبل به على خطاب أهل مجلسه إثر المحاورة مع موسى.. فلذلك حكى بحرف العطف؛ عطف القصة على القصة.. فهذه قصة محاورة بين فرعون وملئه في شأن دعوة موسى.. فهي حقيقةٌ بحرف العطف، كما لا يخفى. ﴿**فأوقد لي ياهامان على الطين**﴾: الفاء في هذه الجملة مفصحة ومعقبة على كلام مقدر.. والتقدير: إذا كان الأمر كما يقول موسى بوجود إله غيري فأوقد.. وإسناد الإيقاد إلى هامان مجاز سببي: وجملة ﴿**فاجعل لي صرحاً**﴾ مرتبة على أوقد لي.. وجملة ﴿**لعلي أطلع..**﴾ تعليلية. وجملة ﴿**وإني لأظنه من الكاذبين**﴾ تأكيد لما أراد، وإعلاماً بأن ترجيه الصعود إلى إله موسى ليس لأنه جازم بأنه هنالك. وقول فرعون هذا وأمره مراد به التلبيس على قوم في غاية الغباوة والجهل، وإفراط العماية والبلادة! وإلا لما نفق عليهم مثل هذا الهذيان. ولا يبعد أن يقال: كان فيهم من ذوي العقول من يعلم تمويهه وتلبيسه ويعتقد هذيانه فيما يقول، إلا أنه نظم نفسه في سلك الجهال، ولم يظهر خلافاً لما عليه

فرعون بحال من الأحوال! وذلك.. إما للرغبة فيما لديه أو للرهبة من سطوته واعتدائه عليه.. فكم من عالم وعاقل وفاضل فيما يظهر يوافق ويؤيد ما يفعله ويقوله الظلمة الجبابرة، ويصدقهم فيما يقولون.. وإن كان مستحيلاً أو كفراً فيما يدّعون!.. ﴿**واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على آية وقال فرعون يا أيها الملأ.. الخ.

وجملة ﴿**فنبذناهم في اليم**﴾ مرتبة على ما قبلها من قوله: ﴿**فأخذناه وجنوده..**﴾ والجملتان تمثيل فيما فعل الله بهم: أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم منبوذين.. فالفاء الأولى سببية، والفاء الثانية للتعقيب. وجملة ﴿**فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**﴾ جاءت تعقيباً على ما انتهى إليه أمر فرعون وجنوده قصد به الاعتبار بسوء عاقبتهم، لأجل ظلمهم أنفسهم بالكفر، وظلمهم موسى بالاستكبار عن سماع دعوته.. فهذا موضع العبرة من سوق هذه القصة ليعتبر بها المشركون.. فيقيسوا حال دعوة محمد ﷺ بحال دعوة موسى ـ عليه السلام ـ، ويقيسوا حالهم بحال فرعون وقومه.. فيوقنوا بأن ما أصاب فرعون وقومه من عقاب سيصيبهم لا محالة. وهذا من جملة محل العبرة بهذا الجزء من القصة ابتداء من قوله: ﴿**فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا: ما هذا إلا سحر مفترى..**﴾ فيعتبر الناس بأنّ شأن أهل الضلالة واحدٌ.. فإنهم يتلقّون دُعاةَ الخير بالإعراض والاستكبار واختلاق المعاذير.. فكما قال فرعون وقومه: ما هذا إلا سحر مفترى. قالت قريش: .. بل افتراه.. بل هو شاعر.. وقال فرعون وقومه: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، قالت قريش: ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة.. وكما طمع فرعون أن يبلغ إلى الله استكباراً منه في الأرض سأل المشركون: لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا.. وكما ظنوا أنهم لا يرجعون إلى الله ظن فرعون وقومه من قبلهم.. فيوشك أن يصيبهم ما أصاب فرعون وقومه.. ﴿**وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على آية واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق.. فكانوا ينصرون الضلال ويبثونه وكانت دعوةُ فرعون أمره.. ودعوةُ كهنته اختراع قواعد الضلالة وأوهامها.. ودعوةُ جنوده تنفيذ ذلك بالقوة والانتصار له!.. ﴿**وأتبعنٰهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على الآية التي قبلها زيادة في بيان ما وقع لفرعون وقومه وما سيقع؛ من لعنة الدنيا.. وقبح حالهم في العقبى. وكلمة هم من

المقبوحين بلغت غاية الشناعة والفظاعة!!.. ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون**﴾: هذه الآية اتصلت بالعطف على ما قبلها تلخص كل ما ذكر في قصة موسى من إيتائه التوراة بعد إهلاك فرعون ومن كانوا مثله من القرون الغابرة.. فكان هذا الكتاب بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ما فيه..

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**طسمّ تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون..**﴾: في هذا التوجيه عرض عام لما تضمنته السورة من الكلام.. هذه السورة مكية، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة. والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان.. نزلت تضع الموازين الحقيقية للقُوَى والقِيم.. نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود: هي قوّة الله.. وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون: هي قيمة الإيمان.. فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوّة. ومن كانت قوّة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة، ولو ساندته جميع القوى. ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله.. ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيءُ أصلاً! ومن ثمّ يقوم كيان السورة على قصة موسى وفرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه - قوم موسى - في الختام.. الأولى تعرض قوة الحكم والسلطان: قوّة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر، وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً لا حول له ولا قوة ولا ملجأ له ولا وقاية، وقد علا فرعون في الأرض، واتخذ أهلها شيعاً، واستضعف بني إسرائيل: يذبح أبناءهم ويستحيي نسائهم، وهو على حذر منهم، وهو قابض على أعناقهم.. ولكن قوة فرعون وجبروته وحذره ويقظته لا تغني عنه شيئاً.. بل لا تمكن له من موسى الطفل الصغير المجرد من كل قوة وحيلة، وهو في حراسة القوّة الحقيقية الوحيدة، ترعاه عين العناية وتدفع عنه السوء وتعمي عنه العيون، وتتحدى به فرعون وجنده تحدياً سافراً فتدفع به إلى جُحره وتدخل به عليه عَرِينُه .. بل تقتحم به عليه قلب امرأته، وهو مكتوف اليدين إزاءه، مكفوف الأذى عنه، يصنع بنفسه لنفسه ما يحذره ويخشاه!. والقصة الثانية تعرض قيمة المال ومعها قيمة العلم: المال الذي يستخف القوم وقد خرج عليهم قارون في زينته،

وهم يعلمون أنه أوتي من المال ما إن مفاتحه لتعيي العصبة من الرجال الأقوياء.

والعلم الذي يعتز به قارون ويحسب أنه بسببه وعن طريقه أوتي ذلك المال.. ولكن الذين أوتوا العلم الصحيح من قومه لا تستخفهم خزائنه، ولا تستخفهم زينتُه.. بل يتطلعون إلى ثواب الله، ويعلمون أنه خير وأبقى.. ثم تدخل يد الله فتخسف به وبداره الأرض، لا يغنى عنه ماله ولا يغنى عنه علمه؛ وتتدخل تدخلا مباشراً سافراً كما تدخلت في أمر فرعون فألقته في اليمّ هو وجنوده فكان من المغرقين! لقد بَغَى فرعون على بني إسرائيل واستطال بجبروت الحكم والسلطان.. ولقد بغى قارون عليهم واستطال بجبروت العلم والمال. وكانت النهاية واحدة: هذا خسف به وبداره، وذلك أخذه اليمُّ هو وجنوده. ولم تكن هنالك قوة تعارضها من قوى الأرض الظاهرة.. إنما تدخلت يد القدرة سافرة فوضعت حدًّا لِلبغى والفساد، حينما عجز الناس عن الوقوف للبغي والفساد. ودلت هذه وتلك على أنه حين يتمخض الشرّ ويسفر الفساد ويقف الخير عاجزاً والصلاح حسيراً؛ ويخشى من الفتنة بالبأس والفتنة بالمال. عندئذ تتدخل يد القدرة سافرة متحدية بلا ستار من الخلق ولا سبب من قوى الأرض؛ لتضع حداً للشر والفساد!.. وبين القصتين يجول السياق مع المشركين جولات يبصرهم فيها بدلالة القصص، ويفتح أبصارهم على آيات الله المبثوثة في مشاهد الكون تارة، وفي مصارع الغابرين تارة، وفي مشاهد القيامة تارة.. وكلها تؤكد العبر المستفادة من القصص.. فساق الله إليهم في هذه السورة قصة موسى وفرعون تبين لهم أين يكون الأمْنُ وأين تكون المخافة.. ويخوفهم عاقبة أمرهم بعد أن أعذر إليهم وأرسل فيهم رسولاً..

التوجيه الثاني: في هذا التوجيه تفصيل لما عرض في التوجيه الأول مجملاً: تبدأ السورة بأحرف ثلاثة: ط س م. للتنبيه إلى أنه من مثلها تتألف آيات الكتاب المبين البعيدة الرتبة المتباعدة المدى بالقياس لما يتألف عادة من هذه الأحرف في لغة البشر.. فهذا الكتاب ليس من عمل البشر، وهم لا يستطيعونه.. إنما هو الوحي يتلوه الله على عبده بوساطة الروح الأمين. وإلى القوم المؤمنين يوجه هذا الكتاب يربّيهم وينشئهم ويرسم لهم المنهاج، ويشقّ لهم الطريق. وهذا النبأ المتلو في السورة مقصود به أولئك المؤمنون، وهم به ينتفعون. وهذه التلاوة المباشرة

من الله تُلقي ظلال العناية والاهتمام بالمؤمنين؛ وتشعرهم بقيمتهم العظيمة ومنزلتهم العالية الرفيعة. وكيف؟!! والله ذو الجلال يتلو على رسوله الكتاب من أجلهم ولهم؛ بصفتهم هذه التي تؤهلهم لتلك العناية الكريمة. وبعد هذا الافتتاح يبدأ في عرض النبإ: نبإ موسى وفرعون.. فيبدأ في عرضه منذ أول حلقة في القصة ـ حلقة ميلاد موسى ـ ولا تبدأ مثل هذا البدء في أية سورة أخرى من السور الكثيرة التي وردت فيها قصة موسى..

ذلك: أن الحلقة الأولى من قصة موسى والظروف القاسية التي ولد فيها، وتجرده في طفولته من كل قوة ومن كل حيلة، وضعف قومه واستذلالهم في يد فرعون.. ذلك كله هو الذي يؤدي هدف السورة الرئيسي؛ ويبرز يد القدرة سافرة متحدية تعمل وحدها بدون ستار من البشر؛ وتضرب الظلم والطغيان والبغي ضربة مباشرة عندما يعجز عن ضربها البشر. وتنصر المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة؛ وتمكن للمعذبين الذين لا حيلة لهم ولا وقاية. وهو المعنى الذي كانت القلة المسلمة المستضعفة في مكة. في حاجة إلى تقريره وتثبيته. وكانت الكثرة المشركة الباغية الطاغية في حاجة إلى معرفته واستيقانه. ولقد كانت قصة موسى تبدأ غالباً في السور الأخرى من حلقة الرسالة ـ لا من حلقة الميلاد ـ حيث يقف الإيمان القوي في وجه الطغيان الباغي.. ثم ينتصر الإيمان وينخذل الطغيان في النهاية.. فأما هنا فليس هذا المعنى هو المقصود.. إنما المقصود: أن الشّرّ حين يتمحضّ يحمل سبب هلاكه في ذاته؛ والبغي حين يتمرد لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر. بل تتدخل يد القدرة وتأخذ بيد المستضعفين المعتدى عليهم.. فتنقذهم وتستنقذ عناصر الخير فيهم.. فهذا هو الغرض من سوق القصة في هذه السورة.

ومن ثمّ عُرضت من الحلقة التي تؤدي هذا الغرض وتبرزه.. وقبل أن تبدأ القصة يرسم السياق الجوّ الذي تدور فيه الأحداث، والظرف الذي يجري فيه القصص، ويكشف عن الغاية المخبوءة وراء الأحداث والتي من أجلها يسوق هذا القصص: ﴿**إن فرعون علا في الأرض**﴾. الخ هكذا يرسم المسرح الذي تجري فيه الحوادث، وتنكشف اليد التي تجريها. وتتكشف معها الغاية التي تتوخاها.. ولا يعرف على وجه التحديد من هو الفرعون الذي تجري حوادث القصة في عهده. فالتحديد التاريخي ليس هدفاً من أهداف القصة القرآنية، ولا يزيد في دلالتها شيئاً.

ويكفي أن نعلم أن هذا كله كان بعد زمان يوسف الذي استقدم أباه وإخوته.. وقد تكاثروا في مصر وأصبحوا شعباً كبيراً.. فلما كان ذلك الفرعون الطاغية علا في الأرض وتكبّر وتجبّر.. وجعل أهل مصر شيعاً متنافرة.. وجعل كل طائفة تسعى في شأن من شؤونه.. ووقع أشد الاضطهاد والبغي على بني إسرائيل؛ لأن لهم عقيدة غير عقيدته هو وقومه.. فبنو إسرائيل يدينون بدين جدهم إبراهيم وأبيهم يعقوب.. كذلك أحس الطاغية أن هناك خطراً على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة في مصر. ولم يكن يستطيع أن يطردهم منها، وهم جماعة كبيرة أصبحت تعد مئات الألوف.. فقد يصبحون إلباً عليه مع جيرانه الذين كانت تقوم بينهم وبين الفراعنة الحروب.. فابتكر عندئذ طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من هذه الطائفة التي لا تعبده ولا تعتقد بألوهيته: تلك هي تسخيرهم في العمل الشاق الخطر من الأعمال، واستذلالهم وتعذيبهم بشتى أنواع العذاب. وبعد ذلك كله تذبيح الذكور من أطفالهم عند ولادتهم، واستبقاء الإناث كي لا يتكاثر عدد الرجال فيهم. وبذلك تضعف قوتهم بنقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث؛ فوق ما يصبُّه عليهم من نكال وعذاب. هذه هي الظروف التي تجري فيها القصة.. ولكن الله يريد غير ما يريد فرعون، ويقدّر غير ما يقدر الطاغية. والطغاة البغاة تخدعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم.. فينسون إرادة الله وتقديره، ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون! ويختارون لأعدائهم ما يشاءون! ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون! والله يعلن هنا إرادته هو، ويكشف عن تقديره هو، ويتحدى فرعون وهامان وجنودهما بأن احتياطهم وحذرهم لن يجديهم فتيلاً:

﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون..﴾

فهؤلاء المستضعفون في الأرض الذين يتصرف الطاغية في شأنهم كما يريد له هواه البشع النكير.. فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، ويسومهم سوء العذاب والنكال. وهو مع ذلك يحذرهم ويخافهم على نفسه وملكه.. فيبث عليهم العيون والأرصاد ويتعقب نسلهم من الذكور ويفعل بهم ما يفعل بالخراف الضعاف!.. هؤلاء المستضعفون يريد الله أن يمنّ عليهم بهباتِهِ من غير تحديد، وأن يجعلهم أئمة وقادة، لا عبيداً ولا تابعين.. وأن يورثهم الأرض وأن يمكن لهم فيها.. فيجعلهم أقوياء راسخي الأقدام مطمئنين.. وأن يحقق ما يحذره فرعون وهامان وجنودهما

وما يتخذون الحيطة دونه، وهم لا يشعرون. هكذا يعلن السياق قبل أن يأخذ في عرض القصّة ذاتها. يعلن واقع الحال، وما هو مقدر في المآل.

التوجيه الثالث: ﴿**وأوحينا إلى أم موسى: أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾: في هذا التوجيد بدء عرض القصة من أولها.. ويبدأ التحدي، وتظهر يد القدرة تعمل سافرة بلا ستار.. فقد ولد موسى في ظل تلك الأوضاع القاسية التي رسمها السياق قبل البَدْء في القصّة ولد والخطر محدق به، والموت يتلفّت عليه، والشفرة مشرعة على عنقه؛ تهمّ أن تحتزّ رأسه.. وها هي ذي أمُّه حائرة ماذا تفعل به؟، خائفة عليه.. تخشى أن يصل نبؤه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكّين. ها هي ذي بطفلها الصغير في قلب المخافة، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينمّ عليه، عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة.. ها هي ذي وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة. هنا تتدخل يد القدرة فتتصل بالأم الوجلة القلقة المذعورة، وتلقي في روعها كيف تعمل وتوحي إليها بالتصرف.. فَيَا أمَّ موسى: أرضعيه!. فإرضاعه في هذا الوقت لازم؛ ليكون رصيداً له في المستقبل.. حتى يرجع إليك.. ﴿**فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، ولا تخافي ولا تحزني..**﴾ فهو في أمن. في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها.. اليد التي لا خوف معها.. اليد التي لا تقرب المخاوفُ من حماها.. اليد التي تجعل النار برداً وسلاماً.. وتجعل البحر ملجأ ومناماً.. اليد التي لا يجرُؤ فرعونُ الطاغية الجبار، ولا جبابرة الأرض جميعاً أن يدنوا من حماها الآمن العزيز الجناب!. ﴿**إنا رادوه إليك..**﴾ فلا خوف على حياته ولا حزن على بُعْدِهِ.. ﴿**وجاعلوه من المرسلين..**﴾ فتلك بشارة الغد ووعد الله أصدقِ القائلين. هذا هو المشهد الأول في القصة؛ مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوَفة، تتلقى الإيحاءَ المطمئن المبشر المثبّت المريح. وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحرور برداً وسلاماً.. ﴿**فالتقطه آل فرعون**﴾. هذا هو المشهد الثاني.. فموسى بين أيدي آل فرعون.. فكيف يكون هذا؟!. أهذا هُو الأمن؟ أهذا هو الوعد؟ أهذه هي البشارة؟..

وهل كانت المسكينة تخشى عليه إلا من آل فرعون؟ وهل كانت ترجف إلا

أن ينكشف أمره لآل فرعون؟ وهل كانت تخاف إلا أن يقع في أيدي آل فرعون؟. نعم.. ولكنها القدرة تتحدّى: تتحدّى بطريقة سافرة مكشوفة. تتحدّى فرعون وهامان وجنودهما.. إنهم ليتتبعون الذكور من مواليد قوم موسى خوفاً على ملكهم وعرشهم وذواتهم. ويبثون العيون والأرصاد على قوم موسى، لا يفلت منهم طفل ذكر.. فها هي ذي يد القدرة تلقي في أيديهم بلا بحث ولا كدّ بطفل ذكر وأيّ طفل؟ إنه الطفل الذي على يديه هلاكهم أجمعين! ها هي ذي تلقيه في أيديهم مجرداً من كلّ قوّة ومن كل حيلة، عاجزاً عن أن يدفع عن نفسه، أو حتى يستنجد! هاهي ذي تقتحم به على فرعون حصنه، وهو الطاغية السفاح المتجبّر، ولا تتعبه في البحث عنه في بيوت بني إسرائيل، وفي أحضان نسائهم الوالدات!.. ثم هاهي ذي تعلن عن مقصدها سافرة متحدّية: ﴿**ليكون لهم عدوّاً وحزناً**..﴾ ليكون لهم عدوّاً يتحدّاهم وحزناً يُدخل الهمَّ على قلوبهم: ﴿**إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**..﴾ ولكن كيف؟ كيف وها هوذا بين أيديهم مجرداً من كل قوّة مجرّداً من كلّ حيلة؟.. لتدع السياق يجيب: ﴿**وقالت امرأة فرعون: قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون**..﴾ لقد اقتحمت به يد القدرة على فرعون قلبَ امرأته، بعد ما اقتحمت به عليه حصنه. لقد حمته بالمحبة. ذلك الستار الرقيق الشفيف.. لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال. حمته بالحب الحاني في قلب امرأة.. وتحدّت به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره..

وهان فرعون على الله أن يحمي منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف: ﴿**قرة عين لي ولك**..﴾ وهو الذي تدفع به يد القدرة إليهم ليكون لهم ـ فيما عدا المرأة ـ عدواً وحزناً! لا تقتلوه.. وهو الذي على يده مصرع فرعون وجنده! ﴿**عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً**..﴾ وهو الذي تخبىء لهم الأقدار من ورائه ما حذروا منه طويلاً! ﴿**وهم لا يشعرون**..﴾ فبالقدرة القادرة التي تتحدّاهم وتسخر منهم وهم لا يشعرون!! وينتهي المشهد الثاني ويسدل الستار عليه إلى حين. ذلك شأن موسى.. فما بال أمه الوالهة وقلبها الملهوف؟ ﴿**وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين**..﴾ فقد سمعت الإيحاء، وألقت بطفلها إلى الماء.. ولكن أين هو يا ترى، وماذا فعلت به الأمواج؟ ولعلّها سألت نفسها: كيف؟ كيف أمنت على فلذة كبدي أن أقذف بها

في اليمّ؟ كيف فعلت ما لم تفعله من قبل أم؟ كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة؟ وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب؟! والتعبير القرآني يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حسية: فارغاً.. لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف: إن كادت لتبدى به.. وتذيع أمرها في الناس، وتهتف كالمجنونة: أنا أضعته، أنا أضعت طفلي، أنا ألقيت به في اليم اتباعاً لهاتف غريب: لولا أن ربطنا على قلبها.. وشددنا عليه وثبتناها، وأمسكنا بها من الهيام والشرود: لتكون من المؤمنين.. المؤمنين بوعد الله، الصابرين على ابتلائه، السائرين على هداه. ولم تسكت أم موسى عن البحث والمحاولة: ﴿**وقالت لأخته قصّيه..**﴾ اتبعي أثره، واعرفي خبره، إن كان حيّاً، أو أكلته دواب البحر أو وحوش البر.. أو أين مقره ومرساه؟ وذهبت أخته تقصّ أثره في حذر وخفية، وتتلمس خبره في الطرق والأسواق.. فإذا بها تعرف أين ساقته القدرة التي ترعاه؛ وتبصر به عن بعد في أيدي خدم فرعون يبحثون له عن ثدي للرضاع: ﴿**فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون. وحرمنا عليه المراضع من قبل.. فقالت: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون**﴾؟.. إن القدرة التي ترعاه تدبر أمره، وتكيد به لفرعون وآله.. فتجعلهم يلتقطونه، وتجعلهم يحبونه، وتجعلهم يبحثون له عن ضئر ترضعه، وتحرّم عليه المراضع لتدعهم يحتارون به وهو يرفض الثدي كلما عرضت عليه.. وهم يخشون عليه الموت أو الذبول!.. حتى تبصر به أخته من بعيدٍ فتعرفه، وتتيح لها القدرة فرصة لهفتهم على مرضع.. فتقول لهم: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون.. فيتلقفون كلماتها يستبشرون، يودون لو تصدق.. فينجو الطفل العزيز المحبوب.. ﴿**فرددناه إلى أمه كي تقر عينها..**﴾ فقد عاد الطفل الغائب إلى أمه الملهوفة، معافى في بدنه، مرموقاً في مكانته، يحميه فرعون وترعاه امرأته، وتضطرب المخاوف من حوله، وهو آمن قرير: ﴿**كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾.

التوجيه الرابع: ﴿**ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين..**﴾ في هذا التوجيه عرض لمرحلة أخرى من مراحل حياة موسى.. فبعد ما عرض مرحلة حياته الأولى من وقت ميلاده.. إلى التقاط آل فرعون له.. إلى رده إلى أمه.. ثم يسكت السياق بعد هذا عن السنوات الطوال ما بين مولده

والمرحلة التالية التي تمثل شبابه واكتماله.. فلا نعلم بعد رده إلى أمه لترضعه ماذا كان له؟ وكيف عاش؟ وأين المكان الذي عاش فيه؟ فيبدأ في عرض مرحلة حياته الثانية حين بلغ أشده واستوى.. فبلوغ الأشد اكتمال القوي الجسمية، والاستواء اكتمال للنضوج العضوي والعقلي.. فهل ظل موسى في قصر فرعون ربيباً ومتبنى لفرعون وزوجه.. حتى بلغ هذه السن؟ أم أنه افترق عنهما واعتزل القصر، ولم تسترح نفسه للحياة في ظل تلك الأوضاع الآسنة التي لا تستريح لها نفس مصفاة مجتباة كنفس موسى.. وبخاصة أن أمه لا بد أن تكون قد عرّفته من هو؟ ومن قومه؟ وعرفته بهم وبديانتهم التي تخالف ديانة فرعون وقومه.. فقد عرف ورأى كيف يسام قومه الخسف البشع والظلم الشنيع؟!؛ وهو يرى أبشع صورة للفساد الشائع الأثيم! ليس لدينا من دليل قاطع خارج.. لكن سياق الحوادث بعد هذا يلهم شيئاً من هذا.. والتعقيب على إتيانه الحكمة والعلم بقوله: وكذلك نجزي المحسنين يشِي كذلك بأنه أحسن فأحسن الله إليه. ومع هذا وذاك يقرن السياق موسى بيوسف في قوله: ولما بلغ أشده.. فجاء مثله في الحديث على يوسف في قوله تعالى: ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين.. فالمقارنة بينهما: كل منهما تربّى في مصر في بيت كبير أو وزير.. وكل منهما امتحن واختبر ورأى ما يجري في مصر وما يدور في بيوت كبراء مصر.. فموسى عرف من أمه ورأى من قومه ما هم عليه، وما يحاق بهم من فرعون وقومه من مؤامرة ومكر! ﴿**ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها.. فوجد فيها رجلين يقتتلان: هذا من شيعته، وهذا من عدوه.. فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه.. فوكزه موسى.. فقضى عليه**﴾: فمن أيّ مكان جاء.. فدخلها؟ وهل كان من القصر..؟ أم إنه كان قد اعتزل القصر والعاصمة.. ثم دخل إليها على حين غفلة من أهلها: وقت الظهيرة مثلاً، حين تغفو العيون؟

لقد دخل المدينة على كل حال.. فوجد فيها رجلين يقتتلان وقد كان أحدهما قبطياً.. والآخر إسرائيليًا.. فاستغاث الإسرائيلي بموسى مستنجداً به على عدوهما القبطي.. فكيف وقع هذا؟ كيف استغاث الإسرائيلي بموسى ربيب فرعون على رجل من رجال فرعون؟ إن هذا لا يقع إذا كان موسى لا يزال في القصر، متبنى، أو من الحاشية.. إنما يقع إذا كان الإسرائيلي على ثقة من أن موسى لم يعد متصلاً بالقصر، وأنه قد عرف أنه من بني إسرائيل، وأنه ناقم على فرعون

وحاشيته، منتصر لقومه المضطهدين. وهذا هو الأنسب لمن في مقام موسى.. فإنه بعيد الاحتمال أن تطيق نفسه البقاء في مستنقع الشر والفساد. فوكزه موسى فقضى عليه: المفهوم من التعبير أنها وكزة واحدة كان فيها حتف القبطي، مما يشي بقوة موسى وفتوته، ويصوّر كذلك انفعاله وغضبه؛ ويعبّر عمّا كان يخالجه من الضيق بفرعون ومن يتصل به.. ولكن يبدو من السياق أن موسى لم يكن يقصد قتل القبطي، ولم يعمد إلى القضاء عليه.. فما كان يراه جثّة هامدة بين يديه حتى استرجع وندم على فعلته، وعزاها إلى الشيطان وغوايته.. فقد كانت من الغضب، والغضب شيطان، أو نفح من الشيطان: ﴿**قال: هذا من عمل الشيطان إنه عدوّ مضل مبين**..﴾ ثم استطرد في فزع مما دفعه إليه الغضب، يعترف بظلمه لنفسه أن حمّلها هذا الوزر، ويتجه إلى ربه طالباً منه مغفرته وعفوه: ﴿**قال: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي**..﴾ فاستجاب الله إلى ضراعته وحساسيته واستغفاره: ﴿**فغفر له إنه هو الغفور الرحيم**..﴾ وكأنما أحس موسى بقلبه المرهف وحسه المتوفز وهو في حرارة توجهه إلى ربه أن ربه غفر له. والقلب المؤمن يحس بالاتصال والاستجابة للدعاء فور الدعاء حين يصل إرهافه وحساسيته إلى ذلك المستوى؛ وحين تصل حرارة توجهه إلى هذا الحد.. وارتعش وجدان موسى - وهو يستشعر الاستجابة من ربه.. فإذا هو يقطع على نفسه عهداً يعده من الوفاء بشكر النعمة التي أنعمها عليه ربه: ﴿**قال: رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين**..﴾ فهو عَهْدٌ مطلق ألاّ يقف في صف المجرمين ظهيراً ومعيناً. وهو براءة من الجريمة وأهلها في كل صورة من صورها.. حتى ولو كانت اندفاعاً تحت تأثير الغيظ، ومرارة الظلم والبغي. ذلك بحق نعمة الله في قبول دعائه.. ثم نعمته في القوة والحكمة والعلم التي آتاه الله من قبل. وهذه الارتعاشة العنيفة، وقبلها الاندفاع العنيف تُصوّر لنا شخصية موسى شخصية انفعالية حارّة الوجدان، قوية الاندفاع..

وسنلتقي بهذه السمة البارزة في هذه الشخصية في مواضع أخرى كثيرة.. بل نحن نلتقي بها في المشهد الثاني في هذه الحلقة مباشرة: ﴿**فأصبح في المدينة خائفاً يترقب**..﴾ فقد انتهت المعركة الأولى بالقضاء على القبطي، وندم موسى على فعلته، وبتوجهه إلى ربه واستغفاره إياه، ومغفرته له؛ وبعهده على نفسه ألا يكون ظهيراً للمجرمين. فمرّ يوم وأصبح في المدينة خائفاً من انكشاف أمره،

يترقب الافتضاح والأذى ولفظ يترقب يصور هيئة القلق الذي من أجله يتلفت ويتوجس ويتوقع الشر في كل لحظة.. فهي سمة الشخصية الانفعالية تبدو في هذا الموقف كذلك. والتعبير يجسم هيئة الخوف والقلق بهذا اللفظ، كما أنه يضخمها بكلمتي «في المدينة» فالمدينة عادةً موطن الأمن والطمأنينة.. فإذا كان خائفاً يترقب في المدينة فأعظم الخوف ما كان في مأمن ومستقر! وحالة موسى هذه تلهم أنه لم يكن في هذا الوقت من رجال القصر.. وإلاّ.. فما أرخص أن يزهق أحدُ رجال القصر نفساً في عهود الظلم والطغيان! وما كان ليخشى شيئاً فضلاً على أن يصبح خائفاً يترقب لو أنه كان ما يزال في مكانه من قلب فرعون وقصره. وبينما هو في هذا القلق والتوجس إذا هو يطلع: ﴿**فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه**..﴾ إنه صاحبه الإسرائيلي الذي طلب بالأمس نصرته على القبطي. إنه هو مشتبكاً مع قبطي آخر؛ وهو يستصرخ موسى لينصره، ولعله يريد منه أن يقضي على عدوهما المشترك بوكزة أخرى.. ولكن صورة قتيل الأمس كانت ما تزال تتخايل لموسى، وإلى جوارها ندمه واستغفاره وعهده مع ربه.. ثم هذا التوجس الذي يتوقع معه في كل لحظة أن يلحقه الأذى.. فإذا هو ينفعل على هذا الذي يستصرخه، ويصفه بالغواية والضلال: ﴿**قال له موسى: إنك لغوي مبين**..﴾ فأنت غوي بعراكك هذا الذي لا ينتهي واشتباكاتك التي لا تثمر إلا أن تثير الثائرة على بني إسرائيل. وهم عن الثورة الكاملة عاجزون، وعن الحركة المثمرة ضعفاء خاملون!.. فلا قيمة لمثل هذه الاشتباكات التي تضر ولا تفيد.. ولكن الذي حدث أن موسى ـ بعد ذلك ـ انفعلت نفسه بالغيظ من القبطي.. فاندفع يريد أن يقضي عليه كما قضى على الأول بالأمس!..

ولهذا الاندفاع دلالته على تلك السمة الاندفاعية التي أشرنا إليها.. ولكن له دلالته من جانب آخر على مدى امتلاء نفس موسى بالغيظ من الظلم والنقمة على البغي، والضيق بالأذى الواقع على بني إسرائيل، والتوفز لرد العدوان الطاغي الطويل الأمد الذي يحتفر في القلب البشري مسارب من الغيظ وأخاديد! وإنه ليقع حين يشتد الظلم ويفسد المجتمع وتختل الموازين ويخيم الظلام، أن تضيق النفس الطيبة بالظلم الذي يشكل الأوضاع والقوانين والعرف، ويفسد الفطرة العامة حتى ليرى الناس الظلم فلا يثورون عليه، ويرون البغي فلا تجيش نفوسهم لدفعه.. بل يقع أن يصل فساد الفطرة إلى حدِّ إنكارِ الناس على المظلوم أن يدفع عن نفسه

ويقاوم! ويسمون من يدفع عن نفسه أو غيره جباراً في الأرض كما قال القبطي لموسى عندما أراد البطش به: ﴿**فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما: قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس..**﴾ ذلك أنهم ألفوا رؤية الطغيان يبطش وهم لا يتحركون.. حتى وهَمُوا أن هذا هو الأصل، وأن هذا هو الفضل، وأن هذا هو الأدب، وأن هذا هو الخلق وأن هذا هو الصلاح!!.. فإذا رأوا مظلوماً يدفع الظلم عن نفسه.. فيحطّم السياج الذي أقامه الطغيان لحماية الأوضاع التي يقوم عليها.. وسمَّوا هذا المظلوم الذي يدفع الظلم سفاكاً أو جباراً، وصبوا عليه لومهم ونقمتهم.. ولم ينل الظالم الطاغي من نقمتهم ولومهم إلا القليل! ولم يجدوا للمظلوم عذراً ـ حتى على فرض تهوره ـ من ضيقه بالظلم الثقيل. ولقد طال الظلم ببني إسرائيل.. فضاقت به نفس موسى.. حتى رأيناه يندفع في المرة الأولى ويندم.. ثم يندفع في المرة الثانية لما ندم عليه حتى ليكاد يفعله ويهمّ أن يبطش بالذي هو عدو له ولقومه.. فلذلك لم يتخل الله عنه.. بل رعاه واستجاب له.. فالله العليم بالنفوس يعلم أن للطاقة البشرية حداً في الاحتمال وأن الظلم حين يشتد وتعلق أبواب النصفة يندفع المضطهد إلى الهجوم والاقتحام.. فلم يهول في وصف الفعلة التي فعلها موسى كما تهوّل الجماعات البشرية التي مسخ الظلم فطرتها بإزاء مثل هذا العمل الفطري مهما تجاوز الحدود تحت الضغط والكظم والغيظ والضيق..

فهذه هي العبرة التي تستشف من طريقة التعبير القرآنية عن الحادثتين وما تلاهما.. فهو لا يبرّر الفعلة.. ولكنه كذلك لا يضخمها.. ولعل وصفها بأنها ظلم للنفس إنما نشأ من اندفاع موسى بدافع العصبية القومية؛ وهو المختار ليكون رسول الله المصنوع على عين الله.. أو لعله كان لأنه استعجل الاشتباك بصنائع الطغيان.. والله يريد أن يكون الخلاص الشامل بالطريقة التي قضاها؛ حيث لا تجدي تلك الاشتباكات الفردية الجانبية في تغيير الأوضاع؛ كما كفّ الله المسلمين في مكة عن الاشتباك حتى جاء الأوان. ويبدو أن رائحة فاحت عن قتيل الأمس، وأن شبهات تطايرت حول موسى؛ لما عرف عن كراهيته من قبلُ لطغيان فرعون وملئِه إلى جانب ما يكون قد باح به صاحبه الإسرائيلي سِرًّا بين قومه.. ثم تفشى بعد ذلك خارج بني إسرائيل يُرجِّح هذا؛ لأن قتل موسى لأحد رجال فرعون في معركة بينه وبين إسرائيلي في مثل هذه الظروف يُعدُّ حدثاً مريحاً لنفوس بني

إسرائيل، يشفي بعض غيظهم.. فيشيع عادة وتتناقله الألسنة في همس وفرح وتشفٍّ.. حتى يفشو ويتطاير هنا وهناك. وبخاصة إذا عرف عن موسى من قبلُ نُفرتُه من البغي، وانتصاره للمظلومين.. فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الثاني واجهه هذا بالتهمة؛ لأنها عندئذ تجسمت له حقيقة، وهو يراه أن يهم به أن يبطش به، وقال له: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس.. أما بقية مقالته: ﴿**إن تريد إلاّ أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين..**﴾ فتُلْهِمُ أن موسى كان قد اتخذ له في الحياة مسلكاً يُعرف به أنه رجل صالح مصلح، لا يحب البغي والتجبر.. فهذا القبطي يذكره بها ويورّي به؛ ويتهمه بأنه يخالف عما عُرف عنه. يريد أن يكون جباراً لا مصلحاً، يقتل الناس بدلاً من إصلاح ذات البين، وتهدئة ثائرة الشر. وطريقة خطابه له وموضوع خطابه كلاهما يلهم أن موسى لم يكن إذ ذاك محسوباً من رجال فرعون. وإلا ما جرؤ المصري على خطابه بهذه اللهجة، ولما كان هذا موضوع خطابه. والظاهر أن موسى لم يُقدم بعد إذ ذكره الرجل بفعلة الأمس، وأن الرجل أفلت لينهى إلى الملإ من قوم فرعون أن موسى هو صاحبها.. فهنا فجوة في السياق بعد المشهد السابق.. ثم إذا مشهد جديد: رجل يجيء إلى موسى من أقصى المدينة يحذره ائتمار الملإ من قوم فرعون به وينصح بالهرب من المدينة إبقاء على حياته: ﴿**وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى، قال: يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين..**﴾ إنها يد القدرة تسفر في اللحظة الأخيرة المطلوبة لتتم مشيئتها. لقد عرف الملأ من قوم فرعون، وهم رجال حاشيته وحكومته والمقربون إليه أنها فعلة موسى..

وما من شك أنهم أحسوا فيها بشبح الخطر.. فهي فعلة طابعها الثورة والتمرّد والانتصار لبني إسرائيل. وإذن فهي ظاهرة خطيرة تستحق التآمر. ولو كانت جريمة قتل عادية ما استحقت أن يشتغل بها فرعون والملأ والكبراءُ.. فانتدبت يد القدرة واحداً سمع ورأى ما دار بين الملإ. انتدبته القدرة ليسعى إلى موسى من أقصى المدينة في جد واهتمام ومسارعة؛ ليبلّغه قبل أن يبلغه رجال القصر: ﴿**إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك.. فاخرج إني لك من الناصحين.. فخرج منها خائفاً يترقّب قال: رب نجني من القوم الظالمين..**﴾ ومرة أخرى نلمح السمة الواضحة في الشخصية الانفعالية المتوفزة المتلفتة.. ونلمح معها التوجه المباشر بالطلب إلى الله

والتطلع إلى حمايته ورعايته، والالتجاء إلى حماه في المخافة وترقب الأمن عنده والنجاة.. ثم يتبعه السياق خارجاً من المدينة خائفاً يترقب، وحيداً فريداً غير مزود إلا بالاعتماد على مولاه، والتوجه إليه، طالباً عونه وهداه: ﴿**ولما توجه تلقاء مدين قال: عسى ربي أن يهديني سواء السبيل**..﴾ فنلمح موسى فريداً وحيداً مطارداً في الطرق الصحراوية في اتجاه مدين في جنوبي الشام وشمالي الحجاز.. مسافات شاسعة وأبعاد مترامية، لا زاد ولا استعداد.. فقد خرج من المدينة خائفاً يترقب، وخرج منزعجاً بنذارة الرجل الناصح لم يتلبث ولم يتزود ولم يتخذ دليلاً. ونلمح إلى جانب هذا نفسه متوجهة إلى ربه، مستسلمة له متطلعة إلى هداه.. ومرة أخرى نجد موسى في قلب المخافة بعد فترة من الأمن.. بل من الرفاهية والطراءة والنعمى.. ونجده وحيداً فريداً مجرداً من قوى الأرض الظاهرة جميعاً يطارده فرعون وجنوده ويبحثون عنه في كل مكان؛ لينالوا منه اليوم ما لم ينالوه منه طفلاً.. ولكن اليد التي رعته وحمته هناك ترعاه وتحميه هنا، ولا تسلمه لأعدائه.. فها هوذا يقطع الطريق الطويل ويصل إلى حيث لا تمتد إليه اليدُ الباطشة بالسوء: ﴿**ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال: ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير**..﴾ فقد انتهى به السفر الشاق الطويل إلى ماء لمدين. وصل إليه وهو مجهود مكدود.. فإذا هو يطلع على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة، السليمة الفطرة، كنفس موسى ـ عليه السلام ـ.

وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء، ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء. والأولى عند ذوي المروءة والفطرة السليمة أن تسقي المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولاً، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما. ولم يقعد موسى الهارب المطارد المسافر المكدود ليستريح وهو يشهد هذا المنظر المنكر المخالف للمعروف.. بل تقدم للمرأتين يسألهما عن أمرهما الغريب: قال: ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، وأبونا شيخ كبير.. فأطلعتاه على سبب انزوائهما وتأخرهما وذودهما لغنمهما عن الورود: إنه الضعف.. فهما امرأتان، وهؤلاء الرعاة رجال.. وأبوهما شيخ كبير لا يقدر على الرعي ومجالدة الرجال!.. فثارت نخوة موسى وفطرته السليمة.. فتقدم لإقرار الأمر في نصابه. تقدم ليسقي للمرأتين أولاً؛ كما ينبغي أن يفعل الرجال ذوو الشهامة. وهو غريب

في أرض لا يعرفها، ولا سند له فيها ولا ظهير.. وهو مكدود قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد.. وهو مطاردٌ من خلفه أعداء لا يرحمون.. ولكن هذا كله لا يقعد به عن تلبية دواعي المروءة والنجدَةِ والمعروف، وإقرار الحق الطبيعي الذي تعرفه النفوس: ﴿**فسقى لهما..**﴾ مما يشهد بنبل هذه النفس التي صُنِعَتْ على عين الله؛ كما يشي بقوته التي تُرهب حتى وهو في إعياء السفر الطويل. ولعلها قوة نفسه التي أوقعت في قلوب الرعاة رهبته أكثر من قوة جسمه.. فإنما يتأثر الناس أكثر بقوة الأرواح والقلوب.. ثم تولى إلى الظل.. فهذا يشير إلى أن الأوان أوان قيظ وحر.. وأن السفرة كانت في ذلك القيظ والحر.. ﴿**فقال: رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير..**﴾ فإنه يأوي إلى الظل المادي البليل بجسمه.. ويأوي إلى الظل العريض الممدود ـ ظل الله الكريم المنان ـ بروحه وقلبه: رب إني في الهاجرة.. رب إني فقير.. رب إني وحيد.. رب إني ضعيف.. رب إني إلى فضلك ومنّك وكرمك فقير محووج.. فنسمع من خلال التعبير رَفْرَفَةَ هذا القلب والتجاءه إلى الحمى الآمن والركن الركين والظل الظليل.. نسمع المناجاة القريبة والهمس الموحي؛ والانعطاف الرقيق والاتصال العميق..

وما تكاد تستغرق مع موسى في مشهد المناجاة حتى يعجل السياق بمشهد الفرج معقباً في التعبير بالفاء؛ كأنما السماء تسارع فتستجيب للقلب الضارع الغريب: ﴿**فجاءته إحداهما تمشي على استحياء، قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا..**﴾ فيا فرج الله! ويا لقربه ويا لنداه! إنها دعوة الشيخ الكبير استجابة من السماء لدعوة موسى الفقير. دعوة للإيواء والكرامة والجزاء على الإحسان. دعوة تحملها إحداهما وقد جاءته تمشي على استحياء مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال. في غير ما تبذل ولا تبرج ولا تبجح ولا إغواء. جاءته لتنهي إليه دعوةً في أقصر لفظ وأخصره وأدلّه.. فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح. لا التلجلج والتعثر والربكة. وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة!.. فالفتاة القويمة تستحيي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم.. ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب. الاضطراب الذي يُطمع ويغري ويهيّم.. إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب ولا تزيد.. وينهي السياق هذا المشهد فلا يزيد عليه، ولا يُفسح المجال لغير الدعوة من الفتاة والاستجابة من موسى.. ثمّ إذا مشهد اللقاء بينه وبين الشيخ

الكبير. الذي لم ينص على اسمه: ﴿**فلما جاءه وقص عليه القصص قال: لا تخف نجوت من القوم الظالمين**..﴾ فقد كان موسى في حاجة إلى الأمن؛ كما كان في حاجة إلى الطعام والشراب.. ولكن حاجة نفسه إلى الأمن كانت أشد من حاجة جسمه إلى الزاد. ومن ثمّ أبرز السياق في مشهد اللقاء قول الشيخ الوقور: لا تخف.. فجعلها أول لفظ يعقب به على قصص موسى عليه؛ ليلقي في قلبه الطمأنينة ويشعره بالأمان.. ثُمّ بيّن وعلّل: نجوت من القوم الظالمين. فلا سلطان لهم على مدين، ولا يصلون لمن فيها بأذى ولا ضرار.. ثُمّ نسمع في المشهد صوت الأنوثة المستقيمة السليمة: ﴿**قالت إحداهما: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين**..﴾ فإنها وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال على الماء، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال. وهي تتأذى هي وأختها من هذا كله. وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت.. امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى. والمرأة العفيفةُ الروح، النظيفةُ القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبذل الناشىء من هذِهِ المزاحمة.

وها هوذا شابٌّ غريب طريد؛ وهو في الوقت ذاته قويّ أمين. رأت من قوته ما يهابه الرعاة فيفسحون له الطريق ويسقي لهما. وهو غريب والغريب ضعيف مهما اشتد. ورأت من أمانته ما يجعله عفّ اللسان والنظر حين توجهت لدعوته.. فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤونة العمل والاحتكاك والتبذل. وهو قوي على العمل، أمين على المال.. فهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب ولا تخشى سوء الظن والتهمة، فهي بريئة النفس، نظيفة الحس؛ ومن ثمّ لا تخشى شيئاً، ولا تتمتم ولا تجمجم وهي تعرض اقتراحها على أبيها. واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته. ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة، وميلاً فطرياً سليماً، صالحاً لبناء أسرة.. فالقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد ولم تلوث ولم تنحرف عن فطرة الله.. فجمع الرجل بين الغايتين، وهو يعرض على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته ثماني سنين.. فإن زادها فهو تفضل منه لا يلزم به: ﴿**قال: إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتيّ هاتين على أن تأجرني ثماني حجج.. فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك**

ستجدني إن شاء الله من الصالحين. .﴾ فهكذا في بساطة وصراحة عرض الشيخ إحدى ابنتيه من غير تحديد ـ ولعله كان يشعر أنها محددة ـ وهي التي وقع التجاوب والثقة بين قلبها وقلب الفتى ـ عرضها في غير تحرج ولا التواء. . فهو يعرض نكاحاً لا يخجل منه، يعرض بناء أسرة وإقامة بيت وليس في هذا ما يخجل، ولا ما يدعو إلى التحرج والتردد. وعرض الشيخ على موسى ذلك العرض واعداً إياه ألاّ يشقّ عليه ولا يتعبه في العمل. . راجياً بمشيئة الله أن يجده موسى من الصالحين في معاملته ووفائه. وهو أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله. . فهو لا يزكّي نفسه ولا يجزم أنه من الصالحين. . ولكن يرجو أن يكون كذلك. ويكل الأمر في هذا لِمشيئة الله.

وقبل موسى العرض وأمضى العقد في وضوح كذلك ودقة، وأشهد الله: **﴿قال: ذلك بيني وبينك. أيّما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ. والله على ما نقول وكيل﴾**. إن مواضع العقد وشروط التعاقد لا مجال للغموض فيها ولا اللعثمة، ولا الحياء. ومن ثمّ يُقرّ موسى العرض ويبرم العقد على ما عرض الشيخ عن الشروط. . ثمّ يقرر هذا ويوضحه. . سواء قضيت ثماني سنوات أو أتممت عشراً. . فلا عدوان في تكاليف العمل، ولا عدوان في تحتيم العشر. . فالزيادة على الثمانية اختيار. بيّن موسى هذا البيان تمشياً مع استقامة فطرته ووضوح شخصيته، وتوفية بواجب المتعاقدين في الدقة والوضوح والبيان وهو ينوي أن يوفي بأفضل الأجلين كما فعل. وهكذا اطمأنّ بموسى المقام في بيت حميّه، وقد أمن من فرعون وكيده. ولحكمة مقدرة في علم الله كان هذا الذي كان. . فلندع الآن هذه الحلقة تمضي في طريقها حتى تنقضي. . فقد سكت السياق فيها عند هذا الحد وأسدل الستار.

التوجيه الخامس: ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً. .﴾: في هذا التوجيه عرض الحلقة الثالثة. . فبعد ما قضى موسى الأجل وسار بأهله عائداً من مدين إلى مصر. يسلك إليها الطريق الذي سلكه وحيداً طريداً. . ولكن جو العودة غير جو الرحلة الأولى. . فهو عائد ليتلقى في الطريق ما لم يخطر له على بال؛ ليناديه ربه ويكلمه ويكلفه النهوض بالمهمة التي من أجلها وقاه ورعاه، وعلمه ورباه: مهمة الرسالة إلى فرعون وملئه؛ ليطلق له بني

إسرائيل يعبدون ربهم لا يشركون به أحداً. لقد نقلت يد القدرة خطى موسى خطوة خطوة، منذ أن كان رضيعاً في المهد حتى هذه اللحظة: ألقت به في اليم ليلتقطه آل فرعون. وألقت عليه المحبة في قلب امرأته لينشأ في كنفِ عدوه. ودخلت به المدينة على حين غفلة من أهلها ليقتل منهم نفساً. وأرسلت إليه بالرجل الناصح ليحذره وليأمره بالخروج من مصر. وصاحبته في الطريق الصحراوي من مصر إلى مدين، وهو وحيد مطارد على غير زاد ولا استعداد. وجمعته بالشيخ الكبير ليأجره سنوات.. ثم ليعود بعدها فيتلقى التكليف..

فهذا خط طويل من الرعاية والتوجيه، ومن التلقي والتجريب، قبل النداء وقبل التكليف.. تجربة الرعاية والحب والتدليل، وتجربة الاندفاع تحت ضغط الغيظ الحبيس، وتجربة الندم والتحرج والاستغفار، وتجربة الخوف والمطاردة والفزع، وتجربة الغربة والوحدة والجوع، وتجربة الخدمة ورعي الغنم بعد حياة القصور، وما يتخلل هذه التجارب الضخمة من شتى التجارب الصغيرة والمشاعر المتباينة والخوالج والخواطر والإدراك والمعرفة.. إلى جانب ما أتاه الله حين بلغ أشده من العلم والحكمة.. إن الرسالة تكليف ضخم شاق، تكون أضخم تكليف تلقّاه متعدّد الجوانب والتبعات، يحتاج صاحبه إلى زاد ضخم من التجارب والإدراك والمعرفة والتذوق في واقع الحياة العملي، إلى جانب هبة الله اللدنية ووحيه وتوجيهه للقلب والضمير. ورسالة موسى بالذات قد تكون أضخم تكليف تلقاه بشر ـ عدا رسالة محمد ـ فهو مرسل إلى فرعون الطاغية المتجبر، أعتى جبابرة الأرض في زمانه.. وأشدهم تعبداً للخلق واستعلاء في الأرض. وهو مرسل لاستنقاذ قوم قد شربوا من كؤوس الذل حتى استمرأوا مذاقه.. واستكانوا دهراً طويلاً. والذل يفسد الفطرة البشرية حتى تأسّن وتتعفن، ويذهب بما فيها من الخير والجمال والتطلع ومن الاشمئزار من العفن والنتن والرجس والدنس.. فاستنقاذ قوم كهؤلاء عمل شاق عسير ولعله لهذا المعنى كانت عناية القرآن الكريم بهذه القصة.. فهي نموذج كامل لبناء أمة على أساس دعوة، وما يعترض هذا العمل من عقبات خارجية وداخلية. وهكذا ندرك كيف صُنِع موسى على عين الله، وكيف أعُدّ لتلقي التكاليف فلنتبع خطى موسى تنقلها يد القدرة الكبرى في طريقه إلى هذا التكليف: ﴿**فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً، قال: لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبرٍ أوْ جذوة من النار لعلكم**

تصطلون. .﴾ ترى أيّ خاطر راود موسى فعاد به إلى مصر بعد انقضاء الأجل. . وقد خرج منها خائفاً يترقب، وأنساه الخطر الذي ينتظره بها، وقد قتل فيها نفساً؟. . وهناك فرعون الذي كان يتآمر مع الملإ من قومه ليقتلوه؟ إنها اليد التي تنقل خطاه كلها؛ لعلها قادته هذه المرّة بالميل الفطري إلى الأهل والعشيرة، وإلى الوطن والبيئة. . وأنسته الخطر الذي خرج هارباً منه وحيداً طريداً؛ ليؤدي المهمة التي خلق لها. . فها هو ذا موسى عائد في طريقه، ومعه أهله، والوقت ليل، والجو ظلمة، والليلة شاتية، كما يبدو من أنسه بالنار التي شاهدها؛ ليأتي منها بخبر أو جذوة. هذا هو المشهد الأول في هذه الحلقة. أما المشهد الثاني فهو المفاجأة الكبرى: **﴿فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة. .﴾**

فها هو ذا يقصد إلى النار التي آنسها. . وها هو ذا في شاطىء الوادي إلى جوار جبل الطور. . وهاهوذا يسمع النداء من قبل الشجرة: **﴿أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين. .﴾** فتلقى موسى النداء المباشر. تلقاه وحيداً في ذلك الوادي. . وفي ذلك الليل. . تلقاه لا ندري كيف تلقاه. .؟ تلقاه وأطاق تلقيه؛ لأنه صنع على عين الله حتى تهيأ لهذه اللحظة الكبرى ووقف موسى ـ عليه السلام ـ في أكرم موقف يلقاه إنسان!. . واستطرد النداء العلوي يلقى إلى عبده التكليف: **﴿وأن أَلْقِ عصاك. .﴾** فألقى موسى عصاه طاعة لأمر ربه ومولاه. . ولكن ماذا؟ إنها لم تعد عصاه التي صاحبها طويلاً، والتي يعرفها معرفة اليقين. إنها حية تدب في سرعة. . وتتحرك في خفة. . وتتلوى كصغار الحيات، وهي حية كبرى: **﴿فلما رآها تهتز كأنها جانّ ولّى مدبراً ولم يعقب. .﴾** فإنها المفاجأة التي لم يستعد لها، مع الطبيعة الانفعالية التي تأخذها الوهلة الأولى. . **﴿ولّى مدبراً ولم يعقب. .﴾** فلم يفكر في العودة إليها ليتبيّن ماذا بها؛ وليتأمل هذه العجيبة الضخمة. وهذه هي سمة الانفعاليين البارزة تتجلّى في موعدها!. . ثم يستمع إلى ربه الأعلى: **﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين. .﴾** إن الخوف والأمن يتعاقبان سريعاً على هذه النفس، ويتعاورانها في مراحل حياتها جميعاً. إنه جوّ هذه الحياة من بدئها إلى نهايتها. وإن هذا الانفعال الدائم لمقصود في تلك النفس، مقدر في هذه الحياة؛ لأنه الصفحة المقابلة لتبلّد بني إسرائيل، ومرونهم على الاستكانة ذلك الأمد الطويل. وهو تدبير القدرة وتقديرها العميق الدقيق. أقبل ولا تخف إنك من

الآمنين.. فكيف لا يأمن من تنقل يد القدرة خطاه، ومن ترعاه عين الله؟ ﴿**أُسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء..**﴾ وأطاع موسى الأمر، وأدخل يده في فتحة ثوبه عند صدره ثم أخرجها.. فإذا هي المفاجأة الثانية في اللحظة الواحدة. إنها بيضاء لامعة مشعة من غير مرض؛ وقد عهدها أدماء تضرب إلى السمرة. إنها إشارة إلى إشراق الحق ووضوح الآية ونصاعة الدليل. وأدركت موسى طبيعته.. فإذا هو يرتجف من رهبة الموقف وخوارقه المتتابعة. ومرة أخرى تدركه الرعاية الحانية بتوجيهٍ يردّه إلى السكينة. ذلك أن يضمّ يده على قلبه فتخفض من دقاته وتطامن من خفقاته: ﴿**واضمم إليك جناحك من الرهب..**﴾

فكأنما يده جناح يقبضه على صدره؛ كما يطمئن الطائر فيطبق جناحه. والرفرفة أشبه بالخفقان، والقبض أشبه بالاطمئنان. والتعبير يرسم هذه الصورة على طريقة القرآن. والآن وقد تلقى موسى ما تلقى، وقد شاهد كذلك ما شاهد. وقد رأى الآيتين الخارقتين، وقد ارتجف لهما ثم أطمانّ.. الآن يعرف ما وراء الآيات، والآن يتلقى التكليف الذي كان يُعدّ من طفولته الباكرة ليتلقاه: ﴿**فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين..**﴾ وإِذن فهي الرسالة إلى فرعون وملئه.. وإذن فهو الوعد الذي تلقته أم موسى وهو طفل رضيع: ﴿**إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين..**﴾ الوعد اليقين الذي انقضت عليه السنون. وعد الله لا يخلف الله وعده وهو أصدق القائلين. هنا يتذكر موسى أنه قتل منهم نفساً، وأنه خرج من بينهم طريداً، وأنهم تآمروا على قتله فهرب منهم بعيداً. وهو في حضرة ربه. وربه يكرمه بلقائه، ويكرمه بنجائه، ويكرمه بآياته، ويكرمه برعايته؛ فماله لا يحتاط لدعوته خيفة أن يقتل فتنقطع رسالته: ﴿**قال: رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني..**﴾ يقولها لا ليعتذر، ولا ليتقاعس، ولا لينكس.. ولكن ليحتاط للدعوة ويطمئن إلى مضيّها في طريقها، لو لقي ما يخاف. وهو الحرص اللائق بموسى القويّ الأمين: ﴿**وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رِداً يصدقني إني أخاف أن يكذبون..**﴾ فهارون أخو موسى عارف لسان القبط ومداخله ومراميه.. فهو أفصح لساناً من موسى أخيه.. فهو أقدر على المنافحة عن الدعوة، وهو دِرع وَرِدْءٌ له معين، يقوّي دعواه ويخلفه إن قتلوه. وهنا يتلقى موسى الاستجابة والتطمين؛ ﴿**قال: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً..**﴾ فقد استجاب ربه رجاءه، وشد عضده بأخيه، وزاده على

ما رجاه البشارة والتطمين: ونجعل لكما سلطاناً.. فهما لن يذهبا مجردين إلى فرعون الجبار.. إنما يذهبان إليه مزودين بسلطان لا يقف له في الأرض سلطان؛ ولا تنالهما معه كفّ طاغية ولا جبار: ﴿**فلا يصلون إليكما**..﴾ وحولكما من سلطان الله سياج، ولكما منه حصن وملاذ. ولا تقف البشارة عند هذا الحد.. ولكنها الغلبة للحق. الغلبة لآيات الله التي يجبهان بها الطغاة.. فإذا هي وحدها السلاح والقوة، وأداة النصر والغلبة: ﴿**بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون**..﴾ فالقدرة تتجلى سافرة على مسرح الحوادث؛ وتؤدي دورها مكشوفاً بلا ستار من قوى الأرض؛ لتكون الغلبة بغير الأسباب التي تعارف عليها الناس في دنيا الناس، وليقوم في النفوس ميزان جديد للقوى والقيم: إيمان وثقة بالله.. وما بعد ذلك فعلى الله. وينتهي هذا المشهد الرائع الجليل، ويطوي الزمان ويطوي المكان.. فإذا موسى وهارون في مواجهة فرعون بآيات الله البينات، وإذا الحوار بين الهدى والضلال، وإذا النهاية الحاسمة في هذه الدنيا بالغرق باللعنة والحرق..

التوجيه السادس: ﴿**فلما جاءهم موسى بآياتنا بيّنات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى**...﴾: في هذا التوجيه عرض مختصر يجمل فيه المعركة بين موسى وفرعون.. فيعجل فيه الضربة القاضية لفرعون وقومه في الدنيا.. فيختصر حلقة السحرة التي تُذكر في سور أخرى بتفصيل أو إجمال. يختصرها ليصل من التكذيب مباشرة إلى الإهلاك.. ثم لا يقف عند الأخذ في الدنيا.. بل يتابع الرحلة إلى الآخرة. وهذا الإسراع في هذه الحلقة مقصود متناسق مع اتجاه القصة في السورة؛ وهو تدخل يد القدرة بلا ستار من البشر.. فما أن يواجه موسى فرعون حتى يعجل الله بالعاقبة، وتضرب يد القدرة ضربتها الحاسمة بلا تفصيل في المواجهة أو تطويل.. ﴿**فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا: ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين**..﴾ فكأنما هي القولة التي يقولها المشركون لمحمد ﷺ في مكة يومذاك.. فهي المماراة في الحق الواضح الذي لا يمكن دفعه.. المماراة المكرورة حيثما واجه الحق الباطل، فأعيا الباطل الجواب. إنّهم يدّعون أنه سحر، ولا يجدون لهم حجة إلا أنه جديد عليهم، لم يسمعوا به في آبائهم الأولين!. وهم لا يناقشون بحجة، ولا يُدلون ببرهان.. إنما بهذا القول الغامض الذي لا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً ولا يدفع دعوى.. فأما موسى عليه السلام فيحيل الأمر بينه وبينهم إلى الله.. فما أدلوا بحجة ليناقشها، ولا طلبوا

دليلاً فيعطيهم.. إنما هم يمارون كما يماري أصحاب الباطل في كل مكان وفي كل زمان.. فالاختصار أولى؛ والإعراض أكرم، وترك الأمر بينه وبينهم إلى الله: ﴿**وقال موسى: ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون**..﴾ فهو ردّ مؤدّب مهذّب، يلمح فيه ولا يصرّح وفي نفس الوقت ناصع واضح، مليء بالثقة والطمأنينة إلى عاقبة المواجهة بين الحق والباطل.. فربه أعلم بصدقه وهداه، وعاقبة الدار مكفولة لمن جاء بالهدى، والظالمون في النهاية لا يفلحون. سنة الله التي لا تتبدّل. وإن بدت ظواهر الأمور أحياناً في غير هذا الاتجاه. سنّة الله يواجه بها موسى قومه ويواجه بها كل نبيء قومه.

وكان رد فرعون على هذا الأدب وهذه الثقة ادّعاءً وتطاولاً ولعباً ومداورة وتهكماً وسخرية: ﴿**وقال فرعون: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين**..﴾ فكلمة يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري كلمة فاجرة كافرة.. يتلقاها الملأ بالإقرار والتسليم.. ويعتمد فيها فرعون على الأساطير التي كانت سائدة في مصر من نسب الملوك للآلهة.. ثم على القهر الذي لا يدعُ لرأس أن يفكر، ولا لسان أن يعبّر.. وهم يرونه بشراً مثلهم يحيا ويموت.. ولكنه يقول لهم هذه الكلمة فيسمعونها دون اعتراض ولا تعقيب.. ثم يتظاهر بالجد في معرفة الحقيقة، والبحث عن إله موسى، وهو يلهو ويسخر: ﴿**فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطّلع إلى إله موسى**..﴾ فبهذه اللهجة: لهجة التهكم ذاتها يتظاهر فرعون بأنه شاك في صدق موسى.. ولكنه مع هذا الشك يبحث وينقب ليصل إلى الحقيقة: وإني لأظنه من الكاذبين!. والسبب في هذا كله هو الاستكبار في الأرض وإنكار الرجوع إلى الله يوم العرض: ﴿**واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون**..﴾ فلما توهموا عدم الرجعة إلى الله استكبروا في الأرض بغير الحق وكذبوا بالآيات والنذر.. ﴿**فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ**..﴾ فهذه النهاية تأتي في اختصار حاسم. أخذ شديد ونبذ في اليمّ! نَبْذٌ كَمَا تحذف الحصاة أو كما يرمى بالشيء التافه الحقير!.. ﴿**فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**﴾! الظالمين المتجبرين المتكبرين يرمون في اليم بسرعة دون تأخير!.. فهي عاقبة مشهودة معروفة للعالمين. وفيها عبرة للمعتبرين. ونذير

للمكذبين. وفيها يد القدرة تعصف بالطغاة والمتجبرين، في مثل لمح البصر، وفي أقل من نصف سطر! وفي لمحة أخرى يجتاز الحياة الدنيا، ويقف بفرعون وجنوده في مشهد عجيب.. يدعون إلى النار، ويقودون إليها الأتباع والأنصار: ﴿**وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار**..﴾ فيا بئساها دعوة! ويا تعساها إمامة!. ﴿**ويوم القيامة لا ينصرون**..﴾ فهي الهزيمة في الدنيا، وهي الهزيمة في الآخرة.. جزاء البغي والاستطالة. وليست الهزيمة وحدها.. إنما هي اللعنة في هذه الأرض والتقبيح في يوم القيامة: ﴿**وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة. ويوم القيامة هم من المقبوحين**..﴾ فلفظة المقبوحين ترسم بذاتها صورة القبح والفضيحة والتشنيع! وجو التقزز والاشمئزاز.

ذلك في مقابل الاستعلاء والاستكبار في الأرض، وفتنة الناس بالمظهر والجاه والتطاول على الله وعلى عباد الله. ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون**﴾: تأتي هذه الآية بياناً لمرحلة الخروج ببني إسرائيل من مصر إلى أرض الميعاد.. فيعجل بعرض نصيب موسى بعد عرض نصيب فرعون.. فهذا نصيب موسى. وهو نصيب عظيم. وهذه عاقبة موسى. وهي عاقبة كريمة.. كتاب من الله يبصر الناس؛ كأنه بصائرهم التي بها يهتدون، وهدى ورحمة.. لعلهم يتذكرون.. يتذكرون كيف تتدخل يد القدرة بين الطغاة والمستضعفين.. فتختم للطغاة بالهلاك والتدمير.. وتختم للمظلومين بالتمكين والخير الكثير.. وهكذا تنتهي قصة موسى وفرعون في هذه السورة شاهدة بأن الأمن لا يكون إلا في جانب الله. وأن المخافة لا تكون إلا في البعد عن الله. ذلك إلى تدخل يد القدرة سافرة متحدية للطغيان والطغاة، حين تصبح القوة فتنة يعجز عن صدها الهداة. وهي المعاني التي كانت الجماعة المسلمة الصغيرة المستضعفة في مكة في حاجة إلى الاطمئنان إليها. وكان المشركون المستكبرون في حاجة إلى تدبرها. وهي المعاني المتجددة الدائمة حيثما كانت دعوة إلى الهدى.. وحيثما كان طغيان يقف في وجه الهدى. وهكذا يجيء القصص في القرآن مادة تربية للنفوس. وتقرير لحقائق وسُننٍ في الوجود لعلهم يتذكرون!..

3 ـ التعقيب على ما سبق من الكلام، بالحجة القاطعة على صحة الإسلام

النص

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (44) وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ (45) وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ (46) وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (47) فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ (48) قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (49) فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (50)

* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿51﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿52﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿53﴾ أُولَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿54﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿55﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿56﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا تُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿57﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿58﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿59﴾ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿60﴾ * أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿61﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿62﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿63﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿64﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿65﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿66﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿67﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿68﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿69﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿70﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿71﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿72﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿73﴾

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿74﴾
وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ
فَعَلِمُواْ أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿75﴾
* إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ
مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ
إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿76﴾
وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتَيٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ
مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ
فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿77﴾
قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً
وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿78﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ
قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ
قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿79﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ
وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً
وَلَا يُلَقَّٰهَآ إِلَّا الصَّٰبِرُونَ ﴿80﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ
فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿81﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ

بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح
الكافرون ﴿82﴾ * تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴿83﴾
من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴿84﴾
إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء
بالهدى ومن هو في ضلال مبين ﴿85﴾ وما كنت ترجوا أن يلقى إليك
الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ﴿86﴾
ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك
ولا تكونن من المشركين ﴿87﴾ ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا
هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴿88﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**وما كنت بجانب الغربي**..﴾ بجانب الغربي: المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات. على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه. ﴿**إذ قضينا إلى موسى الأمر**﴾: عهدنا إليه وأحكمنا أمر نبوءته بالوحي وإيتاء التوراة. ﴿**وما كنت من الشاهدين**﴾: ما كنت من جملة الحاضرين الذين حضروا مع موسى. وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى لموسى هناك.. ﴿**ولكنا أنشأنا قروناً**﴾:

خلقنا بين زمانك وزمان موسى أجيالاً كثيرة.. ﴿**فتطاول عليهم العمر**﴾: تمادى الأمد وطال الزمان. والعمر: المدة يقضيها الإنسان في الحياة. ﴿**وما كنت ثاوياً في أهل مدين**﴾: مقيماً مع أهل مدين.. ﴿**تتلو عليهم آياتنا**﴾: تقرأ على أهل مدين.. ﴿**ولكنا كنا مرسلين**﴾: كنا موحين إليك هذه الآيات بعد طول المدة ونسيان الشرائع السابقة. ﴿**وما كنت بجانب الطور إذ نادينا**﴾: وما كنت حاضراً مع موسى وقت ندائنا إياه واستنبائنا وإرسالنا له إلى فرعون.. ﴿**ولكن رحمة من ربك**﴾: ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس. ﴿**لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك**﴾: أرسلناك لتنذر قوماً لم يأتهم نذير من قبلك؛ لوقوعهم في فترة طويلة بينك وبين إسماعيل. ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾: لكي يتعظوا بإنذارك إياهم. ﴿**ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين**﴾: لولا الأولى: امتناعية، والمصيبة: العقوبة الواقعة بسبب ما قدموه من الكفر والعصيان. ولولا الثانية: تحضيضية. بمعنى هلاّ.. وتقدير الكلام: لولا قولهم هذا عند إصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققاً لا محيد عنه أرسلناك؛ قطعاً لمعاذيرهم بالكلّية ﴿**فلما جاءهم الحق من عندنا، قالوا: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى**﴾!.. الحق: القرآن المنزل على محمد ﷺ ولولا: تحضيضية، ومثل ما أوتي موسى: كتاب منزّل جملة واحدة في مرة واحدة. ﴿**أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل؟!!.. قالوا: ساحران تظاهرا**﴾!.. تظاهرا: تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر. ﴿**وقالوا إنا بكل كافرون**﴾: بكل واحد من الكتابين. وهو ما جاء به موسى وما جاء به محمد ـ ﷺ. ﴿**قل: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين**﴾: إن كنتم صادقين في قولكم: إن موسى ومحمداً ـ عليهم السلام ـ ساحران فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما. إن تأتوا به أتبعْه. ﴿**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم..**﴾ أهواءهم: ميولهم الشهوانية. جمع هوى. وتقدير الكلام: فإن لم يجيبوك إلى ما تطلبه فاعلم أنما يتبعون ميولهم الضالة. ﴿**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله**﴾: لا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله. ﴿**إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾: الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى، والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين. ﴿**ولقد وصلنا لهم**

القول لعلهم يتذكرون﴾: أنزلنا القرآن إليهم متواصلاً بعضه إثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة؛ ومتتابعاً وعداً ووعيداً قصصاً وعبراً ومواعظ ونصائح. **﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾**: هم مؤمنو أهل الكتاب الذين آمنوا بكتابهم من قبلُ، وآمنوا بالقرآن بعد ما سمعوه وعرفوا أنه الحق: **﴿وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين..﴾** فهم على دين الإسلام من قبل نزول القرآن. **﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾**: أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون أجرهم مرتين: مرة على إيمانهم بكتابهم، ومرة على إيمانهم بالقرآن. بما صبروا: بصبرهم وثباتهم على الإيمانَين. **﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾**: يدفعون بالطاعة المعصية. **﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾**: ينفقون بعض أموالهم في سبيل الخير.. فهذا من تمام الطاعة. **﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه..﴾** اللغو: ما لا يعتدّ به من القول. يُقال: لغا يلغو؛ قال: ما لا يعتد به. **﴿وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم. سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾**: تفسير لإعراضهم عن اللغو.. فهم وادعون مسالمون في مخاطبتهم، تاركون لمخالطتهم، بعيدون عن مصاحبتهم. والجاهلون: جمع جاهل. وهو من يرتكب الإثم والفحش ولا يبالي بما يعمل.. فمثله مثل الوحش!. **﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾**: لا توصّل من أحببت من الناس ولا تقدر أن تدخله في الإسلام من غير هداية له من الله: **﴿ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين.. وقالوا: إن نتبع الهدى معك نُتَخَطّفْ من أرضنا..﴾** قال المشركون من أهل مكة لمحمد ﷺ إنْ نتبع الهدى معك.. وهو ما جئت به وما دعوتنا إليه.. نتخطّف: نؤخذ من كل جهة! ونذهب شذر مذر! ويضيع كل ما لنا من خطر!. **﴿أو لم نمكّن لهم حرماً آمنا تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنّا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾**: هذا رد على قولهم: إن نتبع الهدى.. فهم آمنون في بيت آمن مع إشراكهم. فكيف يكون حالهم بعد إيمانهم مع أمنهم؟!.. ولكن أكثرهم لا يعلمون!..

﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين﴾: كم هنا خبرية تفيد الكثرة.. ومن قرية: بيان لكم. بطرت معيشتها: وصف لقرية. والبطر: الأشر والكبر والكفر.. فتقدير الكلام: كثير من أهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء ـ وهم أهل مكة ـ في الأمن وخفض العيش والدعة.. حتى أشروا وكفروا.. فدمّرنا عليهم وخرّبنا ديارهم.. فتلك

مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم إلا زماناً يسيراً يوماً أو بعض يوم عند مرور المارة بها. . ﴿**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمّها رسولاً يتلو عليهم آياتنا**﴾: وما صح وما استقام أن يهلك ربك القرى قبل الإنذار. . حتى يبعث في أصلها وعاصمتها رسولاً يتلو عليهم آياتنا. . ﴿**وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون!. . وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها**﴾: وما أعطيتم من شيء من أسباب التمتع فمتاع الحياة الدنيا وزينتها: فهو شيء شأنه أن يتمتع ويتزين أياماً قلائل. . ﴿**وما عند الله خير وأبقى**﴾: ثواب الله خير في نفسه من ذلك المتاع الفاني. . ﴿**أفلا تعقلون؟!. . أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين**﴾: الوعد الحسن: الوعد بالجنة. . ومتاع الحياة الدنيا: ما فيها من متاع ناقص يزول ولا يدوم. ومعنى ثم هو يوم القيامة من المحضرين: محضره إلى الحساب. . ثم إلى الخلود في العذاب. ﴿**ويوم يناديهم فيقول: أين شركائي الذين كنتم تزعمون**﴾؟: الكلمات في هذه الآية واضحة، والمعنى ظاهر. . ﴿**قال الذين حق عليهم القول**﴾: معنى حق عليهم القول: ثبت مقتضاه وتحقق مؤدّاه. وهو قوله: ﴿**لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ وغيره من آيات الوعيد. والذين حق عليهم القول: رؤساء المشركين الذين اتخذوهم أرباباً. . وأطاعوهم في كل ما أمروهم به. . ﴿**ربنا هؤلاء الذين أغوينا**﴾: مقول القول. ﴿**أغويناهم كما غوينا**﴾: توضيح لما قبله. غوى: ضل. وأغوى غيره: أضله في اتباعه. ﴿**تبرأنا إليك. ما كانوا إيانا يعبدون**﴾: إننا نتبرأ إليك منهم. فما كانوا يعبدوننا في الحقيقة؛ وإنما كانوا يعبدون أهواءهم. ﴿**وقيل: ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون**﴾: وقيل للكافرين ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم. . ففعلوا فلم يجيبوهم، ورأوا العذاب ملازماً لهم.

ولو أنهم كانوا ممن يتبعون الهدى في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة. ﴿**ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتم المرسلين**﴾: سُئلوا أولاً عن إشراكهم. . وسُئلوا ثانياً عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك. . ﴿**فعميت عليهم الأنباء يومئذ. .**﴾ فضلّت عنهم الإجابات فصمتوا ولم يتساءلوا فيما بينهم عنها. . ﴿**فهم لا يتساءلون. . فأما من تاب وءامن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين**﴾: فأما من تاب من الشرك والكفر والمعاصي، وآمن بالله وبما جاء من عنده، وعمل

عملاً صالحاً موافقاً لما شرع الله.. فيرجى أن يكون من المفلحين الفائزين بالمطلوب، الناجين البعيدين عن المهروب. ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة**﴾: الخيرة: التخيّر. على وزن الطيرة بمعنى التطير. والمعنى: لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل إليهم.. فليس لأحد الخيار في شيء. ﴿**سبحان الله وتعالى عما يشركون**﴾: تنزه بذاته تنزهاً خاصاً به من أن ينازعه أحد، أو يزاحم اختياره اختيار! ﴿**وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون**﴾: وربك يعلم ما تخفي صدورهم وما به يجهرون. من حقد دفين وطعن باللسان مشين. ﴿**وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون**﴾: الكلمات واضحة. ﴿**قل: أرأيتم**﴾: قل لهم: أخبروني وأجيبوا عما ترون من الوضع المحكم في الليل والنهار: ﴿**إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة**﴾؟ السرمد: الدائم المستمر. مأخوذ من السرد. وهو المتابعة والاطراد. ﴿**من إله غير الله يأتيكم بضياء؟ أفلا تسمعون؟! قل: أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؟ أفلا تبصرون؟! ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون.. ويوم يناديهم فيقول: أين شركائي الذين كنتم تزعمون؟!.ونزعنا من كل أمة شهيداً..**﴾ نزعنا: أخرجنا. يقال: نزع الشيء من الشيء ينزع نزعاً.. والشهيد: الرسول المبعوث لكل أمة. ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير..**﴾ ﴿**فقلنا هاتوا برهانكم..**﴾ البرهان: الحجة النيرة القاطعة.. ﴿**فعلموا أن الحق لله.. وضل عنهم ما كانوا يفترون..**﴾ ضل: غاب عنهم غيبة الضائع.. ﴿**إن قارون كان من قوم موسى.. فبغى عليهم..**﴾ فقارون كان من بني إسرائيل.. ولكنه لم ينفع قومه.. بل طغا وتجبر واستعلى عليهم بِمَا لَهُ من المال والعلم.. ﴿**وآتيناه من الكنوز**﴾: الأموال المدخرة: ﴿**ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة..**﴾ مفاتحه: جمع مفتح. وهو المفتاح. لتنوء: تثقل. يقال: ناء به الحمل. ثقل عليه. والعصبة: العصابة. وهي الجماعة الكثيرة. ﴿**إذ قال له قومه: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين..**﴾ الفرح: البطر والسرور، والفَرِحُ: المسرور بما عنده المغرور. ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا**﴾: واطلب فيما أعطاك الله من الغنى ما تستحق به النجاة في الدار الآخرة، ولا تنسَ أن تُحصّل نصيبك من العيش في الدنيا لتستعين به على تكاليف الحياة. ﴿**وأحسن كما**

أحسن الله إليك﴾: وأحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك.. **﴿ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين..﴾** الفساد: الخراب والدمار.. والمفسد من يجعل الشيء الصالح سيئاً، والمفيد النافع خسراناً ضاراً.. **﴿قال: إنما أوتيته على علم عندي..﴾** فالمال الذي أوتيته ليس من أحد.. وإنما بالحدق والدهقنة والدراية بما تتطلبه مكاسب الأموال وتنميتها وادخارها كان هذا.. **﴿أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾**: ألم يعلم هذا المغرور أن الله قد أهلك من أهل القرون الأولى من هم أشد منه قوة وأكثر جمعاً؟. **﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾**!.. فالله عليم بجرائم المجرمين، ليس في حاجة لأن يسألهم ماذا يعملون؟!.. **﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا؛ يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، إنه لذو حظ عظيم.. وقال الذين أوتوا العلم: ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقيها إلا الصابرون﴾**: فخرج على قومه في زينته فتمنى الذين يطلبون الحياة الدنيا مثل ما عنده. وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً. ولا يلقى هذه الحكمة إلا الصابرون، الذين لا تغريهم زخارف الدنيا، ولا يستفزهم ما يرونه على غيرهم من المرح والبطر والفخفخة.. **﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾**: فخسفنا بقارون وبداره الأرض.. فهلك وهلك معه ماله.. فما كان له من أعوان ينصرونه، وما كان هو نفسه من المنتصرين!..

والفئة: الجماعة التي كانت ترد إليه وترجع، خوفاً منه وطمعاً.. **﴿وأصبح الذين تمنوا مكانَهُ بالأمس: يقولون: وَيْكَأَنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويْكَأنه لا يفلح الكافرون..﴾** وي كأنّ: وي اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب. وكأنّ حرف تشبيه. ومعناهما: ما أشبه الأمر! إنما يستعمل هذا التركيب عند التنبّه على الخطأ والتندم. ويكأنه لا يفلح الكافرون: أتعجب من عدم فلاح الكافرين! **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾**: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون تكبراً في الأرض ولا فساداً.. كدأب فرعون وقارون.. والعاقبة الحميدة للمتقين الذين يتقون ما لا يرضاه الله من الأفعال والأقوال.. **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها.. ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما**

كانوا يعملون.. إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد..﴾ فرض عليك القرآن: أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به. لرادك: مرجعك. إلى معاد: معاد تمتد إليه أعناق الهمم، وترنو إليه أحداق من الأمم. وهو يشمل كل ما يعود إلى الرسول ﷺ من نصر وتأييد وشرف وعزة وتمجيد وتحميد.. **﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين..﴾** فهو تقرير للوعد وما قبله من الوعيد.. **﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب..﴾** بل ألقى إليك الكتاب رحمة وهداية وتبصرة.. **﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين..﴾** الظهير: المساعد والمعاون والموالي.. **﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذْ أنزلت إليك﴾**: لا تجعل للكافرين مدخلاً يتسربون فيه ليكونوا حاجزاً بينك وبين القرآن.. والمقصود منه تحذير المؤمنين من الوقوع تحت تأثير الكافرين بِتَنْفِيرهم من القرآن وفهمه والعمل بما فيه.. **﴿وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين.. ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون..﴾**

مبحث الإعراب

و**﴿ما كنت﴾** كان واسمها. دخل عليها حرف النفي وواو العطف. **﴿بجانب﴾** متعلق بمحذوف خبر كان. **﴿الغربي﴾** مضاف إلى جانب. **﴿إذ قضينا﴾** فعل وفاعل دخل عليه ظرف الزمان الماضي المتعلق بما تعلق به الجار والمجرور قبله. **﴿إلى موسى﴾** متعلق بقضينا. **﴿الأمر﴾** مفعول به. **﴿وما كنت من الشاهدين﴾** معطوف على قوله: وما كنت بجانب.. وهو مثله في الإعراب. **﴿ولكنا﴾** لكنّ واسمها. **﴿أنشأنا قروناً﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿فتطاول﴾** فعل ماض. **﴿عليهم﴾** متعلق به. **﴿العمر﴾** فاعل. **﴿وما كنت ثاوياً﴾** كان واسمها وخبرها. والواو للعطف. **﴿في أهل.﴾** متعلق بالخبر قبله. **﴿مدين﴾** مضاف إلى أهل. تتلو﴾ فعل مضارع. **﴿عليهم﴾** متعلق بتتلو. **﴿آياتنا﴾** مفعول به. **﴿ولكنّا﴾** لكنّ واسمها. **﴿كنا﴾** كان واسمها. **﴿مرسلين﴾** خبر كان. وجملة كان خبرُ لكنّ والجملة عطف على ما قبلها. **﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾** إعراب هذا مثل إعراب.. وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا.. **﴿ولكن﴾** حرف استدراك. **﴿رحمة﴾** مفعول **﴿لأجله﴾** لفعل مقدر: **﴿أرسلناك﴾** لأجل رحمة.. **﴿من ربك﴾** متعلق بمحذوف نعت لرحمة. **﴿لتنذر﴾** فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل

ضمير المخاطب، وهو الرسول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بالفعل المقدر. والتقدير: أرسلناك لإنذار. . . ﴿**قوماً**﴾ مفعول به. ﴿**ما أتاهم**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف النفي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من نذير**﴾ فاعل أتاهم جر لفظاً بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**من قبلك**﴾ متعلق بأتاهم. وجملة ما أتاهم من نذير نعت لقوله «قوماً». ﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**يتذكرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر لعل. ﴿**ولولا**﴾ حرف امتناع لوجود، متضمنة معنى الشرط. ﴿**أن تصيبهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**مصيبة**﴾ فاعل. ﴿**بما**﴾ متعلق بتصيبهم. ﴿**قدمت أيديهم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ، والخبر محذوف. ﴿**فيقولوا**﴾ مرتب على قوله أن تصيبهم. ﴿**ربنا**﴾ منادى حذف منه حرف النداء. ﴿**لولا**﴾ حرف تحضيض ﴿**أرسلت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إلينا**﴾ متعلق بأرسلت. ﴿**رسولاً**﴾ مفعول به. ﴿**فنتبع**﴾ الفاء فاء السببية. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية. والفاعل نحن.

﴿**آياتك**﴾ مفعول به. ﴿**ونكون**﴾ معطوف على نتبع. واسم نكون نحن. ﴿**من المؤمنين**﴾ متعلق بمحذوف خبر نكون. ﴿**فلما جاءهم**﴾ الفاء للتعقيب. ولما ظرفية متضمنة معنى الشرط وجاءهم فعل الشرط. ﴿**الحق**﴾ فاعل. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من عندنا**﴾ متعلق بجاءهم. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لولا**﴾ أداة تحضيض ﴿**أوتي**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على الرسول. ﴿**مثل**﴾ مفعول. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى مثل. ﴿**أوتي موسى**﴾ الجملة الفعل ونائب الفاعل صلة ما. وجملة قالوا لولا أوتي جواب شرط لمّا. ﴿**أولم يكفروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم، وواو العطف. وهمزة الاستفهام. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل. ﴿**أوتي موسى**﴾ صلة ما. ﴿**من قبلُ**﴾ متعلق بيكفر. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ساحران**﴾ خبر لمبتدأ محذوف. ﴿**تظاهرا**﴾ فعل وفاعل. وجملة نعت لساحران. وجملة قالوا ساحران مستأنفة بيانية. ﴿**وقالوا**﴾ معطوف على قالوا السابق. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**بكل**﴾ متعلق بما بعده ﴿**كافرون**﴾ خبر إنّ. ﴿**قل**﴾ أمر موجه للرسول. ﴿**فأتوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**بكتاب**﴾ متعلق بأتوا ﴿**من عند**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكتاب. ﴿**الله**﴾: مضاف إليه. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أهدى**﴾ خبر المبتدأ. مرفوع

بضمة مقدرة على الألف. ﴿**منهما**﴾ متعلق بأهدى. وجملة هو أهدى منهما حال من كتاب. . ﴿**أتبعه**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الشرط. ﴿**صادقين**﴾ خبر كان. وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله. . ﴿**فإن لم يستجيبوا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي، والجزم،وإن الشرطية، وفاء التعقيب. ﴿**لك**﴾ متعلق بالفعل قبله، ﴿**فاعلم**﴾ أمر موجه إلى الرسول. والجملة جواب الشرط. وقرنت بالفاء لكونها طلبية. ﴿**أنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**يتبعون**﴾ أهواءهم فعل وفاعل ومفعول. والجملة في محل نصب مفعول اعلم. ﴿**ومن**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، ﴿**أضل**﴾ خبر المبتدأ، ﴿**ممن**﴾ متعلق بأضل. ﴿**اتبع**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَن. ﴿**هواه**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف. والضمير فيه مضاف إليه. وجملة اتبع صلة مَنْ. ﴿**بغير**﴾ متعلق باتبع. أو بمحذوف حال من فاعل اتبع. ﴿**هدى**﴾ مضاف إلى غير مجرور بكسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين.

﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف نعت لهدى. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يهدي**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على الله، ﴿**القوم**﴾ مفعول به. ﴿**الظالمين**﴾ نعت للقوم. وجملة لا يهدي خبر إنّ. وجملة إن الله لا يهدي. . تعليلية. ﴿**ولقد وصلنا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم، وواو العطف. ﴿**لهم**﴾ متعلق بوصلنا. ﴿**القول**﴾ مفعول به. ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آتيناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الذين. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول ثان. ﴿**من قبله**﴾ متعلق بآتيناهم. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدأ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول. ﴿**وإذا يتلى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول فعل شرط إذا. ﴿**عليهم**﴾ نائب الفاعل ضمير مقدر وعليهم متعلق بيتلى. أي: وإذا يُتلى عليهم القرآن. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب شرط إذا. ﴿**آمنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة مقول القول. ﴿**به**﴾ متعلق بآمنا. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الحق**﴾ خبرها. ﴿**من ربنا**﴾ متعلق بمحذوف حال من الحق. وجملة إنه بيانية. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**من قبله**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**مسلمين**﴾ خبر كان. وجملة كان. . خبر إنّ. وجملة إنا كنا بيانية.

﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يؤتون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل. خبر المبتدإ. ﴿**أجرهم**﴾ مفعول به. ﴿**مرتين**﴾ مفعول مطلق ﴿**بما**﴾ متعلق بيؤتون. ﴿**صبروا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**ويدرءون**﴾ فعل وفاعل معطوف على يؤتون. ﴿**بالحسنة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**السيئة**﴾ مفعول به. ﴿**ومما**﴾ متعلق بينفقون. ﴿**رزقناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ما. ﴿**ينفقون**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على يؤتون. ﴿**وإذا سمعوا اللغو**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط إذا. ﴿**أعرضوا**﴾ فعل وفاعل جواب شرط إذا. ﴿**عنه**﴾ متعلق بأعرضوا. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لنا**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أعمالنا**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة مقول القول. ﴿**ولكم أعمالكم**﴾ إعرابه مثل إعراب ما قبله. وهو معطوف عليه، ﴿**سلام**﴾ مبتدأ. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**لا نبتغي**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل نحن. ﴿**الجاهلين**﴾ مفعول به. ﴿**إنك**﴾ إنّ واسمها.

﴿**لا تهدي**﴾ فعل مضارع منفيّ بلا. والفاعل ضمير المخاطب. والجملة خبر إنّ. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**أحببت**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة من. ﴿**ولكنّ الله**﴾ لكن واسمها. والواو للعطف. ﴿**يهدي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر لكنّ. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة من. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**بالمهتدين**﴾ متعلق بأعلم. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**إن نتبع**﴾ فعل مضارع مجزوم بإن الشرطية وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. والفاعل نحن. ﴿**الهدى**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف، ﴿**معك**﴾ متعلق بنتبع. . ﴿**نتخطف**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم في جواب الشرط. ونائب الفاعل ضمير المتكلمين. ﴿**من أرضنا**﴾ متعلق بنتخطف. ﴿**أو لم نُمكّن**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والواو للعطف. والهمزة للاستفهام. والفاعل نحن. ﴿**لهم**﴾ متعلق بنمكن. ﴿**حرماً**﴾ مفعول به. ﴿**آمنا**﴾ نعت لحرم. ﴿**تُجْبَىَ**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ﴿**إليه**﴾ متعلق بتجبى. ﴿**ثمرات**﴾ نائب الفاعل. ﴿**كل**﴾ مضاف إلى ثمرات. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. وجملة تُجبى إليه ثمرات. . في محل نصب حال من قوله: حرماً آمنا. ويصح أن يكون نعتاً.

﴿**رزقاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**من لدنا**﴾ متعلق بمحذوف نعت. . ﴿**ولكن أكثرهم**﴾ لكنّ واسمها، ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر لكنّ. ﴿**وكم أهلكنا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه كم الخبرية. ﴿**من قرية**﴾ مفعول بأهلكنا جر لفظاً ونصب محلاً. ﴿**بطرت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على القرية. ﴿**معيشتها**﴾ مفعول به. والجملة نعت لقرية. ﴿**لم تسكن**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على القرية. ﴿**من بعدهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إلا قليلاً**﴾ نعت لظرف مقدر. وإلاّ أداة استثناء ملغاة. و﴿**كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**نحن**﴾ ضمير فصل. ﴿**الوارثين**﴾ خبر كان. ﴿**وما كان ربك مهلك**﴾ كان واسمها وخبرها دخل عليها حرف النفي وواو العطف. ﴿**القرى**﴾ مضاف إلى مهلك مجرور بكسرة مقدرة على الألف. . ﴿**حتى يبعث**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى. والفاعل ضمير يعود على ربك. ﴿**في أمها**﴾ متعلق بيبعث. ﴿**رسولاً**﴾ مفعول به.

﴿**يتلو**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على رسول. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بيتلو ﴿**آياتنا**﴾ مفعول به. وجملة يتلو نعت لرسول. ﴿**وما كنا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي وواو العطف. ﴿**مهلكي**﴾ خبر كان منصوب بالياء. ﴿**القرى**﴾ مضاف إلى مهلكي. . ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء. ﴿**وأهلها**﴾ مبتدأ. ﴿**ظالمون**﴾ خبر المبتدأ مرفوع بالواو. والواو للحال. والجملة حال من أعم الأحوال. ﴿**وما**﴾ اسم شرط. ﴿**أوتيتم**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. وضمير المخاطبين نائب الفاعل. والجملة فعل الشرط. ﴿**من شيء**﴾ متعلق بأوتيتم. ﴿**فمتاع**﴾ خبر لمبتدأ محذوف. والجملة جواب شرط ما. والفاء رابطة للجواب، ﴿**الحياة**﴾ مضاف إلى متاع. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**وزينتُها**﴾: معطوف على «متاع» ﴿**وما عند الله**﴾: ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عند**﴾: ظرف متعلق بجملة صلة الموصول. ﴿**الله**﴾: مضاف إليه ﴿**خيرٌ**﴾: خبر. ﴿**وأبقى**﴾: معطوف على خير مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**أفلا تعقلون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء العطف. وحرف الاستفهام. ﴿**أفمن وعَدْناه**﴾ الهمزة للاستفهام. والفاء للترتيب. ومن موصولة في محل رفع مبتدأ. وعدناه فعل وفاعل ومفعول صلة الموصول. ﴿**وعداً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**حسناً**﴾ نعت له. ﴿**فهو**﴾ في محل رفع. ﴿**لاقيه**﴾ خبر المبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الياء. والضمير فيه مضاف إليه. والفاء للعطف

السببي. ﴿**كمن**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل رفع خبر المبتدأ. ومن في محل جر بالكاف. ﴿**متعناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وهو صلة الموصول. ﴿**متاع**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الحياة**﴾ مضاف إلى متاع. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**ثُمَّ هُوَ**﴾ في محل رفع مبتدأ. وثم للتراخي في الرتبة دون الزمان. ﴿**يوم**﴾ متعلق بالمحضرين الآتي. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**من المحضرين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة معطوفة على الصلة قبلها. ﴿**ويوم**﴾ عطف على يوم القيامة. ﴿**يناديهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله المفهوم من السياق. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة يناديهم في محل جر مضافة إلى يوم. ﴿**فيقول**﴾ مرتب على يناديهم؛ وهو تفسير للنداء.. ﴿**أين**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**شركائي**﴾ خبر المبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم.. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى شركاء. وحركت بالفتحة للتخفيف. وجملة أين شركائي مقول القول. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع نعت لشركاء. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تزعمون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم تزعمون صلة الموصول. ﴿**قال الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**حق**﴾ فعل ماض. ﴿**عليهم**﴾ متعلق به.

﴿**القول**﴾ فاعل. والجملة صلة الذين. و﴿**ربنا**﴾ منادى حذف منه حرف النداء. ﴿**هؤلاء**﴾ مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴾﴿**الذين**﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**أغوينا**﴾ فعل وفاعل. صلة الذين. ﴿**أغويناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة بيانية. ﴿**كما**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر. وما في محل جر بالكاف. ﴿**غوينا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**تبرأنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إليك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ما كانوا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي. ﴿**إيانا**﴾ مفعول مقدم ﴿**يعبدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة ما كانوا إيانا يعبدون مثل جملة تبرأنا إليك. جاءت مقررة ومبينة لجملة هؤلاء الذين أغوينا.. ﴿**وقيل**﴾ فعل ماض مبنيّ للمجهول. والواو للعطف. ﴿**ادعوا**﴾ فعل أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**شركاءكم**﴾ مفعول به. ﴿**فدعوهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**فلم يستجيبوا**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ورأوا العذاب**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والواو للعطف. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمّن معنى الشرط. ﴿**أنهم**﴾ أن واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يهتدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان.

وجملة كانوا يهتدون خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل لفعل مقدر. والتقدير: لو ثبت اهتداؤهم ما رأوا العذاب.. ﴿**ويوم يناديهم فيقول**﴾ تقدم إعراب مثله.. ﴿**ماذا أجبتم المرسلين**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أداة الاستفهام. ﴿**فعميت**﴾ فعل ماض. والفاء للتعقيب. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بعميت. ﴿**الأنباء**﴾ فاعل. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بعميت. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لا يتساءلون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة خبر المبتدأ. والجملة مفرعة عما قبلها. ﴿**فأما من تاب**﴾ الفاء للتعقيب. وأما للتفصيل. ومن شرطية. تاب فعل الشرط. ﴿**وآمن وعمل**﴾ معطوفان على تاب. ﴿**صالحاً**﴾ مفعول به. ﴿**فعسى**﴾ فعل ماض ناقص. واسمها ضمير يعود على مَنْ. ﴿**أن يكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن. واسم يكون ضمير يعود على مَنْ. ﴿**من المفلحين**﴾ متعلق بمحذوف خبر يكون. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبر عسى. وجملة فعسى أن يكون.. جواب شرط مَنْ. والفاء رابطة للجواب. ﴿**وربك**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**يخلق**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ربك والجملة خبر المبتدأ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يشاء**﴾ صلة ما. ﴿**ويختار**﴾ معطوف على يخلق. ﴿**ما كان لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. وما نافية.

﴿**الخيرة**﴾ اسم كان. ﴿**سبحان**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبحان، ﴿**وتعالى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**عما**﴾ متعلق بتعالى. ﴿**يشركون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وربك يعلم**﴾ مثل وربك يخلق في الإعراب. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**تكن صدورهم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وما يعلنون**﴾ معطوف على ما تكن صدورهم. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**الله**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**لا إله**﴾ لا واسمها. ﴿**إلا هو**﴾ بدل من الخبر المقدر. والجملة تقرير لما قبلها. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الحمد**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**في الأولى**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**والآخرة**﴾ معطوف على الأولى. ﴿**وله الحكم**﴾ مثل له الحمد في الإعراب. ﴿**وإليه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**ترجعون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل معطوفة على ما قبلها.. ﴿**قل: أرأيتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**إن جعل الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بجعل. ﴿**الليل**﴾ مفعول به. ﴿**سرمداً**﴾

مفعول ثان. ﴿**إلى يوم**﴾ متعلق بجعل. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله. ﴿**مَنْ**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**إله**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**غير**﴾ نعت لإله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**يأتيكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على إله. والجملة نعت ثان لإله. ﴿**بضياء**﴾ متعلق بيأتيكم. ﴿**أفلا تسمعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون**﴾: مثل ما تقدم في إعراب ما قبلها. . ﴿**ومن رحمته**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**جعل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**لكم**﴾ متعلق بجعل. ﴿**الليل**﴾ مفعول به. ﴿**والنهار**﴾ معطوف عليه، ﴿**لتسكنوا**﴾ اللام للتعليل. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بجعل. ﴿**فيه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولتبتغوا**﴾ مثل لتسكنوا في الإعراب. ﴿**من فضله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولعلكم**﴾ لعلّ واسمها. ﴿**تشكرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعلّ. ﴿**ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون**﴾: تقدم إعراب مثله. . ﴿**ونزعنا**﴾ فعل وفاعل معطوف على يناديهم. ﴿**من كل**﴾ متعلق بنزعنا. ﴿**أمة**﴾ مضاف إلى كلّ. ﴿**شهيداً**﴾ مفعول به. ﴿**فقلنا**﴾ فعل وفاعل مرتب على نزعنا. ﴿**هاتوا**﴾ فعل أمر موجه إلى كل أمة. ﴿**برهانكم**﴾ مفعول به. ﴿**فعلموا**﴾ فعل وفاعل مرتب على هاتوا. .

﴿**أنّ الحق**﴾ أن واسمها. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول به، ﴿**وضل**﴾ فعل ماض. ﴿**عنهم**﴾ متعلق به. ﴿**ما**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يفترون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**إن قارون**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على قارون. ﴿**من قوم**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. وجملة كان واسمها وخبرها خبر أنّ. ﴿**موسى**﴾ مضاف إلى قوم مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**فبغى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على قارون. والفاء للتعقيب. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وآتيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**من الكنوز**﴾ متعلق بآتيناه. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول ثان بآتيناه. ﴿**إن مفاتحه**﴾ إن واسمها. ﴿**لتنوء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود

على مفاتحه. واللام لتأكيد الخبر. ﴿**بالعصبة**﴾ متعلق بتنوء. ﴿**أولي**﴾ نعت للعصبة: مجرور بالياء. ﴿**القوة**﴾ مضاف إلى أولي. وجملة لتنوء بالعصبة خبر إنّ. وجملة إن مفاتحه لتنوء بالعصبة صلة ما. ﴿**إذ قال**﴾ متعلق بفعل مقدر؛ والتقدير: أظهرَ بغْيَه حين قال ﴿**له**﴾ متعلق بقال. ﴿**قومه**﴾ فاعل قال. ﴿**لا تفرح**﴾ مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير يعود على قارون. والجملة مقول القول. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يحب**﴾ فعل مضارع منفيّ بلا. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الفرحين**﴾ مفعول به. وجملة لا يحب خبر إنّ، وجملة إن الله لا يحب الفرحين تعليل للنهي. ﴿**وابتغ**﴾ فعل أمر موجه إلى قارون. ﴿**فيما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**آتاك**﴾ فعل ماضٍ. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**الدار**﴾ مفعول بِفعل الأمر. ﴿**الآخرة**﴾ نعت للدار. ﴿**ولا تنس**﴾ مجزوم بلا الناهية مثل لا تفرح... ﴿**نصيبك**﴾ مفعول به. ﴿**من الدنيا**﴾ متعلق بلا تنس ـ ﴿**وأحسن معطوف**﴾ على ما قبله. ﴿**كما**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر، وما مصدرية. ﴿**أحسن الله**﴾ فعل وفاعل. وما وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالكاف. والتقدير: وأحسن إحساناً مثل إحسان الله إليك متعلق بأحسن. ﴿**ولا تبغ**﴾ مثل ولا تنس. ﴿**الفساد**﴾ مفعول به. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بلا تبغ. ﴿**إنّ الله لا يحب المفسدين**﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة إن الله لا يحب الفرحين، ﴿**قال**﴾ قارون: ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**أوتيته**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على قارون. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**على علم**﴾ متعلق بأوتيته. ﴿**عندي**﴾ متعلق بمحذوف نعت لعلم.

﴿**أو لم يعلم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والواو للعطف. والهمزة للاستفهام، والفاعل ضمير يعود على قارون. ﴿**أن الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**قد أهلك**﴾ فعل ماضٍ دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على الله، ﴿**من قبلهْ من القرون**﴾ متعلقان بأهلك، ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أشدُ**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**منه**﴾ متعلق بأشد. ﴿**قوة**﴾ منصوب على التمييز، وجملة هو أشد منه، صلة مَنْ. ﴿**وأكثر جمعاً**﴾ معطوف على أشد منه قوة. ﴿**ولا يسأل**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. منفيّ بلا. والواو للعطف. ﴿**عن ذنوبهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**المجرمون**﴾ نائب الفاعل. ﴿**فخرج**﴾ تعقيب على

ما سبق. ﴿**على قومه في زينته**﴾ متعلقان بخرج، ﴿**قال الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**يريدون الحياة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وجملة يريدون... صلة الموصول. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**يا ليت**﴾ ياء حرف نداء. وليت من أخوات إنّ. ﴿**لنا**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليت مقدم. ﴿**مثل**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**ما**﴾ في محل جَرّ مضافة إلى مثل ﴿**أوتي**﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول. ﴿**قارون**﴾ نائب الفاعل. وجملة أوتى قارون صلة ما. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لذو**﴾ خبر إنّ. واللام لتأكيد الخبر. ﴿**حظ**﴾ مضاف إلى ذو ﴿**عظيم**﴾ نعت لحظ. ﴿**وقال الذين**﴾ فعل وفاعل معطوف على قال الذين يريدون... ﴿**أوتوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿**العلم**﴾ مفعول به. ﴿**ويلكم**﴾ مفعول مطلق. وفعله مقدر. ﴿**ثواب**﴾ مبتدأٌ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى ثواب. ﴿**خير**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**لمن**﴾ متعلق بخير. ﴿**آمن**﴾ فاعله ضمير يعود على مَنْ. والجملة صِلة الموصول. ﴿**وعمل**﴾ معطوف على آمن. ﴿**صالحا**﴾ مفعول به، ﴿**ولا يلقاها**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول منفي بلا. والواو للعطف. ﴿**إلا الصابرون**﴾ نائب الفاعل. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**فخسفنا**﴾ فعل وفاعل، والفاء للتعقيب. ﴿**به**﴾ متعلق بخسفنا، ﴿**وبداره**﴾ معطوف على به. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به، ﴿**فما كان**﴾ الفاء للترتيب... ﴿**وما**﴾: نافية، ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**من فئة**﴾ اسم كان جر بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**ينصرونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لفئة، ﴿**من دون**﴾ متعلق بينصرونه. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون.

﴿**وما كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على قارون. ﴿**من المنتصرين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان ﴿**وما نافية**﴾ فيه، والواو للعطف، ﴿**وأصبح الذين**﴾ في محل رفع اسم أصبح ﴿**تمنوا مكانه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول، ﴿**بالأمس**﴾ متعلق بتمنوا ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر أصبح، ﴿**ويكأن الله**﴾ وي: اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب مبني على السكون كأنّ الله: كأن واسمها، ﴿**يبسط**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله والجملة خبر كأنّ ﴿**الرّزق**﴾ مفعول به. ﴿**لمن**﴾ متعلق بيبسط. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة ما، من عباده بيان لمن يشاء. ﴿**ويقدر**﴾ معطوف على يبسط. ﴿**لولا**﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿**أن**﴾ حرف مصدر. ﴿**منّ الله**﴾ فعل وفاعل، ﴿**علينا**﴾ متعلق بمنّ، وأن وما دخلت عليه

في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ. والخبر محذوف، والتقدير لولا منُّ الله علينا موجود، ﴿لخُسِف﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول. ﴿بنا﴾ نائب الفاعل، وجملة لخسف بنا جواب شرط لولا، ﴿ويكأنّه﴾ مثل ويكأنّ الله، ﴿لا يفلح الكافرون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة خبر كأنّ، ﴿تلك﴾ في محل رفع مبتدأ، ﴿الدار﴾ خبر المبتدأ، ﴿الآخرة﴾ نعت للدار. ﴿نجعلها﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿للذين﴾ متعلق بالفعل قبله، ﴿لا يريدون علوا﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي، والجملة صلة الموصول، ﴿في الأرض﴾ متعلق بعلوًّا ﴿ولا فساداً﴾ معطوف على قوله: لا يريدون علوّا. . . وجملة نجعلها للذين مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿والعاقبة﴾ مبتدأ، والواو للعطف ﴿للمتقين﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة تذييل، ﴿من جاء بالحسنة﴾ جملة شرطية. ﴿فله خير منها﴾ جملة جوابية، وتقدم إعراب مثلها في سورة النمل. ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ عطف على من جاء بالحسنة، ﴿فلا يجزى﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ولا للنفي، والفاء لربط الجواب، ﴿الذين﴾ في محل رفع نائب الفاعل. ﴿عملوا السيآت﴾ فعل وفاعل ومفعول: والجملة صلة الموصول. ﴿إلا ما﴾ في محل نصب مفعول مستثنى بإلا. ﴿كانوا﴾ كان واسمها. ﴿يَعْمَلُون﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعملون صلة ما، ﴿إن الذي﴾ إنّ واسمها. ﴿فرض﴾ فاعله ضمير يعود على الذي، ﴿عليك﴾ متعلق بفرض، القرآن مفعول به. وجملة فرض صلة الموصول، ﴿لرادُّك﴾ خبر إنّ واللام لتأكيد الخبر، ﴿إلى معاد﴾ متعلق برادّك، ﴿قُلْ: ربي﴾ مبتدأ. ﴿أعلمُ﴾ خبره ﴿مَن﴾ مفعول بأعلم. ﴿جاء:﴾ فاعله ضمير يعود على مَن. ﴿بالهدى﴾ متعلق بجاء، وجملة جاء صلة مَنْ، ﴿ومَنْ﴾ معطوف على من جاء، ﴿هو﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿في ضلال﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة صلة مَن، ﴿مبين﴾ نعت لضلال. ﴿وما كنت﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفى، والواو للعطف، ﴿ترجو﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. وجملة ترجو خبر كان.

﴿أن يلقى﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية مبنى للمجهول. ﴿إليك﴾ متعلق بيلقى. ﴿الكتاب﴾ نائب الفاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بترجو. . . ﴿إلا رحمة﴾ مفعول لأجله. وإلا ملغاة. ﴿من ربك﴾

متعلق بمحذوف نعت لرحمة. **﴿فلا تكونّن﴾** فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا الناهية... واسم تكون ضمير المخاطب. والفاء للتعقيب، **﴿ظهيراً﴾** خبر تكون. **﴿للكافرين﴾** متعلق بظهيراً. **﴿ولا يصدنك﴾** فعل مضارع متصل بنون التوكيد الثقيلة فحذف بسببها واو الجماعة الفاعل، والجملة معطوفة على ما قبلها. **﴿عن آيات﴾** متعلق بالفعل قبله، **﴿الله﴾** مضاف إلى آيات، **﴿بعد﴾** متعلق بفعل يصدنّك، **﴿إذْ﴾** في محل جر مضاف إلى بعد **﴿أنزلت﴾** فعل ماضٍ، ونائب الفاعل ضمير يعود على آيات الله. **﴿إليك﴾** متعلق بأنزلت ـ وتقدير الكلام: ولا يصدنك عن آيات الله بعد وقت انزالها إليك، **﴿وادع﴾** أمر موجه إلى الرسول. **﴿إلى ربك﴾** متعلق بادع. والجملة معطوفة على ما قبلها. **﴿ولا تكوننّ من المشركين﴾** متعلق بمحذوف خبر تكون. واسمها ضمير المخاطب. والجملة معطوفة على ما قبلها. **﴿ولا تدع﴾** فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل ضمير المخاطب، **﴿مع﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿الله﴾** مضاف إلى الظرف. **﴿إلها﴾** مفعول به. **﴿آخر﴾** نعت لإله. **﴿لا إله إلا هو﴾** تقدم إعراب مثلها. **﴿كلٌّ﴾** مبتدأ. **﴿شيء﴾** مضاف إلى كل. **﴿هالكٌ﴾** خبر المبتدأ. **﴿إلا وجهه﴾** منصوب على الاستثناء. **﴿له﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿الحكم﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿وإليه﴾** متعلق بما بعده: **﴿تُرجعون﴾** فعل مضارع مبنيّ للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل، وجملة وإليه ترجعون معطوفة على قوله: له الحكم.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين﴾: اتصل الكلام بالعطف على ما قبله... فهو دليل على صحة رسالة محمدﷺ ـ بالحجة الدامغة القاطعة، وذلك: بما أعلمه الله به من أخبار رسالة موسى مما لا قبل له بعلمها، لولا أن ذلك وحْيُ الله، وهذا تخلص من الاعتبار بدلالة الالتزام في قصة موسى إلى الدليل الصريح من إثبات رسالة محمد ﷺ. وجيء بالاستدلال بطريقة المذهب الكلامي المدلل بالحجة المنطقية العقلية: حيث بني الاستدلال على انتفاء كون الرسول موجوداً في المكان الذي قضى الله فيه أمر الوحى إلى موسى؛ لينتقل منه إلى أن مثله ما كان يعلم ذلك إلا عن مشاهدة؛ لأن طريق العلم بغير المشاهدة له مفقود منه ومن قومه؛ إذ لم يكونوا أهْلَ معْرفة بأخبار الرسل...

فلما انتفى طريق العلم المتعارف لأمثاله تعين أن طريق علمه هو إخبار الله تعالى إِياه بخبر موسى، والمعنى: وما كنت بجانب الجبل الغربي الذي وقع فيه الميقات. وهو على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه. ﴿**ولكنا أنشأنا قرونا**﴾: لم تكن حاضراً في ذلك الزمان البعيد لتعلم ما حصل لموسى وقومه على أخذ الميثاق... ولكنْ علِمته بالوحي المنزل إليك من ربك... ﴿**وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا... ولكنا كنا مرسلين**﴾: اتصل الكلام بالعطف على ما قبله... فهو زيادة على الدليل الأول... وكذلك قوله تعالى: ﴿**وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك...**﴾ وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الأمر والثواء في أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كُلاًّ من ذلك برهان مستقل. على أن حكايته للقصة بطريق الوحي الإلهي؛ ولو ذكر أولاً: نفي ثوائه في أهل مدين، ثم نفي حضوره عند النداء... ثم نفي حضوره عند قضاء الأمر؛ كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربّما تُوهمّ أن الكل دليلٌ واحدٌ. ﴿**لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك...**﴾ أرسلناك بهذا القرآن المعجز لأجل إنذار قوم لم يأتهم نذيرٌ من قبلك، وهم العرب... فلم يأتهم رسول بعد إسماعيل... وأما أهل الكتاب فقد بدّلوا وغيّروا وكفروا برسل الله جميعاً... ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ تعليل للإنذار. ﴿**ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على ما قبلها من الآيات الدالة على صدق الرسول... ﴿**فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى**﴾: هذا الكلام مرتب على ما قبله قالوه تعنتاً واقتراحاً. وقوله تعالى: ﴿**أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل**﴾: رد عليهم وإظهار لكون ما قالوه تعنتا محْضاً، لا طلباً لما يرشدهم إلى الحق. وقوله تعالى: ﴿**قالوا ساحران تظاهرا**﴾ استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الإنكار السابق وبيان كيفيته، وقوله تعالى: ﴿**وقالوا: إنا بكل كافرون**﴾ تصريح بكفرهم بهما، وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحراً، وذلك لغاية عتوّهم وتماديهم في الكفر والطغيان.

﴿**قل: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين:**﴾ هذه الآية تدل على وضوح الحجة وظهور المحجة جاءت للتبكيت والإفحام... ﴿**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم**﴾: هذا الكلام تعقيب على ما

سبقه... فهو إيذان بأن الرسولﷺ. على ثقة من أمره. وقوله تعالى: ﴿**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله**﴾: استفهام إنكاري للنفي، جيء به لزيادة التقريع، والإشباع في التشنيع والتضليل!. وجملة ﴿**إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ تعليل لما قبله... ﴿**ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما ثبت من صحة الدعوة ووضوح الحجة حيث وصلهم القول الحق بما فيه من هداية وصدق... ﴿**الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين**﴾: هذه الآية مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأنها جوابٌ لِسؤال مَن يسأل: هل تذكّر غيرُهم بالقرآن أو استوى الناس في عدم التذكر؟ فأجيب بأن الذين أوتوا الكتاب من قبل نزول القرآن يؤمنون به إيماناً ثابتا، فعندما سمعوه قالوا آمنا... الخ.

﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون. وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين**﴾: هذه الجمل في هاتين الآيتين بيان وتفصيل لما عليه هؤلاء المؤمنون من الرسوخ في الإسلام... فالتعْبِيرُ عنهم باسم الاشارة هنا؛ للتنبيه على أنهم أحرياءُ بما سيذكر بعد اسم الإشارة من أجْل الأوصاف التي ذكرت قبل اسم الإشارة من الإيمان بالقرآن قبل نزوله... فعدّ الله لهم سبْعَ خِصال من خصال أهل الكمال... ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**﴾: لما ذكر معاذير المشركين وكفرهم بالقرآن، وأعلم رسوله أنهم يتبعون أهواءهم... ثم أثنى على فريق من أهل الكتاب... فكان فيه غرابة أن يعرض العرب وهم أخص الناس بالنبيء والقرآن؛ ويقبل عليه غيرُهم... فالجملة استئناف بياني معلّل لما قبله من إعراض قريش والعرب وإيمان غيرهم... وافتتاح الآية بحرف التوكيد اهتمام بهذا الخطاب. ﴿**وقالوا إن فتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا**﴾: زيادة في إظهار معاذيرهم وإعراضهم عن اتباع القرآن... ﴿**أو لم نمكن لهم حرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾: هذا رد على قولهم... فإذا كان حالُهم ما ذُكِرَ وَهُمْ عبَدةُ أوثان...

فكيف يخافون التخطف إذا ضمّوا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد؟!.. ولكن أكثرهم لا يعلمون!.. ثم بين أن الأمر بالعكس، وأنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله

بقوله: **﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين. . .﴾**

فهذه الآية وصلت بالعطف على جملة أو لم نمكن لهم حرمًا آمنا. . . باعتبار ما تضمنته من الإنكار والتوبيخ. . . فإن ذلك يقتضى التعرض للانتقام شأن الأمم التي كفرت بنعم الله. . . فهو تخويف لقريش من سوء عاقبة أقوام كانوا في مثل حالهم من الأمن والرزق. . . فغمطوا النعمة وقابلوها بالبطر. وضمّن بطرت معنى كفرت؛ لأنّ البطرَ، ـ وهو التكبر ـ يستلزم عدم الاعتراف بما يُسْدَى إليهم من الخير!. . فتلك إشارة إلى قربها منهم ومعرفتهم بها. . . فمعنى لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً: لم يتركوا فيها من يخلفهم منهم. . . وذلك كناية عن انقراضهم بالكلية وقوله إلا قليلاً احتراس. أي: إلا إقامة المارّين بها، المعتبرين بهلاك أهلها. . . وجملة وكنا نحن الوارثين عطف على جملة لم تسكن من بعدهم. . . وعبّر عن تداول السكنى بالإرث على طريقة الاستعارة. وقصرُ إرث تلك المساكن على الله تعالى قصر حقيقي. وهو كناية عن حرمان تلك المساكن من الساكن. وتلك الكناية رمز إلى شدة غضب الله تعالى على أهلها الأولين. **﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا﴾**: موصول بالعطف على ما قبله: زيادة بيان للعناية الربانية إثر بيان إهلاك القرى المذكورة. . . فأعقب الاعتبار بالقرى المهلكة بيان أشراط هلاكها وسببه. استِقْصاءً للإعذار لمشركي العرب، وخصت أم القرى بالذكر؛ لأن العبرة بها أظهر؛ لأنها إذا أهلكت بقيت آثارها وأطلالها؛ ولكونها مقر المجرمين المترفين. . . ثم بين السبب بقوله: **﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون. . .﴾** فالإشراك سبب الإهلاك، وإرسال رسول شرطه، وتَمَّ ظلمهم بتكذيبهم الرسول!.

﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾: التفت الكلام من الغيبة إلى الخطاب؛ لأن ما تقدم من الكلام أوجب توجيه التوبيخ مواجهة إليهم. . . وتفرع على هذا الخبر استفهام توبيخى وتقريرى على عدم عقل المخاطبين بعد قوله؛ **﴿وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون؟!. . أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾**: همزة الاستفهام للإنكار. والفاء التي بعدها للترتيب، وجيء بالجملة الاسمية لافادة التحقيق. وجملة **﴿ثم هو يوم القيامة من**

المحضرين﴾ عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لإنكار التشابه ومقرر له، وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق، وقوله تعالى: **﴿ويوم يناديهم﴾** عطف على يوم القيامة لاختلافهما عنواناً وإن اتّحدا ذاتا. . . **﴿فيقول﴾**: تفسير للنداء، **﴿أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾**: مقول القول، وحذف المفعول به معاً في قوله؛ تزعمون ثقة بدلالة الكلام عليهما. . . وجملة **﴿قال الذين حق عليهم القول. . .﴾** استئناف مبني على حكاية السؤال؛ كأنه قيل: فماذا صدر عنهم حينئذ؟ فقيل: قال الذين حق عليهم القول. . . وهم شركاؤهم ورؤساؤهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله تعالى: بأن أطاعوهم في كل ما أمروهم به ونهوا عنه. . . **﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾**: مرادهم بهذه الإشارة بيان أنهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم، وأنهم غير قادرين على إنكاره ورده. وقوله تعالى: **﴿أغويناهم كما غوينا﴾** هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له، أي: ما أكرهناهم على الغي وإنما أغويناهم بطريق الإغراء والتهويل لا بالقسر والإلجاء فَغَوَوْا باختيارهم، مثل غينا باختيارنا، وجملة **﴿تبرأنا إليك﴾** تقرير لما قبله، ولذلك فصل ولم يوصل بالعطف. . . وكذلك قوله تعالى: **﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾**. **﴿وقيل: ادعوا شركاءكم﴾**: هذا الكلام موجه إلى جميع الذين نودوا بقوله: أين شركائي، فإن ذلك النداء كان توبيخاً لهم على اتخاذهم آلهة شركاء لله. . . فلما شعروا بالمقصد من ندائهم، وتَصدَّى كبراؤُهم للاعتذار عن اتخاذهم. . . أتبع ذلك بهذا القول، وأسند القول إلى المجهول؛ لأنّ الفاعل معلوم مما تقدم. . . وإضافة الشركاء إلى ضمير المخاطبين لأنهم الذين ادّعوا لهم الشرِكَةَ. . . والدعاء دعاء الاستغاثة حسب زعمهم أنهم شفعاؤهم عند الله في الدنيا، وجملة **﴿فلم يستجيبوا لهم﴾**: المرتب على قوله: **﴿فدعوهم﴾**، هي محل التأييس المقصود من الكلام. وقوله تعالى: **﴿ورأوا العذاب. . .﴾** يحتمل معاني كثيرة. . .

ويمكن جمعها في أربعة وجوه: الوجه الأول أن تكون الجملة عطفاً على جملة فلم يستجيبوا لهم. والرؤية بصرية والعذاب عذاب الآخرة. وعلى هذا تكون جملة لو أنهم كانوا يهتدون مستأنفة استئنافاً ابتدائياً مستقلة عن جملة ورأوا العذاب. الوجه الثاني ـ أن تكون الواو للحال والرؤية بصرية والعذاب عذاب الآخرة. الوجه الثالث ـ أن تكون الرؤية علمية وحذف المفعول الثاني اختصاراً. . . والعذاب عذاب الآخرة. وجملة **﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾** مستأنفة استئنافاً بيانياً.

وعلى هذه الأوجه الثلاثة تكون لو حرف شرط. وكانوا مزيدة في الكلام؛ لتوكيد خبر أنّ. وصيغة المضارع في يهتدون دَالّةٌ على التجدد، وهو كناية عن عدم الاهتداء من أصله، الوجه الرابع ـ أن تكون لو للتمنى المستعمل في التحسر عليهم!.. وكل هذه الأوجه مقصودة... فالآية من جوامع الكلم، ﴿**ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتم المرسلين**﴾؟.. فهذا الكلام مثل الكلام السابق في قوله: ويوم يناديهم فيقول أين شركائي... كرّر الحديث عنه باعتبار تعدد ما يقع فيه؛ لأن مقام الموعظة يقتضى الإطناب في تعداد ما يستحق به التوبيخ. وهذا توبيخ لهم على تكذيب الرسل بعد انقضاء توبيخهم على الإشراك بالله تعالى! ورتب على هذا السؤال قوله: ﴿**فعميت عليهم الأنباء يؤمئذ...**﴾ فلم يجب أحد منهم، وسكتوا كلهم، ولم ينتدب زعماؤهم للجواب كفعلهم في تلقى السؤال السابق ـ أين شركائى الذين كنتم تزعمون ـ والمعْنَى: خفيت عليهم الأنباء ولم يهتدوا إلى جواب!.. وذلك ناتج عن الحيرة والوهل... وتفرع على عميت عليهم الأنباء قوله: ﴿**فهم لا يتساءلون**﴾، وذلك من شدة البهت والبغت على الجميع: أنهم لا متنصّل لهم من هذا السؤال فوجموا!.. ﴿**فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين**﴾: الفاء للتفريع على ما أفاده قوله: فعميت عليهم الأنباء يومئذ... من أنهم حق عليهم العذاب، ولما كانت أمّا تفيد التفصيل، وهو التفكيك والفصل بين شيئين أو أشياء في حكم؛ فهي مفيدة هنا أن غير المؤمنين خاسرون في الآخرة. وذلك ما وقع الإيماء إليه بقوله: فهم لا يتساءلون. وعطف الإيمان على التوبة ـ من تاب وآمن... لأن المقصود حصول الإقلاع عن عقائد الشرك وإحلال عقائد الإسلام محلها؛ ولذلك عطف عليه وعمل صالحاً؛ لأن بعض أهل الشرك كانوا شاعرين بفساد دينهم.

وكان يصدهم عن تقلد شعائر الإسلام أسباب مغرية من الأعراض الزائلة التي فتنوا بها. وعسى ترجّ لتمثيل حالهم بحال من يرجى منه الفلاح. وأن يكون من المفلحين أشدُّ في إثبات الفلاح من أن يفلح. ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾: هذا من تمام ما قبله. والمقصود من الكلام هو قوله: ويختار... فَذِكْرُ يخلق ما يشاء إيماء إلى أنه أعلم بمخلوقاته. وتقديم المسند إليه ـ ربك ـ على خبره الفعلى ـ يخلق ـ يفيد القصر. وجملة ﴿**ما كان لهم الخيرة**﴾ استئناف مؤكد لمعنى القصر. وجملة ﴿**سبحان الله وتعالى عما يشركون**﴾ كَذلك. ﴿**وربك يعلم ما تكن صدورهم**

وما يعلنون. وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون﴾: هذه الآيات شملت أغراض كل ما تقدم. ابتداء من قوله؛ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها... إلى قوله: وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة. **﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه، أفلا تبصرون﴾**: في هذا الكلام انتقال من الاستدلال على انفراد الله تعالى بالإلهية بصفات ذاته، إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته. وفي ضمن هذا الاستدلال إدماج الامتنان على الناس... وللتعريض بكفر المشركين بجلائل نعمه. ومن أبدع الاستدلال: أن اختير للاستدلال على وحدانية الله هذا الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين، والذي يستوى في إدراكه كلُّ مميز، وكان الاستدلال بتعاقب الضياء والظلمة على الناس أقوى وأوضح من الاستدلال بتكوين أحدهما لو كان دائماً؛ لأن قدرة خالق الضدين وجعل أحدهما ينسخ الآخر كل يوم أظهر منها لو لم يخلق إلا أقواهما وأنفعهما... وسيق إليهم هذا الاستدلال بأسلوب تلقين النبىء أن يقوله لهم اهتماماً بهذا التذكير لهذا الاستدلال، ولاشتماله على ضدين متعاقبين. وجىء في الشرطين بحرف إنْ؛ لأن الشرط مفروض فرضاً مخالفاً للواقع، والاستفهام في أرأيتم تقريري... والاستفهام في من إله غير الله انكارى. وكرر الأمر بالقول في مقام التقرير؛ لأن التقرير يناسبه التكرير مثل مقام التوبيخ ومقام التهويل. **﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾**: هذا تصريح بنعمة تعاقب الليل والنهار على الناس، وقدم المجرور - من رحمته - على عامله للاهتمام بمنة الرحمة. وقد سلك في قوله: لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله طريقة اللف والنشر المرتب.

والابتغاء من فضل الله كناية عن العمل والطلب لتحصيل الرزق. وجملة **﴿ولعلكم تشكرون﴾** تذييل مقرر لمضمون ما قبله. أي: أي فعل ما فعل؛ لكي تشكروا نعمته تعالى!. **﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾**: كرر هذا الكلام ليعطف عليه قوله: **﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً...﴾** ورتب **﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾** على ونزعنا... لأنه المقصود. والأمر مستعمل في التعجيز. ولما علموا عجزهم عن إظهار برهان لهم أيقنوا أن الحق مستحق لله

تعالى. وجملة ﴿**وضل عنهم ما كانوا يفترون**﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله. وضل بمعنى غاب غيبة الشيء الضائع. استعارة تبعية. ﴿**إن قارون كان من قوم موسى**﴾: استئناف ابتدائي لذكر قصة ضربت مثلا لحال بعض كفار قريش في مكة. ﴿**فبغى عليهم**﴾: مرتب على ما قبله. ﴿**وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تَبْغِ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**﴾!.. فأظهر قارون البغي على قومه بسبب ما أوتي من الكنوز المختلفة... والخزائن المدخرة... فلم يسمع نصح الناصح: ﴿**قال: إنما أوتيته على علم عندي...**﴾ فهذا جواب عن موعظة وَاعِظِيه من قومه، وقد جاء على أسلوب حكاية المحاورات فلم يعطف، وهو جواب متصلف! حاول به إفحامهم، وأن يقطعوا لموعظتهم... ﴿**أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً**﴾؟!.. هذا إقبال على خطاب المسلمين. والهمزة للاستفهام الإنكاري التَّعْجِيبي. وهو تعجيب من عدم جريه على موجب علمه بأن الله أهلك أمماً على بطرهم وإعجابهم. وقوله: ﴿**ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون**﴾ تذييل للكلام السابق. ﴿**فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون**﴾! تعقيب على ما تقدم من بغيه وبطره بسبب المال وتعاليه وفخره بما عنده من العلم لكسب المال.. فتعدية خرج بحرف على؛ لتضمنه معنى النزول، إشارة إلى أنه خروج تعالٍ مترفّع! عندئذٍ: قال الذين يريدون الحياة الدنيا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون!!

وجملة ﴿**إنه لذو حظ عظيم**﴾ تعليل لتمنيهم وتأكيد له. ﴿**وقال الذين أوتوا العلم: ويلكم! ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً**﴾: مقابل قول الذين يريدون الحياة الدنيا.. فجملة ﴿**ولا يلقاها إلا الصابرون**﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله. ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين**﴾: دلت الفاء على تعقيب ساعة خروج قارون في ازدهائه وما جرى فيها من تمني قوم أن يكونوا مثله، وما أنكر عليهم علماؤهم من غفلتهم عن التنافس في ثواب الآخرة بتعجيل عقاب قارون في الدنيا بمرأى من الذين تمنوا أن يكونوا مثله! ﴿**وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء**

من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف لنا ويكأنه لا يفلح الكافرون. تلك الدار الآخرة﴾: انتهت قصة قارون بما فيها من العبر.. فأعقبت باستئناف كلام عن الجزاء على كل عمل يعمله الإنسان من خير وشر.. فالإشارة بتلك إشارة تعظيم وتفخيم. وإذا كانت الجملة من مبتدأ وخبر كان قصراً مقصوداً منه لفت النظر إليها ويسمع لمن تكون هذه الدار الخاصة: **﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً..﴾** فهي معدّة للذين حالهم بضدّ حال فرعون وهامان وقارون.. فمناسبة ذكر الجنة بعنوان الدار؛ لذكر الخسف بدار قارون؛ للمقابلة بين دار زائلة.. ودار باقية.. وجملة **﴿والعاقبة للمتقين﴾** تذييل مقرر لمضمون ما قبله. **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾**: تقدم بيان مثلها في آخر سورة النمل.. **﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾**: اختلف أسلوب هذه هنا بأسلوب تلك هنالك، حيث وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم - ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات.. فليست سيئة واحدة ولا مرة واحدة.. ولكنها سيئات متكررات بمرور الأوقات. **﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾**: ابتداء كلام للتنويه بشأن الرسول وتثبيت فؤاده ووعده بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة. وجيء بالمسند إليه اسم موصول لما في الصلة من الإيماء إلى وجه بناء الخبر، وأنه خبر الكرامة والتأييد.. فأبشر بما تلقى في معادك من الكرامة التي لا تعادلها كرامة، والتي لا تعطى لأحد غيرك!

وجملة **﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾**: مستأنفة استئنافاً بيانياً عن جملة إن الذي فرض عليك القرآن.. جاءت جوابًا لسِؤالِ سائل. وهو تقرير للوعيد السابق في قوله: ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون. وهو تهديد للمشركين الذين تآمروا على الرسول في مكة حتى ألجأوه إلى الخروج منها.. **﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾**: هذا الكلام موصول بالعطف على قوله: إن الذي فرض عليك القرآن.. فجملة فلا تكونن ظهيراً للكافرين تفريع على جملة إن الذي فرض عليك القرآن وما عطف عليها وما تخلل بينهما مما اقتضى جمعه الوعد بنصره وظهور أمره وفوزه في الدنيا والآخرة.. فهو تحذير من أدنى مظاهرة للمشركين.. فإن فعل الكون لما وقع في سياق النهي. وكان سياق النهي

مثل سياق النفي؛ لأن النهي أخو النفي في سائر تصاريف الكلام كان وقوع فعل الكون في سياقه مفيدًا لِتعميم النهي عن كل كون من أكوان المظاهرة للمشركين. ولما شمل النهي جميع أنواع المظاهرة لهم اقتضى النهي عن مصانعتهم والتسامح معهم. وهو يستلزم الأمر بضد المظاهرة.. فيكون كناية عن الأمر بالغلظة عليهم.. وهذا المعنى يناسب كون هذه الآيات آخر ما نزل قبل الهجرة، وبعد مشاركته المشركين ومغادرته البلد. **﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذْ أُنزلت إليك﴾**: هذا موصول بالعطف على الآيات السابقة.. وكذلك قوله: **﴿وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين. ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه..﴾** فهي آيات جيء بها للتهييج والإلهاب، وقطع أطماع المشركين عن مساعدة النبي لهم، ولاظهار أن المنهي عنه في القبح والشرّيّة بحيث يُنهى عنه من لا يمكن صدوره منه أصلاً. وجملة **﴿وإليه ترجعون﴾** تذييل مقرر لمضمون ما قبله، وفيه براعة المقطع حيث جاءت هذه الجملة في نهاية السورة..

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين﴾: في هذا التوجيه التعقيبات على قصة موسى عليه السلام ـ فقد مضت بدلالتها التي وضحت في الدرس الماضي.. فأما في هذا الدرس فتبدأ التعقيبات عليها.. ثم يمضي السياق في طريقه على محور السورة الأصيل. يبين أين يكون الأمن وأين تكون المخافة. ويجول مع المشركين الذين يواجهون دعوة الإسلام بالشرك والإنكار والمعاذير يجول معهم جولات شتى في مشاهد الكون، وفي مشاهد الحشر، وفيما هم فيه من الأمر، بعد أن يعرض عليهم دلائل الصدق فيما جاءهم به رسولهم محمد ﷺ وكيف يتلقاه فريق من أهل الكتاب بالإيمان واليقين، بينما هم يتلقونه بالكفران والجحود، وهو رحمة لهم من العذاب لو أنهم كانوا يتذكرون! والتعقيب الأول على القصة يدور حول دلالتها على صدق دعوى الوحي.. فرسول الله ﷺ يتلو عليهم تفصيلات الأحداث كما يقصها شاهدُ العيان، وما كان حاضراً أحداثها.. ولكنه الوحي يقصها عليه من لدن عليم خبير.. فالجانب الغربي: هو الجانب الغربي للطور الذي جعله الله ميقاتاً مع موسى ـ عليه السلام ـ بعد أجل محدد. ثلاثين ليلة، أتمها بعشر.. فكانت أربعين ليلة على ما

ذكر في سورة الأعراف. . ففي هذا الميقات قضى الأمر لموسى في الألواح؛ لتكون شريعته في بني إسرائيل. وما كان رسول الله محمد ﷺ شاهداً لهذا الميقات، حتى يعلم نبأه المفصل. كما ورد في القرآن الكريم. ولقد تحدث القرآن كذلك بأنباء مدين، ومقام موسى بها. وتلاها الرسول، وما كان مقيماً في أهل مدين يتلقى عنهم أخبار هذه الفترة بمثل هذا التفصيل الذي جاءت فيه: ولكنا كنا مرسلين بهذا القرآن وما فيه من أنباء السابقين. كذلك صور القرآن موقف المناداة والمناجاة من جانب الطور بدقة وعمق. . وما سمع رسول الله ذلك النداء. . وما سجل في وقتها تفصيلاته. . ولكنها رحمة الله بقومه هؤلاء. . أن قص عليه هذه الأنباء الدالة على صدقه فيما يدعوهم إليه؛ لينذر هؤلاء القوم الذين لم يأتهم نذير من قبله. . فقد كانت الرسالات في بني إسرائيل من حولهم؛ ولم يُرسل إليهم رسول منذ أمد طويل. . منذ جدهم إسماعيل. . فهي رحمة الله بالقوم. وهي حجته كذلك عليهم، كي لا يعتذروا بأنهم أُخِذوا على غرّة، وأنهم لم ينذروا قبل أخذهم بالعذاب. . فأراد الله أن يقطع حجتهم، وأن يعذر إليهم، وأن يقفهم أمام أنفسهم مجردين من كل عائق يعوقهم عن الإيمان: ﴿**ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم، فيقولوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين**. .﴾ كذلك كانوا سيقولون لو لم يأتهم رسول، ولو لم يكن هذا الرسول من الآيات ما يلزم الحجة. .

ولكنهم حين جاءهم الرسول ومعه الحق الذي لا مرية فيه لم يتبعوه: ﴿**فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى! أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل؟!. . قالوا: ساحران تظاهرا، وقالوا: إنا بكل كافرون**. .﴾ وهكذا لم يذعنوا للحق، واستمسكوا بالتعلاّت الباطلة. . إمّا من الخوارق المادية، وإمّا من الألواح التي نزلت عليه جملة وفيها التوراة كاملة. . ولكنهم لم يكونوا صادقين في حجتهم، ولا مخلصين في اعتراضهم. . فقد كان في الجزيرة العربية يهود، وكان معهم التوراة. . فلم يؤمنوا لهم العرب. . ولم يصدقوا بما بين أيديهم من التوراة. . ولقد علموا أن صفة محمد ﷺ مكتوبة في التوراة. . واستفتوا بعض أهل الكتاب فيما جاءهم به. . فأفتوهم بما يفيد أنه الحق، وأنه مطابق لما بين أيديهم من الكتاب. . فلم يذعنوا لهذا كله، وادعوا أن التوراة سحر، وأن القرآن سحر. . وأنهما من أجل هذا يتطابقان، ويصدق أحدهما الآخر: قالوا: ساحران تظاهرا. .

وقالوا: إنا بكل كافرون! فهو المراء إذن واللجاجة.. لا طلب الحق، ولا نقصان البراهين، ولا ضعف الدليل. ومع هذا.. فهو يسير معهم خطوة أخرى في الإفحام والإحراج؛ يقول لهم: إن لم يكن يعجبكم القرآن، ولم تكن تعجبكم التوراة.. فإن كان عندكم من كتب الله ما هو أهدى من التوراة والقرآن فأتوا به أتبّعْه: ﴿**قل: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين**..﴾ فهذه نهاية الإنصاف، وغاية المطاولة بالحجة؛ فمن لم يجنح إلى الحق بعد هذا فهو ذو الهوى المكابر، الذي لا يستند إلى دليل: ﴿**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم**..﴾ فإن الحق في هذا القرآن لَبَيِّنٌ، وإن حجة هذا الدين لواضحة.. فما يتخلف عنه أحد يعلمه إلا أن يكون الهوى هو الذي يصده. وإنهما لطريقان لا ثالث لهما: إما إخلاص للحق وخلوص من الهوى، وعندئذ لا بد من الإيمان والتسليم. وإما مُمَاراة في الحق واتباع للهوى.. فهو التكذيب والشقاق، ولا حجة من غموض في العقيدة، أو ضعف في الحجة، أو نقص في الدليل.. كما يدعي أصحاب الهوى المغرضون! فهكذا جزماً وقطعاً. كلمة من الله لا راد لها، ولا معقب عليها: إن الذين لا يستجيبون لهذا الدين مغرضون غير معذورين. متجنون لا حجة لهم ولا معذرة. متبعون للهوى. معرضون عن الحق الواضح: ﴿**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله**﴾؟!.. فهم في هذا ظالمون باغون: ﴿**إن الله لا يهدى القوم الظالمين**﴾. إن هذا النص. ليقطع الطريق على المعتذرين بأنهم لم يفهموا عن هذا القرآن، ولم يحيطوا علماً بهذا الدين.. فما هو إلا أن يصل إليهم، ويُعرض عليهم.. حتى تقوم الحجة ويتقطع الجدل، وتسقط المعذرة.. فهو بذاته واضح واضح. لا يحيد عنه إلا ذو هوى يتبع هواه.. ولا يُكذّب به إلا متجن يظلم نفسه ويظلم الحق المبيّن ولا يستحق هدى الله.

التوجيه الثاني: ﴿**ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون**..﴾: في هذا التوجيه قطع الحجة على المشركين وعلى كل مرتاب في حقيقة هذا الدين.. فقد انقطع عذرهم بوصول الحق إليهم وعرضه عليهم.. فلم يعد لهم من حجة ولا دليل. وحين تنته هذه الجولة.. فيتبيّن منها التواؤهم ومراؤهم، يأخذ معهم في جولة أخرى تُعرض عليهم صورة من استقامة الطبع وخلوص النية. تتجلّى هذه الصورة في فريق من الذين أوتوا الكتاب من قبلهم، وطريقة استقبالهم للقرآن المصدق لما بين أيديهم: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون**..﴾ فهذه من الدلائل

القاطعة على صحة الدعوة التي جاء بها رسول الله ﷺ فالكتاب كله من عند الله. فهو الحق الذي لا ريب فيه: ﴿**وإذا يتلى عليهم قالوا: آمنا به**﴾. ﴿**إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين**..﴾ فهو من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى أكثر من تلاوته.. فيعرف الذين عرفوا الحق من قبل: أنه من ذلك المعين، وأنه صادر من ذلك المصدر الواحد الذي لا يكذب، والإسلام لله هو دين المؤمنين بكل دين. هؤلاء الذين أسلموا لله من قبل.. ثم صدقوا بالقرآن بمجرد سماعه: ﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا**..﴾ الصبر على الإسلام الخالص. إسلام القلب والوجه، ومغالبة الهوى والشهوة، والاستقامة على الدين في الأولى والآخرة. أولئك يؤتون أجرهم مرتين، جزاء على ذلك الصبر. وهو عسير على النفوس.

وأعسر الصبر ما كان على الهوى والشهوة والالتواء والانحراف. وهؤلاء صبروا عليها جميعاً؛ كما يقع دائماً للمستقيمين على دينهم في المجتمعات المنحرفة الضالة الجاهلة في كُلّ زمان ومكان: ﴿**ويدرؤون بالحسنة السيئة**..﴾ فهذا هو الصبر كذلك. وهو أشد مؤنة من مجرد الصبر على الإيذاء والسخرية. إنه الاستعلاء على كبرياء النفس، ورغبتها في دفع السخرية ورد الأذى والشفاء من الغيظ.. ثم درجة أخرى بعد ذلك كله: درجة السماحة الراضية، التي ترد القبيح بالجميل، وتقابل الجاهل الساخر بالطمأنينة والهدوء والرحمة والإحسان! وهو أفق من العظمة لا يبلغه إلا المؤمنون الذين يعاملون الله فيرضاهم ويرضونه فيلقون ما يلقون من الناس راضين مطمئنين! ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ وكأنما أراد أن يذكر سماحة نفوسهم بالمال عقب ذكره لسماحة نفوسهم بالإحسان.. فهما من منبع واحد: منبع الاستعلاء على شهوة النفس، والاعتزاز بما هو أكبر من قيم الأرض. الأولى في النفس، والثانية في المال. وكثيراً ما يردان متلازمين في القرآن. وصفة أخرى من صفة النفوس المؤمنة الصابرة على الإسلام الخالصة للعقيدة: ﴿**وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين**..﴾ فاللغو: فارغ الحديث الذي لا طائل تحته؛ ولا حاصل وراءه. وهو الهذر بقتل الوقت دون أن يضيف إلى القلب أو العقل زاداً جديداً، ولا معرفة مفيدة. وهو البذيء من القول الذي يفسد الحس واللسان سواء: أَوُجِّة إلى مخاطب أم أَحُكِى عن غائب!؟. فالقلوب المؤمنة لا تلغو ذلك اللغو، ولا تستمع إلى ذاك الهذر، ولا تعنى بهذا البذاء.. فهي مشغولة بتكاليف الإيمان، مرتفعة

بأشواقه، متطهرة بنوره.. فهم لايهتاجون ولا يغتاظون ولا يحاورون أهل اللغو فيردون عليهم بمثله، ولا يدخلون معهم في جدل حوله؛ لأن الجدل مع أهل اللغو لغو؛ إنما يتركونهم في موادعة وسلام. إنها صورة وضيئة للنفس المؤمنة المطمئنة إلى إيمانها. تفيض بالترفع عن اللغو كما تفيض بالسماحة والود. وترسم لمن يريد أن يتأدب بأدب الله طريقه واضحاً لا لبس فيه. فلا مشاركة للجهال، ولا مخاصمة لهم، ولا موجدة عليهم، ولا ضيق بهم.. إنما هو الترفع والسماحة وحب الخير.. حتى للمجرم المسيء! هؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب لم يزد الرسول في جهاده معهم للإيمان على أن يتلو عليهم القرآن ووراءه من قومه من جهد معَه جهداً كبيراً ليؤمن، ومن أحب من كل نفسه أن يهديه للإسلام.. فلم يقدّر الله له ذلك؛ لأمر يعلمه الله من نفس الشخص. وما كان النبيء ليهدى من يحب.. إنما يهدى الله من يعلم من نفسه ما يستحق به الهدي، ومن هو مستعد للإيمان: ﴿**إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين..**﴾

التوجيه الثالث: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا..﴾: في هذا التوجيه كشف لموقف المشركين الذين دعاهم الرسول وتمنّى هدايتهم مع هذا الهدى الذي جاءهم.. فهم يقولون للرسولﷺ ـ معتذرين عن اتباعه مخافة أن يفقدوا سلطانهم على قبائل العرب المجاورة التي تعظم الكعبة وتدين لسدنتها.. فهي النظرة السطحية القريبة، والتصور الأرضي المحدود ـ هو الذي أوحى لقريش.. وهو الذي يوحي للناس أن اتباع هدى الله يُعرّضهم للمخافة، ويغري بهم الأعداء، ويفقدهم العون والنصير، ويعود عليهم بالفقر والبوار!!.. فهم لا ينكرون أنه الهدى.. ولكنهم يخافون أن يتخطفهم الناس. وهم ينسون الله، وينسون أنه وحده الحافظ. وأنه وحده الحامي. وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تتخطفهم وهم في حمى الله، وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تنصرهم إذا خذلهم الله. ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم. ولو خالطها لتبدلت نظرتهم للقوى. ولاختلف تقديرهم للأمور. ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا في جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه، وأن هذا الهدى موصول بالقوة موصول بالعزة. وأن هذا ليس وهماً وليس قولاً يقال لطمأنة القلوب.. إنما هو حقيقة عميقة منشؤها أن اتباع هدى الله معناه الاصطلاح مع ناموس الكون وقواه.

والاستعانة بها وتسخيرها في الحياة.. فالله خالق لهذا الكون ومدبّره وفق الناموس الذي ارتضاه له. والذي يتبع هدى الله يستمد مما في هذا الكون من قوى غير محدودة، ويأوي إلى ركن شديد في واقع الحياة. إن هدى الله منهج حياة صحيحة. حياة واقعة في هذه الأرض. وحين يتحقق هذا المنهج تكون له السيادة الأرضية إلى جانب السعادة الأخروية، وميزته أنه لا انفصال فيه بين طريق الدنيا وطريق الآخرة.

ولا يقتضي إلغاء هذه الحياة الدنيا أو تعطيلها؛ ليحقق أهداف الحياة الآخرة.. إنما هو يربطهما معاً برباط واحد: صلاح القلب وصلاح المجتمع وصلاح الحياة في هذه الأرض. ومن ثم يكون الطريق إلى الآخرة.. فالدنيا مزرعة الآخرة، وعمارة جنة هذه الأرض وسيادتها وسيلة إلى عمارة جنة الآخرة والخلود فيها؛ بشرط اتباع هدى الله، والتوجه إليه بالعمل والتطلع إلى رضاه. وما حدث قطُّ في تاريخ البشرية أن استقامت جماعة على هدى الله إلا منحها القوة والمنعة والسيادة في نهاية المطاف؛ بعد إعدادها لحمل هذه الأمانة. أمانة الخلافة في الأرض وتصريف الحياة. وإن الكثير ليشفقون من اتباع شريعة الله والسير على هداه. يَشْفَقُونَ من عداوة أعداء الله ومكرهم، ويشفقون من تألب الخصوم عليهم، ويشفقون من المضايقات الاقتصادية وغير الاقتصادية! وإن هي إلا أوهام كأوهام قريش يوم قالت لرسول الله: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا.. فلما اتبعت قريش ـ ومعها العرب ـ هدى الله سيطرت على مشارق الأرض ومغاربها في ربع قرن أو أقل من الزمان. وقد رد الله عليهم في وقتها بما يكذّب هذا العذر الموهوم.. فمن الذي وهبهم الأمن؟ ومن الذي جعل لهم البيت الحرام؟ ومن الذي جعل القلوب تهوي إليهم، تحمل من ثمرات الأرض جميعاً؟ تتجمع في الحرم من كل أرض، وقد تفرقت في مواطنها ومواسمها الكثيرة: ﴿**أو لم نمكن لهم حرمًا آمنا تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا..**﴾ فما بالهم يخافون أن يتخطفهم الناس لو اتبعوا هدى الله؛ والله هو الذي مكن لهم هذا الحرم الآمن منذ أيام أبيهم إبراهيم؟ أفمن أمّنهم وهم عصاة، يدع الناس يتخطفونهم وهم ثقاة؟!.. ﴿**ولكن أكثرهم لا يعلمون..**﴾ لا يعلمون أين يكون الأمن وأين تكون المخافة، ولا يعلمون أن مرد الأمر كله لله.. فأما إن أرادوا أن يتقوا المهالك حقا، وأن يأمنوا التخطف حقاً؛ فها هي ذي علة الهلاك فليتقوها: ﴿**وكم أهلكنا من قرية**

بطرت معيشتها فتلك مساكنهم. .﴾ فإن بطر النعمة وعدم الشكر عليها، هو سبب هلاك القرى. وقد أوتوا من نعمة الله ذلك الحرم الآمن؛ فليحذروا إذن أن يبطروا وألا يشركوا فيحل بهم الهلاك كما حل بالقرى التي يرونها ويعرفونها، ويرون مساكن أهلها الداثرين خاوية خالية: ﴿**لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً. .﴾** فبقيت شاخصة تحدث عن مصارع أهلها، وتروى قصة النعمة؛ وقد فنى أهلها. . فلم يعقبوا أحداً ولم يرثها بعدهم أحد: ﴿**وكنا نحن الوارثين. .﴾** على أن الله لم يهلك تلك القرى المتبطرة إلاّ وقد أرسل في أُمَتها رسولاً. فتلك هي سنته التي كتبها على نفسه رحمة بعباده: وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا. .

فحكمة إرسال الرسل في أم القرى ـ كبراها أو عاصمتها ـ أن تكون مركزاً تُبلغ منه الرسالة إلى الأطراف. . فلا تبقى حجة ولا عذر فيها لأحد. وقد أرسل النبي ﷺ في مكة أم القرى العربية. . فهو ينذرهم عاقبة المكذبين قبلهم بعد ما جاءهم النذير: ﴿**وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون. .﴾** فهم يكذبون بالآيات عن معرفة وعن يقين! على أن متاع الحياة الدنيا بكامله، وعرض الحياة الدنيا جميعه، وما مكنهم الله فيه من الأرض، وما وهبهم إياه من الثمرات، وما يتسنى للبشر كلهم طوال هذه الحياة؛ إن هو إلا شيء ضئيل زهيد، إذا قيس بما عند الله: ﴿**وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى. .﴾** فهذا هو التقويم الأخير، لا لما يخشون فوته من الأمن والأرض والمتاع وحده. ولا لما يمن به الله عليهم من التمكين والثمار والأمان وحده. ولا لما وهبه الله للقرى. . ثم أهلكها بالتبطر فيه وحده. . إنما هو التقويم الأخير لكل ما في هذه الحياة الدنيا. . حتى لو ساغ. . وحتى لو كَمُل. . وحتى لو دام. . فلم يعقبه الهلاك والدمار، إنه كله متاع الحياة الدنيا وزينتها. . وما عند الله خير وأبقى: خير في طبيعته وأبقى في مدته. . ﴿**أفلا تعقلون﴾**؟! فالمفاضلة بين هذا وذاك تحتاج إلى عقل يدرك طبيعة هذا وذاك! ومن ثم يجيء التعقيب في هذه الصيغة للتنبيه لإعمال العقل في الاختيار! وفي نهاية هذه الجولة يعرض عليهم صفحتي الدنيا والآخرة، ولمن شاء أن يختار: ﴿**أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾**. وهذه صفحةُ مَنْ وعَده الله وعداً حسناً فوجده في الآخرة حقاً وهو لا بدّ لاقيه. وهذه صفحة مَنْ

نال متاع الحياة الدنيا القصير الزهيد.. ثم ها هوذا في الآخرة مُحْضَر إحضاراً للحساب. والتعبير يوحي بالإكراه: الذين يجاء بهم مكرهين خائفين يودون أن لم يكونوا محضرين؛ لما ينتظرهم من وراء الحساب على ذلك المتاع القصير الزهيد! وتلك نهاية المطاف في الرد على مقالتهم..

ثم يجول بهم السياق جولة أخرى في مشهد من مشاهد القيامة، يصور مغبة ما هم فيه من الشرك والغواية: ﴿**ويوم يناديهم فيقول: أين شركائي الذين كنتم تزعمون**﴾؟ فهذا السؤال للتوبيخ والتأنيب.. والله يعلم أن لا وجود اليوم لهؤلاء الشركاء، وأن أتباعهم لا يعلمون عنهم شيئاً، ولا يستطيعون إليهم سبيلاً.. ولكنه الخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد. ومن ثَمّ لا يجيب المسؤولون عن السؤال.. فليس المقصود به هو الجواب! إنما يحاولون أن يتبرأوا من جريرة إغوائهم لمن وراءهم وصدهم عن هدى الله؛ كما يفعل كبراء قريش مع الناس خلفهم: ﴿**قال الذين حق عليهم القول: ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا..**﴾ ربنا إننا لم نغوهم قسراً.. فما كان لنا من سلطان على قلوبهم.. إنما هم وقعوا في الغواية عن رضى منهم واختيار؛ كما وقعنا نحن في الغواية دون إجبار. ﴿**تبرأنا إليك**﴾ من جريمة إغوائهم.: ﴿**ما كانوا إيانا يعبدون..**﴾ إنما كانوا يعبدون أصناماً وأوثاناً وخلقاً من خلقك ولم نجعل أنفسنا لهم آلهة ولم يتوجهوا إلينا نحن بالعبادة!.. فعندئذ يعود بهم إلى المخزاة التي حولوا الحديث عنها: مخزاة الشركاء الذين اتخذوهم من دون الله: ﴿**وقيل: ادعوا شركاءكم..**﴾ ادعوهم ولا تهربوا من سيرتهم! ادعوهم ليلبّوكم ويُنقذوكم! ادعوهم فهذا يومهم وهذه فائدتهم!. واليائسون يعرفون أن لا جدوى من دعائهم.. ولكنهم يطيعون الأمر مقهورين: ﴿**فدعوهم فلم يستجيبوا لهم..**﴾ فلم يكن منتظراً غير ذاك؛ ولكنه الإذلال والإعنات!.. ﴿**ورأوا العذاب..**﴾ رأوه في هذا الحوار، ورأوه ماثلاً وراءه.. فليس وراء هذا الموقف إلا العذاب. وهنا في اللحظة التي يصل فيها المشهد إلى ذروته يعرض عليهم الهدى الذي يرفضونه، وهو أمنية المتمني في ذلك الموقف المكروب؛ وهو بين أيديهم في الدنيا لو أنهم إليه يسارعون: ﴿**لو أنهم كانوا يهتدون**﴾! ثم يعود بهم إلى ذلك المشهد المكروب: ﴿**ويوم يناديهم، فيقول: ماذا أجبتم المرسلين**﴾؟ وإن الله ليعلم ماذا أجابوا المرسلين.. ولكنه كذلك سؤال التأنيب والترذيل.. وإنهم ليواجهون السؤال بالذهول والصمت:

ذهول المكروب، وصمت الذي لا يجد ما يقول: ﴿**فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون**..﴾ والتعبير يلقى ظل العمى على المشهد والحركة؛ وكأنما الأنباء عمياء لا تصل إليهم، وهم لا يعلمون شيئاً عن أي شيء! ولا يملكون سؤالاً ولا جواباً، وهم في ذهولهم صامتون ساكتون!.. ﴿**فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين**﴾: هذه هي الصفحة المقابلة..

ففي الوقت الذي يبلغ الكرب ذروته بالمشركين يتحدث عمن تاب وآمن وعمل صالحاً؛ وما ينتظره من الرجاء في الفلاح. ولمن شاء أن يختار، وفي الوقت فسحة للاختيار.. ثم يرد أمرهم وأمر كل شيء إلى إرادة الله واختياره.. فهو الذي يخلق كل شيء. ويعلم كل شيء. وإليه مرد الأمر كله في الأولى والآخرة. وله الحمد في الأولى والآخرة. وله الحكم في الدنيا وله الرجعة والمآب. وما يملكون أن يختاروا لأنفسهم ولا لغيرهم.. فالله يخلق ما يشاء ويختار: ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة**..﴾ فهذا التعقيب يجيء بعد حكاية قولهم: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا.. وبعد استعراض موقفهم يوم الحساب على الشرك والغواية، يجيء التقرير أنهم لا يملكون الاختيار لأنفسهم فيختاروا الأمن أو المخافة! ولتقرير وحدانية الله ورد الأمر كله إليه في النهاية، إنها الحقيقة التي كثيراً ما ينساها الناس أو ينسون بعض جوانبها؛ إن الله يخلق ما يشاء. لا يملك أحد أن يقترح عليه شيئاً، ولا أن يزيد أو ينقص في خلقه شيئاً، ولا أن يعدّل أو يبدِّل في خلقه شيئاً. وإنه هو الذي يختار من خلقه ما يشاء ومن يشاء يريد من الوظائف والأعمال والتكاليف والمقامات. ولا يملك أحد أن يقترح عليه شخصاً ولا حادثاً ولا حركة ولا قولاً ولا فعلاً.. ﴿**ما كان لهم الخيرة**..﴾ لا في شأن أنفسهم ولا في شأن غيرهم، ومرد الأمر كله إلى الله في الصغير والكبير. هذه الحقيقة لو استقرت في الأخلاد والضمائر لما سخط الناس شيئاً يحل بهم، ولا استخفهم شيء ينالونه بأيديهم، ولا أحزنهم شيء يفوتهم أو يفلت منهم.. فليس هم الذين يختارون.. إنما الله هو الذي يختار. وليس معنى هذا أن يلغوا عقولهم وإرادتهم ونشاطهم.. ولكن معناه أن يتقبلوا ما يقع ـ بعد أن يبذلوا ما في وسعهم من التفكير والتدبير والاختيار ـ بالرضى والتسليم والقبول.. فإن عليهم ما في وسعهم والأمر بعد ذلك لله. ولقد كان المشركون يشركون مع الله آلهة مدعاة. والله وحده هو الخالق المختار لا

شريك له في خلقه ولا في اختياره: ﴿**سبحان الله وتعالى عما يشركون**﴾!

﴿**وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون**..﴾ فهو مجازيهم بما يعلم من أمرهم. مختار لهم ما هم له أهل، من هدى أو ضلال. ﴿**وهو الله لا إله إلا هو**..﴾ فلا شريك له في خلق ولا اختيار.. ﴿**وله الحمد في الأولى والآخرة**..﴾ على اختياره وعلى نعمائه وعلى حكمته وتدبيره وعلى عدله ورحمته. وهو وحده المختص بالحمد والثناء، وله الحكم يقضي في عباده بقضائه لا راد له ولا مبدل لحكمه، ﴿**وإليه ترجعون**..﴾ فيقضي بينكم قضاءه الأخير. وهكذا يطوقهم بالشعور بقدرة الله وتفرد إرادته في هذا الوجود، واطلاعه على سرهم وعلانيتهم.. فلا تخفى عليه منهم خافية، وإليه مرجعهم، فلا تشرد منهم شاردة.. فكيف يشركون بالله بعد هذا، وهم في قبضته لا يفلتون؟!!.. ثم يجول بهم جولة في مشاهد الكون الذي يعيشون فيه غافلين عن تدبير الله لهم، واختياره لحياتهم ومعاشهم.. فيوقظ مشاعرهم لظاهرتين كونيّتين عظيمتين: ظاهرتي الليل والنهار وما وراءهما من أسرار الاختيار والشهادة بوحدانية الخالق المختار: ﴿**قل: أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة؟ من إله غير الله يأتيكم بضياء؟ أفلا تسمعون**﴾؟!.. فالناس لطول ما اعتادوا من كر الجديدين ينسون جدتهما المتكررة التي لا تبلى، ولا يروعهم مطلع الشمس ولا مغيبها إلا قليلاً.. ولا يهزهم طلوع النهار وإقبال الليل إلا نادراً.. ولا يتدبرون ما في نواليهما من رحمة بهم وإنقاذ من البلى والدمار، أو التعطل والبوار، أو الملل والهمود. والقرآن الكريم يوقظهم من همود الإلفة والعادة، ويلفتهم إلى تملي الكون من حولهم، ومشاهده العظيمة. وذلك حين يخيل إليهم استمرار الليل أبداً أو النهار أبداً، وحين يخيفهم من عواقب هذا وذاك، وما يشعر الإنسان بقيمة الشيء إلا حين يفقده أو يخاف عليه الفقدان والناس يشتاقون إلى الصبح حين يطول بهم الليل قليلاً في أيام الشتاء، ويحنون إلى ضياء الشمس حين تتوارى عنهم فترة وراء السحاب.. فكيف بهم لو فقدوا الضياء. ولو دام عليهم الليل سرمداً إلى يوم القيامة؟ ذلك على فرض أنهم ظلوا أحياء. وإن الحياة كلها المعرضة للتلف والبوار، لو لم يطلع عليها النهار!! ﴿**قل: أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة؟ من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؟ أفلا تبصرون**﴾؟!.. فالناس يستروحون الظلال حين يطول عليهم الهجير ساعات من النهار، ويحنّون إلى الليل حين يطول

النهار بعض ساعات في الصيف، ويجدون في ظلام الليل وسكونه الملجأ والقرار. والحياة كلها تحتاج إلى فترة الليل لتجدد ما تنفقه من الطاقة في نشاط النهار.. فكيف بالناس لو ظل النهار سرمداً إلى يوم القيامة على فرض أنهم ظلوا أحياء.

وإن الحياة كلها لمعرضة للتلف والبوار إن دام عليها النهار! ألا إن كل شيء بقدر، وكل صغيرة وكبيرة في هذا الكون بتدبير. وكل شيء عنده بمقدار؟ ﴿**ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار. لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون..**﴾ فالليل سكينة وقرار. والنهار نشاط وعمل. والمتجه فيه إلى فضل الله.. فما يُعطى الناسُ شيئاً إلا من فضله.. ولعلكم تشكرون ما يسّره الله لكم من نعمة ومن رحمة، وما دبره لكم واختاره من توالي الليل والنهار، ومن كل سنن الحياة التي لم تختاروها، ولكن اختارها الله عن رحمة وعن علم وعن حكمة تغفلون عنها لطول الإلف والتكرار. ويختم هذه الجولات بمشهد سريع من مشاهد القيامة يسألهم فيه سؤال استنكار عما زعموا من شركاء. ويقفهم وجها لوجه أمام أباطيلهم المدعاة؛ حيث تتذاوب وتتهاوى في موقف السؤال والحساب: ﴿**ويوم يناديهم فيقول: أين شركائي الذين كنتم تزعمون**﴾؟!.. وتصوير يوم النداء وما فيه من سؤال عن الشركاء قد سبق في جولة ماضية.. فهو يعاد هنا لتوكيده وتثبيته بمناسبة المشهد الجديد الذي يعرض هنا: مشهد نزع شهيد من كل أمة. وهو نبيها الذي يشهد بما أجابته وما استقبلت به رسالته: ﴿**ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون..**﴾

التوجيه الرابع: ﴿**إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين**﴾: في هذا التوجيه عرض لقصة قارون بعد عرض قصة موسى مع فرعون.. فقد مضت مطالع السورة بقصة موسى وفرعون. وقد عرضت فيها قوة السلطان والحكم، وكيف باءت بالبوار مع البغي والظلم والكفران بالله والبعد عن هداه. والآن تجيء قصة قارون لتعرض سلطان المال والعلم، وكيف ينتهي بالبوار مع البغي والبطر والاستكبار على الخلق وجحود نعمة الخالق، وتقرر حقيقة القيم، فترخص من قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيمان والصلاح مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة دون عُلوّ في الأرض ولا فساد. ولا يُحدّد

القرآن زمان القصة ولا مكانها. . إنما يكتفى بأن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم. .

فالقصة كما وردت في القرآن كافية لأداء الغرض منها في سياق السورة، ولتقرير القيم والقواعد التي جاءت لتقريرها. ولو كان تحديد زمنها ومكانها وملابساتها يزيد في دلالتها شيئاً ما ترك تحديدها. هكذا تبدأ القصة فتعين اسم بطلها: قارون. وتحدِّد قومه: قوم موسى، وتقرر مسلكه مع قومه، وهو مسلك البغي: فبغى عليهم. وتشير إلى سبب هذا البغى، وهو الثراء: وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة. ثم تمضى بعد ذلك في استعراض الأحداث والأقوال والانفعالات التي صاحبتها في النفوس، لقد كان قارون من قوم موسى، فآتاه الله مالاً كثيراً، يصور كثرته بأنه كنوز، والكنز هو المخبوء المدخر من المال الفائض عن الاستعمال والتداول، وأن مفاتح هذه الكنوز تعيى المجموعة من أقوياء الرجال. . من أجل هذا بغى قارون على قومه، ولا يذكر فيم كان البغى؛ ليدعه مجهلاً يشمل شتّى الصور. . فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم ـ كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان ـ وربما بغى عليهم لحرمانهم حقهم في ذلك المال. حق الفقراء في أموال الأغنياء؛ كي لا يكون دولة بين الأغنياء وحدهم، ومن حولهم محاويج إلى شيء منه. فتفسد القلوب وتفسد الحياة. وربما بغى عليهم بهذه وغيرها من الأسباب. وعلى أية حال فقد وجد من قومه من يحاول رده عن هذا البغي، ورجعه إلى المنهج الصحيح القويم، الذي يرضاه الله في التصرف بهذا الثراء، وهو نهج لا يحرم الأثرياء ثراءهم؛ ولا يحرمهم المتاع المعتدل بما وهبهم الله من مال. . ولكنه يفرض عليهم القصد والاعتدال وقبل ذلك يفرض عليهم مراقبة الله الذي أنعم عليهم، ومراعاة الآخرة وما فيها من حساب: ﴿**إذ قال له قومه: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**. .﴾ وفي هذا القول جماع ما في المنهج الإلهي القويم من قيم وخصائص تفرده بين سائر مناهج الحياة. لا تفرح. . فرح الزهو المنبعث من الاعتزاز بالمال؛ والاحتفال بالثراء، والتعلق بالكنوز، والابتهاج بالملك والاستحواذ. . لا تفرح فرح البطر الذي ينسى المنعم بالمال؛ وينسى نعمته وما يحب لها من الحمد والشكران. لا تفرح فرح الذي

يستخفه المال فيشغل به قلبه ويطير له لبُّه ويتطاول به على العباد. إن الله لا يحب الفرحين.. فهم يردُّونه بذلك إلى الله الذي لا يحب الفرحين المأخوذين بالمال المتباهين المتطاولين بسلطانه على الناس.

وابْتَغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا.. ففي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم. المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة.. بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً! كي لا يتزهّد الزهدَ الذي يهمل الحياة ويضعفها، لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس؛ وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض. ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة.. فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يُشغلون بالمتاع عن تكاليفها. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم، وتقبل لعطاياه وانتفاع بها.. فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى. وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة. وأحسن كما أحسن الله إليك.. فهذا المال هبة من الله وإحسان.. فليقابل بالإحسان فيه: إحسان التقبل وإحسان التصرف، والإحسان به إلى الخلق، وإحسان الشعور بالنعمة، وإحسان الشكران. ولا تبغ الفساد في الأرض.. الفساد: البغي والظلم، والفساد بالمتاع المطلق من مراقبة الله ومراعاة الآخرة. والفساد بملء صدور الناس بالحرج والحسد والبغضاء، والفساد بإنْفَاقِ المال في غير وجهه، أو إمساكه عن وجهه على كل حال، إن الله لا يحب المفسدين كما أنه لا يحب الفرحين، كذلك قال له قومه.. فكان رده جملة واحدة، تحمل شتى معاني الفساد والإفساد: ﴿**قال: إِنّمَا أوتيته على علم عندي**﴾! إنما أوتيت هذا المال استحقاقاً على علمي الذي طوَّع لي جمعه وتحصيله.. فما لكم تُملُون عليّ طريقة خاصة في التصرف فيه، وتتحكمون في مِلكيّتي الخاصة، وأنا إنما حصّلت هذا المال بجهدي الخاص، واستحققته بعلمي الخاص؟! إنها قولة المغرور المطموس الذي ينسى مصدر النعمة وحِكْمتها، ويفتنه المال ويعميه الثراء. وهو نموذج مكرر في البشرية.. فكم من الناس يظن أن علمه وكدّه هما وحْدَهما سبب غناه. ومن ثَمّ فهو غير مسؤول عما ينفق وما يمسك، غير محاسب

على ما يفسد بالمال وما يصلح، غير حاسب لله حساباً ولا ناظر إلى غضبه ورضاه! والإسلام يعترف بالملكية الفردية، ويقدّر الجهد الفردي الذي بُذل في تحصيلها من وجوه الحلال التي يشرعها؛ ولا يهوّن من شأن الجهد الفردي أو يلغيه..

ولكنه في الوقت ذاته يفرض منهجاً معيناً للتصرف في الملكية الفردية ـ كما يفرض منهجاً لتحصيلها وتنميتها ـ وهو منهج متوازن متعادل.. لا يحرم الفرد ثمرة جهده، ولا يطلق يده في الاستمتاع به حتى الترف، ولا في إمساكه حتى التقتير. ويفرض للجماعة حقوقها في هذا المال، ورقابتها على طرق تحصيله، وطرق تنميته، وطرق إنفاقه والاستمتاع به. وهو منهج خاص واضح الملامح متميز السمات.. ولكن قارون لم يستمع لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه، ولم يخضع لمنهجه القويم. وأعرض عن هذا كله في استكبار لئيم، وفي بطر ذميم. ومن ثَمّ جاءه التهديد قبل تمام الآية رداً على قولته الفاجرة المغرورة: ﴿**أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً**﴾؟! فإن كان ذا قوة وذا مال، فقد أهلك الله من قبله أجيالاً كانت أشد منه قوة وأكثر مالاً، وكان عليه أن يعلم هذا.. فهذا هو العلم المنجي.. فليعلم وليعلم أنه هو وأمثاله من المجرمين أهون على الله حتى من أن يسألهم عن ذنوبهم.. فليسوا هم الحكم ولا الأشهاد: ﴿**ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون**﴾! ذلك كان المشهد الأول من مشاهد القصة ـ يتجلى فيه البغي والتطاول، والإعراض عن النصح، والتعالي على العظة، والإصرار على الفساد، والاغترار بالمال، والبطر الذي يقعد بالنفس عن الشكران.. ثم يجيء المشهد الثاني حين يخرج قارون بزينته على قومه.. فتطير لها قلوب فريق منهم، وتتهاوى لها نفوسهم، ويتمنون لأنفسهم مثل ما أوتي قارون، ويحسون أنه أوتي حظاً عظيماً يتشهاه المحرومون. ذلك على حين يستيقظ الإيمان في قلوب فريق منهم فيعتزّون به على فتنة المال وزينة قارون، ويذكرون إخوانهم المبهورين المأخوذين، في ثقة وفي يقين: ﴿**فخرج على قومه في زينته، قال الذين يريدون الحياة الدنيا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون! إنه لذو حظ عظيم! وقال الذين أوتوا العلم: ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً! ولا يلقّاها إلا الصابرون**﴾!

وهكذا وقفت طائفة منهم أمام فتنة الحياة الدنيا وقفة المأخوذ المبهور

المتهاوي المتهافت ووقفت طائفة أخرى تستعلي على هذا كله بقيمة الإيمان والرجاء فيما عند الله، والاعتزاز بثواب الله، والتقت قيمة المال وقيمة الإيمان في الميزان.. ففي كل زمان ومكان تستهوى زينة الأرض بعض القلوب.. وتنهر الذين يريدون الحياة الدنيا ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها.. فلا يسألون بأيّ ثمن اشترى صاحب الزينة زينته؟ ولا بأي الوسائل نال ما نال من عرض الحياة؟ من مال أو منصب أو جاه، ومن ثَمّ تتهافت نفوسهم وتتهاوى؛ كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى! ويسيل لعابهم على ما في أيدي المحظوظين من متاع، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدُّوه، ولا إلى الطريق الدنس الذي خاضوه، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التى اتخذوها!.. فأما المتصلون بالله فلهم ميزان آخر يقيّم الحياة، وفي نفوسهم قيم أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع.. فهم أعلى نفساً وأكبر قلباً من أن يتهاووا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعًا، ولهم من استعلائهم بالله عاصم من التخاذل أمام جاه العباد، وهؤلاء هم الذين أوتوا العلم الصحيح الذي يقوّمون به الحياة حق التقويم.. فثواب الله خير من هذه الزينة، وما عند الله خير مما عند قارون، والشعور على هذا النحو درجة رفيعة لا يلقاها إلا الصابرون.. الصابرون على معايير الناس ومقاييسهم.. الصابرون على فتنة الحياة وإغرائها.. الصابرون على الحرمان مما يتشهاه الكثيرون، وعندما يعلم الله منهم الصبر كذلك يرفعهم إلى تلك الدرجة: درجة الاستعلاء على كل ما في الأرض، والتطلع إلى ثواب الله في رضى وثقة واطمئنان، وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى، تتدخل يد القدرة لتضع حداً للفتنة، وترحم الناس الضعاف من إغرائها.. وتحطم الغرور والكبرياء تحطيماً..

فيجيء المشهد الثالث حاسماً فاصلاً: ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض..**﴾ هكذا في جملة قصيرة، وفي لمحة خاطفة فخسفنا به وبداره الأرض فابتلعته وابتلعت داره، وهوى في بطن الأرض التي علا فيها واستطال فوقها جزاء وفاقا، وذهب ضعيفاً عاجزاً لا ينصره أحد ولا ينتصر بجاه أو مال: ﴿**فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين**﴾!.. فهوت معه الفتنة الطاغية التي جرفت بعض الناس، وردتهم الضربة القاضية إلى الله.. وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال، وكان هذا المشهد الأخير: ﴿**وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون:**

وَيْ كأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا وَىْ كأنه لا يفلح الكافرون﴾! . . وقفوا يحمدون الله أن لم يستجب لهم ما تمنوه بالأمس، ولم يؤتهم ما آتى قارون، وهم يرون المصير البائس الذي صارَ إليه بين يوم وليلة. وصحوا إلى أن الثراء ليس آيةً على رضى الله. . فهو يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه لأسباب أخرى غير الرضى والغضب، ولو كان دليل رضاه ما أخذ قارون هذا الأخذ الشديد العنيف! . . إنما هو الابتلاء الذي قد يعقبه البلاء، وعلموا أن الكافرين لا يفلحون، وقارون لم يجهر بكلمة الكفر. . ولكن اغتراره بالمال، ونسبته إلى ما عنده من العلم جعلهم يسلكونه في عداد الكافرين، ويرون في نوع هلاكه أنه هلاك للكافرين، ويسدل الستار على هذا المشهد، وقد انتصرت القلوب المؤمنة بتدخل القدرة السافرة، وقد رجحت قيمة الإيمان في كفة الميزان. . ثم يأخذ في التعقيب في أنسب أوان: **﴿تلك الدار الآخرة. . ﴾** تلك الآخرة التي تحدث عنها الذين أوتوا العلم، العلم الحق الذي يقوّم الأشياء قيمتها الحقيقية، تلك الدار العالية الرتبة البعيدة الآفاق، **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا في الأرض ولا فساداً. . ﴾** فلا يقوم في نفوسهم خاطر الاستعلاء بأنفسهم لأنفسهم، ولا يهجس في قلوبهم الاعتزاز بذواتهم والاعتزاز بأشخاصهم وما يتعلق بها. . إنما يتوارى شعورهم بأنفسهم ليملأها الشعور بالله، ومنهجه في الحياة، أولئك الذين لا يقيمون لهذه الأرض وأشيائها وأغراضها وقيمها وموازينها حساباً، ولا يبغون فيها كذلك فساداً، أولئك هم الذين جعل لهم الدار الآخرة، تلك الدار العالية السامية، والعاقبة للمتقين، الذين يخشون الله ويراقبونه ويتحرجون من غضبه ويبتغون رضاه، وفي تلك الدار الآخرة يقع الجزاء كما كتب الله على نفسه الحسنة بأضعافها وبما هو خير منها، والسيئة بمثلها رحمة بضعف الخلق وتيسيراً: **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت إلا ما كانوا يَعْمَلُون﴾**.

التوجيه الخامس: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد. . ﴾: في هذا التوجيه، يخاطب الله رسوله بهذا الكلام ليطمئنه على مصيره، وهو في مكة يتآمر المشركون عليه ليقتلوه أو يخرجوه ويمكرون ويمكر الله. . فقد شاءت حكمة الله أن ينزل على عبده هذا الوعد الأكيد في ذلك الظرف المكروب؛ ليمضي في طريقه آمناً واثقاً، مطمئناً إلى وعد الله الذي يعلم صدقه ولا يستريب لحظة فيه،

وإن وعد الله لقائم لكل السالكين في الطريق، وإنه ما من أحد يُؤْذى في سبيل الله فيصبر ويستيقن إلا نصره الله في وجه الطغيان في النهاية؛ وتولَّى عنه المعركة حين يبذل ما في وسعه.. فقد رد الله موسى من قبل إلى الأرض التي خرج منها هارباً مطارداً، رده فأنقذ به المستضعفين من قومه، ودمّر به فرعون وملأه، وكانت العاقبة للمهتدين.. فامض إذن في طريقك، ودَعْ أمر الحكم فيما بينك وبين قومك لله الذي فرض عليك القرآن: ﴿**قل: ربي أعلم من جاء بالهدي ومن هو في ضلال مبين..**﴾ فَدَعِ الأمر لله يجازي المهتدين والضالّين، وما كان فرض القرآن عليك إلا نِعمةً ورحِمةً.. وما كان يجول في خاطرك أن تكون أنت المختار لتُلقّى هذه الأمانة وإنه لمقام عظيم ما كنت تتطلع إليه قبل أن توهبه: ﴿**وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك..**﴾ فهو تقرير قاطع عن عدم تطلع الرسول إلى الرسالة.. إنما هو اختيار الله، والله يخلق ما يشاء ويختار.. فذلك الأفق أعلى من أن يفكر فيه بشر قبل أن يختاره الله له ويؤهله ليرقاه وهو رحمة من الله لرسوله وللبشرية التي اختاره لهدايتها بهذه الرسالة، رحمة توهب للمختارين لا للمتطلعين، ولقد كان من حوله كثيرون في العرب وفي بني إسرائيل يتطلعون إلى الرسالة المنتظرة في آخر الزمان.. ولكن الله ـ وهو أعلم حيث يجعل رسالاته ـ قد اختار لها من لم يتطلع إليها ولم يرجها من دون أولئك الطامعين المتطلعين، حينما علم منه الاستعداد لتلقى ذلك الفيض العظيم، ومن ثم يأمره ربه ـ بما أنعم عليه بهذا الكتاب ـ ألاّ يكون ظهيراً للكافرين، ويحذره أن يصدوه عن آيات الله، ويمحص له عقيدة التوحيد خالصة في وجه الشرك والمشركين: ﴿**فلا تكوننّ ظهيراً للكافرين، ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين..**﴾ فهذا هو الإيقاع الأخير في السورة، يفصل ما بين رسول الله وطريقه، وما بين الكفر والشرك وطريقه. ويبين لأتباع الرسول طريقهم إلى يوم القيامة.. فلا يمكن أن يكون هناك تناصر أو تعاون بين المؤمنين والكافرين، وطريقاهما مختلفان، ومنهجاهما مختلفان.. فأولئك حزب الله.. وهؤلاء حزب الشيطان..

فطريق الكفار دائماً أن يصدوا أصحاب الدعوة عن دعوتهم بشتى الطرق والوسائل، وطريق المؤمنين أن يمضوا في طريقهم لا يلويهم عنها المعوقون، ولا يصدهم عنها أعداؤهم، وبين أيديهم آيات الله وهم عليها مؤمنون، وادع إلى ربك

دعوة خالصة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، دعوة إلى الله لا لقومية ولا لعصبية، ولا لأرض ولا لراية، ولا لمصلحة ولا لمغنم، ولا لتمليق هوى ولا لتحقيق شهوة، ومن شاء أن يتبع هذه الدعوة على تجردها فليتبعها، ومن أراد غيرها معها فليس هذا هو الطريق: ولا تكونن من المشركين، ﴿**ولا تدع مع الله إلهاً آخر**. .﴾ فيؤكّد هذه القاعدة مرتين بالنهي عن الشرك والنهي عن اتخاذ إله آخر مع الله، ذلك أنها مفرق الطريق في العقيدة بين النصاعة والغموض، وعلى هذه القاعدة يقوم بناء هذه العقيدة كلها، وآدابها وأخلاقها وتكاليفها وتشريعاتها جميعاً، وهي المحور الذي يلتف عليه كل توجيه وكل تشريع، ومن ثم هي تذكر قبل كل توجيه وقبل كل تشريع: ﴿**لا إله إلا هو**. .﴾ فلا إسلام إلا لله؛ ولا عبودية إلا له، ولا قوة إلا قوته، ولا ملاذ إلا حماه. . ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**. .﴾ فكل شيء زائل، وكل شيء ذاهب: المال والجاه، والسلطان والقوة، والحياة والمتاع، وهذه الأرض ومن عليها، وتلك السماوات وما فيها ومن فيها، وهذا الكون كله ما نعلمه منه وما نجهله. . كله، كله، هالك فلا يبقى إلا وجه الله الباقي، منفرداً بالبقاء، ﴿**له الحكم**. .﴾ يقضي بما يشاء، ويحكم كما يشاء، لا يشركه في حكمه أحد، ولا يردّ قضاءه أحد. ولا يقف لأمره أمر. وما يشاؤه فهو الكائن دون سواه، ﴿**وإليه ترجعون**. .﴾ فلا مناص من حكمه، ولا مفر من قضائه، ولا ملجأ دونه ولا مهرب، وهكذا تختم السورة التي تتجلّى فيها يد القدرة سافرة، تحرس الدعوة إلى الله وتحميها، وتدمر القوى الطاغية الباغية وتمحوها، تختم بتقرير قاعدة الدعوة: وحدانية الله سبحانه وتفرده بالألوهية والبقاء والحكم والقضاء، ليمضي أصحاب الدعوات في طريقهم على هدى وعلى ثقة وعلى طمأنينة وفي يقين!.

4 ـ ذكر افتتان الناس في القرآن، المقصود منه تمييز الكفر من الإيمان



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (1) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ (2) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (3) مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (4) وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَٰلَمِينَ (5) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (6) * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (7) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّٰلِحِينَ (8) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ

جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ
لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿9﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿10﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ
إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿11﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ
وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿12﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿13﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿14﴾
* وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿15﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ
إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ
لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ
وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿16﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ
كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿17﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ
إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿18﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

فَانظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ
ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿19﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ
وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿20﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ
وَلَا نَصِيرٖ ﴿21﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ
يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿22﴾
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿23﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ
بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم
بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿24﴾ * فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ
وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿25﴾
وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿26﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ
إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ
مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿27﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴿28﴾

وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ (29) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (30)
وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا
مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31)
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا
لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32)
وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ
ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ
إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنزِلُونَ
عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ (34) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ (35) * وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ (36) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ
فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (37) وَعَادًا وَثَمُودًا
وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38)

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿39﴾
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ۖ
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ۖ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ۖ
وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ۖ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿40﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ
وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ﴿41﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿42﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ
نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿43﴾
خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿44﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ
وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿45﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**ألَـمَّ**﴾: ثلاثة حروف من حروف الهجاء. ﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**. .﴾ أحسب الناس: الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعاني المفردات. . بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء، أو انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولاه. . فالمعنى هنا: أحسبوا أنفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد أن يقولوا: آمنا. ﴿**ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**. .﴾ الفتنة: الامتحان والاختبار. والمقصود منه إظهار الصادق الثابت في الإيمان، وإظهار الكاذب المتردد فيه: ﴿**أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون**. .﴾ أن يسبقونا: يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي أعمالهم. ساء ما يحكمون: بئس هذا الحكم الذي يحكمونه بجهلهم وغرورهم حيث حسبوا أنهم يفلتون من قبضة الله تعالى. ﴿**من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت**. .﴾

يرجو لقاء الله: يتوقع ملاقاة جزائه ثواباً أو عقاباً. . والأجل: عبارة عن غاية زمان ممتد عُيّنت لأمر من الأمور. ﴿**وهو السميع**﴾ لما يقوله العباد. ﴿**العليم**﴾ بعقائدهم وأعمالهم. ﴿**ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين**﴾: ومن جاهد نفسه بالصبر على تكاليف الطاعة فإنما يجاهد لنفسه؛ لأن منفعة ذلك عائدة إليه في الدنيا والآخرة، والله تعالى لم يفرضها سخرة على الناس، وإنما قصد بها فائدتهم وهو غني عن العالمين وعن طاعتهم. . فلا حاجة له إلى طاعتهم، وإنما أمرهم بها تعريضاً لهم للثواب بموجب رحمته. ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون**. .﴾ تكفير السيئات: محوها وسترها والعفو عنها. . ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون: أحسن جزاء أعمالهم. لا جزاء أحسن أعمالهم. ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حسناً**. .﴾ وصّى: يجري مجرى أمر معنى وتصرفاً. غير أنه يستعمل فيما كان في المأمور به نفع عائد إلى المأمور أو غيره. . ﴿**وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما**. .﴾ جاهداك: جَدًّا وَبَذَلاَ كُلَّ مجهود لأجل الإشراك بالله. . فلا تطعهما: فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ﴿**إليّ مرجعكم فأنبئكم**

بما كنتم تعملون. . والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين. .﴾ لندخلنهم في الصالحين: في زمرة الراسخين في الصلاح. والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين، وغاية مأمول أنبياء الله المرسلين. . قال إبراهيم: **﴿رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين﴾** وقال يوسف: **﴿توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾** وقال سليمان: **﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله. .﴾** أوذي في الله: عذب بسبب دخوله في دين الله. . جعل فتنة الناس كعذاب الله: سوى ما يصيبه من الناس من أذى بما سيصيب الكافر من عذاب الله يوم القيامة. . فلا مساواة بين عذاب الله وفتنة الناس. . فبينهما فرق عظيم!. .

﴿ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين. . وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين. . وقال الذين كفروا للذين آمنوا: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون. .﴾ الاتباع: هو المشي خلف ماش آخر. والمعنى هنا: اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين. ولنحمل خطاياكم: ونحن نحمل عنكم ذنوبكم. والمعنى: نحن نتحمل عنكم وزراتكم. . **﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾**: وليحملن هؤلاء الكفرة أثقال ما ارتكبوه من الآثام، وأثقال ما ارتكبه مقلدوهم. **﴿وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾**: وليسألنّ كل منهم يوم القيامة عما كان يختلقون من الأباطيل. **﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون. .﴾** الألف: عدد معلوم. والخمسين: كذلك. والسنة، والعام، والحول: اثنا عشر شهراً من الشهور الشمسية أو القمرية والطوفان: الماء الذي أغرق قوم نوح. وأصل الطوفان: كل ما طاف بكثرة من سيل أو ظلام أو جيش أو وباء أو موت عام مفاجىء. . وقد غلب على طوفان الماء. **﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين. .﴾** السفينة: سفينة نوح التي أمره الله بصنعها. وأصحابها: الذين ركبوا فيها مع نوح. **﴿وإبراهيم إذ قال لقومه: اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. . إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً. .﴾** الأوثان: التماثيل التي كان يعبدها قوم إبراهيم. وهي من صنع أيديهم. ومع ذلك سموها آلهة كذباً ليس فيه شبهة حق!.

﴿**إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا**﴾: إن هذه الأوثان ومن يدعوكم إلى عبادتها لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئاً من الرزق.. ﴿**فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون. . وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين. . أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير. .**﴾ البدء والإعادة: كلمتان مشهورتان في القرآن. وهو ابتداع الخلق ابتداء.. ثم إعادته بعد الموت يوم القيامة. ﴿**قل: سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق. . ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير. .**﴾ النشأة الآخرة: هي إعادة الخلق في الآخرة. جعلها نشأة؛ لأنها إخراج من العدم. كالنشأة الأولى.. وأنشأ الشيء: أخرجه من العدم. ﴿**يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون. . وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. .**﴾ وإليه تقلبون: وإليه تُردّون. والوليّ: الصديق والناصر مُتولّي أمر الإنسان.

﴿**والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم. .**﴾ والذين كفروا بآيات الله: دلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله. ولقائه: الذي تنطق به تلك الآيات. وأولئك لهم عذاب أليم: وأولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآيات الله ولقائه واليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الأوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والإيلام. ﴿**فما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا: اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾: تقدم معنى هذه الكلمات في سورة الأنبياء. ﴿**وقال: إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودّة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأويٰكم النار وما لكم من ناصرين. .**﴾ مودة بينكم في الحياة الدنيا: لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم واتفاقكم.. ومأواكم: محل إقامتكم. يُقال: أوى إلى المكان يأوي.. حل به وأقام فيه. ﴿**فآمن له لوط**﴾: صدقه في جميع مقالاته. ﴿**وقال إني مهاجر إلى ربي**﴾: مفارق أرض الكفر إلى حيث أمرني ربي. وهاجرا إلى الشام. ﴿**إنه هو العزيز الحكيم**﴾: العزيز الغالب على أمره القاهر فوق عبادهِ. الحكيم الذي لا يَفعل فعلاً إلا وفيه حكمة. ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب**﴾، إسحاق بن إبراهيم الثاني. ويعقوب بن إسحاق ﴿**وجعلنا في ذريته النبوءة**

والكتاب﴾: أكثر الأنبياء من نسل إبراهيم عليه السلام. والكتب الأربعة المنزلة: التوراة والزبور والإنجيل والفرقان. أنزلها الله على موسى وداود وعيسى ومحمد عليهم السلام وكلهم من ذرية إبراهيم. **﴿وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾**: وأَحْسَنّا إلى إبراهيم جزاء عمله في الدنيا. وإنه في الآخرة لفي عداد الكاملين في الصلاح. **﴿ولوطاً إذ قال لقومه﴾**: إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين: وأرسلنا لوطاً رسولاً إلى قومه حين قال لهم: إنكم لترتكبون فاحشة تشمئز منها الطباع وتنفر منها النفوس ما سبقكم بها أحد من العالمين: **﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾** بدل النساء.. **﴿وتقطعون السبيل﴾**: تتعرضون السابلة بالإساءة. **﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾**: تفعلون في مجلسكم الجامع لكم المنكر في القول والفعل..

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾: فما كان جوابهم للوط ـ عليه السلام ـ إلا أن قالوا: ائتنا بعذاب الله الذي تعدنا به إن كنت صادقاً فيما تدعيه من الرسالة. فدعا ربه بالنصر عليهم: **﴿قال: رب انصرني على القوم المفسدين. ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين..﴾** جاءت رسلنا إبراهيم: الملائكة الذين أرسلناهم إلى إبراهيم ليبشروه بالولد ـ إسحاق ـ وبالنافلة ـ يعقوب. وأخبروه بإهلاك قوم لوط بسبب ظلمهم وتعديهم.. **﴿قال: إن فيها لوطاً﴾**: قال لهم إبراهيم إن في القرية لوطاً؛ فكيف تهلكونها؟.. **﴿قالوا: نحن أعلم بمن فيها.. لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين..﴾** من الغابرين: الباقين مع المحكوم عليهم بالعذاب. يقال: غبر يغبر غبوراً ذهب وبقي. وهو من الأفعال التي لها معنيان متضادان. وكلا الأمرين صالحان لامرأة لوط.. فهي باقية مع القوم المفسدين المحكوم عليهم.. وذاهبة مع الذاهبين الهالكين المغضوب عليهم. **﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً..﴾** سيء بهم: حدثت له المساءة بسببهم. مأخوذ من ساءه الأمر يسوءه. وضاق بهم ذرعاً: ضاق شأنهم وتدبير أمرهم طاقته فلم يستطع منع قومه منهم. وقال هذا يوم عصيب!. **﴿وقالوا: لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين.. إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون..﴾** الرجز: العذاب. مشتق من ارتجز إذا اضطرب وانْهال وانتشر. ومثله الرجس. **﴿ولقد تركنا منها آية**

بينة لقوم يعقلون وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. .﴾ عثا في الأرض فساداً: أوغل بالإفساد فيها. والرجفة: الزلزلة والحركة العنيفة. . والاضطراب الشديد. والجثوم: البروك على الركب منكبين على وجوههم ميتين! **﴿وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين. .﴾** وقد تبين لكم من مساكنهم: قد ظهر لكم إهلاكنا إياهم من جهة مساكنهم بالنظر إليها خاوية هامدة عند اجتيازكم بها. . وزين لهم الشيطان أعمالهم: حسّن لهم فنون الكفر والمعاصي. . فارتكبوا كل ما كان سبباً في هلاكهم. . فصدهم عن السبيل. . وكانوا مستبصرين: متمكنين من النظر والاستدلال. . ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا. . **﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين. .﴾** قارون وفرعون وهامان: تقدم ذكرهم في سورة القصص. وما كانوا سابقين: مفلتين فائتين. مأخوذ من قول العرب: سبق طالبه؛ إذا فاته ولم يدركه. . **﴿فكلاً أخذنا بذنبه: فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً. . ومنهم من أخذته الصيحة. . ومنهم من خسفنا به الأرض. . ومنهم من أغرقنا. . وما كان الله ليظلمهم. . ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. . مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون. .﴾** العنكبوت: حيوان يشبه الخنافس الصغيرة. وهو قسمان: عناكب السامة تسمى الرتيلاء ـ وعناكب غير السامة. وهو معروف بين الناس منتشر في القرى الريفية الزراعية. وبيته يبنيه من لعابه السائل اللزج. وهو مصائد للحشرات الطائرة. . **﴿إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم. . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. .﴾** الأمثال: جمع مثل. وهو ما يضرب للشيء المراد توضيحه مثل تمثيل عبادة غير الله ببيت العنكبوت الواهي الضعيف. والعالمون: جمع عالم المدرك الذي يميز الضار من النافع والفاسد من الصالح. . **﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين. . اتل ما أوحي إليك من الكتاب. .﴾** التلاوة: ترديد القراءة. . وأقم الصلاة. . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. . ولذكر الله أكبر. . والله يعلم ما تصنعون: الكلمات في هذه الجمل واضحة مشهورة.

مبحث الإعراب

﴿أ لّ مّ﴾ حروف مقطعة لا محل لها من الإعراب. ﴿أحسب الناس﴾ فعل وفاعل دخل عليه حَرْفُ الاستفهام. ﴿أن يُتركوا﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن المصدرية. وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿أن يقولوا﴾ مثل ما قبله في الإعراب. وأن يتركوا مؤول بمصدر مفعول حسب. وأن يقولوا مؤول بمصدر مجرور بلام مقدر؛ والتقدير: لقولهم. ﴿آمنا﴾ فعل وفاعل. مقول القول. ﴿وهم﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو واو الحال. ﴿لا يُفتنون﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول. ونائب الفاعل واو الجماعة. ولا نافية. والجملة خبر المبتدأ. وجملة وهم لا يفتنون حال من ضمير الناس. ﴿ولقد فتنا الذين﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف، ﴿من قبلهم﴾ متعلق بمحذوف صلة الموصول، ﴿فليعلمن﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واللام لتقوية التأكيد. والفاء للتعقيب والترتيب. ﴿الله﴾ فاعل، ﴿الذين﴾ في محل نصب مفعول به ﴿صدقوا﴾ فعل وفاعل صلة الموصول، ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ معطوف على ما قبله ﴿أم حسب الذين﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام العاطف، ﴿يعملون السيئات﴾ فاعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول، ﴿أن يسبقونا﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بحسب. ﴿ساء﴾ فعل ماضٍ، ﴿ما﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل. ﴿يحكمون﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿من﴾ اسم شرط، ﴿كان﴾ فعل الشرط، واسمها ضمير يعود على مَنْ. ﴿يرجو﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة خبر كان، ﴿لقاء﴾ مفعول به، ﴿الله﴾ مضاف إلى لقاء، ﴿فإن أجل﴾ إن واسمها، ﴿الله﴾ مضاف إلى أجل، ﴿لآتٍ﴾ خبر إن مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. وجملة فإن أجل الله لآت جواب الشرط. والفاء لربط الجواب، ﴿وهو﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف، ﴿السميع العليم﴾ خَبَرَا المبتدأ ﴿ومن جاهد﴾ مثل من كان. ﴿فإنما يجاهد﴾ جواب الشرط، ﴿لنفسه﴾ متعلق بجاهد، ﴿إن الله﴾ إنّ واسمها، ﴿لغني﴾ خبرها، ﴿عن العالمين﴾ متعلق بغني، والجملة تعليلية، ﴿والذين﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿آمنوا﴾ صلة الذين. ﴿وعملوا﴾ معطوف على آمنوا. ﴿الصالحات﴾ مفعول به. ﴿لنكفرن﴾ فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله

بنون التوكيد. والفاعل نحن، واللام لتأكيد الخبر. وجملة لنُكفرن.. في محل رفع خبر المبتدأ، **﴿عنهم﴾** متعلق بالفعل قبله، **﴿سيئاتهم﴾** مفعول به منصوب بالكسرة، **﴿ولنجزينهم﴾** معطوف على قوله: لنكفرن. والضمير المتصل بالفعل مفعول، والفاعل نحن، **﴿أحسن﴾** مفعول ثان، **﴿الذي﴾** في محل جر مضاف إلى أحسن، **﴿كانوا﴾** كان واسمها.

﴿يعملون﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان، وجملة كانوا يعلمون صلة الذي **﴿ووصينا﴾** فعل وفاعل. والواو للعطف، **﴿الإنسان﴾** مفعول به، **﴿بوالديه﴾** متعلق بوصينا، **﴿حسناً﴾** مفعول به **﴿وإن جاهداك﴾** فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط، والواو للعطف، **﴿لتشرك﴾** فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل ضمير المخاطب، **﴿بي﴾** متعلق بتشرك. **﴿ما﴾** في محل نصب مفعول بتشرك. **﴿ليس﴾** فعل ماضٍ ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر. **﴿لك﴾** متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. **﴿به﴾** متعلق بما بعده: **﴿علم﴾** اسم ليس. وجملة ليس لك به علم صلة ما. **﴿فلا تطعهما﴾** فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير المخاطب، وجملة فلا تطعهما جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. **﴿إليّ﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿مرجعكم﴾** مبتدأ مؤخر، **﴿فأنبئكم﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاء للتعقيب. **﴿بما﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿كنتم﴾** كان واسمها. **﴿تعملون﴾** فعل وفاعل صلة ما. **﴿والذين﴾** في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. **﴿آمنوا﴾** صلة الموصول، **﴿وعملوا الصالحات﴾** فعل وفاعل ومفعول معطوف على صلة الموصول، **﴿لندخلنهم﴾** فعل مضارع مبنى على الفتح. لاتصاله بنون التوكيد. واللام لتقوية الخبر. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل نحن. **﴿في الصالحين﴾** متعلق بالفعل قبله، **﴿ومن الناس﴾** من بمعنى بعض مبتدأ. **﴿مَنْ﴾** اسم موصول في محل رفع خبر المبتدأ. **﴿يقول﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. وجملة يقول صلة مَنْ. **﴿آمنا﴾** فعل وفاعل. **﴿بالله﴾** متعلق بآمنا. وجملة آمنا بالله مقول القول. **﴿فإذا أوذي﴾** فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول فعل شرط إذا، والفاء للترتيب. ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. **﴿في الله﴾** متعلق بأوذي. **﴿جعل﴾** فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مثل ضمير أوذى، **﴿فتنة﴾** مفعول به. **﴿الناس﴾** مضاف إلى **﴿فتنة. كعذاب﴾** الكاف

بمعنى مثل في محل نصب مفعول ثان، وعذاب مجرور بالكاف، وجملة جعل فتنة الناس كعذاب جواب شرط إذا، ﴿**ولئن جاء نصر**﴾ فعل وفاعل فعل شرط إنْ، واللام لتأكيد الكلام. ﴿**من ربك**﴾ متعلق بجاء، ﴿**ليقولن**﴾ فعل مضارع مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال، والفاعل ضمير الجماعة المحذوف لالتقاء الساكنين. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كنا**﴾ كان واسمها. ﴿**معكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان، وكان واسمها وخبرها خبر إنَّ، وانا كنا معكم مقول القول. وجملة ليقولن إنا كنا معكم جواب القسم سدّ مسدَّ جواب الشرط ﴿**أو ليس الله**﴾ ليس واسمها. والواو للعطف، والهمزة للاستفهام، ﴿**بأعلم**﴾ خبر ليس جُرَّ بحرف الجر الزائد في محل نصب، ﴿**بما**﴾ متعلق بأعلم.

﴿**في صدور**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى صدور. ﴿**وليعلمن الله الذين**﴾ فعل وفاعل ومفعول، مثل فليعلمن الله الذين صدقوا. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول، ﴿**وليعلمن المنافقين**﴾ معطوف على وليعلمنّ الله الذين آمنوا، ﴿**وقال الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين، ﴿**للذين**﴾ متعلق بقال. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**اتبعوا**﴾ أمر موجه إلى الجماعة، ﴿**سبيلنا**﴾ مفعول به. ﴿**ولنحمل**﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والفاعل نحن، والواو للعطف، ﴿**خطاياكم**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف، والضمير فيه مضاف إليه، ﴿**وما هم**﴾ ما واسمها، ﴿**بحاملين**﴾ خبرها مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب، ﴿**من خطاياهم**﴾ متعلق بحاملين. ﴿**من شيء**﴾ مفعول به مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب، ﴿**إنهم**﴾ إنّ واسمها ﴿**لكاذبون**﴾ خبرها، واللام لتأكيد الخبر، والجملة استئناف مقرر للنفْي السّابق. ﴿**وليحملُنَّ**﴾ إعرابه مثل إعراب ليقولن السابق. ﴿**أثقالهم**﴾ مفعول به، ﴿**وأثقالاً**﴾ معطوف عليه، ﴿**مع**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأثقالاً. ﴿**أثقالهم**﴾ مضاف إلى الظرف، ﴿**وليُسألُنَّ**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول، حذفت نون الرفع لتوالي الامثال، ونائب الفاعل ضمير الجماعة حذف لالتقاء الساكنين، ﴿**يوم**﴾ متعلق بالفعل قبله، ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم، ﴿**عما**﴾ متعلق بيُسألُنّ، ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها، ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجملة كانوا يَعْمَلُون صلة ما، ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول، دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف، ﴿**إلى قومه**﴾ متعلق بأرسلنا، ﴿**فلبث**﴾ فعل ماضٍ، والفاء للتعقيب والفاعل ضمير يعود على

نوح، ﴿**فيهم**﴾ متعلق بلبث، ﴿**ألف**﴾ منصوب على الظرفية، ﴿**سنة**﴾ مضاف إلى ألف، ﴿**إلا خمسين**﴾ منصوب على الاستثناء، ﴿**عاماً**﴾ منصوب على التمييز، ﴿**فأخذهم**﴾ فعل ماضٍ، والفاء للتعقيب، والضمير المتصل بالفعل مفعول، ﴿**الطوفان**﴾ فاعل، ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ، ﴿**ظالمون**﴾ خبره والواو للحال، والجملة حال من المفعول في أخذهم، ﴿**فأنجيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والفاء للتعقيب، ﴿**وأصحاب**﴾ معطوف على المفعول في أنجيناه، ﴿**السفينة**﴾ مضاف إلى أصحاب، ﴿**وجعلناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والواو للعطف، ﴿**آية**﴾ مفعول ثان، ﴿**للعالمين**﴾ متعلق بآية ﴿**وإبراهيم**﴾ مفعول بفعل مقدّر معطوف على أرسلنا نوحاً، ﴿**إذ**﴾ متعلق بأرسلنا، ﴿**قال**﴾ إبراهيم ﴿**لقومه**﴾ متعلق بقال، ﴿**اعبدوا**﴾ فعل أمر من إبراهيم موجه إلى المخاطبين، ﴿**الله**﴾ مفعول به، ﴿**واتقوه**﴾ معطوف على اعبدوا الله، ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدأ، ﴿**خير**﴾ خبره.

﴿**لكم**﴾ متعلق بخير، ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها فعل شرط إنْ، ﴿**تعلمون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجواب شرط إن محذوف يدل عليه ما قبله. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**تعبدون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من دون**﴾ متعلق بالفعل قبله، ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون، ﴿**أوثاناً**﴾ مفعول به، ﴿**وتخلقون إفكاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على تعبدون. ﴿**إن الذين**﴾ إنّ واسمها، ﴿**تعبدون**﴾ صلة الموصول، ﴿**من دون الله**﴾ متعلق بتعبدون. ﴿**لا يملكون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى، ﴿**لكم**﴾ متعلق بالفعل قبله، ﴿**رزقاً**﴾ مفعول به، وجملة لا يملكون لكم رزقاً خبر إنّ. ﴿**فابتغوا**﴾ تعقيب على ما قبله، ﴿**عند**﴾ متعلق بابتغوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند، ﴿**الرزق**﴾ مفعول به، ﴿**واعبدوه**﴾ معطوف على ابتغوا. ﴿**واشكروا**﴾ معطوف على اعبدوه، ﴿**له**﴾ متعلق باشكروا، ﴿**إليه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**ترجعون**﴾ مبنى للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل، ﴿**وإنْ تكذّبوا**﴾ فعل وفاعل. فعل شرط إنْ، ﴿**فقد كذب أمم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق وفاء الربط، والجملة جواب الشرط، ﴿**من قبلكم**﴾ متعلق بكذّب، ﴿**وما على الرسول**﴾ الواو للعطف، وما نافية، على الرسول متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ مقدر؛ والتقدير: وما ﴿**على الرسول**﴾ شيء يُطلب منه ﴿**إلا البلاغ**﴾ بدل من المبتدأ المقدر. ﴿**المبينُ**﴾ نعت للبلاغ. ﴿**أولم يروا**﴾ فعل وفاعل مجزوم بلم. والواو للعطف. والهمزة للاستفهام. ﴿**كيف**﴾ في محل نصب مفعول بيروا.

﴿**يبدىء الله الخلق**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**ثم يعيده**﴾ معطوف على أولم يروا. . ﴿**إن ذلك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**على الله**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يسير**﴾ خبر إنّ. وجملة إن ذلك على الله يسير تعليلية. ﴿**قل**﴾: ﴿**سيروا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بسيروا. ﴿**فانظروا**﴾ مرتب على سيروا. ﴿**كيف**﴾ مثل كيف السابقة. ﴿**بدأ**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الخلق**﴾ مفعول به. ﴿**ثم الله**﴾ مبتدأ. دخل عليه حرف العطف المفيد للترتيب والتراخي. ﴿**ينشىء**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدأ. ﴿**النشأة**﴾ مفعول به. ﴿**الآخرة**﴾ نعت للنشأة. ﴿**إن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كلّ. ﴿**قدير**﴾ خبر إنّ. والجملة تعليلية. ﴿**يعذّب**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**من**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول.

﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. ﴿**ويرحم من يشاء**﴾ معطوف على يعذب من يشاء. ﴿**وإليه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**تقلبون**﴾ مثل تُرجعون. ﴿**وما أنتم**﴾ ما واسمها. ﴿**بمعجزين**﴾ خبر ما مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بمعجزين. ﴿**ولا في السماء**﴾ معطوف على في الأرض. ﴿**وما لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من دون**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**من ولي**﴾ مبتدأ مؤخر مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. وما نافية لا عمل لها. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**ولا نصير**﴾ معطوف على من ولي باعتبار اللفظ. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**بآيات**﴾ متعلق بكفروا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**ولقائه**﴾ معطوف على آيات الله. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿**يئسوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدأ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول ـ أولئك ـ. ﴿**وأولئك**﴾ معطوف على أولئك السابق. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. والجملة خبر أولئك. . ﴿**فما كان جواب**﴾ خبر كان. وما نافية. والفاء للتعقيب. ﴿**قومه**﴾ مضاف إلى جواب. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء لا عمل لها. ﴿**أن**﴾ حرف مصدر. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع اسم كان. ﴿**اقتلوه**﴾ أمر موجّه من بعض إلى بعض ﴿**أو حرقوه**﴾ معطوف على ما قبله.

﴿**فأنجاه**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاء فصيحة. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**من النار**﴾ متعلق بأنجاه. ﴿**إنّ في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لآيات**﴾ اسم إنّ مؤخر. واللام للتوكيد. ﴿**لقوم**﴾ متعلق بآيات. ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لقوم. ﴿**وقال**﴾ إبراهيم لقومه: ﴿**إنما**﴾ قد تقدم مثلها. ﴿**اتخذتم**﴾ فعل وفاعل. والجملة مقول القول. ﴿**من دون**﴾ متعلق باتخذتم. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**أوثاناً**﴾ مفعول به. ﴿**مودّة**﴾ مفعول لأجله. ﴿**بينكم في الحياة**﴾ متعلقان بمودة. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**ثم يوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بيكفر. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**يكفر بعضكم**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ببعض**﴾ متعلق بيكفر. ﴿**ويلعن بعضكم**﴾ معطوف على يكفر بعضكم. ﴿**بعضًا**﴾ مفعول بيلعن. ﴿**ومأواكم**﴾ مبتدأ. مرفوع بضمة مقدرة على الألف، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**النار**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**وما**﴾ الواو للعطف. وما نافية.

﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**من ناصرين**﴾ مبتدأ مؤخر مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**فآمن**﴾ فعل ماض. والفاء للتعقيب. ﴿**له**﴾ متعلق بآمن. ﴿**لوط**﴾ فاعل. ﴿**وقال**﴾ إبراهيمُ: ﴿**إنيّ مهاجرٌ**﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها مقول القول. ﴿**إلى ربي**﴾ متعلق بمهاجر. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها، ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**العزيز**﴾ خبر إنّ. ﴿**الحكيم**﴾ خبر ثان. ﴿**ووهبنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**له**﴾ متعلق بوهبنا. ﴿**إسحاق**﴾ مفعول به. ﴿**ويعقوب**﴾ معطوف على إسحاق. ﴿**وجعلنا في ذريته**﴾ مثل ووهبنا له في الإعراب. ﴿**النبوءة**﴾ مفعول به. ﴿**والكتاب**﴾ معطوف عليه. ﴿**وآتيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**أجره**﴾ مفعول ثان. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**في الدنيا**﴾ متعلق بآتيناه. ﴿**وإنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**في الآخرة لمن الصالحين**﴾ متعلقان بمحذوف خبر إنّ. والجملة معطوفة على الجملة قبلها. ﴿**ولوطاً**﴾ معطوف على إبراهيم. ﴿**إذ قال لقومه**﴾ وهو مثل وإبراهيم إذ قال لقومه. ﴿**إنكم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لتأتون الفاحشة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إن. واللام لتقوية الخبر. ﴿**ما سبقكم**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف النفي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بها**﴾ متعلق بسبق. ﴿**من أحد**﴾ فاعل سبق مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**من العالمين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأحد. ﴿**أئنكم لتأتون الرجال**﴾ إعراب هذه

الجملة مثل إعراب الجملة ـ إنكم لتأتون الفاحشة ـ التي مرت. ﴿**وتقطعون السبيل**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على تأتون. ﴿**وتأتون**﴾ كذلك. ﴿**في ناديكم**﴾ متعلق بتأتون. ﴿**المنكر**﴾ مفعول به. ﴿**فما كان جواب قومه إلا أن قالوا**﴾. . تقدم إعراب مثل هذا الكلام. . ﴿**ائتنا**﴾ أمر موجه إلى لوط من قومه. ﴿**بعذاب**﴾ متعلق بائتِ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**إن كنت**﴾ كان واسمها. ﴿**من الصادقين**﴾ متعلق بمحذوف خبرها. والجملة فعل شرط إنْ. والجواب محذوف. يدل عليه ما قبله. ﴿**قال**﴾ لوط: ﴿**رب**﴾ منادى حُذِف منه حرف النداء وياء المتكلم المضاف إليه، تخفيفاً. ﴿**انصرني**﴾ فعل دعاء. ﴿**على القوم**﴾ متعلق بانصرني. ﴿**المفسدين**﴾ نعت للقوم. ﴿**ولما جاءت رسلُنا إبراهيم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. فعل شرط لمّا. والواو للعطف. ﴿**بالبشرى**﴾ متعلق بجاءت. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب شرط لمّا. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**مهلكوا**﴾ خبر إنّ مرفوع بالواو.

﴿**أهل**﴾ مضاف إلى مهلكوا. ﴿**هذه**﴾ في محل جر مضاف إلى أهل. ﴿**القرية**﴾ عطف بيان لاسم الإشارة. وجملة إنا مهلكوا مقول القول. ﴿**إن أهلها**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**ظالمين**﴾ خبرها. وجملة كانوا ظالمين خبر إنّ. وجملة إن أهلها كانوا. . تعليلية. ﴿**قال**﴾ إبراهيم: ﴿**إنّ فيها:**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لوطا**﴾ اسمها مؤخر: والجملة مقول القول. ﴿**قالوا: نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبره. ﴿**بمَن**﴾ متعلق به. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَن. ﴿**لننجينّه**﴾ فعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والفاعل نحن. واللام لام القسم. ﴿**وأهله**﴾ معطوف على الضمير المفعول المتصل بفعل لننجينه. ﴿**إلاّ امرأته**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**كانت من الغابرين:**﴾ متعلق بمحذوف خبر كانت. واسم كان ضمير يعود على امرأته. وجملة كانت من الغابرين مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿**ولما أن جاءت رسلنا لوطاً:**﴾ مثل ولما جاءت رسلنا إبراهيم في الإعراب. بزيادة أن هنا. ﴿**سيء**﴾ فعل ماضٍ مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على لوط. ﴿**بهم**﴾ متعلق بسيء. ﴿**وضاق**﴾ معطوف على سيء. ﴿**بهم**﴾ متعلق بضاق. ﴿**ذرعاً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**وقالوا: لا تخف**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**ولا تحزن**﴾ عطف على لا تخف. وجملة لا تخف ولا تحزن مقول القول.

﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**منجوك**﴾ خبر إنّ مرفوع بالواو. وضمير المخاطب في محل جر مضاف إلى اسم الفاعل. ﴿**وأهلك**﴾ معطوف على المحل مفعول باسم الفاعل. ﴿**إلا امرأتك**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**كانت من الغابرين**﴾ سبق إعراب مثله. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**منزلون**﴾ خبر إنّ مرفوع بالواو. والجملة بيانية. ﴿**على أهل**﴾ متعلق بمنزلون. ﴿**هذه**﴾ في محل جر مضاف إلى أهل. ﴿**القرية**﴾ عطف بيان لهذه. ﴿**رجزاً**﴾ مفعول به. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرجزا. ﴿**بما كانوا:**﴾ كان واسمها. ﴿**يفسقون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وما مصدرية. والباء سببية. أي: منزلون عليهم رجزاً ساقطاً من السماء بسبب فسقهم المعهود المستمر. ﴿**ولقد تركنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف، ﴿**منها**﴾ متعلق بتركنا. ﴿**آية**﴾ مفعول به. ﴿**بيّنةً**﴾ نعت لآية. ﴿**لقوم**﴾ متعلق ببينة. ﴿**يعقلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لقوم. ﴿**وإلى مدين**﴾ متعلق بأرسلنا مقدر معطوف على أرسلنا في قصة نوح.

﴿**أخاهم**﴾ مفعول به. ﴿**شعيباً**﴾ عطف بيان. ﴿**فقال**﴾ مرتب على أرسلنا. ﴿**يا قوم**﴾ منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف ﴿**اعبدوا الله**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**وارجوا**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**اليوم**﴾ مفعول به. ﴿**الآخر**﴾ نعت لليوم. ﴿**ولا تعثوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. وواو العطف. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مفسدين**﴾ حال مؤكدة. ﴿**فكذبوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التعقيب. ﴿**فأخذتهم**﴾ مرتب على ما قبله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الرجفة**﴾ فاعل. ﴿**فأصبحوا**﴾ أصبح واسمها. ﴿**في دارهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**جاثمين**﴾ خبر أصبح. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**وعادا**﴾ مفعول بفعل مقدر. أي: وأهلكنا عادا. ﴿**وثمودا**﴾ معطوف عليه. ونُوّن باعتبار الحي. ﴿**وقد تبين**﴾ فعل ماضٍ دخل عليه حرف التحقيق وواو العطف. والفاعل مضمر دل عليه الإهلاك المقدر. ﴿**لكم من مساكنهم**﴾ متعلقان بتبيّن. ﴿**وزين**﴾ فعل ماضٍ. والواو للعطف. ﴿**لهم**﴾ متعلق بزين. ﴿**الشيطان**﴾ فاعل. ﴿**أعمالهم**﴾ مفعول. ﴿**فصدهم**﴾ مرتب على زين. ﴿**عن السبيل**﴾ متعلق بصدهم. ﴿**وكانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**مستبصرين**﴾ خبرها. والجملة حال من ضمير عاد وثمود. ﴿**وقارون وفرعون وهامان**﴾ معطوفات على عاد وثمود. ﴿**ولقد جاءهم موسى:**﴾ فاعل

جاء. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بالبينات**﴾ متعلق بجاء. ﴿**فاستكبروا**﴾ فعل وفاعل. مرتب على ما قبله. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق باستكبروا. ﴿**وما كانوا**﴾ كان واسمها. وما نافية. والواو للعطف. ﴿**سابقين**﴾ خبر كان. ﴿**فكلاً**﴾ مفعول مقدم. والفاء للتعقيب. ﴿**أخذنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بذنبه**﴾ متعلق بأخذنا. ﴿**فمنهم: فبعضهم**﴾ مبتدأ. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**أرسلنا**﴾ صلة مَنْ. ﴿**عليه**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**حاصباً**﴾ مفعول به. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**ومنهم مَنْ أخذته الصيحة**﴾.. ﴿**ومنهم من خسفنا به الأرض.. ومنهم من أغرقنا**﴾.. معطوفات على قوله: فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً. وإعراب هذه الجمل ظاهر لا يحتاج إلى زيادة توضيح. ﴿**وما كان الله**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي وواو العطف. ﴿**ليظلمهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام الجحود متعلق بخبر كان المقدر؛ والتقدير: وما كان الله مريداً لظلمهم. ﴿**ولكن كانوا:**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الاستدراك وواو العطف.

﴿**أنفسهم**﴾ مفعول مقدم: ﴿**يظلمون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. ﴿**مثلُ**﴾ مبتدأ. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى مثل. ﴿**اتخذوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الذين. ﴿**من دون**﴾ متعلق باتخذوا ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**أولياء**﴾ مفعول به. ﴿**كمثل**﴾ الكاف في محل رفع خبر المبتدأ. ومثل مجرور بالكاف. ﴿**العنكبوت**﴾ مضاف إلى مثل. ﴿**اتخذت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على العنكبوت. ﴿**بيتاً**﴾ مفعول به. وجملة اتخذت صفة للعنكبوت. ﴿**وإن أوهن**﴾ إن واسمها. والواو للحال. ﴿**البيوت**﴾ مضاف إلى أوهن. ﴿**لبيت**﴾ خبر إنّ واللام للتأكيد. ﴿**العنكبوت**﴾ مضاف إلى بيت. وجملة وإن أوهن البيوت حال من فاعل اتخذت.. ﴿**لو**﴾ شرطية. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعلمون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعلمون فعل الشرط. وجواب الشرط مقدر، والتقدير: لو كانوا يعلمون وهن أوثانهم ومعبوديهم ما اتخذوهم أولياء.. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول بيعلم ﴿**تدعون**﴾ فعل وفاعل. صلة ما. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بتدعون. من شيء بيان. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع

مبتدأ. ﴿**العزيز**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**الحكيم**﴾ خبر ثان. والجملة تذييلية. ﴿**وتلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الأمثال**﴾ عطف بيان. ﴿**نضربها**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**للناس**﴾ متعلق بالفعل قبله. وجملة نضربها خبر المبتدأ. ﴿**وما يعقلها**﴾ فعل مضارع منفي بما. والواو للعطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**إلا العالمون**﴾ فاعل. وإلا أداة استثناء ملغاة.

﴿**خلق الله السماوات**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بمحذوف حال من المفعول. ﴿**إن في ذلك:**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لآية**﴾ اسم إنّ مؤخر. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**للمؤمنين**﴾ متعلق بآية. ﴿**اتْلُ**﴾ أمر موجّه إلى المخاطب، ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**أوحي**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة ما. ﴿**إليك**﴾ متعلق بأوحى. ﴿**من الكتاب**﴾ بيان لما أوحى، ﴿**وأقم**﴾ معطوف على اتل. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول به. ﴿**إن الصلاة**﴾ إنّ واسمها. ﴿**تنهى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الصلاة. والجملة خبر إنّ. ﴿**عن الفحشاء**﴾ متعلق بتنهى. ﴿**والمنكر**﴾ معطوف على الفحشاء. وجملة إن الصلاة تعليلية. ﴿**ولذكرُ**﴾ مبتدأ. واللام للتوكيد، والواو للعطف. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى ذكر. ﴿**أكبرُ**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**تصنعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما وجملة يعلم ما تصنعون خبر المبتدأ.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون..**﴾ فهذه السورة تسمى سورة العنكبوت لذكر العنكبوت فيها. وهي تبتدىء بحروف ثلاثة أ ل م. مثل السور الثلاث التي قبلها ط س م. وهذه السورة لها علاقة بالسور التي قبلها حيث ذكر فيها امتحان المؤمنين بالأذى من القوم الكافرين: ﴿**ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾. وكانت القصص في هذه السورة ملخصة مختصرة لما ذكر في السور قبلها.. فجملة ﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾: تفيد إنكارَ الحسبان المذكور واستبعاده، وتحقيق أن الله تعالى يَمْتَحِنُ الناس بما شق من التكاليف؛ كالمهاجرة والمجاهدة،

ورفض ما تشتهيه النفس، ووظائف الطاعات، وفنون المصائب في الأنفس والأموال؛ ليتميز المخلص من المنافق، والراسخ في الدين من المتزلزل فيه، ويجازيهم بحسب مراتب أعمالهم. وقوله تعالى: ﴿**ولقد فتنا الذين من قبلهم**﴾ متصل بما قبله بالعطف بالواو.. فالمعنى: أن ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة، جارية فيما بين الأمم كلها.. فلا ينبغي أن يتوقع خلافها. وتأكيد الجملة بلام القسم وحرف التحقيق لتنزيل المؤمنين حين استعظموا ما نالهم من الفتنة من المشركين واستبطأوا النصر على الظالمين، وذهولهم عن سنة الكون في تلك الحالة منزلة من ينكر أنّ من يخالف الدهماء في ضلالهم ويتجافى عن أخلاقهم ورذالتهم لا بد أن تلحقه منهم فتنة. وجملة ﴿**فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾ مرتبة بالفاء على ما يفصح عنها ما قبلها من وقوع الامتحان. واللام واقعة في جواب القسم.

والالتفات إلى الاسم الجليل لإدخال الروعة وتربية المهابة. وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير. والمعنى الذي تشير إليه هذه الآية: فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان الذي أظهروه، والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب. ويترتب عليه أجزيتهم من الثواب والعقاب. ﴿**أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون**﴾: أم هنا منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب والانتقال عن التوبيخ بإنكار حسبانهم متروكين غير مفتونين إلى التوبيخ بإنكار ما هو أبطل من الحسبان الأول. وهو حسبانهم أن لا يجازوا بسيئاتهم. وجملة ساء ما يحكمون تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الحسبان الباطل. ﴿**من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم**﴾: فصلت هذه الآية عما قبلها فلم تعطف.. فجملة من كان يرجو لقاء الله شرطية حذف جوابها. والتقدير: من كان يرجو لقاء الله فليختر من الأعمال ما يؤدي إلى حسن الثواب، وليحذر ما يسوقه إلى سوء العذاب.. وجملة فإن أجل الله لآت دليل على الوعد والوعيد. وجملة وهو السميع العليم تذييل مقرر لمضمون ما سبقه من التحريض والتحذير. ﴿**ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها زيادة في توضيح الحكم السابق. ولهذا ذُيّلت بقوله: إن الله لغني عن العالمين. فلا حاجة له إلى طاعتهم.. وإنما أمرهم بها تعريضاً لهم للثواب بموجب رحمته. ﴿**والذين آمنوا**

وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على ما قبلها.. وجملة ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون: تفيد أحسن جزاء أعمالهم لا جزاء أحسن أعمالهم. وأكدت الجملتان بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة. **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾**: اتصل هذا الكلام بالعطف على ما قَبْلَهُ.. فالوصية شاملة لنوع الإنسان الداخل تحت الافتتان؛ ليظهر المسيء من المحسن والكاذب من الصادق.. والوالدان قد يكونان مساعدين إلى الخير، وقد يكونان محرضين على الشر.. والولد قد يكون كذلك..

فجملة **﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾**: موجهة إلى الولد المؤمن الذي نجح في الامتحان الذي افتتن به كل إنسان. وقوله: **﴿إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾**: وعد للمؤمن، ووعيد للكافر، ومن بر بوالديه ومن عقّ.. **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾**: تكرر وعد المؤمنين: مرة بالمغفرة والجزاء الأحسن.. ومرة بالدخول مع الصالحين في المقام الأفضل. **﴿ومن الناس من يقول: آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾**: الكلام مرتبط بما قبله زيادة في بيان حال المؤمنين المخلصين، وحال الشاكين المتردّدين، على ضوء الافتتان العام للصادقين والكاذبين.. فبعض الناس يظهر الإسلام بلسانه.. فإذا حصل له ضرّ وأذى استعظم ما حصل له، وحسب عذاب الناس مثل عذاب الله.. **﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾**: فائدة تحصل للمسلمين ادعى أنه من المسلمين.. وقد مر معنى هذا الكلام في سورة الحج، من قوله تعالى: **﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف.. فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾**.. **﴿أوليس الله بأعلم بما صدور العالمين﴾**: استفهام إنكاري تعجيبي من حال هذا البعض الذي وصل به الشك والتردد حتى قال ما قال مما دل على نفاقِهِ وتردده: **﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين.. وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾**: هذا قول بعض آخر من الناس: كفره صريح، وقوله للمؤمنين قبيح! **﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون﴾**: هذا رد على قولهم: ولنحمل خطاياكم.. **﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألُنّ يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾**: بعد أن كذبهم في قولهم: ولنحمل خطاياكم، وكشف كيدهم بالمسلمين، عطف عليه ما أفاد أنهم غير ناجين من حمل تبعات الأقوام الآخرين،

وهم الأقوام الذين أضلوهم وسولوا لهم الشرك والبهتان على وجه التأكيد بحملهم ذلك.. فذكر الحمل هنا تمثيل. والأثقال مجاز عن الذنوب والتبعات.. فهو تمثيل للشقاء والعناء يوم القيامة بحال الذي يحمل متاعه وهو موقر به فيُزاد حمْلَ أمتعِة أناسٍ آخرين. وجملة وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون تذييل جامع لمؤاخذتهم بجميع ما اختلقوه من الإفك والتضليل. ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون**﴾: هذا شروع في بيان افتتان الأنبياء بأذية أممهم إثر بيان افتتان المؤمنين بأذية الكفار تأكيداً للإنكار على الذين يحسبون أن يتركوا بمجرد الإيمان من غير ابتلاء، وحثًّا لهم على الصبر..

فإن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلئن يصبر هؤلاء أولى وأحرى. وتقدمت قصة نوح في عدة سور.. وزادت هنا أنه لبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة. وفائدة ذكر هذه المدة للدلالة على شدة مصابرته على أذى قومه، ودوامه على إبلاغ الدعوة، تثبيتًا للنبي محمد ﷺ ومن معه من المؤمنين الذين امتحنوا في مكة.. ﴿**فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين**﴾: هذا الكلام مرتب على قوله: فأخذهم الطوفان وهم ظالمون.. ﴿**وإبراهيم إذْ قال لقومه: اعبدوا الله واتقوه. ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾: هذا انتقال من خبر نوح إلى خبر إبراهيم ـ عليهما السلام ـ لمناسبة نجاء إبراهيم من النار بإنجاء نوح من الماء. وجملة ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون: تعليل للأمر بعبادة الله. وجملة ﴿**إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً**﴾: تعليل لجملة اعبدوا الله واتقوه.. فهو بيان لبطلان دينهم وشرّيّته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة إلى الدين الحق. ﴿**إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً**﴾: هذا بيان لشرّيّة ما يعبدونه، من حيث إنه لا يجديهم نفعاً.. ﴿**فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون**﴾: هذا تعقيب على ما قبله بإرشادهم إلى ما هو مفيد لهم، وتخويفهم من مغبة ما هم عليه من عبادة الأوثان التي لا تنفع ولا تملك شيئاً!.. ﴿**وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم**﴾: اتصل الكلام بالعطف على ما قبله؛ ليعلمهم بأن تكذيبهم لا يضره.. بل يضرهم كما ضر من قبلهم من الذين كذبوا الرسل. وجملة فقد كذب أمم من قبلكم تعليل للجواب المقدر. والتقدير: إن تكذبوني فلا تضرونني بتكذيبكم؛ فإن

مَنْ قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم شيئاً.. وإنما ضر أنفسهم حيث تسبّب لما حلّ بهم من العذاب.. فكذا تكذيبكم!. ﴿**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**﴾!.. ﴿**أولم يروا كيف يبدىء الله الخلْقَ ثم يعيده**﴾؟: هذا كلام مستأنف مسوق للإنكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله. والهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها. والجملة موصولة بالعطف على ما سبق من تكذيب الرسل.. وجملة ﴿**إن ذلك على الله يسير**﴾: تعليل.. ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير**﴾: السير في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل.. فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة..

فإنّ ترتيب النظر على السير في الأرض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق القاطنين في أقطارها.. ثم الله ينشىء.. فهو عطف على جملة سيروا في الأرض.. فهو داخل مع الكلام في حيز القول. وإظهار الاسم الجليل - الله - وإيقاعه مبتدأ مع إضماره في بدأ؛ لإبراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الإعادة بالإشارة إلى علة الحكم وتكرير الإسناد. وقوله تعالى: إن الله على كل شيء قدير: تعليل لما قبله بطريق التحقيق.. فإن من علم قدرة الله تعالى على جميع الأشياء التي من جملتها الإعادة لا يتصور أن يتردد في قدرته عليها، ولا في وقوعها بعد أن أخبر بها. ﴿**يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون**﴾: هذه الآية فصلت عما قبلها فلم تعطف؛ لأنها جاءت بياناً لما يقع في النشأة الآخرة، ولما أوجدت لأجله من العقاب والثواب. وتقديم التعذيب؛ لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب، وجملة وإليه تقلبون تذييل مقرر لمضمون ما سبقه ﴿**وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**﴾: هذه الآية وصلت بالعطف على ما قبلها.. تحذير وترهيب مما سيقع من العذاب للمكذبين يوم الرجوع إلى الله عزّ وجلّ. ﴿**والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على الجمل التي جاءت معترضة بين الجمل المتعلقة بقصة إبراهيم من قوله تعالى: ﴿**وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم**﴾ إلى هنا. وفي هذه الآية نتيجة ما يلقاه الكافر بآيات الله ولقائه سواء كان في عهد نوح أو عهد إبراهيم أو عهد محمد.. فكلمة أولئك تشير إلى كل من كذب بآيات الله ولقائه.. ففي تكرير اسم الإشارة، وتكرير الإسناد

وتنكير العذاب ووصفه بالأليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى!.. ثم رجع إلى ذكر قصة إبراهيم، فذكر خلاصة ما قالوه في حقه عليه السلام: ﴿**فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار..**﴾ فهذا التعقيب خلاصة ما استقر عليه أمر قوم إبراهيم حين تآمروا بقتله بأي كيفية.. ثم استقرّ أمرهم بإحراقه بالنار لفظاعته وشناعته!.. ولكن الله برحمته أنجاه منها.. فكانت آية عجيبة، فيها دلائل عظيمة: ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون..**﴾

﴿**وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودّة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على قول إبراهيم لقومه السابق: إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً.. فمحطّ القصر هنا هو المفعول لأجله ـ مودّة ـ.. فالمعنى: ما اتخذتم هذه الأوثان آلهة إلا لأجل مودّة بعضكم بعضاً الداعية للموافقة وإباية المخالفة لزعمائكم ورؤسائكم.. فهم الذين زينوا لكم عبادة الأوثان واللعب واللهو وعبادة الشيطان.. ولكن ماذا يكون بعد هذا؟!.: ﴿**ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين!. فآمن له لوط وقال: إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم**﴾: هذا الكلام جاء تعقيباً على ما حصل لإبراهيم في بلده الأوّل مع قومه الأُوَل.. فما آمن له إلا لوط عليه السلام. أما بقية القوم فقد تركهم في كفرهم ليلقوا مصيرهم في الدنيا والآخرة، وهاجر إلى ربه طالباً هدايته ونصره وتوفيقه.. فاستجاب الله له ما طلب: ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوءة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين**﴾. وبعد ذكر إبراهيم يذكر لوطا وما قال لقومه وما قالوا له: ﴿**ولوطا إذ قال لقومه: إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر.. فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين. قال رب انصرني على القوم المفسدين..**﴾ قد أرسل الله لوطا بعد ما هاجر مع إبراهيم.. وكانت قرى قوم لوط جنوب الشام وشمال الحجاز. ودعاهم إلى الله، وحذّرهم من الكفر والعصيان. وخص قوله وسؤاله على ما كانوا عليه من الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من الناس، وقطع الطريق وإتيان المنكر..

فعصوه وازدروا به وتحدُّوه.. فدعا الله بالنصر عليهم؛ لأنهم قوم مفسدون.

﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى. قالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية، إن أهلها كانوا ظالمين. قال إن فيها لوطاً قالوا: نحن أعلم بمن فيها. . لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين. .﴾ فقصة الملائكة ومجيئهم أولاً إلى إبراهيم وبشارتهم له بالولد والنافلة تقدمت مفصلة في سورتي هود والحجر. وجاءت هنا مُلخّصة. . **﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً. . وقالوا لا تخف ولا تحزن. . إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون. ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾**: وصِلت هذه الآيات بالعطف على ما قبلها، تكملة لما حصل للوط مع قومه حين جاءته الملائكة. وقد ذكرت في عدة سور قصة لوط. وجاءت هنا ملخّصة. . **﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال: يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**: قصة شعيب مع قومه تقدمت مفصلة في عدة سور. . فجاءت هنا ملخصة. **﴿فكذبوه:﴾** مرتب على ما قبله. . **﴿فأخذتهم الرجفة:﴾** مرتب على كذبوه. . **﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾**: مرتب على أخذتهم الرجفة. **﴿وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾**: لما جرى ذكر أهل مدين وقوم لوط أكملت القصص بذكر عاد وثمود. **﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾**: لما ضرب الله المثل لقريش بالأمم التي كذبت رسلها فانتقم الله منها، كذلك ضرب المثل لصناديد قريش بصناديد بعض الأمم السالفة كانوا سبب مصاب أنفسهم، ومصاب قومهم الذين اتبعوهم. ومعنى السبق في قوله: **﴿وما كانوا سابقين﴾**: الانفلات من تصريف الحكم فيهم. **﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾**: أفادت الفاء التفريعَ على الكلام السابق. . **﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا. ومنهم من أخذته الصيحة﴾**: هذا تفصيل للأخذ. . **﴿ومنهم من خسفنا به الأرض. . ومنهم من أغرقنا. . وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**: تذييل مقرر لمضمون ما تقدم من الأخذ بالذنب الذي وقع منهم بإرادتهم واختيارهم. **﴿مثل الذي اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾**: لما بُيّنت لهم الأشباه والأمثال من الأمم التي اتخذت الأصنام معبودة من دون الله. . فما أغنت عنهم أصنامهم لمّا جاءهم عذاب الله، أعقب ذلك بضرب المثل بحال جميع

أولئك وحال من ماثلهم من مشركي قريش في اتخاذهم ما يحسبونه دافعاً عنهم وهو أضعف من أن يدفع عن نفسه، بحال العنكبوت تتخذ لنفسها بيتاً تحسب أنها تعتصم به من المعتدِي عليها. . فإذا هو لا يثبت لأضعف تحرُّك! ﴿**إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم**﴾: هذه الآية تعليل لما عليه القوم من اتخادهم الأصنام معبودة من دون الله. وفيه تهديد ووعيد شديد. .

﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلى العالمون**﴾: بعد أن بين الله لهم فساد معتقدهم في الأصنام، وأعقبه بتوقيفهم على جهلهم بذلك، نعى عليهم هنا أنهم ليسوا بأهلٍ لتفهُّم تلك الأمثال التي قُرّبت إليهم بطريقة التمثيل. والإشارة إلى حاضر في الأذهان. . فإن كل من سمع القرآن حصل في ذهنه بعض تلك الأمثال. واسم الإشارة للتنويه بالأمثال المضروبة في القرآن التي منها هذا المثل بالعنكبوت. ﴿**خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين**﴾: بعد أن بيّن الله عدم انتفاع المشركين بالحجة ومقدماتها ونتائجها الموصّلة إلى بطلان إلهية الأصنام، نقل الكلام إلى مخاطبة المؤمنين؛ لإفادة التنويه بشأن المؤمنين إذا انتفعوا بما هو أدقّ من ذلك؛ وهو حالة النظر والفكر في دلالة الكائنات على أن خالقها هو الله سبحانه وتعالى!. ﴿**اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**﴾: في هذا الكلام براعة المقطع. وهو يشير إلى نهاية الموضوع الذي خلاصته هذا الكلام. . فتلاوة القرآن خلاصة الإسلام، وإقام الصلاة خلاصة الأحكام. وذكر الله أكبر من كُلّ كلام. وأحسن صُنْعِ الإنسان العملُ بما جاء في الإسلام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون. .**﴾

التوجيه الأول: في هذا التوجيه الكشف عن حقيقة الإيمان وما يقابله من الكفر والنفاق والعصيان. والكشف عن تكاليف الإيمان الحقة التي تكشف عن معدنه في النفوس. . فليس الإيمان كلمةً تُقال باللسان. . إنما هو الصبر على المكاره وتحمل المتاعب والافتتان! والكشف عن الصادقين والكاذبين والمؤمنين والمنافقين. . فنجد في هذا المبدأ القوي من أول السورة يُساق في صورة استفهام

استنكاري لمفهوم الناس للإيمان، وحسبانهم أنه كلمةٌ تُقال باللسان. إن الإيمان ليس كلمةً تقال.. إنما هو حقيقة ذات تكاليف.، وأمانة ذات أعباء،. وجهاد يحتاج إلى صبر.، وجهد يحتاج إلى احتمال.. فلا يكفى أن يقول الناس: آمنّا.. وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافيةً عناصرُهم، خالصةً قلوبُهم؛ كما تفتن النارُ الذهبَ لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به ـ وهذا هو أصل الكلمة اللغوي، وله دلالته وظله وإيحاؤه ـ وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب، هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنّة جارية في ميزان الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿**ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**..﴾

فالله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء.. ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر.. فيُحاسب الناس إذَنْ على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه الله ـ سبحانه ـ من أمرهم. وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب.. فلا يأخذ أحداً إلا بما استُعْلن من أمره، وبما حققه عمله. إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا مَن هُم لها أهل،. وفيهم على حملها قدرة،. وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص. وإلاّ الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء. وإنّها لأمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة.. فهي أمانة كريمة؛ وهي أمانة ثقيلة؛ وهي أمر الله يضطلع بها الناس؛ ومن ثَمّ تحتاج إلى طراز خاص من الناس، يصبر على الابتلاء. ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله.. ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة؛ ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان. وهذه هي الصورة البارزة للفتنة، المعهودة في الذهن حين تذكر الفتنة.. ولكنها ليست أعنف صور الفتنة.. فهناك فتن كثيرة في صور شتى، ربما كانت أمرَّ وأدهى. هناك فتنة الأهل والأحباء والذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه، وهو لا يملك عنهم دفعاً؛ وقد يهتفون به ليسالم أو ليستسلم؛ وينادونه باسم الحب والقرابة واتقاء الله في الرحم التي يعرّضها للأذى أو الهلاك. وقد أشير في هذه السورة إلى لون من هذه الفتنة مع الوالدين، وهو شاق عسير.

وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين،

تهتف لهم الدنيا وتصفق لهم الجماهير، وتتحطّم في طريقهم العوائق وتصاغ لهم الأمجاد، وتصفق الحياة. وهو مهمل منكر لا يحس به أحد، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئاً. وهناك فتنة الغربة في البيئة، والاستيحاش بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كلَّ ما حوله، وكُلَّ مَنْ حوله غارقاً في تيار الضلالة، وهو وحده موحش غريب طريد. وهنالك الفتنة الكبرى، أكبر من هذا كله وأعنف: فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض، وثقلة اللحم والدم، والرغبة في المتاع والسلطان، أو في الدعة والاطمئنان. وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس، وفي ملابسات الحياة. وفي منطق البيئة، وفي تصورات أهل الزمان.. فإذا طال الأمد وابطأ النصر كانت الفتنة أشد وأقسى. وكان الابتلاء أشد وأعنف. ولم يثبت إلا من عصم الله!. وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان، ويأتمنون على تلك الأمانة الكبرى. وإنهم ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من غالى الثمن، وبما بذلوا لها من الصبر على المحن؛ وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات. والذي يبذل من دمه وأعصابه، ومن راحته واطمئنانه، ومن رغائبه ولذاته.. ثم يصبر على الأذى والحرمان؛ يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل!.. فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات.. فأما انتصار الإيمان والحق في النهاية فأمر تكفّل به وعدُ الله. وما يشك مؤمن في وعد الله.. فإن أبطأ فلحكمة مقدرة، فيها الخير للإيمان وأهله. وليس أحد بأغير على الحق وأهله من الله. وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة، ويقع عليهم البلاء أن يكونوا هم المختارين من الله؛ ليكونوا أمناء على حق الله. وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة، فهو يختارهم للابتلاء. وأما الذين يفتنون المؤمنين ويعملون السيآت فما هم بمُفْلِتِين من عذاب الله ولا ناجين. مهما انتفخ باطلهم وانتفش، وبدا عليه الانتصار والفلاح. وعد الله كذلك وسنته في نهاية المطاف: **﴿أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا؟ ساء ما يحكمون﴾**!.. فلا يحسبن مُفسد أنه مفلت ولا سابق.. ومن يحسب هذا فقد ساء حكمه، وفسد تقديره، واختل تصوره.. فإن الله الذي جعل الابتلاء سنّة ليمتحن إيمان المؤمن ويميز بين الصادقين والكاذبين هو الذي جعل أخذَ المسيئين سنةً لا تتبدل ولا تتخلف ولا تحيد.

وهذا هو الإيقاع الثاني في مطلع السورة الذي يوازن الإيقاع الأول ويعادله.. فإذا كانت الفتنة سنّة جارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف؛ فخيبة المسيئين وأخذ المفسدين سنّة جارية لا بد أن تجيء. أما الإيقاع الثالث فيتمثل في تطمين الذين يرجون لقاء الله، ووصل قلوبهم به في ثقة وفي يقين: ﴿**من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم**..﴾ فلتقر القلوب الراجية في لقاء الله ولتطمئن؛ ولتنتظر ما وعدها الله إياه انتظار الواثق المستيقن؛ ولتتطلّع إلى يوم اللقاء في شوق ولكن في يقين. والتعبير يصور هذه القلوب المتطلعة إلى لقاء الله صورة موحية. صورة الراجي المشتاق الموصول بما هناك. ويجيب على التطلع بالتوكيد المريح. ويعقب عليه بالطمأنينة الندية يدخلها على تلك القلوب.. فإن الله يسمع لها ويعلم تطلعها: وهو السميع العليم. والإيقاع الرابع يواجه القلوب التي تحتمل تكاليف الإيمان ومشاق الجهاد؛ بأنها إنما تجاهد لنفسها ولخيرها، ولاستكمال فضائلها، ولإصلاح أمرها وحياتها.. وإلا.. فما بالله من حاجة إلى أحد. وإنه لغني عن كل أحد: ﴿**ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين**..﴾ فإذا كتب الله على المؤمنين الفتنة وكلفهم أن يجاهدوا أنفسهم لتثبت على احتمال المشاق، فإنما ذلك لإصلاحهم وتكميلهم وتحقيق الخير لهم في الدنيا والآخرة. والجهاد يُصلح من نفس المجاهد وقلبه؛ ويرفع من تصوراته وآفاقه. ويستعلى به على الشح بالنفس والمال. ويستجيش أفضل ما في كيانه من مزايا واستعدادات، وذلك كله قبل أن يتجاوز به شخصه إلى الجماعة المؤمنة، وما يعود عليها من صلاح حالها؛ واستقرار الحق بينها، وغلبة الخير فيها على الشر، والصلاح فيها على الفساد. ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفّرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون**﴾: ذلك فضل من الله أن يعينه في جهاده.. وأن يستخلفه في الأرض بهذا الجهاد.. وأن يأجره في الآخرة بثوابه.. فليطمئن المؤمنون العاملون على ما لهم عند الله من تكفير للسيآت وجزاء على الحسنات.. وليصبروا على تكاليف الجهاد.. وليثبتوا على الفتنة والابتلاء.. فالأمل المشرق والجزاء الطيب ينتظرانهم في نهاية المطاف. وإنه بحسب المؤمن حتى لو فاته في الحياة الانتصاف.

ثم يجيء إلى لون من الوان الفتنة: فتنة الأهل والأحباء.. فيفصل في الموقف الدقيق بالقول الحازم الوسط؛ لا إفراط فيه ولا تفريط: ﴿**ووصينا الإنسان**

بوالديه حسنا. .﴾ إن الوالدين لأقرب الأقرباء. وإن لهما لفضلاً، وإن لهما لرحما، وإن لهما لواجباً مفروضاً: واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة. . ولكن ليس لهما من طاعة في حق الله. وهذا هو الصراط: **﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما. .﴾** إن الصلة في الله هي الصلة الأولى، والرابطة في الله هي العروة الوثقى. . فإن كان الوالدان مشركين فلهما الإحسان والرعاية، لا الطاعة ولا الاتباع. وإن هي إلا الحياة الدنيا. . ثم يعود الجميع إلى الله: **﴿إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. .﴾** فيفصل ما بين الكافرين والمؤمنين. . فإذا المؤمنون أهل ورفاق، ولو لم يعقد بينهم نسب ولا صهر: **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين. .﴾** فهكذا يعود الموصولون بالله جماعة واحدة؛ كما هم في الحقيقة. وتذهب روابط الدم والقرابة والنسب والصهر، وتنتهي بانتهاء الحياة الدنيا. . فهي روابط عارضة لا أصيلة؛ لانقطاعها عن العروة الوثقى التي لا انفصام لها. . ثم يرسم صورة كاملة لنموذج من النفوس في استقبال فتنة الإيذاء بالاستخذاء. . ثم الادعاء العريض عند الرخاء. يرسمها في كلمات معدودات، صورة واضحة الملامح، بارزة السمات: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم. .﴾** فذلك النموذج من الناس يعلن كلمة الإيمان في الرخاء يحسبها خفيفة الحمل، هيّنة المؤونة، لا تكلف إلا نطقاً باللسان. . فإذا أوذي في الله بسبب الكلمة التي قالها، وهو آمن مُعَافَى؛ جعل فتنةَ الناس كعذاب الله. . فاستقبلها في جزع، واختلّت في نفسه القيم، واهتزّت في ضميره العقيدة؛ وتصور أن لا عذاب بعد هذا الأذى الذي يلقاه؛ حتى عذاب الله! . . وقال في نفسه: ها هوذا عذاب شديد أليم ليس وراءه شيء. . فعلام أَصْبِرُ على الإيمان، وعذاب الله لا يزيد على ما أنا فيه من عذاب؟!.

وإن هو إلا الخلط بين أذى يقدر على مثله البشر، وعذاب الله الذي لا يعرف أحد مداه! . . فهذا موقف ذلك النموذج من الناس في استقبال الفتنة في ساعة الشدة. أما في ساعة الرخاء والدعة والمنفعة فله موقف آخر: **﴿ولئن جاء نصر من ربك ليقولُنّ: إنا كنا معكم. .﴾** فهي كلمة تقال: إنا كنا معكم! . . وذلك كان موقفهم في ساعة العسرة من التخاذل والتهافت والتهاوي وسوء التصوير وخطاء التقدير. . ولكن حين يجيء الرخاء تنبثّ الدعوى العريضة، ويتنفش المنزوون

المتخاذلون، ويستأصد الضعفاء المهزومون فيقولون: ﴿**إنا كنا معكم**﴾!: ﴿**أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين**﴾؟!؛ أو ليس يعلم ما تنطوي عليه تلك الصدور من صبر أو جزع، ومن إيمان أو نفاق؟ فمن الذي يخدعه هؤلاء، وعلى مَن يُموّهون؟: ﴿**وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين**﴾! فليكشفنهم.. فيعرفون!.. فما كانت الفتنة إلا ليتبين الذين آمنوا ويتبين المنافقون! ونقف لحظة أمام التعبير القرآني الدقيق، وهو يكشف عن موضع الخطإ - في هذا النموذج من الناس حين يقول: جعل فتنة الناس كعذاب الله.. فليست الغلطة أن صبرهم قد ضعف عن احتمال العذاب؛ فمثل هذا يقع للمؤمنين الصادقين في بعض اللحظات - وللطاقة البشرية حدود - ولكنهم يظلون يفرقون تفرقة واضحة في تصورهم وشعورهم بين كل ما يملكه البشر لهم من أذى وتنكيل، وبين عذاب الله العظيم.. فلا يختلط في حسهم أبداً عالم الفناء الصغير، وعالم الخلود الكبير.. حتى في اللحظة التي يتجاوز عذاب الناس لهم مدى الطاقة وجهد الاحتمال.. إن الله في حسّ المؤمن لا يقوم له شيء، مهما تجاوز الأذى طاقته واحتماله..

فهذا هو مفرق الطريق بين الإيمان في القلوب، والنفاق. وأخيراً يعرض فتنة الإغواء والإغراء؛ ويعرض معها فساد تصور الذين كفروا للتبعة والجزاء.. فيقرر فردية التبعة وشخصية الجزاء. وهو المبدأ الإسلامي الكبير، الذي يحقق العدل في أجلى مظاهره وأفضل أوضاعه: ﴿**وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم، وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء..**﴾ فقد كان الذين كفروا يقولون هذا تمشيا مع تصورهم القبلي في احتمال العشيرة للديات المشتركة، والتبعات المتعارفة. يحسبون أنهم قادرون على احتمال جريرة الشرك بالله عن سواهم وإعفائهم منها..

ذلك إلى التهكم على قصة الجزاء في الآخرة إطلاقاً! ومن ثم يرد عليهم الرد الحاسم.. فيرد كل إنسان إلى ربه فرداً، يؤاخذه بعمله، لا يحمل أحد عنه شيئاً.. ثم يُجْبِهُهم بما في قولتهم هذه من كذب وادّعاء: و﴿**إنهم لكاذبون..**﴾ ثم يحملهم وزر ضلالهم وشركهم وافترائهم، ووزر إضلالهم للآخرين. دون أن يعفي هؤلاء من تبعة الضلال: ﴿**وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون**﴾. ويغلق هذا الباب من أبواب الفتنة فيعلم الناس أن الله تعالى

لا يحاسبهم جماعات.. إنما يحاسبهم أفراداً. وأن كل امرىء بما كسب رهين!..

التوجيه الثاني: ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً**..﴾: في هذا التوجيه عرض نماذج من الفتن التي اعترضت دعوة الإيمان في تاريخ البشرية الطويل من لدن نوح.. ففي قصته تتبدّى ضخامة الجهد وضآلة الحصيلة.. فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.. ثم لم يؤمن له إلا القليل.. والراجح أن فترة رسالة نوح التي دعا فيها قومه كانت ألف سنة إلا خمسين عاماً؛ وقد سبقتها فترة قبل الرسالة غير محددة، وأعقبتها فترة كذلك بعد النجاة من الطوفان غير محددة. فهو عمر مديد طويل .. يبدو للناس الآن غير طبيعي ولا مألوف في أعمار الأفراد.. ولكن المؤمن يتلقاه من أصدق مصدر في هذا الوجود ـ وهذا وحده برهان صدقه ـ ولله الحكمة البالغة وكل شيء عنده بمقدار. ولم تثمر ألف سنة إلا خمسين عاماً غير العدد القليل الذين آمنوا لنوح.. أما البقية وهي الكثرة الكثيرة التي كفرت وكذبت وطغت: ﴿**فأخذهم الطوفان وهم ظالمون**..﴾ فهم ظالمون بكفرهم وجحودهم وإعراضهم عن الدعوة المديدة.. ﴿**فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين**..﴾ فنجا العدد القليل من المؤمنين وهم أصحاب السفينة. ومضت قصة الطوفان والسفينة آية للعالمين تحدثهم عن عاقبة الكفر والظلم على مدار التاريخ. وبعد قصة نوح يطوي السياق القرون.. حتى يصل إلى الرسالة الكبرى ـ رسالة إبراهيم ـ: ﴿**وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**..﴾ فقد دعا إبراهيم قومه دعوة بسيطة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض.. وهي مرتبة في عرضها ترتيباً دقيقاً.. فقد بدأ ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها.. ثم ثنى بتحبيب هذه الحقيقة إليهم، وما تتضمنه من الخير لهم لو كانوا يعلمون أين يكون الخير؟!.

وفي هذا التعقيب ـ إن كنتم تعلمون ـ ما يحفزهم إلى نفي الجهل عنهم، واختيار الخير لأنفسهم. وهو في الوقت نفسه حقيقة عميقة لا مجرد تهييج خطابي!. ﴿**إنما تعبدون من دون الله أوثاناً**..﴾ ففي هذه الخطوة الثالثة بيّن لهم فساد ما هم عليه من العقيدة من عدة وجوه: أولها أنهم يعبدون من دون الله أوثاناً ـ والوثن: التمثال من الخشب ـ وهي عبادة سخيفة، وبخاصة إذا كانوا يعدلون بها عن عبادة الله تعالى! وثانيها أنهم بهذه العبادة لا يستندون إلى برهان أو دليل..

وإنما يخلقون إفكاً وينشئون باطلاً. يخلقونه خلقاً بلا سابقة أو مقدمة، وينشئونه إنشاء من عند أنفسهم بلا أصل ولا قاعدة، وتخلقون إفكاً.. وثالثها أن هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعاً ولا ترزقهم شيئاً: ﴿**إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً**..﴾ وفي الخطوة الرابعة يوجههم إلى الله ليطلبوا منه الرزق، الأمر الذي يهمهم ويمسّ حاجتهم: ﴿**فابتغوا عند الله الرزق**..﴾ فالرزق مشغلة النفوس، وبخاصة تلك التي لم يستغرقها الإيمان.. ولكن ابتغاء الرزق من الله وحده حقيقة لا مجرد استشارة للميول الكامنة في النفوس. وفي النهاية يهتف بهم إلى واهب الأرزاق المتفضل بالنعم؛ ليعبدوه ويشكروه: ﴿**واعبدوه واشكروا له**..﴾ وأخيراً يكشف لهم أنه لا مفر من الله.. فمن الخير أن يرجعوا إليه مؤمنين عابدين شاكرين: و ﴿**إليه ترجعون**..﴾

التوجيه الثالث: ﴿وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين..﴾: في هذا التوجيه توجيه الكلام لكل مكذب سواء كان في وقت إبراهيم أو قبله أو بعده إلى وقت نزول القرآن الذي جاء خلاصة لكل الرسالات التي سبقته في الزمان. فهو في هذا التوجيه يأخذهم السياق خطوة خطوة ويدخل إلى قلوبهم من مداخلها، ويوقع على أوتارها في دقة عميقة. وهذه الخطوات التي سار عليها إبراهيم، وكل من قبله ومن بعده من الأنبياء، تعد نموذجاً لكل طريقة من طرق الدعوة، جديراً بأن يتملاه أصحاب كل دعوة؛ لينسجوا على منواله في مخاطبة النفوس والقلوب.. ثم بعد هذا يقف وقفة يخاطب بها كل منكر لدعوة الإيمان بالله على الإطلاق، المكذبين بالرجعة إلى الله والبعث والمآب: ﴿**أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير**..﴾ فهذا توجيه لكل منكر لله ولقائه. توجيه دليله هذا الكون، ومحله السماء والأرض.. فهو توجيه على طريقة القرآن في اتخاذ الكون كله مَعْرَضًا لآيات الإيمان ودلائله.. وصفحة مفتوحة للحواس والقلوب تبحث فيها عن آيات الله، وترى دلائل وجوده ووحدانيته وصدق وعده ووعيده. ومشاهد الكون وظواهره حاضرة أبداً لا تغيب عن إنسان.. ولكنها تفقد جدّتها في نفوس الناس بطول الألفة.. ويضعف إيقاعها على قلوب البشر بطول التكرار..

فيردهم القرآن الكريم إلى تلك الروعة الغامرة، وإلى تلك الآيات الباهرة بتوجيهه الموحى المحيي للمشاهد والظواهر في القلوب والضمائر؛ ويثير تطلعهم

وانتباههم إلى أسرارها وآثارها؛ ويجعل منها دلائله وبراهينه التي تراها الأبصار وتتأثّر بها المشاعر؛ ولا يتخذ طرائق الجدل الذهني البارد والقضايا الفرضية التي لا حياة فيها ولا حركة.. تلك التي وفدت على التفكير الإسلامي من خارجه.. فظلّت غريبة عليه.. وفي القرآن المثل والمنهج والطريق: ﴿**أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير..**﴾ فإنهم ليرون كيف يبدىء الله الخلق: يرونه في النبتة النامية، وفي البيضة والجنين، وفي كل ما لم يكن ثم يكون؛ مما لا تملك قدرة البشر مجتمعين ومنفردين أن يخلقوه، أو يدّعوا أنهم خالقوه! وإن سر الحياة وحده لمعجز، كان وما يزال، معجزاً في معرفة منشئه وكيف جاء ـ ودع عنك أن يحاوله أحد أو يدّعيه ـ ولا تفسير له إلا أنه من صنع الله! الذي يبدىء الخلق ثم يعيده في كل لحظة تحت أعين الناس وإدراكهم؛ وهم يرون ولا يملكون الإنكار! إن ذلك على الله يسير. وليس في خلق الله شيء عسير عليه تعالى ولكنه يَقِيِسْ للبشر بمقاييسهم.. فالإعادة أيسر من البدء في تقديرهم.. وإلاّ.. فالبدء كالإعادة والإعادة كالبدء بالقياس إلى قدرة الله سبحانه وتعالى.. ثم يدعوهم إلى السير في الأرض، وتتبع صنع الله وآياته في الخلق والإنشاء، في الجامد والحي سواء؛ ليدركوا أن الذي أنشأ يُعيد بلا عناء: ﴿**قل: سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق، ثم الله ينشىء النشأة الآخرة..**﴾ فالسير في الأرض يفتح العين والقلب على المشاهد الجديدة التي لم تألفها العين ولم يملها القلب. وهي لفتة عميقة إلى حقيقة دقيقة. وإن الإنسان ليعيش في المكان الذي ألفه فلا يكاد ينتبه إلى شيء من مشاهده أو عجائبه.. حتى إذا سافر وتنقل وساح استيقظ حسه وقلبه إلى كل مشهد، وإلى كل مظهر في الأرض الجديدة مما كان يمر على مثله أو أروع منه في موطنه دون التفات وانتباه. وربما عاد إلى موطنه بحس جديد وروح جديد ليبحث ويتأمل ويعجب بما لم يكن يهتم به قبل سفره وغيبته.

وعادت مشاهد موطنه وعجائبها تنطق له بعد ما كان غافلاً عن حديثها؛ أو كانت لا تفصح له بشيء ولا تناجيه! فسبحان منزل هذا القرآن، الخبير بمداخل القلوب وأسرار النفوس! فالقرآن هنا يوجه توجيهاته التي تناسب الناس على حسب بيآتهم ومستوياتهم وملابسات حياتهم ووسائلهم؛ ليأخذ كل واحد منها بما تؤهله له ظروف حياته ومقدراته.. ويبقى فيها امتداد يصلح لقيادة الحياة ونموها أبداً:

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾. يبدأ الحياة ويعيدها بهذه القدرة المطلقة التي لا تتقيد بتصورات البشر القاصرة، وما يحسبونه قوانين يقيسون عليها الممكن وغير الممكن بما يعرفونه من تجاربهم المحدودة. ومن قدرة الله على كل شيء تعذيبه لمن يشاء ورحمته لمن يشاء وإليه وحده المآب، لا يعجزه أحد ولا يمتنع عليه شيء: **﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون. وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. .﴾** فالعذاب والرحمة يتبعان مشيئة الله من حيث إنه بيّن طريق الهدى وطريق الضلال. والله سبحانه وتعالى خلق للإنسان من الاستعداد ما يختار به هذا أو ذاك. . ويسر له الطريقين سواء. . وهو بعد ذلك وما يختار. . غير أن اتجاهه إلى الله ورغبته في هداه ينتهيان به إلى عون الله له ـ كما كتب على نفسه ـ وإعراضه عن دلائل الهدى وصده عنها يؤديان به إلى الانقطاع والضلال. ومن ثمّ تكون الرحمة ويكون العذاب. وإليه تقلبون. . فليس لكم من قوة في هذا الوجود تمتنعون بها عن الانقلاب إلى الله. لا من قوتكم في الأرض، ولا من قوة ما تعبدونه في السماء من كواكب وأفلاك وأرواح. . فأين من دون الله الولي والنصير؟ أين الولي والنصير من الناس؟ وأين الولي والنصير من النجوم والكواكب والأفلاك والأرواح؟!. . فكلهم عباد من خلق الله، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فوق أن يملكوا لسواهم شيئاً!. . **﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي. .﴾** فهذه هي النهاية. وهذه هي السيئة المحتمة التي غفل عنها الإنسان. . فابتعد عن رحمة الرحمان!. ذلك أنه لا ييأس الإنسان من رحمة الرحمان إلا حين يكفر ويستنكر، ويقول: وما الرحمان؟! فعندئذ ينقطع ما بينه وبين ربه. . فيستحوذ عليه الشيطان! فينسيه ذكر الرحمان. والعاقبة معروفة: **﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾!**

التوجيه الرابع: ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: اقتلوه أو حرقوه. . .﴾: في هذا التوجيه عودةٌ لإكمال قصة إبراهيم ونهاية أمره مع قومه. . فهذا هو جوابهم له: اقتلوه أو حرقوه! هذا هو الرد على تلك الدعوة الواضحة البسيطة المرتبة التي خاطب بها قلوبهم وعقولهم على النحو الذي مر تفصيله. وإذ إن الطغيان أسفر عن وجهه الكالح، ولم يكن إبراهيم يملك له دفعاً، ولا يستطيع منه وقاية، وهو فرد أعزل لا حول له ولا قوة، وهنا تتدخل القدرة سافرة كذلك. تتدخل بالمعجزة الخارقة لمألوف البشر: **﴿فأنجاه الله من النار. .﴾** فكان في نجاته من النار على

النحو الخارق الذي تمت به آية لمن تهيّأ قلبُه للإيمان. . ولكن القوم لم يؤمنوا على الرغم من هذه الآية الخارقة. . فدل هذا على أن الخوارق لا تهدي القلوب. . إنما هو الاستعداد للهدى والإيمان: إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. . فهي آيات في ضمن تلك الآية الخارقة: الآية الأولى ـ هي تلك النجاة من النار. . والآية الثانية ـ هي عجز الطغيان عن إيذاء رجل واحد يريد الله له النجاة. والآية الثالثة ـ هي أن الخارقة لا تهدي القلوب الجاحدة. ويمضي السياق في القصة بعد نجاة إبراهيم من النار. . فلقد يئس إبراهيم من إيمانِ القومِ الذين لم تلن قلوبهم للمعجزة الواضحة. . فإذا هو يجبههم بحقيقة أمرهم قبلَ أن يعتزلهم جميعاً: ﴿**وقال: إنما اتخذتّم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا. .**﴾ فهو يقول لهم: إنكم اتخذتم الأوثان من دون الله، لا اعتقاداً واقتناعاً بأحقية هذه العبادة. . إنما يجامل بعضكم بعضاً، ويوافق بعضكم بعضاً على هذه العبادة نزولاً لرغبة زُعمائكم وكبرائكم، ولا يريد الصاحب أن يترك عبادة صاحبه استبقاء على المودة التي صارت تتحكم كما تتحكم العقيدة الصحيحة. . فأصبحت العبادات عادة من العادات، وأن هذا الأمر ليقع في المجتمع الذي لا يأخذ العقيدة مأخذ الجد. . بل تصير عنده من اللعب واللهو والمسلبات المغريات!

فيسترضى الصاحب صاحبه على حساب العقيدة، ويرى أمرها أهون من أن يخالف عليه صديقه مهما كان باطلاً من أوضح المبطلات!. . ثم يكشف لهم عن صفحتهم في الآخرة. . فإذا المودة التي يخشون أن يمسوها بالخلاف على العقيدة، والتي يبقون على عبادة الأوثان محافظة عليها. . فإذا هي يوم القيامة عداء ولعن وانفصام: ﴿**ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً. .**﴾ يوم يتنكر التابعون للمتبوعين، ويكفر الأولياء بالأولياء، ويتهم كل فريق صاحبه أنه أضله، ويلعن كل غويّ صاحبه الذي أغواه!. . ثم لا يجدي ذلك الكفرُ والتلاعنُ شيئاً، ولا يدفع عن أحد عذاباً: ﴿**ومأواكم النار وما لكم من ناصرين**﴾! النار التي أرادوا أن يحرّقوه بها. . فنصره الله منها ونجّاه. . فأما هم فلا نصرة لهم ولا نجاة! وانتهت دعوة إبراهيم لقومه، والمعجزة التي لا شك فيها. انتهت هذه وتلك بإيمان فرد واحد. هو لوط، ابن أخيه فيما تذكر بعض الروايات. . وهاجر لوط مع إبراهيم من العراق إلى الشام: ﴿**فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم. .**﴾ فها هو إبراهيم يهاجر ومعه لوط؛ لنرى فيم هاجر؟ إنه لم

يهاجر للنجاة، ولم يهاجر إلى أرض أو كسب أو تجارة.. إنما هاجر إلى ربه.. هاجر متقرباً له ملتجئاً إلى حماه.. هاجر إليه بقلبه وعقيدته قبل أن يهاجر بلحمه ودمه.. هاجر إلى ربه ليخلص له عبادته، ويخلص له قلبه ويخلص له كيانه في مهجره بعيداً عن موطن الكفر والضلال.. بعد أن لم يبق رجاء في أن يفيء القوم إلى الهدى والإيمان بحال. وعوض الله إبراهيم عن وطنه وعن قومه وعن أهله - عوضه عن هذا كله ذرية تمضي فيها رسالة الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. فكل الأنبياء وكل الدعوات بعده كانت في ذريته. وهو عوض ضخم في الدنيا والآخرة: ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوءة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين**..﴾ فهو فيض من العطاء جزيل.. فقد وهب الله له مع هذا إسماعيل.. فقد جاء في سورة الصافات: ﴿**وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين. فبشرناه بغلام حليم**﴾. والحليم هو إسماعيل. أما إسحاق فهو الغلام العليم؛ كما جاء في محكم التنزيل. وهذا العطاء يتجلى فيه رضوان الله تعالى على الرجل الذي يتمثل فيه الخلوص لله بكليته. والذي أجمع الطغيان على حرقه بالنار.. فكان كل شيء من حوله برداً وسلاماً وعطفاً وإنعاماً، جزاءً وفاقاً.

التوجيه الخامس: ﴿**ولوطا إذ قال لقومه: إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**..﴾: في هذا التوجيه عرض قصة لوط عقب عرض قصة إبراهيم.. فقد هاجر معه. وجاءا معاً إلى أرض الشام.. فنزل لوط حول غور الأردن.. ونزل إبراهيم حول فلسطين.. فمن خطاب لوط لقومه الذين عاش معهم فصاروا قومه بالصهر والمعيشة، يظهر أن الفساد قد استشرى فيهم بكل ألوانه.. فهم يأتون الفاحشة الشاذة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين: ﴿**أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر**..﴾ فهم يقطعون السبيل.. فينهبون المال.. ويروعون المارة.. فيعتدون على الرجال بالفاحشة كرهاً.. وهي خطوة أبعد في الفاحشة الأولى؛ إلى جانب السلب والنهب والإفساد في الأرض.. ويأتون في ناديهم المنكر.. يأتونه جهاراً، وفي شكل جماعي متفق عليه.. لا يخجل بعضهم من بعض. وهي درجة أبعد في الفحش، وفساد الفطرة، والتبجح بالرذيلة إلى حد لا يرجى معه صلاح: ﴿**فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين**..﴾ فهو التبجح في وجه الإنذار..

والتحدي المصحوب بالتكذيب والإصرار.. والشرود الذي لا تنتظر منه أوية ولا توبة ولا استغفار.. وقد أعذر إليهم رسولهم وحذرهم مما هم فيه من الفسق المبين.. فلم يبق إلا أن يتوجه إلى ربه طالباً منه النصر على القوم المفسدين.. وهنا يسدل الستار على دعاء لوط؛ ليرفع عن الاستجابة وفي الطريق يلم الملائكة المكلفون بالتنفيذ بإبراهيم يبشرونه بولد صالح عليم من امرأة عجوز عقيم: ﴿**ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين. قال: إن فيها لوطاً**..﴾ فهذا المشهد مشهد الملائكة مع إبراهيم - مختصر في هذا الموضع؛ لأنه ليس مقصوداً.. فالمقصود إتمام قصة لوط.. فذكر أن مرور إبراهيم كان للبشرى ولإهلاك أهل القرية الظالمين.. فأدركت إبراهيم رقته ورأفته.. فراح يُذكّر الملائكة أن في هذه القرية لوطاً؛ وهو صالح وليس بظالم.. فأجابه الرسل بما يطمئنه من ناحيته، ويكشف له عن معرفتهم بمهمتهم وأنهم أولى بهذه المعرفة: ﴿**قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين**..﴾ فقد كان هواها مع القوم. تقر جرائمهم وانحرافهم! وهو أمر عجيب.. ثم ينتقل السياق إلى مشهد ثالث: مشهد لوط وقد جاء إليه الملائكة في هيئة فتية صباح ملاح! وهو يعلم شنشنة قومه، وما ينتظر ضيوفه هؤلاء منهم من سوء لا يملك له دفعاً.. فضاق بهم ذرعاً وساءه حضورهم إليه في هذا الظرف العصيب: ﴿**ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعا**..﴾

ويختصر هنا هجوم القوم على الضيوف، ومحاورة لوط لهم وهم في سعار الشذوذ المريض.. فيمضي إلى النهاية الأخيرة؛ إذ يكشف له الرسل عن حقيقتهم ويخبرونه بمهمتهم، وهو في هذا الكرب وذلك الضيق: ﴿**وقالوا: لا تخف ولا تحزن، إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين. إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون**..﴾ فترسم هذه الآية مشهد التدمير الذي أصاب القرية وأهلها جميعاً.. إلا لوطاً وأهله الصالحين.. وما تزال آثار هذا التدمير باقية تُحدّث عن آيات الله لمن يعقلها ويتدبرها من القرون: ﴿**ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون**..﴾ فكان هذا هو المصير الطبيعي لهذه الشجرة الخبيثة التي فسدت وأَنْتَنَتْ.. فلم تعد صالحة للإثمار.. وإنما يحق أن تحرق بالنار؛ لتطهر الأرض من الخبائث والأشرار؟!..

التوجيه السادس: ﴿**وإلى مدين أخاهم شعيباً، فقال: يا قوم اعبدوا الله وارجوا**

اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين..﴾: في هذا التوجيه الإشارة باختصار إلى قصة شعيب ومدين وإلى مصرع عاد وثمود.. وفرعون وهامان وقارون، فهي إشارة تبيّن وحدة الدعوة، ولباب العقيدة. وعبادة الله الواحد هي قاعدة العقيدة. ورجاءُ اليوم الآخر كفيل بتحويلهم عما كان عليه قوم شعيب من الكسب الحرام بالتطفيف في الكيل والميزان، وغصب المارين بطريقهم لأموالهم.. وبخس الناس أشياءهم.. والإفساد في الأرض والاستطالة على الخلق. وفي اختصار يذكر السياق انتهاء أمرهم إلى تكذيب رسولهم وأخذهم بإهلاكهم وتدميرهم: **﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين..﴾** ثم إشارة إلى مصرع عاد وثمود: **﴿وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم..﴾** فهذه الإشارة المجملة تكشف عن سر ضلالهم. وهو سر ضلال الآخرين: **﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين..﴾** فقد كانت لهم عقول.. وكانت أمامهم دلائل الهدى.. ولكن الشيطان استهواهم وزين لهم أعمالهم.. فأتاهم من هذه الثغرة المكشوفة: وهي غرورهم بأنفسهم.. وإعجابهم بما يأتونه من الأعمال.. وانخداعهم بما هم فيه من قوة ومال ومتاع..

ثم إشارة كذلك إلى قارون وفرعون وهامان: **﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين..﴾** فقارون كان من قوم موسى.. فبغى عليهم بثروته وعلمه.. فلم يستمع نصح الناصحين بالإحسان والاعتدال والتواضع وعدم البغي والفساد.. وفرعون كان طاغية غشوماً.. يرتكب أبشع الجرائم وأغلظها.. ويُسخر الناس ويجعلهم شيعاً.. ويقتل ذكور بني إسرائيل ويستحي نساءهم عتواً وظلماً.. وهامان كان وزيره المدبر لمكائده، المعين له على ظلمه وبطشه.. فهؤلاء الذين ملكوا القوة والمال، وأسباب البقاء والغلبة قد أخذهم الله جميعاً بعد ما فتنوا الناس وآذوهم طويلاً.. فلم يعصمهم الثراء والقوة والدهاء. لم تعصمهم من أخذ الله، ولم تجعلهم ناجين ولا مفلتين من عذاب الله: **﴿وما كانوا سابقين.. فكلاً أخذنا بذنبه.. فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾**؛ كعاد وقوم لوط﴿.. **ومنهم من أخذته الصيحة﴾**؛ كثمود ومدين.. **﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾**؛ كقارون وقوم لوط.. **﴿ومنهم من أغرقنا﴾**؛ كقوم نوح وفرعون وقومه.. فذهبوا جميعاً مأخوذين بظلمهم: **﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**.

التوجيه السابع: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون..﴾: في هذا التوجيه ضرب المثل لحقيقة القوى المتصارعة في هذا المجال: مجال قوة الخالق الحق، وقوة المخلوق الضعيف المتسلق! إن هنالك قوةً واحدة. هي قوة الله. وما عداها من قوة الخلق فهو هزيل واهن! من تعلق به أو احتمى فهو كالعنكبوت الضعيفة تحتمي ببيت من خيوط واهية.. فهي وما تحتمي به سواء! إنه تصوير عجيب صادق لحقيقة القوى في هذا الوجود. الحقيقة التي يغفل عنها الناس.. فيسوء تقديرهم لجميع القيم.. ويفسد تصورهم لجميع الارتباطات.. وتختل في أيديهم جميع الموازين.. ولا يعرفون إلى أين يتوجهون؟. ماذا يأخذون، وماذا يدعون؟!.. فعندئذ تخدعهم قوة الحكم والسلطان.. يحسبونها القوة القادرة التي تعمل في هذه الأرض.. فيتوجهون إليها بمخاوفهم ورغائبهم.. ويخشونها ويفزعون منها.. ويترضونها ليكفوا عن أنفسهم أذاها، أو يضمنوا لأنفسهم حماها.. وتخدعهم قوة المال.. يحسبونها القوة المسيطرة على أقدار الناس وأقدار الحياة.. ويتقدمون إليها في رغب وفي رهب؛ ويسعون للحصول عليها ليستطيلوا بها ويتسلطوا على الرقاب كما يحسبون!.. وتخدعهم قوة العلم.. يحسبونها أصل القوة وأصل المال، وأصل سائر القوى التي يصول بها من يملكها ويجول.. ويتقدمون إليها خاشعين، كأنهم عُبّادٌ في المحاريب!.. وتخدعهم هذه القوى الظاهرة..

تخدعهم في أيدي الأفراد، وفي أيدي الجماعات، وفي أيدي الدول.. فيدورون حولها، ويتهافتون عليها؛ كما يدور الفراش على المصباح، وكما تتهافت الحشرات على النار! وينسون القوة الواحدة التي تخلق سائر القوى الصغيرة، وتملكها، وتمنحها، وتوجهها، وتسخرها كما تريد، حيثما تريد. وينسون أن الالتجاء إلى تلك القوى سواء كانت في أيدي الأفراد، أو الجماعات، أو الدول.. كالتجاء العنكبوت إلى بيت العنكبوت.. فليس هنالك إلا حماية الله، وإلا حماه، وإلا ركنه القوي الركين. هذه الحقيقة الضخمة هي التي عنى القرآن بتقريرها في نفوس الفئة المؤمنة.. فكانت بها أقوى من جميع القوى التي وقفت في طريقها.. وداست بها على كبرياء الجبابرة في الأرض.. ودُكّت بها المعاقل والحصون. لقد استقرت هذه الحقيقة الضخمة في كل نفس؛ وعمرت كل قلب، واختلطت بالدم،

وجرت في العروق، ولم تعد كلمة تقال باللسان، ولا قضية تحتاج إلى جدل.. بل بديهة مستقرة في النفس، لا يجول غيرها في حس ولا خيال. قوة الله وحدها هي القوة. وولاية الله وحدها هي الولاية. وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل؛ مهما علا واستطال، ومهما تجبر وطغى، ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل.

إنها العنكبوت؛ وما تملك من القوى ليست سوى خيوط العنكبوت: ﴿**وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**﴾. وإن أصحاب الدعوات الذين يتعرضون للفتنة والأذى، وللإغراء والإغواء، لَجَدِيرُونَ أن يقفوا أمام هذه الحقيقة الضخمة، ولا ينسوها لحظة، وهم يواجهون القوى المختلفة: هذه تضربهم وتحاول أن تسحقهم.. وهذه تستهويهم وتحاول أن تشتريهم.. وكلها خيوط العنكبوت في حساب الله، وفي حساب العقيدة حين تصح العقيدة، وحين تعرف حقيقة القوى وتحسن التقويم والتقدير.. فعندئذ تحقق عند كل مؤمن معنى هذه الآية: ﴿**إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم**..﴾ فإنكم تستعينون أيها المشركون بأولياء تتخذونهم من دون الله آلهة وشفعاء.. والله يعلم حقيقة هؤلاء الأدعياء.. فهي الحقيقة التي صورت في المثل السابق.. عنكبوت تحتمي بخيوط العنكبوت! وهو العزيز الحكيم: هو وحده العزيز القادر القاهر الحكيم المدبر لهذا الوجود. ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾: هذه الأمثال التي اتخذها الكافرون مادة للسخرية والتهكم! ولم يهز مشاعرهم هذا التصوير العجيب؛ لأنهم لا يعقلون ولا يعلمون: وما يعقلها إلا العالمون. ويربط تلك الحقيقة الضخمة التي قدمها بالحق الكبير في تصميم هذا الكون كله على طريقة القرآن في ربط كل حقيقة بذلك الحق الكبير: ﴿**خلق الله السماوات والأرض بالحق**..﴾ فهكذا تجيء هذه الآية عقب قصص الأنبياء.. وعقب المثل المصور لحقيقة القوى في الوجود، متناسقة معها مرتبطة بها ـ بتلك الصلة الملحوظة: صلة الحقائق المتناثرة كلها بالحق الكامن في خلق السماوات والأرض، والذي قامت به السماوات والأرض ـ في ذلك النظام الدقيق الذي لا يتخلف ولا يبطىء ولا يختلف ولا يصدم بعضه بعضاً؛ لأنه حق متناسق لا عوج فيه! ﴿**إن في ذلك لآية للمؤمنين**﴾، الذين تتفتح قلوبهم لآيات الله الكونية المبثوثة في تضاعيف هذا الكون وحناياه، المشهودة في تنسيقه وتنظيمه، المنثورة في

جوانبه حيثما امتدّت الأبصار. والمؤمنون هم الذين يدركونها؛ لأنهم مفتوحو البصائر والمشاعر للتلقي والإدراك لهذه الحكم والأسرار!

وفي نهاية الشوط يربط السياق الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ ويربط الصلاة وذكر الله بالحق الذي في السماوات والأرض وبسلسلة الدعوة من لدن نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿**اتل ما أوحي إليك من الكتاب، وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون**..﴾ اتل ما أوحي إليك من الكتاب.. فهو وسيلتك للدعوة، والآية الربانية المصاحبة لها، والحق المرتبط بالحق الكامن في خلق السماوات والأرض. وأقم الصلاة، إن الصلاة ـ حين تقام ـ تنهى عن الفحشاء والمنكر.. فهي اتصال بالله يخجل صاحبه ويستحيي أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها؛ ليلقى الله بها. وهي تُطهِّر وتجردٌ لا يتسق معهما دنس الفحشاء والمنكر.. فهي حين تقام ذكر الله. وذكر الله أكبر.. أكبر إطلاقاً. أكبر من كل اندفاع ومن كل نزوع وأكبر من كل تعبد وخشوع. والله يعلم ما تصنعون.. فلا يخفى عليه.. ولا يلتبس عليه أمر.. وأنتم إليه راجعون.. فمجازيكم بما تصنعون!

تمّ الجزء العشرون بحمد الله تعالى ـ ويليه الجزء الواحد والعشرون مبدوءاً بقوله تعالى: ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**﴾. وهو بداية الثلث الثالث من القرآن الكريم. نسأله سبحانه أن يعين على إتمامه. آمين. والحمد لله رب العالمين.

1 ـ المجادلة بأحسن الكلام، مَبْدأ من مبادئ الإسلام

النص

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (46) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ (47) وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ (49) وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (50) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51) قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (52)

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿53﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿54﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿55﴾
يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿56﴾
كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿57﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿58﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿59﴾ * وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا
ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿60﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ
فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿61﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿62﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿63﴾
وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ
لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿64﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟
ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿65﴾

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿66﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿67﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿68﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿69﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿1﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿2﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿3﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿4﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿5﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿6﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿7﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿7﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿8﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿9﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿10﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿11﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿12﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿13﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿14﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿15﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن..**﴾ المجادلة: المناظرة والمخاصمة. والمنهي عنها المخاصمة بالباطل.. وأهل الكتاب: اليهود والنصارى. والتي هي أحسن: الطريقة التي هي أحسن الطرق. والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها. وأصل الجدل: شدة الفتل للحبل. وأطلق على كل قوي، ﴿**إلا الذين ظلموا منهم**﴾: هم الذين أفرطوا في الاعتداء، عناداً وإظهاراً

لكفرهم. ﴿**وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون..**﴾ الذي أنزل إلينا: القرآن. والذي أنزل إليكم: التوراة والإنجيل، قبل التغيير والتبديل. ﴿**وكذلك أنزلنا إليك الكتاب.. فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به..**﴾ الكتاب الأول: القرآن. والكتاب الثاني التوراة والإنجيل. يؤمنون به: هم الذين آمنوا من اليهود والنصارى.. ومن هؤلاء هم المسلمون من العرب. ﴿**وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون**﴾: وهم المعاندون المصممون على الكفر رغم ظهور الحجة لهم!.

﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون..**﴾ فلو كان محمد ﷺ - يقرأ أو يكتب لكان هناك حجة للمبطل.. ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾: إنه قرآن فيه آيات بينات نزل به الروح الأمين على قلب خاتم النبيين: ﴿**وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون: وقالوا: لولا أنزل عليه آيات من ربه، قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين..**﴾ المراد بالآيات هنا: المعجزات المادية؛ مثل معجزات الرسل السابقين. ﴿**أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم**﴾: أولم يكفهم يا محمد أننا أنزلنا عليك هذا القرآن على ما فيه من معجزات الحكمة وأصول الشريعة وأسس الاجتماع وقوانين العمران؟! ﴿**إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون. قل: كفى بالله بيني وبينكم شهيداً**﴾: قل لهم: كفى بالله شاهداً عليّ وعليكم ينصر المحق ويخذل المبطل: ﴿**يعلم ما في السماوات والأرض. والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون..**﴾ ﴿**ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون..**﴾ أجل مسمى: ميعاد مقدر، لا يتقدم ولا يتأخر. بغتة: فجأة. يقال: بغته يبغته بغتاً.. ﴿**يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين: يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول: ذوقوا ما كنتم تعملون..**﴾ يغشاهم: يغطيهم. يقال: غشيه يغشاه غشياً. وغشّاه: غطاه وستره. وهذا تفسير للإحاطة في قوله: وإن جهنم لمحيطة بالكافرين. والمعنى: يوم يغطيهم العذاب من جميع جوانبهم، ويقول الله لهم: ذوقوا ما كنتم تعملون. ﴿**يا عبادى الذين آمنوا إن أرضي واسعة.. فإياي فاعبدون..**﴾ فهو تحريض على الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإيمان بحيث لا يمنع المؤمن من إظهار دينه. ﴿**كل نفس ذائقة الموت.. ثم إلينا ترجعون**﴾: كل نفس مكتوب

عليها أن تذوق الموت.. ثم إلينا تعادون. ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**..﴾ لنبوئنهم: لنسكنَنّهم. يقال: بوأه بيتاً: أسكنه إياه.

وغرفاً: جمع غرفة. وهي العُليّة. وغرف الجنان ليست كغرف الدنيا. ﴿**نعم أجر العاملين. الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون.. وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم**..﴾ وكأيّن: اسم استفهام مثل كم الخبرية. دابة: كل ما يدب على الأرض يقال له دابة حتى الإنسان. لا تحمل رزقها: لا تحمل معها رزقها، ولا تدخره، ولا تفكر فيه. ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون**..﴾ فأنى: تكون بمعنى أين. ومتى. وحيث. وكيف. تؤفكون: يُصرفون. يقال: أفكه يأفكه إفكاً: صرفه عن وجهه الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم.. يبسط الرزق: يوسعه. عكسه يقدر. ﴿**ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون.. وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**..﴾ اللهو: الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة. كاستماع الملاهي وحضورها.. واللعب: مزاولة العمل الذي لا جدّ فيه ولا فائدة منه.. مأخوذ من لعاب الأطفال الخارج عند حركتهم الشاقة غير المفيدة. ﴿**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان**﴾: لهي الحياة الحقة. والحيوان: مصدر حيي سمي به ذو الحياة. وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة. ﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين**..﴾ الركوب: هو الاستعلاء على الشيء المتحرك. والركوب في الشيء: الدخول فيه. والفلك: السفينة، تستعمل مفرداً وجمعاً بلفظ واحد. ﴿ **فلما نجاهم إلى البرّ إذا هم يشركون.. ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون.. أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم**..﴾ أولم يروا: ألم ينظروا ولم يشاهدوا. أنا جعلنا حرماً آمنا: بلداً مصوناً من النهب والتعدّي سالماً أهله من كل سوء. والتخطف: الاختلاس والأخذ بالقتل والسلب والأسرّ والسبي. ﴿**أفبالباطل يؤمنون، وبنعمة الله يكفرون**﴾؟!..

﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في**

جهنم مثوى للكافرين. .﴾ المثوى: المنزل الذي يستقر فيه النازل في نهاية المطاف. **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين. .﴾ ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين. .﴾** غلبت الروم: مبني للمفعول من غلبت. يقال غلبه يغلبه غلباً وغَلَبا. والروم: دولة الرومان. الدولة المشهورة. . وأدنى الأرض: أرض العرب المعهودة عندهم. وهي جنوب الشام وشمال الحجاز. وكانت هذه الأرض محل صراع بين الروم والفرس، والبضع: من ثلاث سنين إلى تسع. **﴿لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ.﴾** قبل وبعد: ظرفان ينصبان مع الإضافة. ويبنيان على الضم إذا حذف المضاف ونوى معناه؛ كما هنا. . **﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾**: ويوم انتصار الروم يفرح المؤمنون. . **﴿ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون. . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. .﴾** يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا: هو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لأهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها. . والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، والنار مثوى لهم! **﴿أولم يتفكروا في أنفسهم؟!. .ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون. . ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. .﴾** كانوا أشد منهم قوة: كان من سبق من الأمم كفار قريش أقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة. وأثاروا الأرض: قلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن. . وزرع البذور. . وعمروها أكثر مما عمروها: عمر أولئك الذين ذكرت عاقبتهم الأرض بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها. . أكثر مما عمرت قريش كماً وكيفاً وزماناً؛ لأن قريشاً وأكثر العرب بوجه عام كانوا يعيشون في أرض قاحلة مقفرة. . وقريش بالذات هم أهل واد غير ذي زرع لا تبسُّط لهم في غيره. وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم؛ وهم ضعفة ملجئون إلى واد لا نفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس لولا فضل الله بهم!!

﴿**ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون**. .﴾ السوأى: تأنيث الأسوأ. وهي العاقبة السوأى التي هي أسوأ العقوبات وأفْظعُها! بسبب ما عملوا من السوء. . أن كذبوا بآيات الله: تفسير لأساءوا. ﴿**الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون. . ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون**﴾: يسكتون متحيّرين لا ينبسون بكلمة! يقال: ناظرته فأبلس، إذا سكت وأيس من أن يحتجّ. ﴿**ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين. . ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون**﴾: فريق في الجنة وفريق في السعير: ﴿**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون**. .﴾ الروضة: كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة!. . وتنكيرها للتفخيم. والمراد بها الجنة. والحبور: السرور. يقال: حبره إذا سره سروراً تهلل له وجهه. والحبرة: كل نعمة حسنة. والتحبير: التحسين. والمقصود من الحبور هنا جميع المسار. . فيشمل الإكرام والإنعام وكل ما فيه سرور في ذلك المقام!. . ﴿**وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون**﴾!. .

مبحث الإعراب

﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم وواو العطف. ﴿**الكتاب:**﴾ مضاف إلى أهل. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء. ﴿**بالتي**﴾ متعلق بفعل يدل عليه ولا تجادلوا. أي: جادلوهم بالتي هي أحسن. . ﴿**هي**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أحسن**﴾ خبر المبتدأ. والجملة صلة التي. ﴿**إلا الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. أي: جادلوا الذين. ﴿**ظلموا**﴾ فعل وفاعل. صلة الموصول. ﴿**منهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وقولوا**﴾ أمر معطوف على النهي. ﴿**آمنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿**بالذي**﴾ متعلق بآمنا. ﴿**أنزل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**إلينا**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**وأنزل إليكم**﴾ معطوف على أنزل إلينا. ﴿**وإلهنا**﴾ مبتدأ. معطوف على آمنا. ﴿**وإلهكم**﴾ معطوف على إلهنا. ﴿**واحد**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**ونحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**له**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**مسلمون**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**وكذلك**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمصدر مقدر. وذلك: في محل جر بالكاف. ﴿**أنزلنا**﴾ فعل وفاعل.

﴿**إليك**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول به. والتقدير: أنزلنا إليك الكتاب إنزالاً مثل ذلك الإنزال. ﴿**فالذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للترتيب. ﴿**آتيناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول ثان. والجملة صلة الذين. ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**به**﴾ متعلق بيؤمنون. والجملة خبر المبتدأ.

﴿**ومن**﴾ بمعنى بعض في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**هؤلاء**﴾ مبني على الكسر في محل جر بمن. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**يؤمن به**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**وما يجحد**﴾ فعل مضارع منفيّ بما. والواو للعطف. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بيجحد. ﴿**إلا الكافرون**﴾ فاعل يجحد. وإلا ملغاة لا عمل لها. ﴿**وما كنت**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي، والواو للعطف. ﴿**تتلو**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير المخاطب. والجملة خبر كان. ﴿**من قبله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من كتاب**﴾ مجرور لفظاً منصوب محلاً. مفعول تتلو. ﴿**ولا تخطه**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والواو للعطف. والفاعل ضمير المخاطب، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بيمينك**﴾ متعلق بتخطه. ﴿**إذن**﴾ جوابية. في محل نصب. ﴿**لارتاب المبطلون**﴾ فعل وفاعل. واللام مؤكدة أي: يرتاب المبطلون حين تكون تقرأ وتكتب. . ﴿**بل هو**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**آيات**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**بينات**﴾ نعت لآيات. ﴿**في صدور**﴾ متعلق بمحذوف نعت ثان لآيات. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى صدور. ﴿**أوتوا**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل صلة الذين. ﴿**العلم**﴾ مفعول به. ﴿**وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون**﴾: إعرابه مثل إعراب ما سبقه. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**لولا**﴾ حرف تحضيض. ﴿**أنزل**﴾ فعل ماض مبنيّ للمجهول. ﴿**عليه**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**آيات**﴾ نائب فاعل أنزل. ﴿**من ربه**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**قل: إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**الآيات**﴾ مبتدأ. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**وإنما**﴾ مثل ما سبقها. ﴿**أنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**نذير**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**مبين**﴾ نعت لنذير. ﴿**أو لم يكفهم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والواو للعطف. والهمزة للاستفهام. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**أنّا**﴾ أنّ واسمها. ﴿**أنزلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عليك**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول به. وجملة أنزلنا خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل يكفى. أي: أو لم يكفهم إنزالنا عليك

الكتاب. ﴿**يُتلى**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على الكتاب. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بيتلى. وجملة يتلى عليهم في محل نصب على الحال من الكتاب.

﴿**إن في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لرحمة**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**وذكرى**﴾ معطوف على رحمة. ﴿**لقوم**﴾ متعلق برحمة وذكرى على وجه التنازع. ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لقوم. ﴿**قل: كفى**﴾ فعل ماضٍ. ﴿**بالله**﴾ فاعل كفى جر بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**بيني**﴾ متعلق بقوله: شهيداً. ﴿**وبينكم**﴾ معطوف على بيني. ﴿**شهيداً**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**بالباطل**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**وكفروا بالله**﴾ معطوف على آمنوا بالباطل. ﴿**أولئك**﴾ مبتدأ ثان. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**الخاسرون**﴾ خبر المبتدأ الثاني.

والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول. ﴿**ويستعجلونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**بالعذاب**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولولا أجل**﴾ لولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. أجل مبتدأ. ﴿**مسمى**﴾ نعت لأجل مرفوع بضمة مقدرة على المحذوفة لالتقاء الساكنين. وخبر المبتدأ محذوف. ﴿**لجاءهم**﴾ فعل ماضٍ. واللام رابطة للجواب. والضمير المتصل بالفعل مفعول ﴿**العذاب**﴾ فاعل. وجملة لجاءهم العذاب جواب شرط لولا. ﴿**وليأتينهم**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واللام للقسم. والواو للعطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على العذاب. ﴿**بغتة**﴾ منصوب على الحال من العذاب. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لا يشعرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدأ. وجملة وهم لا يشعرون في محل نصب حال من الضمير المفعول في يأتينهم. ﴿**ويستعجلونك بالعذاب**﴾ معطوف على نظيره. ﴿**وإن جهنم**﴾ إن واسمها. ﴿**لمحيطة**﴾ خبر إنّ. واللام لتأكيد الخبر. ﴿**بالكافرين**﴾ متعلق بمحيطة. وجملة وإن جهنم لمحيطة بالكافرين حال من فاعل يستعجلونك. ﴿**يوم**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بمحيطة. يغشاهم﴾ فعل مضارع. والضمير

المتصل بالفعل مفعول. ﴿**العذاب**﴾ فاعل. ﴿**من فوقهم**﴾ متعلق بيغشاهم. ﴿**ومن تحت**﴾ معطوف على من فوقهم.

﴿**أرجلهم**﴾ مضاف إلى تحت. ﴿**ويقول**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير مستتر يعود على الله. والجملة معطوفة على يغشاهم. ﴿**ذوقوا:**﴾ مقول القول. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم تعملون صلة ما. ﴿**يا عبادي**﴾ منادى منصوب بفتحة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى عباد. وحركت بالفتحة تَخْفِيفاً. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب نعت لعباد. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**إنّ أرضي**﴾ إن واسمها. ﴿**واسعة**﴾ خبر إنّ﴾ ﴿**فإياي**﴾ مفعول بفعل مقدر. والفاء للسببية.

﴿**فارهبوني**﴾ أمر موجه إلى العباد. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب. وحذفت تحقيقاً. والفاء في قوله: فاعبدون عطف على الفعل المقدر. ﴿**كل**﴾ مبتدأ. ﴿**نفس**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**ذائقة**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**الموت**﴾ مضاف إلى ذائقة. ﴿**ثم**﴾ حرف عطف. ﴿**إلينا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**ترجعون**﴾ فعل مبني للمجهول. والواو نائب الفاعل. والجملة معطوفة بثم على ما قبلها. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وعملوا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به. ﴿**لنبوأنهم**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل نحن. واللام للقسم. والجملة خبر المبتدأ. ﴿**من الجنة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**غرفاً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل.. وجملة تجري من تحتها الأنهار نعت لقوله: غرفاً. ﴿**خالدين**﴾ حال من الضمير لنبوأنهم. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالحال. ﴿**نعم**﴾ فعل ماض، ﴿**أجرُ**﴾ فاعل. ﴿**العاملين**﴾ مضاف إلى أجر. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للعاملين. ﴿**صبروا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**وعلى ربهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يتوكلون**﴾ فعل وفاعل. عطف على الصلة. ﴿**وكأيّن**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**من دابة**﴾ بيان لكأيّن. ﴿**لا تحمل**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على دابة. ﴿**رزقها**﴾ مفعول به. وجملة لا تحمل خبر

المبتدأ. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**يرزقها**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله ﴿**وإياكم**﴾ معطوف على الضمير المفعول. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف.

﴿**السميع**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**العليم**﴾ خبر ثان. ﴿**ولئن سألتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط إن. واللام للقسم. والواو للعطف. ﴿**مَنْ**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ ﴿**السماوات**﴾ مفعول به. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. وجملة خلق خبر المبتدأ. ﴿**وسخر**﴾ معطوف على خلق. ﴿**الشمس**﴾ مفعول به. ﴿**والقمر**﴾ معطوف عليه. ﴿**ليقولن**﴾ فعل مضارع اتصلت به نون التوكيد الثقيلة وحذفت منه نون الرفع، وواو الجماعة الفاعل. والجملة واقعة في جواب القسم سدت مسد جواب الشرط. ﴿**الله**﴾ فاعل بفعل مقدر يدل عليه خلق. أي: خلقها الله وسخرها الله.

﴿**فأنى**﴾ ظرف متعلق بما بعده. والفاء للترتيب. ﴿**يؤفكون**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**يبسط**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر المبتدأ. ﴿**الرزق**﴾ مفعول به. ﴿**لمن**﴾ متعلق بيبسط. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. ﴿**من عباده**﴾ متعلق بيشاء. ﴿**ويقدر**﴾ معطوف على يبسط. ﴿**له**﴾ متعلق بيقدر. ﴿**إن الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**بكل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عليم**﴾ خبر إنّ. ﴿**ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء**﴾ إعراب هذا مثل إعراب ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض. ﴿**فأحيا**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على منْ. ﴿**به**﴾ متعلق بأحيا. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به. ﴿**مِنْ بعدِ**﴾ متعلق بأحيا. ﴿**موتها**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**ليقولن الله**﴾ مثل ليقولن الله السابقة. ﴿**قل: الحمد**﴾ مبتدأ. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**أكثرهم**﴾ مبتدأ. ﴿**لا يعقلون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدأ. ﴿**وما هذه**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**الحياة**﴾ عطف بيان لهذه. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**إلا لهو**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**ولعب**﴾ معطوف على لهو. ﴿**وإن الدار**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الآخرة**﴾ نعت للدار. ﴿**لهي**﴾ في محل رفع مبتدأ. واللام للتأكيد. ﴿**الحيوان**﴾

خبر المبتدأ. وجملة لهي الحيوان خبر إنّ. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها.

﴿**يعلمون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعلمون فعل شرط لو وجواب الشرط محذوف. أي: لو كانوا يعلمون ما آثروا عليها الدنيا. ﴿**فإذا**﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه. والفاء للتعقيب والترتيب. ﴿**ركبوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**في الفلك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**دعوا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة جواب شرط إذا. ﴿**مخلصين**﴾ حال من فاعل دعوا. ﴿**له**﴾ متعلق بمخلصين. ﴿**الدين**﴾ مفعول به. ﴿**فلما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. والفاء للترتيب. ﴿**نجاهم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة فعل شرط لمّا. ﴿**إلى البر**﴾ متعلق بنجاهم. ﴿**إذا:**﴾ فجائية. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يشركون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المتبدأ. وجملة إذا هم يشركون جواب شرط لمّا. والرابط إذا الفجائية. ﴿**ليكفروا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لام الأمر الجازمة. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**آتيناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ما. ﴿**وليتمتعوا**﴾ معطوف على ليكفروا. ﴿**فسوف**﴾ حرف تسويف. والفاء للتعقيب.

﴿**يعلمون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أولم يروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. وواو العطف. وهمزة الاستفهام. ﴿**أنا**﴾ أنّ واسمها. ﴿**جعلنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر أنّ. ﴿**حرماً**﴾ مفعول به. ﴿**آمنا**﴾ نعت له. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بيروا. ﴿**ويُتخطف**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**الناسُ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**من حولهم**﴾ متعلق بيتخطف. وجملة يتخطف الناس في محل نصب حال من فاعل يروا. ﴿**أفبالباطل**﴾ متعلق بيؤمنون الآتي. والفاء للتعقيب. والهمزة للاستفهام. ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وبنعمة**﴾ معطوف على الباطل. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى نعمة. ﴿**يكفرون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ومَنْ**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**أظلمُ**﴾ خبر المبتدأ. والواو للعطف. ﴿**ممن**﴾ متعلق بأظلم. ﴿**افترى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**على الله**﴾ متعلق بافترى. ﴿**كذباً**﴾ مفعول به. ﴿**أو كذب**﴾ معطوف على افترى. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بكذب. ﴿**لما**﴾ ظرف متعلق بكذب. ﴿**جاءه**﴾ فعل

ماض. والفاعل ضمير يعود على الحق. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**أليس**﴾ فعل ماض ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر. والهمزة للاستفهام. ﴿**في جهنم**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**مثوى**﴾ اسم ليس مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**للكافرين**﴾ متعلق بمثوى. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**جاهدوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**فينا**﴾ متعلق بجاهدوا.

﴿**لنهدينَّهم**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واللام لام القسم. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**سبلنا**﴾ مفعول ثان. وجملة لنهدينهم سبلنا خبر المبتدأ. ﴿**وإن الله**﴾ إنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**لمع**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**المحسنين**﴾ مضاف إلى مع. ﴿**ألمَّ**﴾ حروف مسرودة لا محل لها من الإعراب. ﴿**غُلبت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**الرومُ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**في أدنى**﴾ متعلق بغلبت. ﴿**الأرض**﴾ مضاف إلى أدنى. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بسيغلبون الآتي. ﴿**غلبهم**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**سيغلبون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه سين التنفيس. ﴿**في بضع**﴾ متعلق بسيغلبون. ﴿**سنين**﴾ مضاف إلى بضع. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الأمر**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بالخبر. وقبلُ مبنيّ على الضم في محل جر لحذف المضاف إليه ونية معناه. ﴿**ومن بعدُ**﴾ معطوف على من قبل. ﴿**ويومئذ**﴾ يوم منصوب على الظرفية متعلق بيفرح. إذن في محل جر مضاف إلى يوم. والتنوين عوض عن جملة مقدرة. أي: ﴿**يفرح المؤمنون**﴾ يوم إذ ينصر الله المؤمنين. ﴿**بنصر الله**﴾ متعلق بيفرح. ﴿**ينصر**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. وجملة ينصر استئناف مقرر لما قبله. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**العزيز**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**الرحيم**﴾ خبر ثانٍ. ﴿**وعد**﴾ مفعول مطلق بفعل مقدر. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى وعد. ﴿**لا يخلف الله وعده**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر. ﴿**ولكن أكثر**﴾ لكنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أكثر. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة في محل رفع خبر لكنّ. ﴿**يعلمون ظاهراً**﴾ فعل وفاعل ومفعول. وجملة يعلمون

ظاهراً استئناف بياني. ﴿**من الحياة**﴾ متعلق بظاهراً. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عن الآخرة**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**غافلون**﴾ خبر المبتدأ. وجملة وهم عن الآخرة هم غافلون معطوفة على جملة يعلمون ظاهراً. . ﴿**أولم يتفكروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. وواو العطف، وهمزة الاستفهام. ﴿**في أنفسهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ما خلق الله السماوات**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**وما**﴾ في محل نصب عطف على ما قبلها. ﴿**بينهما**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**إلا**﴾ ملغاة. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بمحذوف حال من معنى ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما أي: أو لم يتفكروا فيعلموا أن الله تعالى ما خلق السماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الأشياء إلا ملتبسة بالحق. ﴿**وأجل**﴾ معطوف على الحق. ﴿**مسمى**﴾ نعت لأجل. ﴿**وإن كثيراً**﴾ إن واسمها. والواو للعطف.

﴿**من الناس**﴾ متعلق بمحذوف نعت لكثيراً. ﴿**بلقاء**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى لقاء. ﴿**لكافرون**﴾ خبر إنّ. واللام لتوكيد الخبر. ﴿**أولم يسيروا**﴾ إعرابه مثل إعراب أولم يتفكروا. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بيسير. ﴿**فينظروا**﴾ مرتب على يسيروا. ﴿**كيف**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كان عاقبة**﴾ كان واسمها ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى عاقبة. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. وخبر كان محذوف دل عليه ما قبله. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**أشدَّ**﴾ خبرها. ﴿**منهم**﴾ متعلق بأشد. ﴿**قوةً**﴾ منصوب على التمييز. . ﴿**وأثاروا الأرض**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وعمروها**﴾ معطوف عل أثاروا. ﴿**أكثر**﴾ مفعول ثان ﴿**مما**﴾ متعلق بأكثر. ﴿**عمروها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ما. ﴿**وجاءتهم رسلهم:**﴾ فاعل جاءت. والضمير في الفعل مفعول. ﴿**بالبينات**﴾ متعلق بجاءت. ﴿**فما كان الله**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي وفاء التعقيب. ﴿**ليظلمهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام الجحود متعلق بخبر كان مقدر. والتقدير: ما كان الله مريداً لظلمهم. ﴿**ولكن كانوا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف الاستدراك. والواو للعطف. ﴿**أنفسهم**﴾ مفعول مقدم ﴿**يظلمون**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل

نصب خبر كان. ﴿**ثم كان عاقبة** ﴾كان واسمها دخل عليها حرف العطف ـ ثم ـ ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى عاقبة. ﴿**أساءوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**السوأى**﴾ خبر كان منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**أن كذبوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف مقدر. والتقدير: كان عاقبتهم السوأى بسبب تكذيبهم. ﴿**بآيات**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**وكانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**بها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يستهزئون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة وكانوا.. معطوفة على كذبوا. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**يبدأ**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله.

﴿**الخلق**﴾ مفعول به. وجملة يبدأ خبر المبتدأ. ﴿**ثم يعيده**﴾ معطوف على يبدأ. ﴿**ثم إليه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**ترجعون**﴾ مبني للمجهول.. ﴿**ويوم**﴾ منصوب على الظرفية بيبلس. ﴿**تقوم الساعة**﴾ فعل وفاعل. ﴿**يبلس المجرمون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ولم يكن لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر يكن. ﴿**من شركائهم**﴾ متعلق بالخبر قبله. ﴿**شفعاء**﴾ اسم يكن. والجملة معطوفة على جملة يبلس. ﴿**وكانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**بشركائهم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**كافرين**﴾ خبر كان. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**ويوم تقوم الساعة**﴾ معطوف على قوله ويوم تقوم الساعة يبلس.. ﴿**يومئذ**﴾ تقدم إعراب مثله قريباً. ﴿**يتفرقون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فأما**﴾ تفصيل لما سبق. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وعملوا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**في روضة**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يحبرون**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل في محل رفع خبر المبتدأ. وجملة فهم في روضة يحبرون خبر الذين آمنوا. وقُرنت بالفاء لمشابهتها جواب الشرط. ﴿**وأما الذين كفروا**﴾ معطوف على قوله: أما الذين آمنوا.. ﴿**وكذبوا**﴾ معطوف على كفروا. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**ولقاء**﴾ معطوف على آياتنا. ﴿**الآخرة**﴾ مضاف إلى لقاء. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**في العذاب**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**محضرون**﴾ اسم مفعول خبر المبتدأ. والجملة خبر الذين كفروا.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن..**﴾ وصل الكلام بالعطف

على قوله: ﴿**اتل ما أوحى إليك من الكتاب**..﴾ ولما كان المؤمنون داخلين في الأمر بالتبعية فهم داخلون في النهي بالأصالة فيما يستقبل من مجادلة أهل الكتاب الدائمة المستمرة. والآية معترضة بين محاجة المشركين والعود إليها في قوله: وكذلك أنزلنا إليك الكتاب.. وجيء في النهى بصيغة الجمع ليعم النبىء والمسلمين؛ إذ قد تعرض للمسلمين مجادلة مع أهل الكتاب. وجملة إلا بالتي هي أحسن مستثناة من النهي.. ففيها حصر. وجملة ﴿**إلا الذين ظلموا منهم**﴾ استدراك لما قبله. أي: لكن الذين ظلموا منهم.. فلا مجادلة معهم: ﴿**وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**﴾ فجملة وقولوا آمنا.. تعليم لمقدمة المجادلة بالتي هي أحسن. وهذا تحرير محل النزاع وتقريب شقة الخلاف. وهو تأصيل طرق الإلزام في المناظرة.

﴿**وكذلك أنزلنا إليك الكتب**﴾: هذا عود إلى مجادلة المشركين في إثبات أن القرآن منزل من الله على رسوله. وذلك: إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده. وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه في الفضل. أي: مثل ذلك الإنزال البديع الموافق لإنزال سائر الكتاب أنزلنا إليك الكتاب الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى. وفرّع على بداعة تنزيله الإخبار بأن الذين علمهم الله الكتاب يؤمنون به: ﴿**فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به**﴾. والإشارة في قوله: ﴿**ومن هؤلاء من يؤمن به**﴾ إلى أهل مكة بتنزيلهم منزلة الحاضرين عند نزول الآية. ﴿**وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون**﴾: جملة تذييلية مقررة لمضمون ما سبق من كون القرآن منزل من الله.. فعبرّ عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها، وعلى كونها من عند الله تعالى، وأضيفت إلى نون العظمة لمزيد تفخيمها، وغاية تشنيع من يجحد بها. ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك**﴾: هذا استدلال بصفة الأمية المعروف بها محمدﷺ - ودلالتها على أنه موحى إليه من الله أعظم دلالة.. فجملة ﴿**إذاً لارتاب المبطلون**﴾ فرضية تقديرية. أي: لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخطّ لارتابوا، وقالوا: لعله التقطه من كتب مَنْ سبقه! وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريْبٍ أصلاً. وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهة النبىء عن ذلك: ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**..﴾ فهو إبطال لما اقتضاه الفرض من قوله: إذاً

لارتاب المبطلون. وجملة ﴿**وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون**﴾ تذييل يؤذن بأن المشركين جحدوا آيات القرآن على ما هي عليه من وضوح الدلالة على أنها من عند الله؛ لأنهم ظالمون لا إنصاف لهم. وشأن الظالمين جَحْدُ الحق!. ﴿**وقالوا: لولا أنزل عليه آيات من ربه! قل: إنما الآيات عند الله، وإنما أنا نذير مبين**﴾: لما ذكر الجاحدين لآيات القرآن ثلاث مرات، ووصفهم بالكافرين والمبطلين والظالمين انتقل الكلام إلى مقالتهم الناشئة عن جحودهم.. وذلك طلبهم أن يأتي النبىء بآيات مادية خارقة للعادة تدل على أن الله خلقها تصديقاً للرسول؛ كما خلق ناقة صالح، وغيّر عصا موسى. وهذا من جلافتهم وشدة حماقتهم بأن لا يتأثروا إلا للأمور المشاهدة. وهم يحسبون أن الرسول ينتصب للمعاندة معهم في مباراة يفوز فيها الحاذق في التلبيس والتمويه.. فهم يقترحون عليه ما يرغبونه: ليجعلوا ما يسألونه عن الخوارق حديث النوادي والملاعب.. حتى يكون محضر الرسولﷺ - منهم محضر المشعوذين مروّجي الخزعبلات!.

﴿**أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم**﴾؟! هذا ارتقاء في المجادلة.. فالاستفهام تعجيبي إنكاري. وقد أشار بقوله: يتلى عليهم وما بعده.. إلى خمس مزايا للقرآن على غيره من المعجزات: أولاً - ما أشار إليه قوله: يتلى عليهم، من انتشار إعجازه وعمومه في المجامع والآفاق والأزمان المختلفة. بحيث لا يختص بإدراك إعجازه فريق خاص في زمن خاص، شأن المعجزات المشهودة. ثانياً - كونه مما يتلى.. فإن ذلك أرفع من كون المعجزات الأخرى أحوالاً مرئية؛ لأن إدراك المتلوّ إدراك عقليّ فكريّ. وهو أعلى من المدركات الحسية. ثالثاً - ما أشار إليه قوله: إن في ذلك لرحمة.. فإنها واردة مورد التعليل للتعجيب من عدم اكتفائهم بالكتاب. وفي التعليل تتميم لما اقتضاه التعبير بالكتاب وبيتلى عليهم. رابعاً - ما أشار إليه قوله: وذكرى.. فإن القرآن مشتمل على مواعظ ونذر، وتعريف بعواقب الأعمال، وإعداد إلى الحياة الثانية. خامساً - أن كون القرآن كتاباً متلواً مستطاعاً إدراكُ خصائصه لكل عربي ولكل من حذق العربية من غير العرب، يبعده عن مشابهة نفثات السحرة وطلاسم المشعوذين. ﴿**قل: كفى بالله بيني وبينكم شهيداً**﴾: بعد أن ألقمهم حجر الحجّة الدامغة أمر الله رسوله بأن يجعله حكماً بينه وبينهم لمّا استمرّ تكذيبهم بعد الدلائل القاطعة. وجملة ﴿**يعلم ما في السماوات والأرض**﴾ مقررة لمعنى الاكتفاء به شهيداً.. فهي تتنزل منزلة التوكيد.

والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون: بعد أن أنصفهم بقوله: كفى بالله بيني وبينكم شهيداً، استمرّ في الانتصاف بما لا يستطيعون إنكاره: وهو أن الذين اعتقدوا الباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون في الحكومة والقضية الموكولة إلى الله تعالى. فالآية من قبيل المجادلة بالتي هي أحسن حيث لم يصرح بنسبة الإيمان بالباطل والكفر بالله والخسران إليهم.. بل ذكر على منهاج الإبهام؛ كما في قوله تعالى: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. واسم الإشارة يفيد التنبيه على أن المشار إليهم أحرياء بالحكم الوارد بعده؛ لأجل الأوصاف التي ذكرت لهم قبل ذلك. والقصر المستفاد من تعريف جُزأَيْ جملة هم الخاسرون قصُرٌ ادّعائي للمبالغة: في اتصافهم بالخسران العظيم. بحيث إن كل خسران بجانب خسرانهم كالعدم. فكأنهم انفردوا بالخسران!.

واستعير الخسران لانعكاس المأمول من العمل المكدّ.. تشبيهاً بحال من كدّ في التجارة لينال مالاً.. فأفنى رأس ماله!.. ﴿**ويستعجلونك بالعذاب**﴾: وصلت الجملة بالعطف على قوله تعالى: ﴿**وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه..**﴾ استقصاء في الرد على شبهاتهم، وإبطالا لتعلات إعراضهم الناشىء عن المكابرة. وهم يحيلون أنهم إنما أعرضوا لعدم اقتناعهم بآية صدق الرسول. وحكى استعجالهم بالعذاب بصيغة المضارع لاستحضار حال استعجالهم؛ لإفادة التعجيب منها. وقد أبطل ما قصدوه بقوله: ﴿**ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب**﴾. وذلك أن حلول العذاب ليس بيد الرسول، ولا جارياً على طلبهم واستبطائهم.. فإن الله هو المقدر لوقت حلوله بهم في أجَل قدّره بعلمه. وقوله: ﴿**وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون**﴾ جملة مستأنفة مبينة لما أشير إليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند حلول الأجل. أي: وبالله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم في وقته المحدد المعلوم. ﴿**يستعجلونك بالعذاب وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين**﴾: هذا الكلام استئناف مسوق لبيان غاية تجهيلهم وركاكة رأيهم.. فهم يستعجلون أمراً واقعاً لا محالة!: ﴿**يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم..**﴾ هذا تصْوِير للإحاطة. والإحاطة كناية عن عدم إفلاتهم من جهنم. وقوله: من فوقهم بيان للغشيان لتصويره تفظيعاً لحاله، وتأكيد المعنى الغشيان لرفع احتمال المجاز. وقوله: ومن تحت أرجلهم احتراس عما قد يوهمه الغشيان من الفوقية خاصة. ﴿**ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون**﴾: وصلت هذه الجملة بالعطف على ما قبله، زيادة

لبيان نوع آخر من العذاب وهو عذاب التأنيب والتقريع!.

﴿**يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون**﴾: هذا الكلام استئناف ابتدائي وقع معترضاً بين الجملتين المتعاطفتين: جملة والذين آمنوا بالباطل.. وجملة ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات..**﴾ فهو أمر بالهجرة من دار الكفر. ومناسبته لما قبله: أن الله لما ذكر عناد المشركين في تصديق القرآن، وذكر إيمان أهل الكتاب به آذن المؤمنين من أهل مكة أن يخرجوا من دار المكذّبين إلى دار الذين يصدقون بالقرآن. وهم أهل المدينة من أهل الكتاب. وقوله: إن أرضي واسعة كلام مستعمل مجازاً مركباً في التذكير بأن في الأرض بلاداً يستطيع المسلم أن يقطنها آمناً. وفرع على كونها واسعة الأمر بعبادة الله وحده. ﴿**كل نفس ذائقة الموت.. ثم إلينا ترجعون**﴾: جملة مستأنفة جيء بها حثّاً على المسارعة في الامتثال بالأمر.. فهذه الجملة اعتراض ثان بين الجملتين المتعاطفتين قصد منها تأكيد الوعيد الذي تضمنته جملة والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله.. والوعد الذي تضمنته جملة والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنّهم.. وجملة ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنّهم**﴾ معطوفة على جملة والذين آمنوا بالباطل.. وجيء بالموصول للإيماء إلى وجه بناء الخبر.

﴿**من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**﴾: هذا بيان وتوضيح وتفصيل لقوله لنبوأنّهم.. وجملة ﴿**نعم أجر العاملين**﴾ إنشاءُ ثناء وتعجيب على الأجر الذي أعطوه.. فلذلك قطعت عن العطف. ومن اللطائف مقابلة غشيان العذاب الكفّارَ من فوقهم ومن تحت أرجلهم بغشيان النعيم المؤمنين من فوقهم بالغرف ومن تحتهم بالأنهار! وجملة ﴿**الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ بيان لصفة العاملين. وفيه مدح لهم، وتنويه بهم.. ﴿**وكأيّن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على آية كل نفس ذائقة الموت.. فقوله وكأيّن من دابّة خبر غير مقصود منه إفادة الحكم.. بل هو مستعمل مجازاً مركباً في لازم معناه؛ وهو الاستدلال على ضمان رزق المتوكلين من المؤمنين. وتمثيله للتقريب بضمان رزق الدواب الكثيرة التي تسير في الأرض لا تحمل رزقها. والقرينة على هذا الاستعمال هو قوله: الله يرزقها وإياكم، الذي هو استئناف بياني؛ لبيان وجه سوق قوله: وكأيّن من دابة. وجملة ﴿**وهو السميع**

العليم﴾ تذييل مقرر لمضمون ما سبقه. **﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله.. فأنى يؤفكون﴾**: هذا الكلام عائد إلى قوله: والذين آمنوا بالباطل.. فهو تعجيب من نقائض كفرهم!

فكيف يلتقى هذا الجواب مع ادّعائهم الإلهية لأصنامهم؟ والاستفهام في قوله: فأنى يؤفكون إنكار وتعجيب. وهو استبعاد قولهم عن فعلهم! **﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾**: هذا إلزام آخر لهم بإبطال شركهم، وافتضاح تناقضهم؛ فإنهم كانوا معترفين بأن الرازق هو الله! وتقديم المسند إليه ـ الله ـ على الخبر الفعلي ـ يبسط ـ لإفادة الاختصاص. والتعبير بالمضارع لإفادة تجدد البسط والقدر. وجملة **﴿إن الله بكل شيء عليم﴾** تعليل لمقتضى البسط والقدر. **﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾**: أعيد أسلوب السؤال والجواب ليتّصل ربطُ الأدلّة بعضها ببعض على قرب.. فانتظم من هذه الآيات المفتتحة بقوله: ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض.. إلى هنا أصول صفات أفعال الله. وهي الخلق والرزق والإحياء والإماتة؛ من أجل ذلك عُقّبِت بأمر الله رسوله بأن يحمده بكلام يدل على تخصيصه بالحمد: **﴿قل: الحمد لله.. بل أكثرهم لا يعقلون. وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾**: الكلام موصول بالعطف على ما سبق من الكلام على موقف الكفار من تمسكهم بالدنيا وإنكارهم الآخرة.. فالإشارة إشارة تحقير وازدراء وقلة اكتراث بالدنيا.. فهو لهو ولعب لا غير. أما الدار الآخرة فهى دار الحياة الحقيقية الجادة الدائمة.. **﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين.. فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾**: أفادت الفاء تفريع ما بعدها على ما قبلها، متصل بما دل عليه حال الكافرين والمشركين. وهو انتقال إلى إلزامهم بما يقتضيه دعاؤهم حين لا يشركون به إلهاً آخر، مع الله بعد إلزامهم بموجبات اعترافاتهم. وجملة **﴿ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾**، تهديد وشدة وعيد؛ بتركهم على ما هم عليه من الكفر والعناد واللهو واللعب والفساد! على حد قوله تعالى: «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل.. فسوف يعلمون!» **﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾**؟: هذا تذكير خاص لأهل مكة. وهي جملة متصلة بالعطف على جملة فإذا ركبوا في الفلك.. باعتبار ما اشتملت عليه تلك الجملة من تفريعهم على كفران نعم الله تعالى. ولذلك عقبت هذه الجملة بقوله: **﴿وبنعمة**

الله يكفرون﴾. والاستفهام في قوله: أو لم يروا.. إنكاري. **﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه﴾**: لمّا أوفاهم ما يستأهلونه من تشنيع أحوالهم وسوء انتظام شؤونهم جاء في عقبه بتذييلٍ يجمعها في أنها افتراء على الله وتكذيب بالحق. وجملة **﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾**، تقرير لثوائهم فيها. أي: ألا يستوجبون المكث والبقاء في جهنم؟ وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح!. **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين﴾**: خَتَم توبيخَ المشركين وذمّهم بالتنويه بالمؤمنين إظهاراً لمزيد العناية بهم. وجملة وإن الله لمع المحسنين. تذييل للآية مؤكد بإنّ واللام. مُحَلَّى باسم الذات ـ الله؛ ليؤذن بأن من جاهد بكليته وشراشره في ذاته ـ عزّ وجلّ ـ تجلى له الرب عز اسمه الجامع في صفة النصرة والإعانة تجلياً تاماً.. ثم إن هذه خاتمة شريفة للسورة؛ لأنها مجاوبة لمفتتحها.. ناظرة إلى فريدة قلادتها: أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون.. لامحة إلى واسطة عقدها: يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون.. والآية في نفسها جامعة فذّة!..

ففيها بديع الأسلوب في رد العجز على الصدر. وبراعة المقطع!!.. سورة الروم: **﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين..﴾** ففي بداية هذه السورة وبداية السورة التي قبلها ألم. وفي هذه السورة الغلبة والنصر وهو يناسب الامتحان والافتتان في السورة التي قبلها. وفي بداية السورة السابقة ونهايتها الجهاد وفي هذه نصر من يحسن الجهاد. وفي السورة السابقة المعركة بين الحق والباطل، وفي هذه المعركة بين الناس سواء منهم من يقصد به الدنيا.. ومن يقصد به الآخرة. والربط بين السورتين واضح لا يحتاج إلى كثرة الكلام، وفي قوله تعالى: غُلبت الروم خبر مستعمل في لازم فائدته على طريق الكناية. والمقصود من الكلام هو جملة وهم من بعد غلبهم سيغلبون.. وكان ما قبله تمهيداً له. **﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾**: هذه جملة معترضة بين المتعاطفات.. و**﴿يؤمئذ يفرح المؤمنون﴾** عطف على جملة وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين. وجملة **﴿ينصر من يشاء﴾** تذييل مقرر لمضمون قوله: لله الأمر من قبل ومن بعد.. وجملة **﴿وهو العزيز الرحيم﴾** زيادة في التقرير السابق. وقوله تعالى: **﴿وعْدَ الله﴾** مصدر مؤكّد لمضمون الجملة المتقدمة من قوله:

سيغلبون.. وقوله: يفرح المؤمنون.. ويقال له: الموكِّد لنفسه؛ لأنّ ذلك في معنى الوعد. وعامله محذوف وجوباً؛ كأنه قيل: وعَد الله ذلك وعْداً. وجملة ﴿**لا يخلف الله وعده**﴾. بيان للمقصود من جملة وعد الله.

﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾: استدراك على ما تقدم من أمر الله وشؤونه المتعلقة بأحوال الناس وتصرفاتهم في هذه الحياة: ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون..**﴾ فجملة يعلمون ظاهرًا بدل من قوله: لا يعلمون. والمصحّح للبدلية اتحاد ما صدقا عليه. والنكتة المرجحة له جعل علمهم والجهل سواء بحسب الظاهر. وجملة وهم عن الآخرة هم غافلون مُنادٍ على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة السابقة تقريراً لجهالتهم، وتشبيها لهم بالبهائم المقصور إدراكها على ظواهر الدنيا الخسيسة دون أحوالها التي هي من مبادىء العلم بأمور الآخرة. ﴿**أو لم يتفكروا في أنفسهم..**﴾ فهذا الكلام استنكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة. وزيادة في أنفسهم للتحقيق، وزيادة تصوير حال المتفكرين. كما يقال: اعتقده في قلبك، وأبصره بعينك، ﴿**ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى**﴾: هذا هو محط الإنكار على عدم تفكرهم المفيد لهم.. فقوله: ﴿**وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون**﴾: تذييل مقرر لما قبله ببيان أكثرهم غيرُ مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة والإعراض عن التفكر فيما يرشدهم إلى معرفتها من خلق السماوات والأرض وما بينهما من المصنوعات.. بل هم منكرون جاحدون بلقاء حساب ربهم وجزائه بالبعث. ﴿**أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم**﴾؟: هذا الكلام توبيخ بعدم اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم.. وجملة ﴿**كانوا أشد منهم**﴾ قوة بيان لجملة كيف كان عاقبة الذين من قبلهم. وعطف ﴿**وأثاروا الأرض**﴾ على كانوا أشدّ.. فجملة أثاروا تمثيل لحال شدة تصرفهم في الأرض وتغلبهم على من سواهم.. ﴿**وعمروها أكثر مما عمروها..**﴾ فهو عطف تفسير على قوله: وأثاروا الأرض. فعمارة من قبلهم من الأمم أكثرُ كمّاً وكيفاً وزماناً من عمارة هؤلاء إياها! كيف لا؟! وهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسَّط لهم في غيره. وفيه تهكم بقريش والعرب عموماً!. حيث كانوا مغترّين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عَطَنِهِم؛ إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد، والتسلط على

العباد، والتقلب في أكناف الأرض بأصناف التصرفات، وهم ضعفة ملجئون إلى واد لا نفع فيه. يخافون أن يتخطفهم الناس. ﴿**وجاءتهم رسلهم بالبينات. . فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾: وجاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوهم فأهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم. . ﴿**ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى**﴾! . : فهذا إنذار بعد الموعظة، ونصٌّ بعد القياس. ووضع الموصول موضع الضمير، للتسجيل عليهم بالإساءة، والإشعار بعلة الحكم. ووصفت العقوبة بالسوأى مبالغة؛ كأنها نفس السوأى! وجملة ﴿**أن كذبوا بآيات الله**﴾، علة لما أشير إليه من تعذيبهم: الدنيوى والأخروي. وجملة ﴿**وكانوا بها يستهزئون**﴾، عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلة. وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده.

﴿**الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون**﴾: استئناف ابتدائى. وهو شروع فيما أقيمت عليه هذه السورة من بسط دلائل انفراد الله تعالى بالتصرف في الناس بإيجادهم وإعدامهم وإمدادهم وأطوار حياتهم؛ لإبطال أن يكون لشركائهم شيء من التصرف في ذلك. وفي قوله: ثم إليه ترجعون التفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في الترهيب. ﴿**ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون. ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين**﴾: وصل الكلام بالعطف على قوله: ثم إليه ترجعون. توضيح لما يحصل لهم فيه. . ﴿**ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون**﴾: أعيد ويوم تقوم الساعة لزيادة التهويل! ولما ذكر إبلاس المشركين المشعر بتوقعهم السوء والعذاب. أعقب بتفصيل أحوال الناس يومئذ مع بيان مغبة إبلاس فريق الكافرين. والضمير في يتفرقون. عائد إلى معلوم من المقام، دلَ عليه ذكر المجرمين. . فعلم أن فريقاً آخر ضدّهم؛ لأن ذكر إبلاس المجرمين يومئذ يفهم أن غيرهم ليسوا كذلك على وجه الإجمال. والتفرق: انقسام الجمع وتشتت أجزاء الكل. وقد كنى به عن التباعد بين الفريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير. وقد فصل التفرق هنا في قوله تعالى: ﴿**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يُحْبَرون. . وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون**﴾.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون..﴾: في هذا التوجيه ذكر الشوط الأخير في سورة العنكبوت. ومحور السورة كما هو واضح هو الحديث عن الفتنة والابتلاء لمن يقول كلمة الإيمان لتمحيص القلوب وتمييز الصادقين والكاذبين من المؤمنين والمنافقين بمقياس الصبر على الفتنة والابتلاء.. وذلك مع التهوين من شأن القوى الأرضية التي تقف في وجه الإيمان والمؤمنين، وتفتنهم بالأذى، وتصدهم عن السبيل. وفي الشوط الأخير يستطرد في الحديث عن هذا الكتاب والعلاقة بينه وبين الكتب قبله.. ثم يتحدث عن إيمان بعض أهل الكتاب بهذا الكتاب الأخير على حين يكفر به المشركون الذين أنزل الله الكتاب على نبيّهم.. ثم يبين أن دعوة الله واحدة من عند إله واحد. ذات هدف واحد.

وهو رد البشرية الضالة إلى ربها، وهدايتها إلى طريقه، وتربيتها بمنهاجه.. ومن ثم ينهى المسلمين عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى؛ لبيان حكمة مجيء الرسالة الجديدة والكشف عما بينها وبين الرسالات قبلها من صلة، والإقناع بضرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صور دعوة الله، الموافقة لما قبلها من الدعوات، المكملة لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشر.. لكن الذين ظلموا من أهل الكتاب، الذين انحرفوا عن التوحيد، الذي هو قاعدة العقيدة الباقية، واشركوا بالله وأخَلّوا بمنهجه في الحياة.. فهؤلاء لا جدال معهم ولا محاسنة. وهم الذين وقفوا ضد الدعوة وحاربوها طعناً بالأسنّة وطعناً بالألسنة!.. فمجادلة أهل الكتاب بالحسنى مقصورة على من لم يظلم منهم، ولم ينحرف عن دين الله، وعن التوحيد الخالص الذي جاءت به جميع الرسالات. **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾**. **﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾**: فهو على النهج الواحد المتصل، وعلى السُّنّة الواحدة التي لا تتبدل. وعلى الطريقة التي يوحى بها الله لرسله.. **﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به..﴾** فوقف الناس بإزاء هذا الكتاب في صفين: صف

يؤمن به من أهل الكتاب ومن قريش. وصف يجحده ويكفر به: **﴿وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون..﴾** فهذه الآيات من الوضوح والاستقامة بحيث لا ينكرها إلا الذي يغطّي روحه عنها ويسترها، فلا يراها ولا يتملاّها! والكفر هو التغطية والحجاب في أصل معناه اللغوي. وهو ملحوظ في مثل هذا التعبير. **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾**: هكذا يتتبع القرآن الكريم مواضع شبهاتهم.. حتى الساذج الطفولي منها.. فرسول الله عاش بين قومه لا يقرأ ولا يكتب.. ثم جاءهم بهذا الكتاب العجيب الذي يُعجز القارئين الكاتبين. ولربما كانت تكون لهم شبهة لو أنه كان من قبلُ قارئاً كاتباً.. فما شبهتهم، وهذا ماضيه بينهم؟!..

فحتى على فرض أن محمداً ﷺ ـ كان قارئاً كاتباً، ما جاز لهم أن يرتابوا.. فهذا القرآن يشهد بذاته على أنه ليس من صنع البشر.. فهو أكبر جداً من طاقة البشر. ومعرفة البشر، وآفاق البشر. والحق الذي فيه ذو طبيعة مطلقة؛ كالحق الذي في الكون. وكل وقفة أمام نصوصه توحي بأن وراءه قوة. وبأن في عباراته سلطاناً لا يصدران عن بشر!.. **﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم..﴾** فهو دلائل واضحة من ذات هذا الكتاب في صدور الذين وهبهم الله العلم لا لبس فيها ولا غموض، ولا شبهة فيها ولا ارتياب. دلائل يجدونها بينة في صدورهم، تطمئن إليها قلوبهم.. فلا تطلب عليها دليلاً خارجاً عنها.. بل هي الدليل الذي ما بعده دليل! والعلم الذي يستحق هذا الاسم: هو الذي تجده الصدور في قرارتها مستقراً فيها. منبعثاً منها. يكشف لها الطريق، ويصلها بالخيط الواصل إلى هناك: **﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾**: فهم الذين لا يعدلون في تقدير الحقائق وتقويم الأمور.. والذين يتجاوزون الحق والصراط المستقيم: **﴿وقالوا: لولا أنزل عليه آيات من ربه﴾**!!.. فهم يقصدون الخوارق المادية التي صاحبت الرسالات من قبل.. فهي التي لا تقوم حجة إلا على الجيل الذي شاهدها.. بينما هذه هي الرسالة الأخيرة التي تقوم حجتها على كل من بلغته دعوتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. فمن ثَمّ جاءت آياتها الخوارق آيات متلوة من القرآن الكريم المعجز الذي لا تنفذ عجائبه.. والذي تتفتح كنوزه لجميع الأجيال.. والذي هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم: يحسّونها خوارق معجزة كلما تدبروها.. وأحسّوا مصدرها الذي تستمد منه سلطانها العجيب!:

﴿**قل: إنما الآيات عند الله..**﴾ فهو يظهرها عند الحاجة إليها وفق تقديره وتدبيره. وليس لي أن أقترح على الله شيئاً. ليس هذا من شأني ولا من أدبي مع ربي: ﴿**وإنما أنا نذير مبين..**﴾ فأنا أنذر وأحذّر وأكشف وأبيّن.. فأُأَدّى ما كُلّفتُه.. ولله الأمر بعد ذلك والتدبير.

إنه تجريد من كل وهم وكل شبهة. وإيضاح حدود الرسول وهو بشر مختار.. فلا تتلبس بصفات الله الواحد القهار. ولا تُغيّم حولها الشبهات التي غيمت على الرسالات حين برزت فيها الخوارق المادية.. حتى اختلطت في حسّ الناس والتبست بالأوهام والخرافات.. فنشأت عنها جميع الانحرافات.. وهؤلاء الذين يطلبون الخوارق يغفلون عن تقدير فضل الله عليهم بتنزيل هذا القرآن: ﴿**أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم**﴾؟!. أفليس يكفيهم أن يعيشوا مع هذا القرآن بهذا القرآن؟ وهو يتنزّل عليهم يحدثهم بما في نفوسهم؛ ويكشف لهم عما حولهم؛ ويشعرهم أن عين الله عليهم؛ وأنه مُعنًى بهم... حتى ليحدثهم بأمرهم.. ويقص عليهم القِصَص ويعلّمهم ـ وهم هذا الخلق الصغير الضئيل التائه في ملكوت الله الكبير ـ وهم وأرضهم وشمسهم التي تدور عليها أرضهم.. ذرات تائهة في هذا الفضاء الهائل.. لا يمسكهن إلا الله! والله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد ذلك يكرمهم.. حتى لينزل عليهم كلماته تتلى عليهم.. ثم هم لا يكتفون..!: ﴿**إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون..**﴾ فالذين يؤمنون هم الذين يجدون مسّ هذه الرحمة في نفوسهم. وهم الذين يتذكرون فضل الله وعظيم منته على البشرية بهذا التنزيل. ويستشعرون كرمه وهو يدعوهم إلى حضرته وإلى مائدته. وهو العلي الكبير. وهم الذين ينفعهم هذا القرآن؛ لأنه يحيا في قلوبهم، ويفتح لهم عن كنوزه ويمنحهم ذخائره، ويشرق في أرواحهم بالمعرفة والنور.. فأما الذين لا يشعرون بهذا كله فيطلبون آية يصدّقون بها هذا القرآن! هؤلاء المطموسون الذين لا تتفتح قلوبهم للنور. هؤلاء لا جدوى من المحاولة معهم.. فليترك أمر الفصل بينه وبينهم إلى الله: ﴿**قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السماوات والأرض...**﴾ فشهادة من يعلم ما في السماوات والأرض أعظم شهادة وهو الذي يعلم أنهم على الباطل: ﴿**والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون..**﴾ فهم الخاسرون على الإطلاق. الخاسرون لكل شيء. الخاسرون للدنيا والآخرة. الخاسرون لأنفسهم وللهدى والاستقامة والطمأنينة والحق والنور.

إن الإيمان بالله كسب. كسب في ذاته. والأجر عليه بعد ذلك فضل من الله. إنه طمأنينة في القلب واستقامة على الطريق، وثبات على الأحداث وثقة بالسند، واطمئنان لِلْحِمَى، ويقين بالعاقبة.

وإن هذا في ذاته لهو الكسب. وهو الذي يخسره الكافرون.. ثم يمضي في الحديث عن أولئك المشركين. عن استعجالهم بالعذاب، وجهنم منهم قريب: ﴿**ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمّى لجاءهم العذاب**..﴾ فقد كان المشركون يسمعون النذير، ولا يدركون حكمة الله في إمهالهم إلى حين.. فيستعجلون الرسول بالعذاب على سبيل التحدي. وكثيراً ما يكون إمهال الله استدراجاً للظالمين؛ ليزدادوا عتواً وفساداً.. أو امتحاناً للمؤمنين ليزدادوا إيماناً وثباتاً. وليتخلف عن صفوفهم من لا يطيق الصبر والثبات.. أو استبقاء لمن يعلم سبحانه أن فيهم خيراً من أولئك المنحرفين حتى يتبين لهم الرشد من الغي فيرجعوا إلى الهدى... أو استخراجاً لذرية صالحة من ظهورهم تعبد الله وتنحاز إلى حزبه، ولو كان آباؤهم من الضالين... أو لغير هذا أو ذاك من تدبير الله المستور.. ولكن المشركين لم يكونوا يدركون شيئاً من حكمة الله وتدبيره... فكانوا يستعجلون بالعذاب على سبيل التحدي.. فهنا يوعدهم الله بمجيء العذاب الذي يستعجلونه. مجيئه في حينه... ولكن حيث لا ينتظرونه ولا يتوقعونه.. وحيث يبهتون له ويفاجأون به: ﴿**وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون**..﴾ ولقد جاءهم هذا العذاب من بعد في بدر. وصدق الله. ورأوا بأعينهم كيف يحق وعد الله. ولم يأخذهم الله بالهلاك الكامل كأخذ المكذبين قبلهم.. كما أنه لم يستجب لهم في إظهار خارقة مادية كي لا يحق عليهم وعده بهلاك من يكذبون بعد الخارقة المادية، لأنه قدر للكثيرين منهم أن يؤمنوا فيما بعد.. وأن يكونوا من خيرة جند الإسلام. وأخرج من ظهورهم من حملوا الراية جيلاً بعد جيل.. إلى أمد طويل.. فكان ذلك كله وفق تدبير الله الذي لا يعلمه إلا الله!.. وبعد الوعيد بعذاب الدنيا الذي يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون، جعل يكرّر استنكاره لاستعجالهم بالعذاب، وجهنم لهم بالمرصاد: ﴿**يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**..﴾ فعلى طريقة القرآن في التصوير، وفي استحضار المستقبل كأنه حاضر مشهود، صوّر لهم جهنم محيطة بالكافرين. وذلك بالقياس إليهم مستقبل مستور.. ولكنه بالقياس إلى الواقع المكشوف لعلم الله حاضر مشهود. وتصويره

على حقيقته المستورة يوقع في الحسّ رهبة، ويزيد استعجالهم بالعذاب نكارة.. فأنى يستعجل من تحيط به جهنم، وتهمّ أن تطبق عليه، وهو غافل مخدوع؟!

ويرسم لهم صورتهم في جهنم هذه المحيطة بهم، وهم يستعجلون بالعذاب: ﴿**يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم**﴾ ويقول: ﴿**ذوقوا ما كنتم تعملون..**﴾ فهو مشهد مفزع في ذاته، يصاحبه التقريع المخزي والتأنيب المرير.. فهذه نهاية الاستعجال بالعذاب والاستخفاف بالنذير. ويدع الجاحدين المكذبين المستهترين في مشهد العذاب يغشاهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم؛ ليلتفت إلى المؤمنين الذين يفتنهم أولئك المكذبون عن دينهم، ويمنعونهم من عبادة ربهم.. يلتفت إليهم يدعوهم إلى الفرار بدينهم، والنجاة بعقيدتهم. في نداء حبيب وفي رعاية سابغة، وفي أسلوب يمسّ كل أوتار القلوب: ﴿**يا عبادي الذين آمنوا إنّ أرضي واسعة فإياي فاعبدون..**﴾ فخالق هذه القلوب. الخبير بمداخلها، العليم بخفاياها المدرك بما يهجس فيها وما يستكن في حناياها.. إن خالق هذه القلوب ليناديها هذا النداء الحبيب: ﴿**يا عبادي الذين آمنوا**﴾: يناديها هكذا، وهو يدعوها إلى الهجرة بدينها؛ لتحس منذ اللحظة الأولى بحقيقتها. بنسبتها إلى ربها وإضافتها إلى مولاها هذه هي اللمسة الأولى. واللمسة الثانية: ﴿**إن أرضي واسعة..**﴾ فأنتم عبادي. وهذه أرضي. وهي واسعة. فسيحة تسعكم.. فما الذي يمسككم في مقامكم الضيق، الذي تفتنون فيه عن دينكم، ولا تملكون أن تعبدوا الله مولاكم؟ غادروا هذا الضيق يا عبادي إلى أرضي الواسعة، ناجين بدينكم أحراراً في عبادتكم!..

إن هاجس الأسى لمفارقة الوطن هو الهاجس الأول الذي يتحرك في النفس التي تُدْعَى للهجرة. ومن هنا يمسّ قلوبهم بهاتين اللمستين: بالنداء الحبيب القريب: يا عبادي.. وبالسعة في الأرض إن أرضي واسعة.. وما دامت كلها أرض الله، فأحب بقعة منها إذن هي التي يجدون فيها السعة لعبادة الله وحده دون سواه. ثم يمضي السياق يتتبع هواجس القلوب وخواطرها.. فإذا الخاطر الثاني هو الخوف من خطر الهجرة: خطر الموت الكامن في محاولة الخروج ـ وقد كان المشركون يمسكون بالمؤمنين في مكة، ولا يسمحون لهم بالهجرة عندما أحسوا بخطرهم بعد خروج المهاجرين الأولين ـ ثم خطر الطريق لو قُدّر لهم أن يخرجوا

من مكة. فمن هنا تجيء اللمسة الثانية: **﴿كل نفس ذائقة الموت. ثم إلينا ترجعون..﴾** فالموت حتم في كل مكان.. فلا داعي أن يحسبوا حسابه، وهم لا يعلمون أسبابه. وإلى الله المرجع والمآب.. فهم مهاجرون إليه في أرضه الواسعة، وهم عائدون إليه في نهاية المطاف. وهم عباده الذين يؤويهم إليه في الدنيا والآخرة. فمن ذا يساوره الخوف، أو يهجس في نفسه القلق، بعد هذه اللمسات؟ ومع هذا.. فإنه لا يدعهم إلى هذا الإيواء وحده.. بل يكشف عما أعده لهم هناك. وإنهم ليفارقون وطناً.. فلهم في الأرض عنه سعة. ويفارقون بيوتاً.. فلهم في الجنة منها عوض. عظم من نوعها وأعظم منها: **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبّوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾**. وهنا يهتف لهم بالعمل والصبر والتوكل على الله: **﴿نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾**. فهي لمسة التثبيت والتشجيع لهذه القلوب في موقف القلقلة والخوف والحاجة إلى التثبيت والتشجيع. ثم يهجس في النفس خاطر القلق على الرزق بعد مغادرة الوطن والمال ومجال العمل والنشاط المألوف، وأسباب الرزق المعلومة.. فلا يدع هذا الخاطر دون لمسة تقربها القلوب: **﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم..﴾** فهي لمسة توقظ قلوبهم إلى الواقع المشهود في حياتهم.. فكم من دابة في الأرض لا تحصي رزقها ولا تجمعه ولا تحمله ولا تهتم به، ولا تعرف كيف توفره لنفسها، ولا كيف تحتفظ بها معها. ومع هذا.. فإن الله يرزقها ولا يتركها تموت جوعاً. وكذلك يرزق الناس لو خُيّل إليهم أنهم يخلقون رزقهم وينشؤونه. إنما يهبهم الله وسيلة الرزق وأسبابه. وهذه الهبة في ذاتها رزق من الله، لا سبيل لهم إليه إلا بتوفيق الله.. فلا مجال للقلق على الرزق عند الهجرة.. فهم عباد الله يهاجرون إلى أرض الله يرزقهم الله حيث كانوا؛ كما يرزق الدابة لا تحمل رزقها.. ولكن الله يرزقها ولا يدعها. ويختم هذه اللمسات الرقيقة العميقة بوصلهم بالله، وإشعارهم برعايته وعنايته.. فهو يسمع لهم ويعلم حالهم ولا يدعهم وحدهم: **﴿وهو السميع العليم﴾**. وتنتهي هذه الجولة القصيرة؛ وقد لمست كل حنية في تلك القلوب، ولبّثْ كل خاطر هجس فيها في لحظة الخروج. وقد تركت مكان كل مخافة طمأنينة، ومكان كل قلق ثقة، ومكان كِلّ تعب راحة. وقد هدهدت تلك القلوب وعمرتها بشعور القربى والرعاية والأمان في كنف الله الرحيم المنان. ألا إنه لا يُدرك هواجس القلوب هكذا إلا

خالق القلوب. ولا يداوي القلوب هكذا إلا الذي يعلم ما في القلوب!

التوجيه الثاني: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون..**﴾: في هذا التوجيه يرتدّ السياق إلى بيان التناقض في موقع المشركين وتصوراتهم.. فهم يقرون بخلق الله للسماوات والأرض، وتسخيره للشمس والقمر، وإنزاله الماء من السماء، وإحيائه الأرض بعد موتها، وما يتضمنه هذا من بسط الرزق لهم أو تضييقه عليهم؛ وهم يتوجهون لله وحده بالدعاء عند الخوف.. ثم هم بعد ذلك كله يشركون بالله، ويؤذون من يعبدونه وحده، ويفتنونهم عن عقيدتهم التي لا تناقض فيها ولا اضطراب. وينسون نعمة الله عليهم في تأمينهم في البيت الحرام؛ وهم يروّعون عباده في بيته الحرام!.. فهذه الآية وما بعدها ترسم صورة لعقيدة العرب إذ ذاك. وتوحي بأنه كان لها أصل من التوحيد.. ثم وقع فيها الانحراف. ولا عجب في هذا.. فهم من أبناء إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - وقد كانوا بالفعل يعتقدون أنهم على دين إبراهيم.. وكانوا يعتزّون بعقيدتهم على هذا الأساس. ولم يكونوا يحفلون كثيراً بالديانة التي تنسب إلى اليهود وإلى النصارى؛ وهم معهم في الجزيرة العربية، اعتزازاً منهم بأنهم على دين إبراهيم وإسماعيل. غير منتبهين إلى ما صارت إليه عقيدتهم من التناقض والانحراف. كان العرب إذا سُئلوا عن خالق السماوات والأرض ومسخر الشمس والقمر ومنزل الماء من السماء ومحيي الأرض بعد موتها بهذا الماء.. يقرون أنّ صانعَ هذا كُلِّه هو الله. ولكنهم مع هذا يعبدون أصنامهم، أو يعبدون الجن، أو يعبدون الملائكة ويجعلونهم شركاء لله في العبادة، وإن لم يجعلوهم شركاء لله في الخلق. فهو تناقض عجيب. تناقض يعجب الله منه: فأنى يؤفكون؟!.. وبين السؤال عن خالق السماوات والأرض ومسخر الشمس والقمر، والسؤال عن منزل الماء من السماء ومحيي الأرض بعد موتها يقرر أن ﴿**الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له..**﴾ فيربط سنة الرزق بخلق السماوات والأرض وسائر آثار القدرة والخلق، ويكل هذا إلى علم الله بكل شيء: ﴿**إن الله بكل شيء عليم**﴾. ﴿**ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله..**﴾ فالرزق ظاهر الارتباط بدورة الأفلاك، وعلاقتها بالحياة والماء والزرع والإنبات.. وبسط الرزق وتضييقه بيد الله، وفق الأوضاع والظواهر العامة المذكورة في الآيات.. فمورد الرزق من ماء ينزل..

وأنهار تجري.. وزروع تنبت.. وحيوان يتكاثر.. ومن معادن في جوف الأرض.. وصيد في البر والبحر.. إلى نهاية موارد الرزق العامة، تتبع كلها نواميس السماوات والأرض..

وتسخير الشمس والقمر.. تبعيّةً مباشرةً ظاهرة. ولو تغيرت تلك النواميس. عما هي عليه أدنى تغيير لظهر أثر هذا في الحياة كلها على سطح الأرض، وفي المخبوء فيها من الثروات الطبيعية الاخرى سِواء بسواء، فحتى هذا المخبوء في جوف الأرض، إنما يتم تكوينه وتخزينه واختلافه من مكانه إلى مكان وفق أسباب من طبيعة الأرض ومن مجموعة تأثّراتها بالشمس والقمر.. فالقرآن يجعل الكون الكبير ومشاهده العظيمة هي برهانه وحجته. وهي مجال النظر والتدبر للحق الذي جاء به.. ويقف القلب أمام هذا الكون وقفة المتفكر المتدبّر اليقظ لعجائبه، الشاعر بيد الصانع وقدرته، المدرك لنواميسه الهائلة، بلفتة هادئة يسيرة، لا تحتاج إلى علم شاق عسير.. إنما تحتاج إلى حسٍّ يقظٍ وقلب بصير. وكلما جلا آية من آيات الله في الكون وقف أمامها يسبح بحمد الله ويربط القلوب بالله؛ **﴿قل: الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾!** ثم بمناسبة الحديث عن الحياة في الأرض، وعن الرزق والبسط فيه والقبض يضع أمامه الميزان الدقيق للقيم كلها.. فإذا الحياة الدنيا بأرزاقها ومتاعها لهو ولعب حين تقاس بالحياة في الدار الآخرة: **﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدارَ الآخرةَ لهي الحيوان لو كانوا يعلمون..﴾** فهذه الحياة الدنيا في عمومها ليست إلا لهواً ولعباً حين لا ينظر فيها إلى الآخرة.. حين تكون هي الغاية العليا للناس.. حين يصبح المتاع فيها هو الغاية من الحياة.. فأما الحياة الآخرة فهي الحياة الفائضة بالحيوية: هي الحيوان.. لشدة ما فيها من الحيوية والامتلاء.. والقرآن لا يعنى بهذا أن يحضّ على الزهد في متاع الحياة الدنيا، والفرار منه وإلقائه بعيداً. إن هذا ليس روح الإسلام ولا اتجاهه.. إنما يعنى مراعاة الآخرة في هذا المتاع، والوقوف فيه عند حدود الله. كما يقصد الاستعلاء عليه، فلا تصبح النفس أسيرة له. يكلفها ما يكلفها.. فلا تتأبى عليه! والمسألة مسألة قيم يزنها بميزانها الصحيح.. فهذه قيمة الدنيا، وهذه قيمة الآخرة، كما ينبغي أن يستشعرها المؤمن.. ثم يسير في متاع الحياة الدنيا على ضوئها، مالكاً لحريته معتدلاً في نظرته: الدنيا لهو ولعب، والآخرة حياة مليئة بالحياة.

وبعد هذه الوقفة للوزن والتقويم يمضي في عرض ما هم فيه من متناقضات: ﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**..﴾ فهذا كذلك من التناقض والاضطراب.. فهم إذا ركبوا في الفلك؛ وأصبحوا على وجْه اليمّ كاللعبة تتقاذفها الأمواج، لم يذكروا إلا الله، ولم يشعروا إلا بقوة واحدة يلجأون إليها، هي قوة الله. ووجدوه في مشاعرهم وعلى ألسنتهم سواء، وأطاعوا فطرتهم التي تحس وحدانية الله.. ولكن.. فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون!.. فنسوا وحي الفطرة المستقيم.. ونسوا دعاءهم لله وحده مخلصين له الدين.. وانحرفوا إلى الشرك بعد الإقرار والتسليم! وغاية هذا الانحراف أن ينتهي بهم إلى الكفر بما آتاهم الله من النعمة، وما آتاهم من الفطرة، وما آتاهم من البينة.. وأن يتمتعوا متاع الحياة الدنيا المحدود إلى الأجل المقدور.. ثم يكون بعد ذلك ما يكون! وهو الشر والسوء: ﴿**ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا.. فسوف يعلمون**﴾!.. ثم يذكرهم بنعمة الله عليهم في إعطائهم هذا الحرم الآمن الذي يعيشون فيه.. فلا يذكرون نعمة الله ولا يشكرونها بتوحيده وعبادته. بل إنهم ليروّعون المؤمنين فيه: ﴿**أو لم يروا أنا جعلنا حرماً أمناً ويتخطف الناس من حولهم؟ أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون**﴾؟! فقد كان أهل الحرم المكي يعيشون في أمن.. يغبطهم الناس من أجل بيت الله. ومن حولهم القبائل تتناحر.. ويفزع بعضهم بعضاً. فلا يجدون الأمان إلا في ظل البيت الذي آمنهم الله به وفيه.. فكان عجيباً أن يجعلوا من بيت الله مسرحاً للأصنام، ولعبادة غير الله أياً كان!: ﴿**أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون**﴾؟!.. ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه**﴾؟.. فهم قد افتروا على الله الكذب بنسبة الشركاء إليه.. وهم كذبوا بالحق لما جاءهم وجحدوا به: ﴿**أليس في جهنم مثوى للكافرين**﴾؟!.. بلى وعن يقين..!!.. ثم يختم السورة بصورة الفريق الآخر.. الذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه؛ ويتصلوا به.. الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا.. فلم ينكصوا ولم ييأسوا.. الذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس.. الذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب.. أولئك لن يتركهم الله وحدهم.. ولن يضيع إيمانهم.. ولن ينسى جهادهم. إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم. وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم.. وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم وسينظر إلى صبرهم

وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾.

التوجيه الثالث: ﴿أَلَمّ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين...﴾: في هذا التوجيه عرض قضية معينة وحادثة لفتت نظر أهل مكة من مسلم ومشرك. ذلك حين غلبت فارس الروم في الأرض التي كانت محل نزاع بين الفرس والروم شمال الحجاز وجنوب الشام. وكان ذلك في إبان احتدام الجدل حول العقيدة بين المسلمين السابقين إلى الإسلام في مكة قبل الهجرة وبين المشركين..

ولما كان الروم في ذلك الوقت أهل كتاب.. وكان الفرس مجوساً مشركين.. فتحيز المسلمون لأهل الكتاب. وتحيز المشركون للفرس. ومن ثم نزلت الآيات الأولى من سورة الروم تبشّر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين غلبة يفرح لها المؤمنون الذين يودّون انتصار أهل الكتاب.. ولكن القرآن لم يقف بالمسلمين وخصومهم عند هذا الوعد، ولا في حدود ذلك الحادث.. إنما كانت هذه مناسبة لينطلق بهم إلى آفاق أبعد وآماد أوسع من ذلك الحادث الموقوت. وليصلهم بالكون كله، وليربط بين سنّة الله في نصر العقيدة السماوية والحق الكبير الذي قامت عليه السماوات والأرض وما بينهما. وليصل بين ماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها.. ثم يستطرد بها إلى الحياة الأخرى بعد هذه الحياة الدنيا. وإلى العالم الآخر بعد عالم الأرض المحدود. وفي ظل ذلك التصوّر المرتفع الواسع الشامل تنكشف عالمية هذه الدعوة، وارتباطها بأوضاع العالم كله من حولها.. حتى وهي ناشئة في مكة محصورة بين شعابها وجبالها.. ويتسع مجالها فلا تعود مرتبطة بهذه وحدها.. إنما هي مرتبطة كذلك بفطرة هذا الكون ونَوَامِيسِه الكبرى، وفطرة النفس البشرية وأطوارها. وماضي هذه البشرية ومستقبلها.. لا على هذه الأرض وحدها.. ولكن كذلك في العالم الآخر الوثيق الصلة بها والارتباط. وكذلك يرتبط قلب المسلم بتلك الآفاق والآماد.. فيتكيف على ضوئها شعوره وتصوره للحياة والقيم.. فيتلفت حواليه على العجائب والأسرار، وخلفه وقدامه على الحوادث والمصائر.. فيدرك موقفه هو وموقف أمته في ذلك الخضمّ الهائل.. فيعرف قيمته وقيمة عقيدته في حساب الناس، وحساب

الله.. فيؤدي حينئذ دوره على بصيرة، وينهض بتكاليفه في ثقة وطمأنينة واهتمام. ويمضي سياق السورة في عرض تلك الارتباطات، وتحقيق دلالاتها في نظام الكون، وتثبيت مدلولاتها في القلوب..

ففي التوجيه الأول في السورة ربط بين نصر المؤمنين والحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض وما بينهما، ويربط به أمر الدنيا والآخرة.. ويوجه قلوبهم إلى سنة الله فيمن مضى قبلهم من القرون.. فجو السورة وسياقها معاً يتعاونان في تصوير موضوعها الرئيسي. وهو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس، وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الكون ونواميس الوجود. وفي ظلال هذه الارتباطات يبدو أن كل حركة وكل نأمة، وكل حادث وكل حالة، وكل نشأة وكل عاقبة، وكل نصر وكل هزيمة.. كلها مرتبطة برباط وثيق، محكومة بقانون دقيق. وأن مرد الأمر فيها كله لله: ﴿**لله الأمر من قبل ومن بعد**..﴾ فهذه هي الحقيقة الأولى التي يؤكدها القرآن كلُّه، بوصفها الحقيقة الموجهة في هذه العقيدة.. فهي الحقيقة التي تنشأ عنها جميع التصورات والمشاعر والقيم والتقديرات.. والتي بدونها لا يستقيم تصور ولا تقدير.. فأول هذه الإيحاءات ذلك الترابط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان. ومع أن الدول قديماً لم تكن شديدة الاتصال، والأمم لم تكن وثيقة الارتباط كما هو الشأن في عصرنا الحاضر. مع هذا.. فإن المشركين في مكة كانوا يحسون أن انتصار المشركين في أيّ مكان على أهل الكتاب هو انتصار لهم.. وكان المسلمون كذلك يحسون أنّ هناك ما يربطهم بأهل الكتاب. وكان يسوءهم أن ينتصر المشركون في أيّ مكان.. فهذه الحقيقة البارزة هي التي يغفل عنها الكثيرون من المسلمين الآن.. فلا ينتبهون إليها كما انتبه المسلمون والمشركون في مكة وقت نزول هذه السورة منذ حوالي أربعة عشر قرناً ومن ثمّ ينحصرون داخل حدود جغرافية أو سياسية وهمية أو جنسية عرفية ولا يدركون أن القضية في حقيقتها هي قضية الكفر والإيمان، وأن المعركة في صميمها هي المعركة بين حزب الله وبين حزب الشيطان.

وما أحوج المسلمين اليوم في جميع بقاع الأرض أن يدركوا طبيعة المعركة، وحقيقة القضية.. فلا تلهيهم عنها تلك الأعلام الزائفة التي تتستر لها أحزاب

الشرك والكفر.. فإنهم لا يحاربون المسلمين إلا على العقيدة، مهما تنوعت العلل والأسباب.. ﴿**ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء..**﴾ فالأمر لله من قبل ومن بعد. وهو ينصر من يشاء. لا مقيد لمشيئته سبحانه. والمشيئة التي تريد النتيجة هي ذاتها التي تيسّر الأسباب. وقد أرادت هذه المشيئة أن تكون هناك سنن لا تتخلف. والنصر والهزيمة أحوال تنشأ عن مؤثرات وفق تلك السنن. والعقيدة الإسلامية واضحة ومنطقية في هذا المجال.. فهي تردّ الأمر كله إلى الله.. ولكنها لا تعفي البشر من الأخذ في الأسباب.. فالتوكل في العقيدة الإسلامية مقيَّد بالأخذ بالأسباب، وردَّ الأمر بعد ذلك إلى الله: ﴿**ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم..**﴾ فهذا النصر محفوف بظلال القدرة القادرة التي تنشئه وتظهره في عالم الواقع. ذلك النصر وعد من الله: ﴿**وعد الله لا يخلف الله وعده..**﴾ فلا بد من تحققه في واقع الحياة.. فوعده صادر عن إرادته الطليقة، وعن حكمته العميقة. وهو قادر على تحقيقه، لا رادّ لمشيئته، ولا معقب لحكمه، ولا يكون في الكون إلا ما يشاء. وتحقيق هذا الوعد طرف من الناموس الأكبر الذي لا يتغير.. ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾! ولو بدا في الظاهر أنهم علماء، وأنهم يعرفون الكثير. ذلك.. أن علمهم سطحي يتعلق بظواهر الحياة ولا يتعمق سننها الثابتة وقوانينها الأصيلة: ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا..**﴾ ثم لا يتجاوزون هذا الظاهر، ولا يرون ببصيرتهم ما وراءه.

وظاهر الحياة الدنيا محدود صغير، مَهْمَا بدا للناس واسعاً شاملاً، يستغرق جهودهم بعضُه، ولا يستقصونه في حياتهم المحدودة.. ﴿**وهم عن الآخرة هم غافلون..**﴾ فالآخرة حلقة في سلسلة النشأة، وصفحة من صفحات الوجود.. فالذين لا يدركون حكمة النشأة ولا يدركون ناموس الوجود يغفلون عن الآخرة ولا يقدرونها قدرها، ولا يحسبون حسابها، ولا يعرفون أنها نقطة في خط سير الوجود، لا تتخلّف مطلقاً ولا تحيد. والغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختلّ.. وتؤرجح في أكفهم ميزان القيم.. فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها وقيمها تصوراً صحيحاً. ويظل علمهم بها ـ إن كان لهم علم ـ ظاهراً سطحياً ناقصاً. وحساب الآخرة في ضمير الإنسان يغيّر نظرته لكل ما يقع في هذه الأرض.. فحياته في الأرض ما هي إلا مرحلة قصيرة من رحلته الطويلة.. ونصيبه في هذه الأرض ما هو إلا قدر زهيد من نصيبه الضخم.. والأحداث

والأحوال التي تتم في هذه الأرض ما هي إلا فصل صغير من الرواية الكبيرة. ولا ينبغي أن يبني الإنسان حكمه على مرحلة قصيرة من الرحلة الطويلة.. وقدر زهيد من النصيب الضخم.. وفصل صغير من الرواية الكبيرة.. فمن ثمّ لا يلتقي إنسان يؤمن بالآخرة، ويحسب حسابها، مع آخر يعيش لهذه الدنيا وحدها ولا ينتظر ما وراءها. لا يلتقي هذا وذاك في تقدير أمر واحد من أمور هذه الحياة، ولا قيمة واحدة من قيمها الكثيرة؛ ولا يتفقان في حكم واحد على حادث أو حالة أو شأن من الشؤون.. فكلّ منهما ميزان ولكلٍّ منهما زاوية للنظر. فلكلٍّ منهما ضوءٌ يرى عليه الأشياء والأحداث والقيم والأحوال.. فهذا يرى ظاهراً من الحياة الدنيا، وذلك يدرك ما وراء الظاهر من روابط وسنن، ونواميس شاملة للظاهر والباطن والغيب والشهادة والدنيا والآخرة والموت والحياة والماضي والحاضر والمستقبل وعالم الناس والعلم الأكبر الذي يشمل الأحياء وغير الأحياء.. فهذا هو الأفق البعيد الواسع الشامل الذي ينقل الإسلامُ البشرية إليه؛ ويرقيها فيه إلى المكان الكريم اللائق بالإنسان الخليفة في الأرض المستخلف بحكم ما في كيانه من روح الله.

ولارتباط تحقق وعد الله بالنصر بالحق الأكبر الذي يقوم عليه هذا الوجود، وارتباط أمر الآخرة كذلك بهذا الحق، استطرد السياق يجول بهم جولة أخرى في ضمير هذا الكون: في السماوات والأرض وما بينهما.. ويردهم إلى أنفسهم ينظرون في أعماقها ويتدبرون.. فلعلّهم يدركون ذلك الحق الكبير، الذي يغفلون عنه حين يغفلون عن الآخرة، ويغفلون عن الدعوة التي تقودهم إلى رؤية ذلك الحق وتدبره: ﴿**أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون..**﴾ فطبيعة تكوينهم هم أنفسهم، وطبيعة هذا الكون كلِّه من حولهم توحي بأن هذا الوجود قائم على الحق، ثابت على الناموس، لا يضطرب ولا تفرّق به السبل، ولا تتخلف دورته، ولا يصطدم بعضه ببعض، ولا يسير وفق المصادفة العمياء، ولا وفق الهوى المتقلب.. إنما يمضي في نظامه الدقيق المحكم المقدّر تقديراً. وأن من مقتضيات هذا الحق الذي يقوم عليه الوجود أن تكون هناك آخرة، يتم فيها الجزاء على العمل، ويلقَى الخيرُ والشرُ عاقبتَهما كاملة.. إنما كلُّ شيء إلى أجله المرسوم. وفق الحكمة المدبرة. وكل أمر يجيء في موعده لا يستقدم لحظة ولا

يستأخر. وإذا لم يعلم البشر متى تكون الساعة فإن هذا ليس معناه أنها لا تكون!.. ولكن تأجيلها يغري الذين لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا ويخدعهم: ﴿**وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون**﴾.

التوجيه الرابع: ﴿**أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة..**﴾: في هذا التوجيه جولة أخرى في ضمير الزمان وأبعاد التاريخ يرون فيها طرفاً من سنة الله الجارية التي لا تتخلف مرة ولا تحيد. وهي دعوة إلى التأمل في مصائر الغابرين.. وهم ناس من الناس.. وخلق من خلق الله.. تكشف مصائرهم الماضية عن مصائر خلفائهم الآتية.. فسنّة الله هي سنّة الله في الجميع. وسنّة الله حق ثابت يقوم عليه هذا الوجود.. فلا محاباة لجيل من الناس، ولا هوى يتقلب فتقلب معه العواقب!.. فهي دعوة إلى إدراك حقيقة هذه الحياة وروابطها على مدار الزمان، وحقيقة هذه الإنسانية الموحدة المنشإ والمصير على مدار القرون؛ كي لا ينعزل جيل من الناس بنفسه وحياته، وقيمه وتصوراته، ويغفل عن الصلة الوثيقة بين أجيال البشر جميعاً، وعن وحدة السنّة التي تحكم هذه الأجيال جميعاً. فهؤلاء أقوام عاشوا قبل جيل المشركين في مكة: ﴿**كانوا أشد منهم قوة.. وأثاروا الأرض..**﴾ فحرثوها وشقوا عن باطنها وكشفوا عن ذخائرها: ﴿**وعمروها أكثر مما عمروها..**﴾ فقد كانوا أكثر حضارة من العرب، وأقدر منهم على عمارة الأرض.. ثم وقفوا عند ظاهر الحياة الدنيا لا يتجاوزونه إلى ما وراءه: ﴿**وجاءتهم رسلهم بالبينات..**﴾ فلم تتفتح بصائرهم لهذه البينات. ولم يؤمنوا.. فتتصل ضمائرهم بالنور الذي يكشف الطريق.. فمضت فيهم سنّة الله في المكذبين، ولم تنفعهم قوتهم ولم يغن عنهم علمُهم ولا حضارتُهم، ولقوا جزاءهم العادل الذي يستحقونه: ﴿**فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.. ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى..**﴾ فكانت السوأى هي العاقبة التي لقيها المسيئون! وكانت جزاءً وفاقاً على أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون..

فالقرآن الكريم يدعو المكذبين المستهزئين بآيات الله أن يسيروا في الأرض.. فلا ينعزلوا في مكانهم كالقوقعة.. وأن يتدبروا عاقبة أولئك المكذبين المستهزئين ويتوقعوا مثلها؛ وأن يدركوا أنّ سنّة الله واحدة وأنها لا تحابى أحداً.. وأن يوسعوا

آفاق تفكيرهم.. فيدركوا وحدة البشرية ووحدة الدعوة ووحدة العاقبة في أجيال البشرية جميعاً. وهذا هو التصور الذي يحرص الإسلام على أن يطبع به قلب المؤمن وعقله.. ويكرر القرآن الإيقاع حوله كثيراً.. فمن هاتين الجولتين في أغوار الكون وأغوار التاريخ يردهم إلى الحقيقة التي يغفل عنها الغافلون: حقيقة البعث والمآب.. وهي طرف من الحق الأكبر الذي يقوم عليه الوجوده: ﴿**الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون**..﴾ فهي حقيقة بسيطة واحد والترابط والتناسق بين حلقتيْها واضح كذلك فالإعادة كالبدء لا غرابة فيها. وهما حلقتان في سلسلة النشأة مترابطتان لا انفصام بينهما. والرجعة في النهاية إلى رب العالمين، الذي أنشأ النشأة الأولى، والنشأة الآخرة؛ لتربية عباده ورعايتهم ومجازاتهم في النهاية على ما يعملون. وعندما يصل السياق إلى البعث والمآب يعرض مشهداً من مشاهد القيامة، ويرسم مصائر المؤمنين والمكذبين حين يرجعون.. ويكشف عن عبث اتخاذ الشركاء! وسخف عقيدة المشركين: ﴿**ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون**..﴾ فها هي ذي الساعة التي يغفل عنها الغافلون، ويكذب بها المكذبون. ها هي ذي تجيء وتقوم.. وهؤلاء هم المجرمون حائرين يائسين.. لا أمل لهم في نجاة ولا رجاء لهم في خلاص.. ولا شفاعة لهم من شركائهم الذين اتخذوهم في الحياة الدنيا ضالين مخدوعين!.. ثم ها هم أولاء يكفرون بشركائهم الذين عبدوهم في الأرض وأشركوهم مع الله رب العالمين. ثم ها هو ذا مفرق الطريق بين المؤمنين والكافرين: ﴿**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون**..﴾ فيتلقون فيها ما يفرح القلب ويسرّ الخاطر ويسعد الضمير.. ﴿**وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون**﴾. فتلك نهاية المطاف، وعاقبة المحسنين والمسيئين!.

2 ـ جولة مع الله في التسبيح والتحميد
وجولة مع الكون في دلائل التوحيد

النص

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿16﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿17﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿18﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿19﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿20﴾ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿21﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿22﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿23﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ

دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (24) وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (25) وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (26) ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ
فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ
كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (27) بَلِ ٱتَّبَعَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ
وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (28) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ
ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ (29) * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (30) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ
وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (31)
وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (32) لِيَكْفُرُوا۟
بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (33) أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ (34) وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ

رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿35﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿36﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿37﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟
فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿38﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن
يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿39﴾
* ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ
لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿40﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿41﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ
أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿42﴾ مَن كَفَرَ
فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿43﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿44﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ
وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿45﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ
فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا
عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿46﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا
فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ
مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿47﴾
وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿48﴾
فَانظُرْ إِلَىٰ أَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿49﴾
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿50﴾
فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿51﴾
وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا
فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿52﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ
قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿53﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿54﴾ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿55﴾
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ
فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ
كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿56﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا

مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿57﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿58﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿59﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿60﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون**. .﴾ سبحان: اسم مصدر التسبيح. وتصبحون: تدخلون في الصباح. وتمسون: تدخلون في المساء. ﴿**وله الحمد في السماوات والأرض**. .﴾ الحمد: مصدر حمد. والحمد: الثناء باللسان على فعل الإحسان. ﴿**وعشيا وحين تظهرون**﴾. العشي: آخر النهار. من وقت العصر إلى الغروب. ﴿**تظهرون**:﴾ تدخلون في وقت الظهر. وهو من نصف النهار إلى العصر. ﴿**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**﴾: تقدم معنى هذه الكلمات. ﴿**ويحيي الأرض بعد موتها. . وكذلك** ﴿**تخرجون**﴾: مثل هذا الإخراج تخرجون من قبوركم بعد الموت. ﴿**ومن آياته أن خلقكم من تراب**﴾: خلق آدم من تراب وأنتم من نسله. ﴿**ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**. .﴾ البشر: الناس. . تنتشرون: تبثّون في الأرض كثرة هائلة. . وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً. . ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها. . وجعل بينكم مودة ورحمة**. .﴾

المودّة الحب. . والرحمة: العطف. . ﴿**ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**. .﴾ واختلاف الألسنة: اختلاف اللغات واللهجات وتميز الأصوات فيما بين الأفراد والجماعات. واختلاف الألوان: اختلاف

السحنات والصفات في الملامح والهيئات. ﴿**إن في ذلك لآيات للعالمين**..﴾ ﴿**ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاكم من فضله**..﴾ المنام: مصدر ميمي من نام نوماً. والنوم معروف. والابتغاء: الطلب. يقال: ابتغى يبتغي ابتغاءً: طلب. ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**..﴾ ﴿**ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها**..﴾ إراءة البرق: رؤية خفقانه عندما يلمع ويختفي. والبرق: الشرارة الخارجة من السحاب. والبرق والبريق: شدة اللمعان وسرعته.. والخوف من البرق: خوف من الصواعق. والطمع: طمع الغيث منه. ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾. ﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**..﴾ أن تقوم السماء والأرض: قيامهما واستمرارها على ما هما عليه إلى أجلهما المحدّد.. ﴿**ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون**﴾: ثم بعد انقضاء أجل قيام السماوات والأرض وأنتم في القبور إذا دعاكم دعوة واحدة فجأتم الخروج منها مسرعين. ﴿**وله من في السماوات والأرض كل له قانتون**..﴾ القانتون: الخاضعون الخاشعون المنقادون!. ﴿**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه**..﴾ أهون: أفعل تفضيل من هين. ومعناه: الإعادة أسهل من البداية في المتعارف المسلم به عند العقلاء. ﴿**وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم**..﴾ المثل الأعلى: الوصف الأرفع والأعلى مما يصف الناس وكل من في السماوات والأرض ﴿**ضرب لكم مثلاً من أنفسكم: هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم.. فأنتم فيه سواء؟! تخافونهم كخيفتكم أنفسكم**﴾. وهذا المثل يتبين به بطلان الشرك مع الله إلهاً آخر. حيث إن المشركين لا يسوّون بينهم وبين مماليكهم فيما يملكون ويُعْطَون من رزق.. ﴿**كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون**﴾: مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل ونوضح ونبين الدلائل لقوم يستعملون عقولهم في تدبر الأمور.. ﴿**بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم**..﴾ فالمعنى: لم يعقلوا شيئاً من الآيات المفصلة.. بل اتبعوا أهواءهم بغير علم..

﴿**فمن يهدي من أضل الله**﴾؟! والأهواء: الميول النفسية الشهوانية. مفرده هوى. كما تقدم في قوله: ﴿**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله**..﴾ في سورة القصص. ﴿**وما لهم من ناصرين**﴾: ليس لواحد منهم ناصر.. ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً**..﴾ أقم وجهك: قومه وعدله غير ملتفت يميناً وشمالاً.

والدين: ما جاء به الرسل من عند الله. وهو دين الإسلام. حنيفاً: مائلاً عن الديانات الباطلة. ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**..﴾ الفطرة: الخلقة. يقال: فطره الله يفطره فطراً: خلقه يخلقه خلقاً. وهي غريزة الإنسان الذي لم تشوه خلقته بضلال كل مولود يولد على الفطرة.. وإنما أبواه يُهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسانه.. ﴿**ذلك الدين القيم**﴾: هذا هو الدين الصحيح القائم على الحق المستوي الذي لا عوج فيه، الفطري الذي تهتدي إليه النفس بلا تعلم.. ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾: حيث يحسبون أن الدين أمر معقد يحتاج لوسطاء بين الله والإنسان ليفسروه لهم، ويحلوا لهم ألغازه ومعقّداته.. ﴿**منيبين إليه**﴾: راجعين تائبين. يقال: أناب إليه: رجع إليه. والإنابة هنا: الرجوع إلى الله لإقامة دينه. وترك ما أنتم عليه من الدين الباطل.. ﴿**واتقوه وأقيموا الصلاة.. ولا تكونوا من المشركين**﴾: ﴿**من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً**﴾: ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**..﴾ المشرك هنا: من بدل دين الفطرة بدين شهوته وهواه.. حتى وصل بهم الأمر إلى التشيع والتحزب والتفرق حسب شهوات وأهواء زعمائهم: ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾! ﴿**وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه**..﴾ ﴿**ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون**..﴾ فمعنى هذه الكلمات تقدم مثلها.. ليكفروا بما آتيناهم.. فتمتعوا.. فسوف تعلمون!.. أم أنزلنا عليهم سلطاناً.. فهو يتكلم بما كانوا به يشركون.. السلطان: الحجة القاطعة التي تقطع الخصم وتمنعه من الكلام؛ لأنها تتكلم بالكلمة المانعة!

﴿**وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون.. أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**..﴾ ﴿**فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل: ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون**..﴾ ﴿**وما آتيتم من ربا لتربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله**..﴾ الربا: الأصل فيه الزيادة. مأخوذ من قولهم: ربا المال إذا زاد وارتفع ونما. والاسم: الربا مقصور. وهو في الشرع: الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع. ﴿**وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون**..﴾ أصل الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح. وكله قد استُعْمل في القرآن. ووزنها: فَعَلَة ـ زَكَوَة ـ تحركت الواو وانْفَتَحَ ما قبلها قلبت ألفاً. وهي من الأسماء المشتركة بين المُخْرَج والفعل: المصدر واسم المصدر ـ فيطلق على

العين. وهي الطائفة من المال المزكى.. وعلى المعنى. وهي التزكية. والمضعفون: الذين أضعفوا ثوابهم وأموالهم بالبركة. ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**..﴾ فأولئك هم الذين يريدون تضعيف أموالهم في الحقيقة. ﴿**الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟!**﴾: أثبت الله له لوازم الألوهية وخواصها، ونفاها رأساً عما اتخذوه شركاء له تعالى من الأصنام وغيرها.. ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله: ﴿**سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾. تقدم معنى سبحانه قريباً.. وكلمة تعالى: ترفّع وتجلّى عن النقائص، وما يوهم الاشتراك في الخصائص. ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس**﴾: يلخص معنى هذا ما جاء في سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض.. ولكن كذبوا فآخذناهم بما كانوا يكسبون**﴾. وجملة ﴿**ليذيقهم بعض الذي عملوا**﴾، وجملة ﴿**لعلهم يرجعون**﴾: تعليلان لما قبلهما.. ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل**﴾: تقدم مثل هذا.. ﴿**كان أكثرهم مشركين**﴾: دليل على ما أصابهم بما كسبت أيديهم. ﴿**فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون**..﴾ الدين القيم: دين الإسلام والمرد: مصدر رد ويصدعون: يتصدعون والتصدع: التفرق. وأصل الصدع: الشق في الشيء الصلب كالزجاج.. فالصدع في الزجاج أن تتفرق أجزاؤه فلا تلتئم أبداً. وصدع الشيء يصدعه صدعاً وصدّعه فانصدع وتصدّع: شقه نصفين. ومعنى يصدعون هنا: يتفرقون فيصيرون فريقين: ﴿**فريق في الجنة وفريق في السعير**﴾.

﴿**من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون**..﴾ فلأنفسهم يمهدون: يسوّون لأنفسهم منازل في الجنة. ومهد الأرض يمهدها مهداً سواها. ﴿**ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين**﴾. ﴿**ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**﴾: مفرادت هذه الآية واضحة. ﴿**ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم**

يستبشرون. .﴾ تثير: تحرك وتهيج وتسير. يبسطه: ينشره. ويجعله كسفاً: قطعاً. والودق: المطر. والخلال: المنافذ. **﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين. . فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾**: لفت النظر إلى ما يعقب الغيث من الأثر! **﴿إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾**: دليل على البعث والحشر!. **﴿ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون. .﴾** الريح هنا: ريح ضارة: باردة أو حارة. . تجعل النبات بعد الاخضرار مصفراً ينذر بالخطر. **﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولو مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾**: تقدم مثل هذه الآية في سورة النمل. **﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾**: في هذه الآية بيان تطور الإنسان من ضعف الطفولة، إلى قوة الشباب والرجولة، إلى ضعف الشيخوخة والذّبولة!.

﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾: تطلق الساعة على القيامة والبعث والحساب. . وتطلق على المدة المقدرة بستين دقيقة في عرف أهل الحساب. وتطلق على مدة من الزمن غير محددة بحساب. **﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون. .﴾** الذين أوتوا العلم والإيمان: الذين تحققوا من خبر البعث فأيقنوا بوقوعه. لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث: مكثتم في البرزخ بعد الموت وقبل الحشر إلى يوم البعث، الذي كنتم تكذبون به. . فها هو ذا يوم البعث!. . ولكنكم كنتم عنه غافلين منكرين جاهلين لحقيقته. . **﴿فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون. .﴾** المعذرة: التنصل والتخلص من المسؤولية. . والاستعتاب: طلب الاسترضاء. يقال: استعتبني فلان فأعتبته: استرضاني فأرضيته. وتخلص من مسؤولية ما عمل. . **﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾**: تقدم معنى مثل هذا الكلام. . **﴿ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون. .﴾** تطلق الآية على آية القرآن. وعلى الشيء الخارق. وعلى الشيء الرائع. وعلى دلائل العقل والنقل. وكلها جاءت لمحمد ـ ﷺ ـ ومع هذا يقولون ما يقولون تكذيباً واستهزاء بالرسول العظيم!. . **﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾**: مثل هذا الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الجاهلين الجاحِدِين. .

﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾: فاصبر يا محمد على قولهم هذا ولا يحملنك على القلق والضيق من قول هؤلاء الشاكّين المكذبين بكل ما هو حق اليقين!.

مبحث الإعراب

﴿فسبحان﴾ مفعول مطلق لفعل مقدر. والفاء للتعقيب والترتيب. **﴿الله﴾** مضاف إلى سبحان. **﴿حين﴾** منصوب على الظرفية متعلق بالمصدر. **﴿تمسون﴾** فعل وفاعل. **﴿وحين تصبحون﴾** معطوف على حين تمسون. **﴿وله﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿الحمد﴾** مبتدأ مؤخر في **﴿السماوات﴾** متعلق بالحمد. **﴿والأرض﴾** معطوف على السماوات. وجملة له الحمد اعتراضية. **﴿وعشياً﴾** معطوف على حين. **﴿وحين تظهرون﴾** كذلك معطوف على حين تمسون. **﴿يخرج﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. **﴿الحي﴾** مفعول به. **﴿من الميت﴾** متعلق بيخرج. **﴿ويخرج الميت من الحي﴾** معطوف على يخرج الحي من الميت. **﴿ويحيى﴾﴾** فعل مضارع معطوف على يخرج. **﴿الأرض﴾** مفعول به. **﴿بعد﴾** متعلق بيحيى. **﴿موتها﴾** مضاف إلى بعد. **﴿وكذلك﴾** الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق مصدر. وذلك في محل جر بالكاف. **﴿تخرجون﴾** فعل مضارع مبني للمجهول وواو الجماعة نائب الفاعل. والجملة معطوفة على يُحْيي. **﴿ومن آياته﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿أن خلقكم﴾** أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ مؤخر. **﴿من تراب﴾** متعلق بخلق. **﴿ثم﴾** حرف عطف. **﴿إذا﴾** فجائية. **﴿أنتم﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿بشر﴾** خبر المبتدإ.

﴿تنتشرُون﴾ فعل وفاعل، والجملة نعت لبشر. **﴿ومن آياته﴾** مثل ما سبق.. **﴿أن خلق﴾** مثل أن خلقكم. **﴿لكم﴾** متعلق بخلق. **﴿من أنفسكم﴾** كذلك. **﴿أزواجاً﴾** مفعول به. **﴿لتسكنوا﴾** فعل وفاعل مؤول مع أن بمصدر مجرور بلام الجرّ متعلق بخلق. **﴿إليها﴾** متعلّق بالفعل قبله. **﴿وجعل﴾** معطوف على خلق. **﴿بينكم﴾** متعلق بجعل. **﴿مودة﴾** مفعول به. **﴿ورحمة﴾** معطوف على مودة. **﴿إن في ذلك﴾** متعلق محذوف خبر إن مقدم. **﴿لآيات﴾** اسم إن مؤخر منصوب بالكسرة. **﴿لقوم﴾** متعلق بآيات. **﴿يتفكرون﴾** فعل وفاعل. والجملة نعت لقوم. **﴿ومن آياته﴾** مثل ما سبق معطوف عليه. **﴿خلق﴾** مبتدأ مؤخر. **﴿السماوات﴾**

مضاف إلى خلق. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**واختلاف**﴾ معطوف على خلق. ﴿**ألسنتكم**﴾ مضاف إلى اختلاف. ﴿**وألوانكم**﴾ معطوف على ألسنتكم. ﴿**إن في ذلك لآيات**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**للعالمين**﴾ متعلق بآيات. ﴿**ومن آياته منامكم**﴾ مثل ومن آياته خلق في الإعراب. ﴿**بالليل**﴾ متعلق بمنامكم. ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل. ﴿**وابتغاؤكم**﴾ معطوف على منامكم. ﴿**من فضله**﴾ متعلق بما قبله. ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**﴾: مثل ما سبقها في الإعراب. ﴿**ومن آياته**﴾ مثل ما سبق. ﴿**يريكم**﴾ فعل مضارع قصد منه المصدر. والضمير المتصل به مفعول أول. ﴿**البرق**﴾ مفعول ثان. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**خوفاً**﴾ منصوب على الحال من مفعول يريكم. أي: خائفين. ﴿**وطمعاً**﴾ عطف عليه. ﴿**وينزل**﴾ معطوف على يريكم. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بينزل. ﴿**ماءً**﴾ مفعول به. ﴿**فيحيي**﴾ مرتب على ينزل. ﴿**به**﴾ متعلق بيحيي. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به. ﴿**بعد**﴾ متعلق بيحيي. ﴿**موتها**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾: ﴿**ومن آياته.. أن تقوم**﴾ قيام ﴿**السماء والأرض بأمره**﴾ متعلق بتقوم. ﴿**ثم**﴾ حرف عطف. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**دعاكم**﴾ فعل الشرط. ﴿**دعوة**﴾ مفعول مطلق. ﴿**من الأرض**﴾ متعلق بدعاكم. ﴿**إذا**﴾ فجائية. ﴿**أنتم**﴾ مبتدأ. ﴿**تخرجون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. وجملة إذا أنتم تخرجون جواب شرط إذا. وجملة ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض.. معطوفة على قوله: أن تقوم السماء والأرض.. ﴿**وله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مَن**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَنْ. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**كلٌّ**﴾ مبتدأً. والتنوين عوض عن المضاف إليه. ﴿**له**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**قانتون**﴾ خبر المبتدإ. وهو في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**يبدأ**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله.

﴿**الخلق**﴾ مفعول به. وجملة يبدأ الخلق صلة الموصول. ثم ﴿**يعيده**﴾ معطوف على يبدأ. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أهون**﴾ خبره. ﴿**عليه**﴾ متعلق بأهون. ﴿**وله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**المثل**﴾ مبتدأٌ مؤخر. ﴿**الأعلى**﴾ نعت للمثل. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بما تعلق به له. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**العزيز**﴾ خبره. ﴿**الحكيم**﴾ خبر ثان. ﴿**ضرب**﴾ فعل ماض. والفاعل

ضمير يعود على الله. ﴿**لكم**﴾ متعلق بضرب. ﴿**مثلاً**﴾ مفعول به. ﴿**من أنفسكم**﴾ متعلق بمحذوف نعت مثلاً. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام. ﴿**لكم مما ملكت أيمانكم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**من شركاء**﴾ مبتدأ مؤخر جرّ بحرف الجر الزائد في محل رفع. ولكم متعلق بمحذوف خبره تقدم عليه. ومما متعلق بمحذوف حال من شركاء. ﴿**فيما**﴾ متعلق بشركاء. ﴿**رزقناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة صلة ما. ﴿**فأنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**فيه**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**سواءً**﴾ خبر المبتدإ. والجملة جوابية لا محل لها من الإعراب. ﴿**تخافونهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر ثان. ﴿**كخيفتكم**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر مقدر. وخيفتكم مجرور بالكاف. ﴿**أنفسكم**﴾ مفعول بخيفتكم. والتقدير: تخافونهم خيفةً مثل خيفتكم أنفسكم. ﴿**كذلك**﴾ مثل ذلك التفصيل الواضح. ﴿**نفصل**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**الآيات**﴾ مفعول به. ﴿**لقوم**﴾ متعلق بنفصل. ﴿**يعقلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لقوم. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**اتبع الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ظلموا**﴾ صلة الموصول. ﴿**أهواءهم**﴾ مفعول به. ﴿**بغير**﴾ متعلق باتبع. ﴿**علم**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**فمن**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأً. ﴿**يهدي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول يهدي. وجملة يهدي خبر المبتدإ. ﴿**أضل الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة مَنْ. ﴿**وما لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. وما نافية. والواو للعطف. ﴿**من ناصرين**﴾ مبتدأٌ مؤخر جُرّ بحرف الجر الزائد. وجملة وما لهم من ناصرين تذييل. ﴿**فأقم**﴾ فعل أمر موجه إلى الرسول. والفاء للتعقيب. ﴿**وجهك**﴾ مفعول به. ﴿**للدين**﴾ متعلق بأقم. ﴿**حنيفاً**﴾ حال من الضمير الفاعل في أقم. أي: حالة كونك حنيفاً.

﴿**فطرة**﴾ منصوب على الإغراء. أي: الزم فطرة ﴿**الله**﴾ مضاف إلى فطرة. ﴿**التي**﴾ في محل نصب نعت لفطرة. ﴿**فطر**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة التي. ﴿**الناسَ**﴾ مفعول به. ﴿**عليها**﴾ متعلق بفطر. ﴿**لا تبديل**﴾ لا واسمها. ﴿**لخلق**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى خلق. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأً. ﴿**الدين**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**القيّم**﴾ نعت للدين. ﴿**ولكن أكثر**﴾ لكنّ واسمها. والواو للعطف. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أكثر. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر لكنّ. ﴿**منيبين**﴾ حال

من ضمير الأمة المخاطبة في ضمن فعل الأمر الموجه للرسول في قوله تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله**﴾.. أي: فأقم وجهك أنت ومن معك من المؤمنين حالة كونكم منيبين ﴿**إليه**﴾ متعلق به. ﴿**واتقوه**﴾ فعل أمر موجه لهم.. ﴿**وأقيموا الصلاة ولا تكونوا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفي الجازم للمضارع. ﴿**من المشركين**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. والجملة عطف نهي على أمر. ﴿**من الذين**﴾ بدل من قوله: من المشركين. ﴿**فرقوا دينهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**وكانوا شيعاً**﴾ الجملة من كان واسمها وخبرها معطوفة على فرقوا. ﴿**كل**﴾ مبتدأ. ﴿**حزب**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر بعده، ﴿**لديهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**فرحون**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**وإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**مس**﴾ فعل ماض. ﴿**الناس**﴾ مفعول به. ﴿**ضرٌّ**﴾ فاعل. ﴿**دعوا ربهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة جواب شرط إذا. ﴿**منيبين**﴾ حال من الفاعل في دعوا. ﴿**إليه**﴾ متعلق به. ﴿**ثم إذا أذاقهم**﴾ معطوف بثُمّ وإذا مس الناس ضر.. ﴿**منه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**رحمة**﴾ مفعول ثان. والمفعول الأول الضمير في أذاقهم. ﴿**إذا فريق**﴾ مبتدأ. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لفريق. ﴿**بربهم**﴾ متعلق بقوله: ﴿**يشركون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدإ. وجملة إذا فريق منهم بربهم يشركون جواب شرط إذا. والرابط للجواب إذا الفجائية ﴿**ليكفروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام الأمر الجازم. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**آتيناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**فتمتعوا**﴾ فعل أمر موجه للمشركين المخاطبين. والفاء للتعقيب والترتيب. ﴿**فسوف تعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التسويف وفاء التعقيب والترتيب. ﴿**أم**﴾ منقطعة فيها معنى الإضراب الانتقالي والاستفهام. ﴿**أنزلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بأنزلنا.

﴿**سلطاناً**﴾ مفعول به. ﴿**فهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يتكلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على قوله سلطاناً. والجملة خبر المبتدإ. وجملة فهو يتكلم جواب الاستفهام الذي تضمنته أم. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يشركون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كان واسمها وخبرها صلة ما. ﴿**وإذا أذقنا الناس**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط إذا. ﴿**رحمة**﴾ مفعول ثان. ﴿**فرحوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب شرط

إذا. ﴿**بها**﴾ متعلق بيفرحوا. ﴿**وإن تصبهم**﴾ فعل مضارع مجزوم بإن الشرطية. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**سيئة**﴾ فاعل. ﴿**بما**﴾ متعلق بتصبهم. ﴿**قدمت أيديهم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**إذا هم يقنطون**﴾ جواب الشرط. والرَبط إذا الفجائية. وتقدم إعراب مثلها في قوله: إذا فريق منهم بربهم يشركون. ﴿**أولم يروا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي الجازم وواو العطف وهمزة الإستفهام ﴿**أن الله**﴾: أن وأسمها. ﴿**يبسط**﴾: فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر أنّ. ﴿**الرزق**﴾ مفعول به. ﴿**لمن**﴾ متعلق بيبسط. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَنْ. ﴿**ويقدر**﴾ معطوف على يبسط. ﴿**إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾: تقدم إعراب مثل هذه الجملة كثيراً. . ﴿**فآت**﴾ فعل أمر موجه إلى المخاطب. والفاء للتعقيب. ﴿**ذا**﴾ مفعول به منصوب بالألف. ﴿**القربى**﴾ مضاف إلى ذا مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**حقَّه**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**والمسكين وابن**﴾ معطوفان على ذا. ﴿**السبيل**﴾ مضاف إلى ابن. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبره. ﴿**للذين**﴾ متعلق بخير. ﴿**يريدون وجه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى وجه. والجملة صلة الموصول. ﴿**وأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**المفلحون**﴾ خبر المبتدإ. مرفوع بالواو. والجملة معطوفة على جملة يريدون. ﴿**وما آتيتم**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه ما الشرطية. ﴿**من ربا**﴾ بيان لما. ﴿**لتربوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لام التعليل. والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. . وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بآتيتم. ﴿**فلا يربو**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وفاء الربط. ﴿**عند**﴾ متعلق بيربو. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. وجملة فلا يربو عند الله جواب الشرط. ﴿**وما آتيتم من زكاة**﴾ مثل وما آتيتم من ربا في الإعراب. ﴿**تريدون وجه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى وجه. وجملة تريدون وجه الله نعت لزكاة. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل.

﴿**المضعفون**﴾ خبر المبتدإ. والجملة جواب الشرط والفاء رابط. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**خلقكم**﴾ صلة الموصول. ﴿**ثم رزقكم**﴾ معطوف على خلقكم. ﴿**ثم يميتكم ثم يحييكم**﴾ معطوف بعضها على بعض. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام. ﴿**من شركائكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مَنْ**﴾ في

محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿**يفعل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**من ذلكم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لشيء. ﴿**من شيء**﴾ مفعول بيفعل جُرّ بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**سبحانه**﴾ مفعول مطلق. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**وتعالى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**عما**﴾ متعلق بتعالى. ﴿**يشركون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**ظهر الفساد**﴾ فعل وفاعل. ﴿**في البر**﴾ متعلق بظهر. ﴿**والبحر**﴾ معطوف على البر. ﴿**بما**﴾ متعلق بظهر. ﴿**كسبت أيدي**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أيدي. ﴿**ليذيقهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بظهر. ﴿**بعض**﴾ مفعول ثان ليذيق. والمفعول الأول الضمير في الفعل يذيقهم ﴿**الذي**﴾ في محل جر مضاف إلى بعض. ﴿**عملوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**يرجعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعل. والجملة تعليلية. ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل**﴾: تقدم إعراب مثله. ﴿**كان أكثرهم**﴾ كان واسمها. ﴿**مشركين**﴾ خبرها. والجملة بيانية. ﴿**فأقم وجهك للدين**﴾: تقدم إعراب مثلها. ﴿**القيم**﴾ نعت للدين. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بأقم. ﴿**أن يأتي يوم**﴾ فعل وفاعل دخل حرف المصدر الناصب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى قبل. ﴿**لا مردَّ**﴾ لا واسمها. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. ﴿**من الله**﴾ متعلق بمردّ. ﴿**يومئذ**﴾ التنوين فيه عوض عن جملة شرط إذ. أي يوم إذ يجيء اليوم الذي لا مردّ له. ﴿**يصدّعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب إذ. عاملة فيه. ﴿**من كفر**﴾ جملة شرطية. ﴿**فعليه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**كفره**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة جواب الشرط. ﴿**ومن عمل**﴾ معطوف على من كفر. ﴿**صالحاً**﴾ مفعول به.

﴿**فلأنفسهم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يمهدون**﴾ فعل وفاعل. وجملة فلأنفسهم يمهدون جواب الشرط. ﴿**ليجزي**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل مثل ما تقدم في قوله: ﴿**ليذيقهم الذين**﴾ في محل نصب مفعول بيجزي. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. وعملوا الصالحات معطوف على آمنوا. ﴿**من فضله**﴾ متعلق بيجزي. ﴿**إنه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يُحبّ**﴾ فعل مضارع منفيّ بلا. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. ﴿**الكافرين**﴾ مفعول به وجملة إنه لا يحب

الكافرين تعليلية. ﴿**ومن آياته**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أن يرسل**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ مؤخر. ﴿**الرياح**﴾ مفعول يرسل. والتقدير: إرساله الرياح كائن من آياته الدالة على ما دل عليه ﴿**مبشرات**﴾. أي: ليبشركم ويذيقكم. ﴿**من رحمته**﴾ متعلق بيذيقكم. ﴿**ولتجري الفلك**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف التعليل الجار للمصدر المقدر معطوف مثل ما قبله. ﴿**بأمره**﴾ متعلق بتجري. وكذلك قوله. ﴿**ولتبتغوا من فضله. ولعلكم تشكرون**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**ولقد أرسلنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**من قبلك**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**رسلاً**﴾ مفعول به. ﴿**إلى قومهم**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**فجاءوهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للترتيب. ﴿**بالبينات**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فانتقمنا**﴾ تعقيب على ما تضمنه قوله: فجاءوهم بالبينات. ﴿**من الذين**﴾ متعلق بانتقمنا. ﴿**أجرموا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وكان حقاً**﴾ خبر كان مقدم. ﴿**علينا**﴾ متعلق به. ﴿**نصر**﴾ اسم كان مؤخر. ﴿**المؤمنين**﴾ مضاف إلى نصر. ﴿**اللَّهُ**﴾ مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**يرسل**﴾ فاعله ضمير يعود على الله. والجملة صلة الذي. ﴿**الرياح**﴾ مفعول به. ﴿**فتثير**﴾ مرتب على يرسل. وفاعله ضمير يعود على الرياح. ﴿**سحاباً**﴾ مفعول به. ﴿**فيبسطه**﴾ مرتب على تثير. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**في السماء**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كيف**﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ويجعله**﴾ معطوف على فيبسطه. ﴿**كسفاً**﴾ مفعول ثان بيجعله. ﴿**فترى**﴾ مرتب على ما قبله. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الودق**﴾ مفعول به. ﴿**يخرج**﴾ فاعله ضمير يعود على الودق. ﴿**من خلاله**﴾ متعلق بيخرج. والجملة حال من الودق.

﴿**فإذا أصاب**﴾ جملة شرطية دخل عليها حرف التعقيب. وفاعل أصاب ضمير يعود على الله. ﴿**به**﴾ متعلق بأصاب. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول بأصاب. ﴿**يشاء**﴾ فاعله ضمير يعود على الله. والجملة صلة مَن. ﴿**من عباده**﴾ بيان لمنْ. ﴿**إذا هم يستبشرون**﴾ جواب الشرط. والرابط إذا الفجائية. ﴿**وإن**﴾ مخفّفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بخبر كان الآتي. ﴿**أن ينزل**﴾ فعل مضارع مبنيٌّ للمجهول منصوب بأن ونائب الفاعل ضمير على الودق. ﴿**عليهم من قبله**﴾ متعلقان بينزل. ﴿**لمبلسين**﴾ خبر كان. واللام

لتوكيد الخبر وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن المخففة. ﴿**فانظر**﴾ مرتب على ما قبله. والأمر موجه إلى المخاطب. ﴿**إلى أثر**﴾ متعلق بانظر. ﴿**رحمة**﴾ مضاف إلى أثر. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى رحمة. ﴿**كيف**﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿**يحيي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به. ﴿**بعد**﴾ متعلق بيحيي. ﴿**موتها**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**إن ذلك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمحيي**﴾ خبر إنّ مرفوع بضمة مقدرة على الياء. ﴿**الموتى**﴾ مضاف إلى اسم الفاعل. مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**على كل شيء**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**قديرٌ**﴾. ﴿**ولئن أرسلنا ريحاً**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط ولام القسم وواو العطف. ﴿**فرأوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على أرسلنا. ﴿**مصفراً**﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿**لظلوا**﴾ ظل واسمها. ﴿**من بعده**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يكفرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر ظلّ. وجملة لظلوا جواب القسم أغنت عن جواب الشرط. ﴿**فإنك**﴾ إن واسمها. والفاء للتعقيب. ﴿**لا تسمع**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**الموتى**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف. وجملة لا تسمع الموتى خبر إنّ. ﴿**ولا تسمع الصم**﴾ معطوف على قوله: لا تسمع الموتى. ﴿**الدعاء**﴾ مفعول ثان. ﴿**إذا**﴾ ظرف متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**مدبرين**﴾ حال من الفاعل. ﴿**وما أنت**﴾ ما واسمها. والواو للعطف. ﴿**بهادي**﴾ خبر ما جرت بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**العمي**﴾ مضاف إلى هادي. ﴿**عن ضلالتهم**﴾ متعلق بهادي. ﴿**إن تسمع**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء ملغاة. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يؤمن**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة صلة مَنْ. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بيؤمن. ﴿**فهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مسلمون**﴾ خبر المبتدأ. والجملة مرتبة على ما قبلها بالفاء. ﴿**اللَّهُ**﴾ مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره.

﴿**خلقكم**﴾ صلة الذي. ﴿**من ضعف**﴾ متعلق بخلقكم. ﴿**ثم جعل**﴾ معطوف على خلقكم. ﴿**من بعد**﴾ متعلق بجعل. ﴿**ضعف**﴾ مضاف إلى بعد. ﴿**قوةً**﴾ مفعول به. ﴿**ثم جعل من بعد قوة ضعفاً**﴾: معطوف على ما قبله. ﴿**وشيبة**﴾ معطوف على ﴿**ضعفاً**﴾. ﴿**يخلق**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على الله.

﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. وفاعله ضمير يعود على الله والجملة صلة ما. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**العليم**﴾ خبره. ﴿**القدير**﴾ خبر ثان. والجملة تذييل. ﴿**ويوم**﴾ ظرف منصوب بالفتحة متعلق بيقسم. ﴿**تقوم الساعة**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل جر مضافة إلى يوم. ﴿**يقسم المجرمون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ما لبثوا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي. ﴿**غير**﴾ مفعول به. ﴿**ساعة**﴾ مضاف إلى غير. والجملة جواب القسم. ﴿**كذلك**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر. وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يؤفكون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل. والجملة خبر كان. والتقدير: كانوا يؤفكون إفكاً مثل ذلك الإفك. ﴿**وقال الذين**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**أوتوا**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل والجملة صلة الذين. ﴿**العلم**﴾ مفعول ثان. ﴿**والإيمان**﴾ معطوف على العلم. ﴿**لقد لبثتم**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**في كتاب الله إلى يوم**﴾ متعلقان بلبثتم. ﴿**البعث**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**فهذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. والفاء للتعقيب. ﴿**يوم**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**البعث**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**ولكنكم**﴾ لكن واسمها. والواو للعطف. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**لا تعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر كان. وكان واسمها وخبرها خبر لكنّ. ﴿**فيومئذ**﴾ التنوين عوض عن جملة شرطية. ﴿**لا تنفع**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**ظلموا**﴾ صلة الذين. ﴿**معذرتهم**﴾ فاعل تنفع. وجملة لا تنفع جواب شرط إذ. ﴿**ولا هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ولا نافية. والواو للعطف. ﴿**يستعتبون**﴾ فعل ونائب فاعل خبر المبتدإ. ﴿**ولقد ضربنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**للناس في هذا**﴾ متعلقان بضربنا. ﴿**القرآن**﴾ عطف بيان لاسم الإشارة. ﴿**من كل**﴾ متعلق بضربنا. ﴿**مثل**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**ولئن جئتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الشرط ولام القسم وواو العطف. ﴿**بآية**﴾ متعلق بجئتهم. ﴿**ليقولن**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين . ﴿**إن أنتم**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلا مبطلون**﴾ خبر المبتدإ. وجملة ليقولن الذين كفروا جواب القسم أغنى عن جواب الشرط. وجملة إن أنتم إلا مبطلون مقول القول.

﴿**كذلك**﴾ تقدم إعراب مثلها قريباً. ﴿**يطبع الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**على قلوب**﴾ متعلق بيطبع. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى قلوب. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة الذين. ﴿**فاصبر**﴾ فعل أمر موجه إلى الرسول. والفاء للتعقيب. ﴿**إن وعد**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى وعد. ﴿**حقٌّ**﴾ خبر إنّ. وجملة إن وعد الله حق تعليل. ﴿**ولا يستخفنّك**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا الناهية. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**لا يوقنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة الذين. وجملة ولا يستخفنك.. عطف نهي على أمر..

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون..**﴾ فهذا الكلام جاء مقروناً بالفاء التي تفيد التعقيب والترتيب.. ففي الكلام تعقيب على ما سبقه.. وترتيب لما بعده.. وجملة ﴿**وله الحمد في السماوات والأرض**﴾ معترضة بين الظروف المتعاطفة تفيد أن تسبيح المؤمنين لله ليس لمنفعة تعود على الله.. بل لمنفعة المسبحين؛ لأن الله محمود في السماوات والأرض.. فهو غني عن تسبيح المسبحين وحمد الحامدين.. ثم عطف عشياً على حين تمسون وحين تصبحون. وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وهذه الأوقات هي الأوقات التي فرضت فيها الصلاة.. فالصلاة هي محل التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد.. فحين تمسون صلاة المغرب والعشاء.. وتصبحون صلاة الصبح.. وعشياً صلاة العصر. وحين تظهرون صلاة الظهر. والحكمة في اختيار هذه الأوقات ظاهرة لكل من يهتم بمقاصد الشريعة حيث تفرق بين أوقات العبادات وأوقات العادات المتعلقة بشؤون الحياة! وجملة ﴿**يخرج الحي من الميت..**﴾ الخ علة لما قبلها.. فهي شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد. وموجبة لتسبيحه وتحميده حتماً. والإتيان بصيغة المضارع في يخرج، ويحيى لاستحضار الحالة العجيبة.. فهذا الإخراج والإحياء آية عجيبة على استحقاقه التعظيم، والتفرد بالعبادة. وفي الآية إيماء إلى أن الله يُخرج من غلاة المشركين أفاضل من المؤمنين. مثل: خالد بن الوليد. وعمرو بن العاص. وعكرمة بن أبي جهل.. والتشبيه في قوله: وكذلك تخرجون راجع إلى ما يصلح له من المذكور قبله. فالمعنى: أن الإبداء والإعادة

متساويان.. فليس البعث بعد الموت بأعجب من ابتداء الخلق.. ولكنَّ المشركين حكَّموا الإلف في موضع تحكيم العقل!.

﴿**ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها؛ لأنها من جملة الدلائل التي سبقت لبيان تنزه الله عن النقائص واتصافه بصفات العظمة والكمال.. فكلها تدور حول قوله تعالى: ﴿**فسبحان الله حين تمسون..**﴾ الخ فهذا استدلال للناس بأنفسهم؛ لأنهم أشهر بها مما سواها من بقية دلائل الآفاق.. ثم استدل مرة أخرى بما هو أدل وأقرب من كل ما في النفس من دلائل: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة..**﴾ ففي هذه الآية ـ زيادة على الاستدلال ـ عظة وتذكير بنظام الناس العام: وهو نظام الازدواج، وكينونة العائلة، وأساس التناسل. وهو نظام عجيب جعله الله مُركَّزاً في الجبلّة، لا يشذُّ عنه إلا الشذاذ من الناس الذين تغيرت جبلتهم، وانطمست معالم فطرتهم. وهي آية تنطوي على عدة آيات: منها أن جُعِلَ للإنسان ناموس التناسل، وأن جُعل تناسله بالتزاوج.. وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه.. وأن جُعل في ذلك التزاوج أنساً بين الزوجين: محبة وعطفاً.. وأدمج في الاعتبار بهذه الآية، ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل، ويتبعه من النعم والدلائل جُعلت هذه الآية آياتٍ عدّة في قوله تعالى: ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون..**﴾ فالجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على أن ما ذكر ليس بآية واحدة.. ﴿**ومن آياته خلق السماوات والأرض**﴾: هذه الآية الثالثة وهي آية النظام الأرضي في خلقها لمجموعها وسكانها.. فنظم مع الآيات الآفاقية الآيات الأنفسية في قوله: ﴿**واختلاف ألسنتكم وألوانكم**﴾؛ للإيذان باستقلاله، والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم. وذيل هذين الدليلين بقوله: ﴿**إن في ذلك لآيات للعالمين**﴾؛ لأن هذين الدليلين واضحان لكل العالمين من الملائكة والإنس والجن.. ﴿**ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله**﴾: هذه الآية الرابعة. وهي ظاهرة من أعراض الناس، لا يخلو عنها أحدٌ من أفرادهم. وهو منامُ الناس بالليل للراحة.. وابتغاؤهم الرزق بالنهار. ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**﴾: تذييل مقّرر لمضمون ما قبله.. فالأمر في ظهوره بحيث يكفي فيه مجرد السماع لمن له فهم وبصيرة.

﴿**ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض**

بعد موتها﴾: هذه الآية الخامسة. وهي متعلقة بالإنسان، وليست متّصلةً به. وجعلت هذه الآية آياتٍ؛ لانطوائها على دقائق عظيمة في خلق القوى التي هي أسباب: البرق، ونزول المطر، وخروج النبات من الأرض بعد جفافها وموتها. ونيط الانتفاع بهذه الآيات بأصحاب العقول بقوله: **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾**؛ لأن العقل كاف في فهم ما في تلك المذكورات من الدلائل والحِكَم.. **﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾**: خُتمت الآيات بهذه الآية السادسة. وهي التي دلت على عظيم القدرة على حفظ نظام العالم وما فيه من المخلوقات العظيمة بعد خلقها.. فخلْقُ السماوات والأرض آية مستقلّة. وبقاء نظامها على مر القرون آية أخرى.. فمعنى القيام هنا: البقاء الكامل المستمر. وتقييده بالأمر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادىء والأسباب.. بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه إلى أجلهما. وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة، متصلة بالبعث في الوجود أخرت عنهن، وجُعلت متصلة بالبعث في الذكر فقيل: **﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون..﴾** فإنه كلام مسوق للإخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيام السماء والأرض مترتب على تعدد آياته الدالة على اتصاف الله بصفات الكمال والتنزه عن صفات النقص وتمام هذه الدلائل بإتمام دورة الحياة من الدنيا إلى الآخرة: على حد قوله تعالى: **﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾**؟!..

﴿وله من في السماوات والأرض كل له قانتون﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على آية **﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض..﴾** وكذلك قوله: **﴿وهو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه..﴾** فتكرير الكلام هنا لزيادة التقرير، والتمهيد لما بعده من قوله: **﴿وهو أهون عليه﴾** تكملة للدليل. والكلام هنا جاء على طريقة التمثيل بالنسبة لما يفعله البشر مما يقدرون عليه.. فإن إعادة شيء من مادته الأولى أهون عليهم من إيجاده ابتداء. والمراد التقريب لعقول الجهلة المنكرين للبعث.. وإلاّ.. فكل الممكنات بالنسبة إلى قدرة الله تعالى سواء.. فكأنه قيل: **﴿وهو أهون عليه﴾** بالإضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم. ولمّا أخبر سبحانه وتعالى بأن الإعادة أهون عليه على طريق التمثيل عقب ذلك بقوله: **﴿وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم!..﴾** **﴿ضرب لكم مثلاً من**

أنفسكم﴾: أُتبع ضربُ المثل لإمكان إعادة الخلق عقب دليل بينه، بضرب مثل لإبطال الشرك عقب الدليلين المتقدمين في قوله تعالى: ﴿**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها**﴾؛ لينتظم الدليل على هذين الأصلين المهمين: أصل الوحدانية وأصل البعث. وجملة ﴿**هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم**﴾، تصوير للمثل.. فيكشف بالتمثيل والتقريب، بعد نهوضه بدليل العقل. وهذا مثل تشبيه هيئة مركبة بهيئة مركبة: شبهت الهيئة المنتزعة من زعم المشركين أن الأصنام شركاء لله في التصرف، وأنهم دافعون عن أوليائهم ما يريده الله ما تسلُّط عقاب أو نحوه؛ إذ زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله! وهم مع ذلك يعترفون بأن الأصنام والشركاء خلق من خلق الله.. فهذه الهيئة شُبّهت بهيئة ناس لهم عبيد صاروا شركاء في أرزاق سادتهم شركة على السواء.. فصار سادتهم يحذرون إذا أرادوا أن يتصرفوا في تلك الأرزاق أن يكون تصرفهم غير مرضيّ لعبيدهم.. فالمعنى في هذا التمثيل: هو نفي ما تضمنه ما فُصّل في الجملة الاستفهامية: ﴿**هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم..**﴾ أي: لا ترضون بأن يشارككم فيما هو معارٌ لكم مماليككم. وهم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم.. بل لله تعالى: فكيف تشركون به سبحانه وتعالى في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقة؟!.. بل مصنوع مخلوقه: حيث تصنعونه بأيديكم.. ثم تعبدونه! وجملة ﴿**كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون**﴾: جملة تذييلية تقرر ما تضمنه التمثيل السابق.. فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس. وإبراز لأوابد المدركات على هيئة المأنوس.. فيكون في غاية الإيضاح والبيان..

﴿**بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم**﴾: هذا الكلام إضراب إبطالي لما تضمنه التعريض الذي في قوله: ﴿**كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون**﴾. وإعراضٌ عن مخاطبتهم، ومحاولة إرشادهم إلى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة. وبيان لاستحالة تبعيّتهم للحق.. فكأنه قيل: لم يعقلوا شيئاً من الآيات المفصّلة.. بل اتبعوا أهواءهم الزائفة.. ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون الشيء في غير موضعه. بغير علم.. فهم جاهلون ببطلان ما أتوا مكبين عليه لا يلويهم عنه صارف، حسبما يُصرف العالم إذا اتبع الباطل علمه ببطلانه!.. ﴿**فمن**

يهدي من أضل الله؟!﴾: تفريع على ما قبله. وتمهيد لما بعده.. ومَنْ اسم استفهام إنكاري بمعنى النفي.. فيفيد نفي الهادي للذين يتبعون أهواءهم وشهواتهم مع جهالة وسوء رأي!.. ثم عُطف على جملة نفي هداهم خبرٌ آخر عن حالهم: **﴿وما لهم من ناصرين﴾**، رداً على المشركين الزاعمين أنهم إذا أصابوا خطيئة أن الأصنام تشفع لهم عند الله!. **﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾**: الفاء فصيحة أفصحت عن جواب شرط مقدر؛ والتقدير: إذا علمت أحوال المعرضين عن دلائل الحق فأقم أنت وجهك للدين حنيفاً. والأمر مستعمل في طلب الدوام. والمقصود: أن لا تهتم بإعراضهم. وإقامة الوجه تمثيل لحالة الإقبال على الشيء، والتمحُّص للشغل به، بحال قصر النظر إلى صوب قبالته غير ملتفة يمنة ولا يسرة. و**﴿فطرة الله﴾** بدل من «حنيفاً» بدل اشتمال.. وقوله: **﴿التي فطر الناس عليها﴾** بيان لمعنى الإضافة في قوله: فطرة الله. وتصريح بأن الله خلق الناس سالمةً عقولُهم مما ينافي الفطرة من الأديان الباطلة والعادات الذميمة.. وجملة **﴿لا تبديل لخلق الله﴾** مبينة لمعنى فطرة الله. وجملة ذلك الدين القيم زيادة تمييز هذا الدين مع تعظيمه. والاستدراك في قوله: **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** لدفع توهم واهم يقول: إذا كان هو دين الفطرة وهو القيّم.. فكيف أعرض كثير من الناس عنه بعد تبليغه؟!.. فاستدرك ذلك: بأن أكثر الناس جهال لا علم عندهم.. فإن كان قد بلغهم فإنهم جهلوا معانيه؛ لإعراضهم عن التأمُّل، ولا يعلمون منه إلا ما لا يفيدهم.. ففعلُ لا يعلمون غيرُ متطلب مفعولاً.. بل هو منزّل منزلة اللازم، أي: لا علم عندهم!. **﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾**: كلمة منيبين جاءت منصوبة على الحال من ضمير أقم لعمومه للأمة لأنها أمر الرسول أمر لأمته إذا لم يرد ما يخصّصُه.. واتقوه موصول بالعطف عليه.. وكذلك وأقيموا الصلاة.. وجملة ولا تكونوا من المشركين عطف نهي على أمر. وكل ذلك تفصيل لكلمة منيبين إليه. وإطلاق المنيب على المطيع استعارة لتعهد الطاعة تعهداً متكرراً. وجعلت تلك الاستعارة كناية عن مواصلة الطاعة وملازمتها.

وقوله: **﴿من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً..﴾** بدل من المشركين بإعادة الجار وفائدة الإبدال التحذير عن الانتماء إلى حزب من أحزاب المشركين ببيان أنّ الكل على الضلال المبين. وجملة **﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾** تذييل مقرر لمضمون ما قبله: من تفريق دينهم وكونهم شيعاً تشايع كل فرقة إمامها الذي

أضلها!. ﴿**وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون**﴾: الكلام موصول بالعطف على ما تقدم من كون أكثر الناس لا يعلمون حقيقة الدين الحق والفطرة السليمة.. فهم مترددون بين الشرك والتوحيد.. ﴿**ليكفروا بما آتيناهم**﴾: تهديد على ترك الفطرة السليمة ورفضهم الدين القيم.. ووعيد شديد لمن بدّل وغيّر دين الحق بالدين الباطل.. ﴿**فتمتعوا فسوف تعلمون**﴾: فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في التهديد ومواجهة الوعيد!. والالتفات إلى الغيبة في قوله: ﴿**أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون**﴾ للإيذان بالإعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثّة.. فأم في قوله أم أنزلنا.. مثل بل، للإضراب. وهو إضراب انتقالي. وإذ كان حرف أم حرف عطف فيكون ما بعدها إضراباً عن الكلام السابق على وجه الانتقال من كلام إلى كلام.. فهو توبيخ وتقريع ولوم متصل بالتوبيخ الذي أفاده قوله: ﴿**فتمتعوا فسوف تعلمون**﴾! ومغزى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة للإعراض عن مخاطبتهم إلى مخاطبة المسلمين تعجيباً من حال أهل الشرك!. وحيثما وقعت أم.. فالاستفهام مقدر بعدها؛ لأنها ملازمة لمعنى الاستفهام. وهو استفهام إنكاري فيه زيادة واضحة عما قبلها.. فليتنبه لهذا.. فهو كثير في القرآن.

﴿**وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون**﴾: اتصلت هذه الآية بالعطف على آية ﴿**وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم...**﴾ فهذه الآية تظهر بَطَر بعض الناس عند النعمة ويأسهم عند النقمة.. فالتقت الآيتان على صفتين مختلفتين في الناس: البطر عند النعمة واليأس عند النقمة. والاستسلام عند الشدة والنسيان عند النعمة المستردّة!. ﴿**أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر؟!**﴾... ﴿**فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل**﴾: الفاء هنا مثل الفاء في قوله: فأقم وجهك والخطاب موجه إلى النبي باعتبار من معه كذلك.. وموجه أيضاً لكل من يسمع مثل هذا الأمر.. وهذا الأمر مجمل تفصله آيات أخرى متفرقة.. واسم الإشارة في قوله: ﴿**ذلك خير**﴾ للتنويه بالمأمور به. ﴿**وما آتيتم من ربا لتربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون**﴾: لما جرى الترغيب والأمر ببذل المال لذوي الحاجة وصلة الرحم، وما في ذلك من الفلاح عطف عليه ما يمنع ويمحق ولا نفع فيه، وما هو مفيد للمعطي أكثر مما يعطيه.. وكان الربا فاشياً في

الجاهلية معترف به دون اعتراض من أحد عليه.. فجاء القرآن يشكك الناس في منافعه وفوائده. وبيّن لهم مضاره ومفاسده.. إلى أن حُرّم تحريماً قاطعاً بعد ذلك.. فهذا من حكمة التدرج في تشريع الأحكام التي تحتاج إلى تأنٍ وتأمل في مضارها ومنافعها.. مثل ما حصل في حكم الخمر والميسر.. ﴿**الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم**﴾: هذا الاستئناف الثاني من الأربعة التي أقيمت عليها دلائل انفراد الله تعالى بالتصرف في الناس.. وإبطال ما زعمه المشركون من الإشراك في الإلٰهية.. وإذ ما جاء للاستدلال على وقوع البعث. وقد جاء هذا الاستئناف على طريقة قوله: ﴿**الله يبديء الخلق ثم يعيده**﴾ واطرد الافتتاح بمثله في الآيات التي أريد بها إثبات البعث وحرف ثُمَّ مستعمل في معنى التراخي الزمني والرتبي. وجملة ﴿**هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء**﴾؟! استفهام إنكارى في معنى النفي؛ ولذلك زيدت من لتعم جميع الشركاء من جامد وحيّ.. فهي دالة على تحقيق نفي الجنس كله.. ثم استنتج من هذا تنزهه تعالى عن الشركاء بقوله: ﴿**سبحانه وتعالى عما يشركون!**﴾.. ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس**﴾: موقع هذه الآية ومعناها صالح لعدة وجوه من الموعظة.. فهي من جوامع كلم القرآن.. والمقصد منها: هو الموعظة بالحوادث: ماضيها وحاضرها.. فموقع هذه الآية موقع الاستئناف البياني؛ بتقدير سؤال عن سبب ما حل بأولئك الأمم.. فيوشك أن يحل بهؤلاء المشركين مثل ما حل بأولئك المفسدين.. فأعظم الفساد ظهور الشرك بين العباد! وأطلق الظهور هنا على حدوث حادث لم يكن..

فشبه ذلك الحدوث بعد العدم بظهور الشيء الذي كان مختفياً. ويجري حكم تعريف الناس على نحو ما يجري في تعريف الفساد من عهد أو عموم.. فالمعهود هم المشركون. وقد شاع في القرآن تغليب اسم الناس عليهم. واللام في قوله: ﴿**ليذيقهم بعض الذي عملوا**﴾ للعاقبة. والإذاقة استعارة مكنية، حيث شبه ما يصيبهم من الآلام فيحسون بها بإصابة الطعام حاسة المطعم. والرجاء المستفاد من قوله: ﴿**لعلهم يرجعون**﴾ يشير إلى أن ما ظهر من فساد كاف لإقلاعهم. والرجوع مستعار للإقلاع عن المعاصي. ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين**﴾: لما وعظ الله الناس بما أصابهم من فساد الأحوال، ونبّههم إلى أنها بعض الجزاء على ما كسبت أيديهم عرّض لهم بالإنذار

بفساد أعظم قد يحل بهم مثله. وهو ما أصاب الذين من قبلهم بسبب ما كانوا عليه من نظير حال هؤلاء في الإشراك.. فأمرهم بالسير في الأرض، والنظر في مصير الأمم التي أشركت وكذبت.. فهذا تكرير وتأكيد لقوله السابق: **﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾**: كانوا أشد منهم.. الخ الآية. وإنما أعيد اهتماماً بهذه العبرة مع مناسبة قوله: **﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا..﴾** وجملة كان أكثرهم مشركين واقعة موقع التعليل لجملة كيف كان عاقبة الذين من قبل. **﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله﴾**: تفرع على الإنذار والتحذير من عواقب الشرك تثبيت الرسول على شريعته. وهذا تأكيد للأمر بإقامة الوجه للدين في قوله: **﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾**. والقيّم بوزن فيعل. وهي زنة تدلُّ على قوة ما تصاغ منه.. فوصف الإسلام في الآية السابقة بالحنيف والفطرة، ووصف هنا بالقيّم. وبين أقم والقيّم مُحسّن الجناس. **﴿من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾**: هذه الآية تنزل منزلة البيان لإجمال الآية التي قبلها؛ لأن التثبيت على الدين القيّم بعد ذكر ما أصاب المشركين من الفساد بسبب شركهم يتضمن تحقير شأنهم عند الرسول والمؤمنين. فبين ذلك بأنهم لا يضرون بكفرهم إلا أنفسهم. والذي يكشف هذا المعنى تقديم المسند في قوله: فعليه كفره؛ فإنه يفيد تخصيصه بالمسند إليه؛ ولهذا ابتدىء بحال من كفر..

ثم ذكر بعد، حال من آمن: **﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾**. واقتضى حرف الاستعلاء ـ فعليه ـ أن في الكفر تبعةً وشدّةً وضُرًّا على الكافر؛ لأن على تقتضي ذلك في مثل هذا المقام؛ كما اقتضى اللام في قوله: **﴿فلأنفسهم..﴾** أن لمجرورها نفعاً وغُنْماً. وهذا التركيب من جوامع الكلم؛ لدلالته على ما لا يحصى المضارّ من على الكافر في كفره، وأنه لا يضر غيره.. وعلى ما لا يحصى من المنافع للمؤمن في إيمانه.. مع تمام الإيجاز. وجملة **﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله..﴾** وجملة إنه لا يحب الكافرين تعليل يناسب كلاً حسب عمله. وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات أبرز ذلك في معرض الغاية ـ ليجزي ـ وعبّر عنه بالفصل؛ لما أن الإثابة بطريق التفضل لا الوجوب. وأشير إلى جزاء الفريق الآخر بقوله: **﴿إنه لا يحب الكافرين..﴾** فإن عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة!.

﴿**ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**﴾: لما ذكر سبحانه ظهور الفساد والهلاك بسبب المعاصي، ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر سبحانه أنه بسبب العمل الصالح؛ لأن الكريم يَذْكر لعقابه سبباً لئلا يتوهم منه الظلم. ولم يذكر ذلك لإحسانه! والإرسال مستعار لتقديم الوصول. ولما كانت البشارة الخبر السارّ شبهت الرياح برُسُل موجّهةٍ بأخبار المسرّة.. وفوائد هذه الرياح: البشارة بالمطر.. وجري الفلك في البحر.. لطلب الرزق من السفر.. وطلب الشكر على هذه النعم التي لا تحصى ولا تحصر!

﴿**ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾: هذه الآية معترضة بين ما سبق وما لحق من أحوال الرياح وأحوالها.. جاءت لإنذار الكفرة وتحذيرهم عن الإخلال بموجب الشكر المطلوب بقوله تعالى: ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ بمقابلة النعم المذكورة المنوطة بإرسال الرياح كي لا يحل بهم مثل ما حل بأولئك الأمم من الانتقام. والله لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم، كما أرسلناك رسولاً إلى قومك.. فالفاء في قوله: ﴿**فانتقمنا من الذين أجرموا**﴾ فصيحة أفصحت عن سبب مقدر؛ والتقدير: فكذبوهم فانتقمنا منهم. وإنما وُضع موضع ضميرهم الموصولُ للتنبيه على إمكان المقدر، والإشعار بكونه علّةً للانتقام. وفي قوله تعالى: ﴿**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾ مزيد تشريفٍ وتكرمةٌ للمؤمنين حيث جُعلوا مستحقّين على الله تعالى أن ينصرهم. وإشعار بأن الانتقام من الكفرة لأجل النصر. وكلمة ﴿**حقاً علينا**﴾ من صيغ الإلزام. ﴿**الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون**﴾: هذا استئناف مسوق لبيان ما أجمل فيما سبق من أحوال الرياح.. فجاءت هذه الآية على أسلوب أمثالها. وجاءت المناسبة هنا لذكر الاستدلال بإرسال الرياح استدلالاً على الطرد بالتصرف وتصوير الصنع الحكيم الدال على سعة العلم.. ثم أعقب بالاستدلال بإرسال الرياح توسلاً إلى ذكر إحياء الأرض بعد موتها المستدل به على صحة وقوع البعث.. فقد أفادت صيغة الحصر ـ الله الذي ـ أنه هو المتصرف في هذا الشأن العجيب دون غيره. والتعبير بصيغة المضارع في قوله: يرسل.. وتثير.. فيبسطه.. ويجعله.. لاستحضار الصور

العجيبة المترتبة ترتيباً عجيباً. . في تلك التصرفات. . حتى كأنّ السامع يشاهد تكوينها. . مع الدلالة على تجدُّد ذلك. . وجمع الرياح لما شاع في استعمالهم من إطلاقها بصيغة الجمع على ريح البشارة بالمطر، لأن الرياح التي تثير السحاب هي الرياح المختلفة جهات عبورها بين جنوب وشمال وشرق وغرب. بخلاف اسم الريح المفردة، فإنه غلب في الاستعمال إطلاقه على ريح القوّة والشدة؛ لأنها تتصل واردة من صوب واحد فلا تزال تشتد. . حتى تقضي على ما كان أمامها من بناء أو شجر أو حيوان. . فتدمرهُ وتأتي عليه. .

وفي قوله تعالى: **﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾** زيادة تنبيه على الحالة التي كانت من قبل نزول المطر. . **﴿فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾**: رتب على ما تقرر من استحضار صورة تكوين أسباب المطر واستبشار الناس بنزوله بعد الإبلاس وطول اليأس. . وأُطلق على إنبات الأرض إحياء، وعلى محولها موتٌ على سبيل الاستعارة. لما في الموت من همود وخمود، وفي الحياة من حركة وتوسع وصعود. وجملة **﴿إن ذلك لمحيي الموتى﴾** استئناف على طريقة الإدماج: أدمج دليل البعث بعد الاعتبار بإحياء الأرض بعد موتها. وعدل عن الموصول إلى الإشارة ـ إن ذلك ـ للإيجاز، ولما في الإشارة من إحضار الصورة للتعظيم. وذيل ذلك بقوله: **﴿وهو على كل شيء قدير﴾**. وهو تذييل مقرر لمضمون ما قبله: مبالغة في عموم القدرة على جميع الأشياء التي من جملتها إحياؤهم بعد الموت؛ لما أن نسبة قدرته إلى الكل سواء **﴿ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرًا لظلوا من بعده يكفرون﴾**: هذه الآية سيقت للتنبيه على أنّ الكفران مطبوع فى نفوسهم؛ بحيث يعاودهم بأدنى سبب. . فهم إذا أصابتهم النعمة استبشروا وبطروا. . وإن أصابتهم النقمة أسرعوا إلى اليأس والقنوط فاستيأسوا وكفروا. . فصور بكفرهم أعجب صورة. . **﴿فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين. وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾**: هذه الآية مرتبة بالفاء على قوله: **﴿لظلوا من بعده يكفرون﴾**. المفيد أن الكفر غالب أحوالهم؛ لأنهم بين كفر بالله وبين إعراض عن شكره. وهذه معذرة للنبيء، ونداء على أنه بذل جهدهُ في التبليغ. وفيما عدا الفاء. فإن الآية نظير التي في آخر سورة النمل. . ونزيد هنا. . فنقول: تلك التشابيه والنظائر منظور فيها إلى اختلاف أحوال طوائف الكافرين. . فكان لكل

فريق تشبيه يناسبه. ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف.. ثم جعل من بعد ضعف قوة.. ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة.. .يخلق ما يشاء وهو العليم القدير**﴾: هذا رابع استئناف. وهو رجوع إلى الاستدلال على عظيم القدرة في مختلف المصنوعات من العوالم؛ لتقرير إمكانية البعث وتقريب حصوله إلى قلوب منكريه؛ لأن تعدّد صور إيجاد المخلوقات وكيفياته من ابتدائها عن عدم، أو من إعادتها بعد انعدامها، ويتطوّر بدونه مما يزيد إمكان البعث وضوحاً عند منكريه.

﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون. ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون**﴾: هذه الآية متصلة بالعطف على ما سبق من ذكر البعث ودليله. والكلام وارد على سبيل إظهار التحسر والتأسف على إضاعتهم أيام حياتهم القصيرة التي اغتروا بها وخدعوا فيها بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة! فسوق الكلام في قوله: كذلك كانوا يؤفكون للتعجب من اغترارهم بلامع السراب. والغرض من إيراد هذه الآية أن يحقر عند الناس ما هم فيه من التمتعات وزخارف الدنيا كي يقلعوا عن العناد، ويرجعوا إلى سبيل الرشاد! ﴿**وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون**﴾: هذه الآية رد على حَلِفِ المجرمين: ﴿**ما لبثوا غير ساعة**﴾: فقال لهم أهل العلم والإيمان: لقد لبثتم كما نص الكتاب المنزل من عند الله، وهو: ليجمعنكم في البرزخ إلى يوم القيامة... ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون.. ثم بكتوهم بالإخبار بوقوعها حيث قالوا لهم: ﴿**فهذا يوم البعث ولكنكم**﴾!.. فالفاء فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر.. فالتقدير: إذا كان ذلك كذلك.. فهذا يوم البعث.. فأفادت الفاء زيادة على الافتضاح معنى المفاجأة! وهذا توبيخ لهم وتهديد وتعجيل لإساءتهم بما يتوقعهم من العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستبعدونه ويستعجلون به استهزاء!.. والاستدراك في قوله: ﴿**ولكنكم كنتم لا تعلمون**﴾ استدراك على ما تضمنته جملة لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث.. وفي التعبير بنفي العلم: وقصد نفي الاهتمام به والعناية بتلقيه إشارةٌ إلى أنّ التصدي للتعلّم وسيلة لحصول العلم بحقيقة البعث وما يكون فيه.. ﴿**فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون**﴾: هذه الآية تفريع على آية ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون..﴾ فيومئذ.. والتعبير عنهم بالذين ظلموا إظهار في مقام الإضمار لغرض التسجيل عليهم بوصف الظلم.

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾: لما انتهى ما أقيمت عليه السورة من دلائل الوحدانية وإثبات البعث عقب ذلك بالتنويه بالقرآن وبلوغه الغاية القصوى في الإرشاد والبيان: وبالله لقد بينا للناس وفي أولهم العرب عموماً ومشركو قريش بالخصوص كل حال.. ووصفنا لهم كل صفة.. كأنها في غرابتها ووضوحها مثل يضربه الناس لغرض إدراكه وفهمه. وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن: تثير الانتباه، وتزيل الاشتباه.. كصفة المبعوثين يوم القيامة، وقصتهم، وما يقولون وما يقال لهم، ويُفعلُ بِهِم..

﴿ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾: هذا الكلام يدل على فرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم عندما يخاطبون الرسول والمؤمنين بهذا الكلام!.. **﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾**: هذا هو الإيقاع الأخير في السورة بعد تلك الجولات مع الناس عموماً، ومع المشركين والجاحدين على وجه الخصوص، في الكون والتاريخ، وفي ذوات أنفسهم وفي أطوار حياتهم ثم هم بعد ذلك كله يكفرون ويتطاولون.. لكن الصبر وسيلة المؤمنين في الطريق الطويل الشاق الذي قد يبدو أحياناً بلا نهاية!.. فهكذا تختم السورة التي بدأت بوعد الله في نصر المؤمنين تختم الآن بالصبر حتى يأتي وعد الله.. والصبر كذلك على محاولة الاستخفاف والزعزعة من الذين لا يوقنون.. فيتناسق البدء والختام، ويعود العجز على الصدر! وهو من أقوى بلاغة الكلام مع حسن براعة المطلع وبراعة المقطع في ربط هذا الكلام!!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون..﴾: في هذا التوجيه جولة تطوف بالقلب المؤمن في الأمسيات والإصباح وأوقات الظهر والعصر.. تربطه بربه الخالق الرازق في تسبيح وتحميد ودعاء وتضرع وتمجيد. إن ذلك التسبيح وهذا الحمد في النص، يجيئان تعقيباً على مشهد القيامة في النص الذي قبله.. ومقدمة لما يأتي بعده من دلائل التوحيد، والنص يربط التسبيح والحمد بأوقات الصلوات

المفروضة: الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء؛ كما يربطهما بآفاق السماوات والأرض.. فيتقصى بهما الزمان والمكان، ويربط القلب المؤمن بالله في كل بقعة وفي كل أوان. وعندئذٍ يشعر الإنسان المسلم بتلك الرابطة بينه وبين خالقه مع هيكل الكون ودورة الأفلاك وظواهر الليل والنهار والعشي والإظهار..

فمن ثَمَّ يظل قلب المسلم مفتوحاً يقظاً حساساً، مع كل ما حوله ومن حوله من مشاهد ومظاهر، وكل ما يختلف عليه من آونة وأحوال: ﴿**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب**﴾: ﴿**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض**﴾: ﴿**ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك**﴾! فهذا النص يذكر المسلم بتسبيح الله وحمده ويصله بخالقه والتمهيد يأتي بالدليل القاطع على حقيقة التوحيد: ﴿**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويحيي الأرض بعد موتها..**﴾ فهذه العملية الدائبة الدائمة التي لا تكف ولا تَنِي لحظة واحدة من لحظات الليل والنهار في كل مكان على سطح الأرض وفي أجواء الفضاء وفي أعماق البحار.. ففي كل لحظة يتم هذا التحول.. بل هذه المعجزة الخارقة التي لا ننبَه إليها لطول الألفة والتكرار.. ففي كل لحظة يخرج حيّ من ميت، ويخرج ميت من حيّ.. وفي كل لحظة يتحرك برعم ساكن من جوف حبّة أو نواة فيفلقها ويخرج إلى وجه الحياة.. وفي كل لحظة يجف عود أو شجرة تستوفي أجلها فتتحول إلى هشيم أو حطام.. ومن خلال الهشيم والحطام توجد الحبة الجديدة الساكنة المتهيئة للحياة والإنبات.. وفي كل لحظة تدب الحياة في جنين إنسان أو حيوان! إنها دورة دائمة عجيبة رهيبة لمن يتأمّلها بالحس الواعي والقلب البصير والعقل المنير.. فيراها على هدي القرآن ونوره المستمد من نور الله العليم الخبير.. ثم يأتي التعليق على هذا التنسيق الدقيق: ﴿**وكذلك تخرجون..**﴾ فالأمر عادي واقعي لا غرابة فيه.. فبعث الأموات من تمام التنسيق بين هذه المخلوقات: ﴿**ومن آياته أن خلقكم من تراب..**﴾ ﴿**ثم إذا أنتم بشر تَنْتَشِرون**﴾! فهذا هو كيفية التنسيق بين المخلوقات.. فالتراب ميت ساكن؛ ومنه نشأ الإنسان الأول: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين..**﴾ فالتراب مع الماء يتكون الطين.. فالطين هو الأصل البعيد للإنسان.. ولكن هنا يذكر هذا الأصل ويعقبه مباشرة بصورة البشر منتشرين متحركين.. فهذا مقابلة في المشهد والمعنى بين التراب الميت الساكن، وبين البشر الحي المتحرك

الواعي الفاطن.. فهذه المعجزة الخارقة آية من آيات القدرة.. وإيحاء كذلك بالصلة الوثيقة بين البشر وهذه الأرض التي يعيشون عليها؛ والتي يلتقون بها في أصل تكوينهم، وفي النواميس التي تحكمها وتحكمهم في نطاق الوجود الكبير.

والنقلة الضخمة من صورة التراب الساكن الزهيد إلى صورة الإنسان المتحرك الواعي المريد!.. فهي نقلة تثير التأمل في صنع الله! وتستجيش الضمير للحمد والتسبيح لله! وتحرك القلب لتمجيد الصانع المتفضل الحميد المجيد!. ومن مجال الخلقة الأولى لنوع البشر ينتقل إلى مجال الحياة المشتركة بين جنس البشر: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**..﴾ فعلاقة الرجل بالمرأة علاقة تكوينية ربانية لم تكن صدفة ولا عشوائية.. ولكن الناس قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر التي يحس بها الآخَرُ تجاه الآخَرِ.. فجعلت في تلك صلةً وسكنا للنفس والعصب.. وراحة للجسم والقلب. واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر.. واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء والتعبير القرآني اللطيف الرفيق بصور هذه العلاقة تصويراً موحياً باللطف والعطف.. فكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس.. فهذا لا ينتبه إليه ولا يحس به إلا من صفا فكره واستنار عقله وخلصت فطرته من أوشاب العادات الملطخة بالأدران والدنس: ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**..﴾ فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر. ملبياً لحاجته الفطرية الربانية: نفسية وعقلية وجسدية. بحيث يجد عند كل منهما الراحة والطمأنينة والاستقرار. ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء والمحبّة والعطف؛ لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر. وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد. وبعد هذا يوجه السياق الناس إلى آيات الله في الآفاق؛ وفي الأنفس ليعلموا سر هذا الاتفاق: ﴿**ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**..﴾ فآية خلق السماوات والأرض كثيراً ما يشار إليها في القرآن، وكثيراً ما نمُرّ عليها سراعاً دون أن نتوقف أمامها طويلاً.. ولكنها جديرة بطول الوقوف والتدبر العميق. إن خلق السماوات والأرض معناه إنشاء هذا الخلق الهائل الضخم العظيم الدقيق.. الذي لا نعرف عنه إلا أقل من القليل. هذا الحشد الذي لا يحصى من الأفلاك

والمدارات والنجوم والكواكب والسدم والمجرات. تلك التي لا تزيد أرضنا الصغيرة عن أن تكون ذرة تائهة بينها، تكاد أن تكون لا وزن لها ولا ظل! ومع الضخامة الهائلة ذلك التناسق العجيب بين الأفلاك والمدارات والدورات والحركات، وما بينها من مسافات وأبعاد تحفظها من التصادم والخلل والتخلف والاضطراب، وتجعل كل شيء في أمرها بمقدار. ذلك كله من ناحية الحجم العام والنظام..

فأما أسرار هذه الخلائق الهائلة وطبائعها وما يستكن فيها وما يظهر عليها.. والنواميس الكبرى التي تحفظها وتحكمها وتصرّفها.. فهذا كله أعظم من أن يلمّ به الإنسان.. وما عرف عنها إلا أقل من القليل. ودراسة هذا الكوكب الصغير الضئيل الذي نعيش على سطحه لم يتم منها حتى اليوم إلا القليل!. هذه لمحة خاطفة عن آية خلق السماوات والأرض التي نمر عليها سراعاً. بينما نتحدث طويلاً. وطويلاً جداً عن جهاز صغير يركبه علماء الإنسان ويحتفظون فيه بالتناسق بين أجزائه المختلفة لتعمل كلها في حركة منتظمة دون تصادم ولا خلل فترة من الزمان!.. ثم يستطيع بعض التائهين الضالين المنحرفين أن يزعم أن هذا الكون الهائل المنظم الدقيق العجيب وجد واستمر بدون خالقٍ مدبرٍ!. ويجد من يستطيع أن يسمع لهذا الهراء ممن يدّعون أنهم من العلماء!.. ثم مع آية السماوات والأرض عجيبة اختلاف الألسنة والألوان في نوع بني الإنسان! وعلماء هذا الزمان يرون اختلاف اللغات واللهجات ويسمعون غير الأصوات والنبرات. وأشكال الألوان والملامح والسحنات.. ثم يمرون عليه دون أن يروا فيه يَدَ الله!.. وقد يدرسون هذه الظاهرة دراسة موضوعية.. ولكنهم لا يقفون ليمجّدوا الخالق المدبّر للظواهر والبواطن. ذلك أن أكثر الناس لا يعلمون.. إنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ليزدادوا بالدنيا تمسكاً وتعلقاً. ويجعلون كل نشاطهم ومحاولاتهم ومغامراتهم لأجل متعة قصيرة ضئيلة في هذه الحياة الدنيا!.. وآيات خلق السماوات والأرض.. وآيات ما في الإنسان من تفاوت في الألوان والأوصاف.. لا تخفى على أحد: ﴿**إن في ذلك لآيات للعالمين**﴾!.

﴿**ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله**﴾: هذه آية كذلك تجمع بين ظواهر كونية، وما يتعلق بها من أحوال البشرية، وتربط بين هذه وتلك. وتنسق

بينهما في صلب هذا الوجود الكبير... فهذه الآية تجمع بين ظاهرتي الليل والنهار ونوم البشر ونشاطهم ابتغاء رزق الله الذي يتفضل به على العباد، بعد أن يبذلوا نشاطهم في الكدّ والابتغاء، قد خلقهم الله متناسقين مع الكون الذي يعيشون فيه. فجعل حاجتهم إلى النشاط والعمل يلبيها الضوء والنهار. وحاجتهم إلى النوم والراحة يلبيها الليل والظلام. مثلهم مثل جميع الأحياء على ظهر هذا الكوكب على نسب متفاوتة في هذا ودرجات. وكلها تجد في نظام الكون العام ما يلبي طبيعتها ويسمح لها بالحياة: ﴿**إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون**﴾: النوم والسعي سكون وحركة يدركان بالسمع، ومن ثمّ يتناسق هذا التعقيب في الآية القرآنية مع الآية الكونية التي تتحدث عنها على طريقة القرآن الكريم .﴿**ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا**﴾: ظاهرة البرق ظاهرة ناشئة عن النظام الكوني الذي خفي تعليل سببه على علوم البشر.. ويعللها بعضهم ـ بحسب الظاهر ـ بأنها تنشأ من انطلاق شرارة كهربية بين سحابتين محملتين بالكهارب، أو بين سحابة وجسم أرضي، كقمة جبل مثلاً. . ينشأ عنها تفريغ في الهواء يتمثل في الرعد الذي يعقب البرق. وفي الغالب يصاحب هذا وذلك تساقط المطر نتيجة لذلك التصادم. وأيما كان السبب فالبرق ظاهرة ناشئة عن نظام هذا الكون كما خلقه الباري وقدره تقديرا. والقرآن الكريم حسب منهجه لا يفصل كثيرا في ماهية الظواهر الكونية وعللها. . إنما يتخذ منها أداة لوصل القلب البشري بالوجود وخالق الوجود. ومن ثم يقرر هنا أنها آية من آيات الله أن يريهم البرق ـ خوفا وطمعا ـ وهما الشعوريان الفطريان اللذان يتعاوران النفس البشرية أمام تلك الظاهرة: شعور الخوف من الصواعق التي تحرق الناس والأشياء أحيانا عندما يبرق البرق أو الخوف الغامض مما ينشأ من قوة الضوء وشدة الصوت بما يوقعه في الحسّ من الشعور بالقوة المنصرفة في هذا الكون وظواهره الهائلة. وشعور الطمع في الخير من وراء المطر الذي يصاحب البرق في معظم الأحوال، والذي عقب بذكره في الآية بعد ذكر البرق: ﴿**وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها. .**﴾ فالتعبير بالحياة والموت بالقياس إلى الأرض تعبير يخيّل أن الأرض كائن حي، يحيا ويموت. وإنها كذلك في حقيقتها التي يصورها القرآن الكريم. . فهذا الكون خليقة حية متعاطفة متجاوبة، مطيعة لها خاضعة خاشعة، ملبية لأمره مسبحة عابدة. والإنسان الذي يدب على هذا الكوكب الأرضي واحد من خلائق الله هذه. يسير معها في موكب واحد متجه

إلى رب العالمين. ذلك كله بالإضافة إلى أن الماء حين يصيب الأرض يبعث فيها الخصب فتنبت الزرع الحي النامي.

وتموج صفحتها بالحياة المنبثقة في هذا النبات، ومن ثم في الحيوان والإنسان. والماء رسول الحياة فحيث كان تكون الحياة: ﴿**إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون**..﴾ فهنا للعقل مجال للتدبر والتفكير. ﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**﴾: قيام السماوات والأرض وبقاؤهما على ما هما عليه منتظمة سليمة مستمرة مقدّرة الحركات لا يكون إلاّ بقدرة من الله وتدبيره. وما من مخلوق يملك أن يدعي أنه هو أو سواه يفعل هذا. ومن عاقل يملك أن يقول: إنّ هذا كله يقع بدون إرادة وتدبير! وإذن.. فهي آية من آيات الله أن تقوم السماء والأرض بأمره! ملبية لهذا الأمر، طائعة له، دون انحراف أو تلكؤ ولا اضطراب.. ﴿**ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون**..﴾ فمن يرى هذا التقدير في نظام الكون وهذه السلطة على مقدراته لا يشك في تلبية البشر الضعاف لدعوة تصدر إليهم من الخالق القادر العظيم بالخروج من القبور.. ثمّ يأتي الإيقاع ختاما لهذا التقرير.. فإذا كل من في السماوات والأرض من خلائق قانتون لله طائعون: ﴿**وله من في السماوات والأرض كل له قانتون**..﴾ لكننا نرى أن الكثيرين من الناس غير طائعين لله ولا عابدين.. فهذا التقرير إنما يعني خضوع كل من في السماوات والأرض لإرادة الله ومشيئته التي تصرفهم وفق السنّة المرسومة التي لا تختلف ولا تحيد.. فهم محكومون بهذه السنة ولو كانوا عصاة كافرين. فهم محكومون بهذا بالحكم التكويني. والإيمان والعصيان داخل تحت الحكم التكليفي الشرعي المبني على الاختيار والاستطاعة.. إنما تعصي عقولهم وتكفر قلوبهم على قاعدة الحكم الشرعي التكليفي.. ولكنهم مع هذا محكومون بالناموس مأخوذون بالسنة القاهرة المطردة. يتصرف فيهم خالقهم وفق ما يريد تصرفه بباقي العبيد. وهم لا يملكون إلاّ الخضوع والقنوط وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله رب العالمين.. ثمّ يختم تلك الجولة الضخمة الهائلة اللطيفة العميقة بتقرير قضية البعث والقيامة التي يغفل عنها الغافلون.. ويكفر بها الجاحدون المجرمون: ﴿**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه**..﴾ فقد سبق في السورة تقدير البدء والإعادة.. وهو يعاد هنا بعد تلك الجولة العريضة ويضاف إليها جديد: وهو أهون عليه !. وليس شيء أهون على الله ولا أصعب.. إنما أمره إذا أراد شيئا:

أن يقول له كن فيكون.. ولكنه.. إنما يخاطب الناس بحسب إدراكهم.. ففي تقدير الناس: أن بدء الخلق أصعب من إعادتهم.. فما بالهم يرون الإعادة عسيرة على الله؟! ـ وهي في طبيعتها أهون وأيسر ﴿**وله المثل الأعلى في السماوات والأرض**﴾!.. فهو سبحانه وتعالى ينفرد في السماوات والأرض بصفاته لا يشاركه فيها أحد. وليس كمثله شيء.. إنما هو الفرد الصمد.. ﴿**وهو العزيز**﴾: القاهر الذي يفعل ما يريد.. ﴿**الحكيم**﴾: الذي يدبر الخلق بإحكام وتقدير..

التوجيه الثاني: ﴿**ضرب لكم مثلا من أنفسكم، هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم**..﴾ في هذا التوجيه لفت النظر إلى ضرب هذا المثل.. عندما انتهت تلك الجولة التي طوّف فيها القلب البشري بتلك الآفاق والآماد، والأعماق والأغوار، والظواهر والأحوال يواجهه سياق السورة بإيقاع جديد: بضرب هذا المثل لمن كانوا يتخذون من دون الله شركاء خلقا من خلقه: جنا أو ملائكة أو أشخاصا أو حيوانا أو أشجارا أو أصناما وأوثانا.. وهم لا يرتضون أن يشاركهم مواليهم في شيء مما تحت أيديهم من مال؛ ولا يسوّون عبيدهم بأنفسهم في شيء من الاعتبار.. فيبدو أمرهم عجبا!: يجعلون لله شركاء من عبيده وهو الخالق الرازق وحده.. ويأنفون أن يجعلوا لأنفسهم من عبيدهم شركاء في مالهم. ومالهم ليس من خلقهم.. إنما هو من رزق الله. وهو تناقض عجيب في التصور والتقدير. والنص يفصل للمشركين هذا المثل خطوة خطوة: ﴿**ضرب لكم مثلا من أنفسكم**..﴾ فليس بعيدا عنكم ولا يحتاج إلى رحلة أو نقلة لملاحظته وتدبره.. ﴿**هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه**﴾؟..فهم لا يرضون أن يشاركهم مماليكهم في شيء من رزق. فضلا على أن يساووهم فيه.. ﴿**تخافونهم كخيفتكم أنفسكم**﴾: تحسبون حسابهم معكم كما تحسبون حساب الشركاء الأحرار.. وتخشون أن يجوروا عليكم وتحرجوا كذلك من الجور عليهم؛ لأنهم أكفاء لكم وأندادا.. هل يقع شيء من هذا في محيطكم القريب وشأنكم الخاص؟!.. فإذا لم يكن شيء من هذا.. فكيف ترضونه في حق الله. وله المثل الأعلى؟!.. فهذا مثل واضح بسيط حاسم لا مجال للجدل فيه. وهو يرتكن إلى المنطق البسيط، وإلى العقل المستقيم: ﴿**كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون**﴾. وعند هذا الحد من عرض تناقضهم في دعوى الشرك المتهافتة يكشف عن العلة الأصلية في هذا التناقض المريب: إنه الهوى الذي لا

يستند على عقل أو تفكير﴿. . **بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم**. . ﴾

فالهوى لا ضابط له ولا مقياس. . إنما هو شهوة النفس المتقلبة، ونزوتها المضطربة، ورغباتها ومخاوفها. . وآمالها ومطامعها التي لا تستند إلى حق، ولا تقف عند حد، ولا تزن بميزان. . فهو الضلال الذي لا يرجى معه هدى، والشرود الذي لا ترجي معه أوبة. . ﴿**فمن يهدي من أضل الله؟!. . وما لهم من ناصرين**﴾ يمنعونهم من سوء المصير !. . فعند هذا الحد يفرغ السياق من أمر هؤلاء الذين يتبعون أهواءهم المتقلبة المضطربة. . ويتجه بالخطاب إلى الرسول ﷺ ليستقيم على دين الله الثابت المستند على فطرة الله التي فطر الناس عليها. وهي طريقة واحدة وعقيدة واحدة ثابتة، لا تتفرق معها السبل كما تفرق الضالون شيعا وأحزابا مع الأهواء والنزوات!: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا: فطرة الله التي فطر الناس عليها**. . ﴾ فهذا التوجيه لإقامة الدين القيم يجيء في موعده، وفي موضعه يجيء في أوانه وقد تهيأت القلوب المستقيمة الثابتة على الفطرة لاستقباله. . كما أن القلوب المنحرفة قد فقدت كل حجة لها وكل دليل. . ووقفت مجردة من كل عدة لها وكل سلاح. وهذا هو السلطان القوي الذي يصدع به القرآن. السلطان الذي لا تقف له ولا تملك رده النفوس. . فهذا الدين هو العاصم من الأهواء المتفرقة التي لا تستند على حق، ولا تستمد من علم . .إنما تتبع الشهوات والنزوات بغير ضابط ولا دليل. . ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا**﴾ مائلا عن كل ما عداه مستقيما على نهجه دون سواه: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**. . ﴾ فبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين. وكلاهما من صنع الله. وكلاهما موافق لناموس الوجود. وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه. والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين القيم؛ ليحكمه ويصرفه ويطب له من المرض ويقومه من الانحراف. . وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير. والفطرة الثابتة والدين الثابت: ﴿**لا تبديل لخلق الله**. . ﴾

فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة: فطرة البشر وفطرة الوجود: ﴿**ذلك الدين القيم. . ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾!. . فيتبعون أهواءهم بغير علم، ويضلون عن الطريق الواصل المستقيم. والتوجيه بإقامة الوجه للدين القيم ـ ولو أنه موجه إلى الرسول ـ إلا أنّ المقصود به

جميع المؤمنين.. فلذلك يستمر التوجيه لهم مفصلا معنى إقامة الوجه للدين: ﴿**منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين..**﴾ فهي الإنابة إلى الله والعودة في كل أمر إليه. وهي التقوى وحساسية الضمير ومراقبة الله في السر والعلانية، والشعور به عند كل حركة وكل سكنة. وهي إقامة الصلاة للعبادة الخالصة لله. وهي التوحيد الخالص الذي يميز المشركين من المؤمنين. ويصف المشركين ﴿**بأنهم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا..**﴾ فالشرك ألوان وأنماط كثيرة.. فمنهم من يشركون الجِنّة. ومنهم من يشركون الملائكة. ومنهم من يشركون الأجداد والآباء. ومنهم من يشركون الملوك والسلاطين والزعماء. ومنهم من يشركون الكهان والأحبار والأولياء. ومنهم من يشركون الأشجار والأحجار. ومنهم من يشركون الكواكب والنجوم والأنوار. ومنهم من يشركون النار. ومنهم من يشركون الليل والنهار. ومنهم من يشركون القيم الزائفة والرغائب والأطماع. ولا تنتهي أنماط الشرك وأشكاله: ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾! بينما الدين القيم واحد لا يتبدل ولا يتفرق.. ولا يقود أهله إلا إلى الله الواحد! الذي تقوم السماوات والأرض بأمره.. وله من في السماوات والأرض كل له قانتون!.

التوجيه الثالث: ﴿**وإذا مسّ الناس ضرّ دعوا ربهم منيبين إليه.. ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون..**﴾: في هذا التوجيه رسم صورة لتقلب الأهواء البشرية أمام ثبات السنن؛ ووهن عقائد الشرك أمام قوة الدين القيم. وبيان صور نفوس البشر في السراء والضراء.. فهي صورة للنفس البشرية التي لا تستمد من قيمة ثابتة، ولا تسير في نهج واضح: صورة للنفس البشرية، وهي تتأرجح بين الانفعالات الطارئة، والتصورات العارضة، والاندفاعات مع الأحداث والتيارات.. فعند مس الضرّ يذكر الناس ربهم. ويلجأون إلى القوة التي لا عاصم إلا إيّاها، ولا نجاة إلا بالإنابة إليها.. حتى إذا انكشفت الغُمّة، وانفرجت الشدة، وأذاقهم الله رحمة منه إذا فريق منهم بربهم يشركون!.. فهو الفريق الذي لا يستند إلى عقيدة صحيحة تهديه إلى نهج مستقيم. ذلك: أنّ الرخاء يرفع عنهم الاضطرار الذي ألجأهم إلى الله؛ وينسيهم الشدة التي ردتهم إليه.. فيقودهم هذا إلى الكفر بما آتاهم الله من الهدى وما آتاهم من الرحمة، بدلا من الشكر والاستقامة على الإنابة. وهنا يعاجل هذا الفريق بالتهديد: ﴿**ليكفروا بما آتيناهم..**﴾ ثم يلتفت بالخطاب إلى أشخاص المشركين الذين كانوا يواجهون الرسالة المحمدية.. فيوجه

إليهم هذا الخطاب، ويحدد أنهم من الفريق الذي يعنيه: ﴿**فتمتعوا فسوف تعلمون**﴾!.. وهو تهديد ملفوف هائل مخيف. وإنّ الإنسان ليخاف من تهديد حاكم أو رئيس.. فكيف؟ وهذا التهديد من فاطر الكون الهائل الذي أنشأه كلّه بقوله: كن:.. ثم بعد هذه المعالجة بالتهديد الرهيب الرعيب يعود فيسأل في استنكار عن سندهم في هذا الشرك الذي يجاوزون به نعمة الله ورحمته؛ وهذا الكفر الذي ينتهون إليه: ﴿**أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون**﴾؟!.. فإنّه لا ينبغي لبشر أن يتلقى شيئا في أمر عقيدته إلا من الله.. فهل أنزل الله عليهم حجة ذات قوة وسلطان وحجة فيها منطق وبيان، تشهد بهذا الشرك الذي يتخذونه من دون الرحمان؟!. وهو سؤال استنكاري تهكمي، يكشف عن تهافت عقيدة الشرك التي لا تستند إلى حجة ولا تقوم على دليل.. ثم هو سؤال تقريري من جانب آخر، يقرر أنه لا عقيدة إلا ما يتنزل من عند الله.. وما يأتي بسلطان من عنده، وإلا فهو واهن ضعيف..ثم يعرض السياق صفحة أخرى من صفحات النفس البشرية في الفرح بالرحمة فرح الخفة والاغترار والقنوط من الشدة واليأس من رحمة الله: ﴿**وإذ أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون**..﴾ فهو كذلك صورة للنفس البشرية التي لا ترتبط بخط ثابت تقيس إليه أمرها في جميع الأحوال وميزان دقيق لا يضطرب مع التقلبات. والناس هنا مقصود بهم أولئك الذين لا يرتبطون بذلك الخط، ولا يزنون بهذا الميزان.. فهم يفرحون بالرحمة فرح البطر الذي ينسيهم مصدرها وحكمتها.. فيطيرون فرحين بها، ويستغرقون فيها ولا يشكرون المنعم الذي أنعم بها، ولا يستيقظون إلى ما في النعمة من امتحان وابتلاء.. حتى إذا شاءت إرادة الله أن تأخذهم بسبب عملهم السيئ تجاه هذه النعمة.. فتذيقهم حالة سيئة عموا عن حكمة الله في الابتلاء بالشدة، وفقدوا كل رجاء في أن يكشف الله عنهم الغمة، وقنطوا من رحمة الله ويئسوا من فرجه.

وذلك شأن القلوب المنقطعة عن الله التي لا تدرك سنته ولا تعرف حكمته. أولئك الذين لا يعلمون. يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا!.. ثم يعقب السياق على هذه الصورة بسؤال استنكاري يعجب فيه من أمرهم، وقصر نظرهم وعمى بصيرتهم.. فالأمر في السراء والضراء يتبع قانونا ثابتا، ويرجع إلى مشيئة الله سبحانه، فهو الذي ينعم بالرحمة، ويبتلي بالشدة، ويبسط الرزق ويضيقه وفق

سنته، وبمقتضى حكمته. وهذا ما يقع كل آن.. ولكنهم لا يبصرون: ﴿**أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾؟.. فلا داعي للفرح والبطر عند البسط، ولا لليأس والقنوط عند القبض.. فإنما هي أحوال تتعاورُ الناسَ وفق حكمة الله. وفيها للقلب المؤمن دلالة على أن مرد الأمر كله لله، ودلالة على اطراد السنة وثبات النظام رغم تقلب الأحوال: ﴿**إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾. فإذا كان الله هو الذي يبسط الرزق ويقبضه، وهو الذي يعطي ويمنع وفق مشيئته.. فهو يبين للناس الطريق الذي تربو أموالهم فيه وتربح.. لا كما يظنّون هم.. بل كما يهديهم الله إلى هذا الطريق: ﴿**فآتِ ذا القربى حقه والمسكين، وابن السبيل..**﴾ فما دام المال مال الله أعطاه رزقا لبعض عباده.. فالله صاحب المال الأول قد قرر قسما منه لفئات من عباده يؤديها إليهم من يضع يده على ذلك المال. ومن ثم سماها حقًّا.. ويذكر هنا من هذه الفئات ذا القربى والمسكين وابن السبيل. ولم تكن الزكاة بعد قد حددت، ولا مستحقوها قد حصروا.. ولكن المبدأ كان قد تقرر: مبدأ أن المال مال الله، وبما أنه هو الرازق به، وأن لفئات من المحتاجين حقا فيه مقررا لهم من صاحب المال الحقيقي، يصل إليهم عن طريق واضع اليد على هذا المال.. فهذا الحكم قد دَرَجَ به التشريع من حكم الإنفاق العام إلى حكم الزكاة الخاص.. فهذه هي حكمة التدرج في كثير من أحكام التشريع.. فهذا هو أساس النظرية الإسلامية في المال. وإلى هذا الأساس ترجع جميع التفريعات في النظرية الاقتصادية للإسلام.. فما دام المال مال الله.. فهو خاضع إذًا لكل ما يقرره الله بشأنه بوصفه المالك الأول. سواء في طريق تَملكه، أو في طريق تنميته أو في طريق إنفاقه.

وليس واضع اليد حرا في أن يفعل به ما يشاء. وهو هنا يوجه أصحاب المال الذين اختارهم ليكونوا أمناء عليه إلى خير الطرق للتنمية والتزكية والفلاح: إيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل، والانفاق بصفة عامة في سبيل الله: ﴿**ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون**﴾. ثم بين الوسائل التي ينفق فيها المال لقصد المنفعة الشخصية النابعة من رغبة الإنسان الذاتية في التفوق على الغير بالمال. وهو سبب شيوع الربا في معاملات الناس بالمال. والنص هنا يتدرج في التشريع بحكم الربا من الحكم العام في الآيات المكية إلى الحكم الخاص في الآيات المدنية، كما فعل في حكم الزكاة: ﴿**وما آتيتم من ربا لتربوا في أموال**

الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فألئك هم المضعفون﴾. فإرادة وجه الله هو المطلوب من الإنفاق.. فهو الذي يضاعف للمنفقين ابتغاء وجهه.. وهو الذي يمحق مال المرابين الذين يبتغون التفوق والعلو على الناس هذا حساب الدنيا.. وذاك حساب الآخرة.. وفيه أضعاف مضاعفة.. فهي التجارة الرابحة هنا وهناك. ومن زاوية الرزق والكسب يعالج قضية الشرك وآثارها في حياتهم وفي حياة من قبلهم ويعرض نهاية المشركين من قبل، وعاقبتهم التي تشهد بها آثارهم: **﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون..﴾** فهو يواجههم بواقع أمرهم وحقائق حالهم التي لا يملكون أن يماروا في أن الله وحده هو موجدها؛ أو التي لا يملكون أن يزعموا أن لآلهتهم المدعاة مشاركة فيها؛ يواجههم أن الله هو الذي خلقهم وأنه هو الذي رزقهم. وأنه هو يميتهم وأنه هو يحييهم. فأما الخلق فهم يقرون به. وأما الرزق فهم لا يملكون أن يزعموا أن آلهتهم المدّعاة ترزقهم شيئا. وأما الإماتة فلا حجة لهم على غير ما يقرره القرآن فيها. بقي الإحياء وكانوا يمارون في وقوعه. وهو يسوقه إليهم ضمن هذه المسلمات ليقرره في وجدانهم بهذه الوسيلة الفريدة التي تخاطب فطرتهم من وراء الانحراف الذي أصابهم. وما تملك الفطرة أن تنكر أمر البعث والإعادة.. ثم يسألهم: هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟ ولا ينتظر جوابًا منهم.. فهو سؤال للنفي في صورة التفريع غير محتاج إلى جواب..

إنما يعقب عليه بتنزيه الله: سبحانه وتعالى عما يشركون.. ثم يكشف لهم عن ارتباط أحوال الحياة وأوضاعها بأعمال الناس وكسبهم، وإن فساد قلوب الناس وعقائدهم يوقع في الأرض الفساد. ويملؤها برا وبحرا بهذا الفساد، ويجعلهم مسيطرا على أقدارها غالبا عليها: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.. فظهور الفساد هكذا واستعلاؤه لا يتم عبثا.. إنما هو تدبير الله وسنته؛ ليذيقهم بعض الذي عملوا من الشر والفساد حيثما يكتوون بناره، ويتألمون لما يصيبهم منه؛ لعلهم يرجعون فيعزمون على مقاومة الفساد، ويرجعون إلى الله وإلى العمل الصالح وإلى المنهج القويم. ويحذرهم في نهاية هذه الجولة أن يصيبهم ما أصاب المشركين قبلهم: وهم يعرفون عاقبة الكثيرين منهم، ويرونها في آثارهم

حين يسيرون في الأرض ويمرون بهذه الآثار في الطريق: ﴿**قل: سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين**. .﴾ وعند هذا المقطع يشير إلى هذا الطريق الآخر الذي لا يضل سالكوه، وإلى الأفق الآخر الذي لا يخيب قاصدوه: ﴿**فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون**. .﴾ فالصورة التي يعبر بها عن الإتجاه إلى الدين القيم صورة موحية معبرة عن كمال الاتجاه وجديته واستقامته. . ففيها الاهتمام والانتباه والتطلع واستشراف الوجهة السامية والأفق العالي والاتجاه السديد. وقد جاء هذا التوجيه أول مرة في السورة بمناسبة الكلام عن الأهواء المتفرقة والأحزاب المختلفة. أما هنا فيجيء بمناسبة الشركاء والرزق ومضاعفته والفساد الناشئ من الشرك وما يذوقه الناس في الأرض من ظهور الفساد واستعلائه وعاقبة المشركين في الأرض. يجيء بهذه المناسبة فيبين جزاء الآخرة ونصيب المؤمنين والكافرين فيها، ويحذرهم من يوم لا مرد له من الله، يوم يتفرقون فريقين: ﴿**من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون**. .﴾ فالذي يعمل العمل الصالح إنما يمهد لنفسه ويهيّئ أسباب الراحة في ذات اللحظة التي يقوم فيها بالعمل الصالح لا بعدها. وهذا هو الظل الذي يلقيه التعبير وذلك: ﴿**ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات. . من فضله**. .﴾ فما يستحق أحد الجنة بعمله. وما يبلغ مهما عمل أن يشكر الله على جزء من فضله. إنما هو فضل الله ورحمته بالمؤمنين، وكراهيته سبحانه للكافرين: ﴿**إنه لا يحب الكافرين**﴾.

التوجيه الرابع: ﴿**ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات**. .﴾: في هذا التوجيه جولة أخرى تكشف عن بعض آيات الله. وما فيها من فضل الله ورحمته. .فالرياح تبشر بالمطر. وهم يعرفون الريح الممطرة بالخبرة والتجربة. . فيستبشرون بها. . ثم يبن لهم نتيجة هذه الرياح: ﴿**وليذيقكم من رحمته**. .﴾ فهي آثار لهذه البشرى من الخصب والنماء وازدهار الحياة. . وفي الرياح فائدة أخرى: ﴿**ولتجري الفلك بأمره. . ولتبتغوا من فضله**. .﴾ فالابتغاء من فضل الله تظهر آثاره في تحصيل الرزق من سير الفلك في البحر ولنماء النبات في البر. . فكل هذا من فضل الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا: ﴿**ولعلكم تشكرون**. .﴾ فهذا التوجيه إلى ما ينبغي أن يقابل به العباد نعمة الله الرازق الوهاب. ومثل إرسال الرياح مبشرات بالخيرات إرسال الرسل بالآيات البينات: ﴿**ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم**

فجاءوهم بالبينات. .﴾ ولكن الناس لم يستقبلوا رحمة الله هذه ـ وهي أجل وأعظم ـ استقبالهم للرياح المبشرات. ولا انتفعوا بها ـ وهي أنفع وأدوم ـ انتفاعهم بالماء والمطر! ووقفوا تجاه الرسل فريقين: مجرمين لا يؤمنون ولا يتدبرون ولا يكفون عن إيذاء الرسل والصد عن سبيل الله. ومؤمنين يدركون آيات الله، ويشكرون نعمة الله. . ويثقون بوعده ويحتملون من المجرمين ما يحتملون. .ثم كانت العاقبة التي تتفق مع عدله ووعده الوثيق: **﴿فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾**: فسبحان الذي أوجب على نفسه نصر المؤمنين، وجعله لهم حقا، فضلا وكرما: وأكده لهم في هذه الصيغة الجازمة التي لا تحتمل شكا ولا ريبًا. وكيف؟ والقائل هو الله القوي العزيز الجبار المتكبر القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير. يقولها ـ سبحانه ـ معبرة عن إرادته التي لا ترد وسنته التي لا تتخلف وناموسه الذي يحكم الوجود. وقد يبطئ هذا النصر أحيانا ـ في تقدير البشر ـ لأنهم يحسبون الأمور بغير حساب الله، ويقدرون الأحوال لا كما يقدرها الله .والله هو الحكيم الخبير. يصدق وعده في الوقت الذي يريده ويعلمه وفق مشيئته وسنته. وقد تكشف حكمة توقيته وتقديره للبشر وقد لا تتكشف. .

ولكن إرادة الله هي الخير، وتوقيته هو الصحيح، ووعده القاطع واقع عن يقين. يرتقبه الصابرون واثقين مطمئنين. بعد ذلك يمضى السياق يقرر أن الله تعالى هو الذي يرسل الرياح، وينزل المطر، ويحي الأرض بعد موتها، وكذلك يحي الموتى. . فيبعثون . .فهي سنة واحدة وطريقة واحدة، وحلقات في سلسلة الناموس الكبير: **﴿الله الذي يرسل الرياح. .﴾** وفق ناموسه في تكوين هذا وتنظيمه وتصريفه. . **﴿فتثير سحابا. .﴾** بما يحمله من بخار الماء المتصاعد من مجموع الماء في الأرض **﴿فيبسطه في السماء كيف يشاء. .﴾** يفرشه ويمده. . **﴿ويجعله كسفا. .﴾** بتجميعه وتكثيفه وتراكمه بعضه فوق بعض. . **﴿فترى الودق يخرج من خلاله. .﴾** يتساقط المطر من خلال السحاب. . **﴿فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون. .﴾** ولا يعرف هذا الاستبشار على حقيقته كما يعرفه الذين يعيشون مباشرة على المطر. والعرب أعرف الناس بهذه الإشارة. . وحياة العرب كلها تقوم على ماء السماء، وقد تضمنت ذكره أشعارهم وأخبارهم في لهفة وحب وإعزاز! . . وإلى الآن معظم العرب يعتمدون في حياتهم على ماء المطر على سعة أرضهم وكثرة أنهارهم﴿. **.وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين. .﴾**

فهذا تقرير لحالهم قبل أن ينزل عليهم المطر: حالهم من اليأس والقنوط والهموم.. ثم هم يستبشرون.. ﴿**فانظر إلى أثر رحمة الله**..﴾ أنظر إليها في النفوس المستبشرة بعد اليأس.. وفي الأرض المستبشرة بعد الهمود.. وفي الحياة التي تدب في التربة وتدب في القلوب! ﴿**كيف يحيي الأرض بعد موتها**..﴾ إنها حقيقة واقعة منظورة لا تحتاج إلى أكثر من النظر والتدبر. ومن ثم يتخذها برهانا على قضية البعث والإحياء في الآخرة، على طريقة الجدل القرآني الذي يتخذ من مشاهد الكون المنظورة، وواقع الحياة المشهودة مادته وبرهانه، ويجعل من ساحة الكون العريض مجاله وميدانه: ﴿**إن ذلك لمحيي الموتى.. وهو على كل شيء قدير**..﴾ فهذه آثار رحمة الله في الأرض تنطق بصدق هذا الوعد، وتؤكد هذا المصير وبعد تقرير هذه الحقيقة يمضي في تصوير حال القوم الذين يستبشرون بالرياح المحملة بالماء.. ويستريحون بآثار رحمة الله عند نزوله من السماء يمضي في تصوير حالهم لو كانت الريح التي رأوها مصفرة بما تحمل من رمل وتراب لا من ماء وسحاب.. وهي الريح المهلكة للزرع والضرع.. فيصفر منها النبات.. ويصير حطاما!؛ ﴿**ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون**..﴾ فهم يكفرون سخطا ويأسا.. بدلا من أن يستسلموا لقضاء الله، ويتوجهوا إليه بالضراعة ليرفع عنهم البلاء.. فهي حال من لا يؤمن بالله ولا يرضى بقدره.. ولا يهتدي بصيرته إلا حكمة الله في تدبيره..

ولا يرى من وراء الأحداث يد الله التي تنسق هذا الكون كله، وتقدر كل أمر وكل حادث وفق ذلك التنسيق الشامل للوجود المترابط الأجزاء. وعند هذا الحد من تصوير تقلبات البشر وفق أهوائهم، وعدم انتفاعهم بآيات الله التي يرونها ماثلة في الكون من حولهم، وعدم إدراكهم لحكمة الله من وراء ما يشهدونه من وقائع وأحداث.. عند هذا يتوجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ يعزيه ويسلّيه عن إخفاق جهوده في هداية الكثير من الناس، ويرد هذا إلى طبيعتهم التي لا حيلة له فيها، وانطماس بصيرتهم وعماها: ﴿**فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين**..﴾ فهم يصورهم موتى لا حياة فيهم، صمّا لا سمع لهم، عمي لا يهتدون إلى طريق.. فالذي ينفصل حسه عن الوجود فلا يدرك نواميسه وسننه ميت لا حياة فيه.. إنما هي حياة حيوانية.. بل أضلّ وأقل.. فالحيوان مهدى بطبيعته التي قلّ ما تخونه. والذي لا يستجيب لما يسمع من آيات الله ذات السلطان النافذ

في القلوب أصمّ، ولو كانت له أذنان تسمعان ذبذبة الأصوات. والذي لا يبصر آيات الله المبثوثة في صفحات الوجود أعمى، ولو كانت له عينان كالحيوان. ﴿**إن تُسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون**﴾: هؤلاء المسلمون هم الذين يسمعون ويبصرون ويدركون كل ما حولهم ويستمعون لما يقال لهم؛ لأن قلوبهم حيّة ،وبصائرهم مفتوحة، وإدراكهم سليم: فهم يسمعون فيسلمون.. ولا تزيد الدعوة على أن تنبّه فطرتهم فتستجيب.

التوجيه الخامس: ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف..**﴾: في هذا التوجيه جولة أخرى جديدة، لا في مشاهد الكون من حولهم.. ولكن في ذوات أنفسهم، وفي أطوار نشأتهم على هذه الأرض.. فهذه جولة مديدة يرون أوائلها في مشهود حياتهم الأولى.. خلقكم من ضعف.. فكأن الضعف مادتهم الأولى التي صيغ منها كيانهم. والضعف الذي تشير إليه الآية ذو معان ومظاهر شتى في تكوين هذا الإنسان: ضعف البنية الجسدية الممثل في تلك الخلية الصغيرة الدقيقة التي ينشأ منها الجنين.. ثم في الجنين وأطواره في رحم أمه، وهو فيها كلها واهن ضعيف.. ثم في الطفل والصبي ومراحله التي تمتد إلى سنّ الفتوة وضلاعة التكوين التي تأتي في مرحلة حياته الثانية.. ثم بعد ضعف البنية الجسدية ضعف المادة التي نشأ منها الإنسان ـ الطين ـ الذي لولا نفخة من روح الله لظل في صورته الأصلية.. أو في صورته الحيوانية. وهي بالقياس إلى الصورة الإنسانية ضعيفة ضعيفة!.. ثم هو ضعف الكيان النفسي أمام النوازع، والدوافع والموانع، والميول والشهوات التي لولا النفخة العلوية الربانية، وما خلقت في تلك البنية من عزائم واستعدادات لكان هذا الكائن أضعف من الحيوان المحكوم بالإلهام.. ﴿**ثم جعل من بعد ضعف قوة**﴾: قوة بكل تلك المعاني التي جاءت بالحديث عن الضعف: قوة في الكيان الجسدي.. وفي البناء الإنساني.. وفي التكوين النفسي والعقلي.. ﴿**ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبا**﴾: ضعفا في كيان الإنسان كله.. فالشيخوخة انحدار إلى الطفولة بكل ظواهرها. وقد يصاحبها انحدار نفسي ناشئ من ضعف الإرادة.. حتى ليهفو الشيخ أحيانا كما يهفو الطفل، ولا يجد من إرادته عاصما!ومع الشيخوخة الشيب. يذكر هنا تجسيما وتشخيصا لهيئة الشيخوخة ومنظرها!.. وإنّ هذه الأطوار الثلاثة التي لا يفلت منها أحد من أبناء الفناء، والتي لا تتخلف مرة فيمن يمد له في العمر. ولا تبطئ مرة، فلا تجيء في موعدها

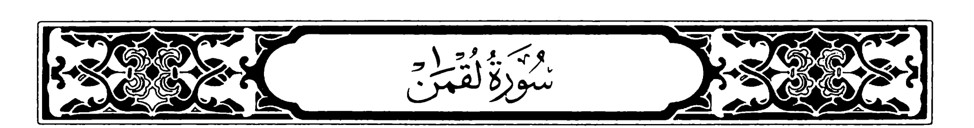
المضروب. إنّ هذه الأطوار التي تعتلي تلك الخليقة البشرية لتشهد أنها في قبضة مدبرة تخلق ما تشاء وتقدر ما تشاء وترسم لكل مخلوق أجله وأحواله وأطواره وفق علم وثيق وتقدير دقيق: ﴿**يخلق ما يشاء وهو العليم القدير**﴾. ولا بدّ لهذه النشأة المحكمة المقدرة من نهاية، كذلك مرسومة مقدرة. هذه النهاية يرسمها السياق في مشهد من مشاهد القيامة، حافل بالحركة والحوار على طريقة القرآن: ﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة..**﴾ فهكذا يتضاءل في حسهم كل ما وراءهم قبل هذا اليوم.. فيقسمون: ما لبثوا غير ساعة!.. فهل هذا القسم منصب على مدة لبثهم في القبور، ولو كانت دهورا بعد دهور.. أو على مدة الدنيا ولبث الناس فيها من آدم إلى يوم النفخ في الصور؟.

وعلى كلا الأمرين فالمجرمون يظهرون الندم والحسرة يريدون التخلص من هذا المصير المنظور: ﴿**كذلك كانوا يؤفكون..**﴾ فهم كانوا مغرورين مصروفين مدفوعين عن الحق والتقدير الصحيح.. حتى يردهم أولوا العلم الصحيح إلى التقدير الصحيح: ﴿**وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث..**﴾ فأولوا العلم هؤلاء: هم المؤمنون الذين آمنوا بالساعة، وأدركوا ما وراء ظاهر الحياة الدنيا، ولم يغفلوا كما غفل المجرمون الظالمون، فهم أهل العلم الصحيح، دون من كانوا يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. وهم أهل الإيمان الحق.. وهم يردون الأمر هنا إلى تقدير الله وعلمه: لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث.. فهذا هو الأجل المقدور، ولا يهم، كان ذلك الأجل طويلا أم قصيرا!.. فقد كان ذلك هو الموعد، وقد تحقق: ﴿**فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون..**﴾ ثم يختم المشهد بالنتيجة الكلية في إجمال يصور ما وراءه مما لحق بالمجرمين الظالمين الذين كانوا يكذبون بيوم الدين: ﴿**فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون..**﴾ فلا معذرة منهم تُقْبل. ولا يعتب عليهم أحد فيما فعلوه أو يطلب إليهم الإعتذار.. فاليوم يوم العقاب لا يوم العتاب!. ومن هذا المشهد البائس اليائس يردهم إلى ما هم فيه الآن بعد نزول القرآن وقبل فوات الأوان من عناد وتكذيب.. وتلك كانت عاقبة العناد والتكذيب: ﴿**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا: إن أنتم إلاّ مبطلون..**﴾ وهي نقلة بعيدة في الزمان والمكان.. ولكنها تجيء في السياق، وكأنها قريب من قريب. وينطوي الزمان

والمكان.. فإذا هم مرة أخرى أمام القرآن وفيه من كل مثل.. وفيه من كل نمط من أنماط الخطاب.. وفيه من كل وسيلة لإيقاظ القلوب والعقول.. وفيه من شتى اللمسات الموحية العميقة التأثير.. وهو يخاطب كل قلب وكل عقل في كل بيئة وكل محيط.. وهو يخاطب النفس البشرية في كل حالة من حالاتها.. وفي كل طور من أطوارها.. ولكنهم ـ بعد هذا كله ـ يكذبون بكل آية، ولا يكتفون بالتكذيب.. بل يتطاولون على أهل العلم الصحيح ـ الرسول وأصحابه الأجلاء فيقولون عنهم: إنهم مبطلون!. ويعقب على هذا الكفر والتطاول ﴿**كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**..﴾ كذلك: بمثل هذه الطريقة ولمثل هذا السبب.. فهؤلاء الذين لا يعلمون مطموسو القلوب، لا تنفتح بصائرهم لإدراك آيات الله.. متطاولون على أهل العلم والهدى، بالجهل والضلال.. فمن ثم يستحقون أن يطمس الله على بصائرهم، وأن يطبع على قلوبهم.. فيذرهم في طغيانهم يعمهون! لما يعلمه سبحانه عن تلك البصائر الزائغة وهذه القلوب المضمورة في الظلمة البالغة حدّ الجهالة السابغة!..

ثم يأتي الإيقاع الأخير في الصورة بعد تلك الجولات مع المشركين في الكون والتاريخ وفي ذوات أنفسهم وفي أطوار حياتهم.. ثم هم بعد ذلك كله يكفرون ويتطاولون!. يأتي الإيقاع الأخير في صورة توجيه لقلب الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين: ﴿**فاصبر إنّ وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**..﴾ إنه الصبر: وسيلة المؤمنين في الطريق الطويل الشائك الذي قد يبدو أحيانا بلا نهاية.. والثقة بوعد الله الحق، والثبات بلا حيرة ولا زعزعة ولا قلق.. الصبر والثقة والثبات على الرغم من اضطراب الآخرين وتكذيبهم للحق.. ذلك أنهم محجوبون عن العلم محرومون من أسباب اليقين.. فأما المؤمنون الواصلون الممسكون بحبل الله المتين.. فطريقهم هو طريق الصبر والثقة واليقين. مهما يطول هذا الطريق، ومهما تحتجب نهايته وراء الضباب والغيوم. وهكذا تختم السورة التي بدأت بنصر المؤمنين.. تختم بالصبر حتى يأتي وعد الله؛ والصبر كذلك على محاولة الاستخفاف والزعزعة من الذين لا يوقنون.. فيتناسق البدء والختام.. وتنتهي السورة وفي القلب منها إيقاع التثبيت القوي بالوعد الصادق الذي لا يكذب واليقين الثابت الذي لا يخون.. ﴿**فاصبر إنّ وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**﴾!

3 ـ سورة لقمان تميز أهل الكفر من أهل الإيمان



النص

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ (1) هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ (2)
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ (3)
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (4) وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا
هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (5) وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا
وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (6) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ
ٱلنَّعِيمِ (7) خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ (8) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ
فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ (9) هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ
فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (10)

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿11﴾
وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ
إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿12﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ
أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿13﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ
مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿14﴾
يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ
أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿15﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿16﴾
وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿17﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ
مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿18﴾
أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ
فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿19﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ

ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ
أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿20﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿21﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓۚ إِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿22﴾ نُمَتِّعُهُمْ
قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿23﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿24﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿25﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ
أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ
كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿26﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿27﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿28﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿29﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿30﴾

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (31) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (32) إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (33)﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿ألم تلك آيات الكتاب الحكيم. هدى ورحمة للمحسنين. الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾: معاني المفردات في هذه الآيات تقدم بيانها في ما سلف من آيات. **﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾**: هو كل ما يلهي عما يعني من المهمات: كالأحاديث التي لا أصل لها، والأساطير التي لا اعتداد بها، والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام.. **﴿ليضل عن سبيل الله﴾**: يضل بسماعها وقراءتها عن قراءة كتاب الله الذي هو الطريق إلى الله ومنهج دين الله. **﴿بغير علم﴾**: بحيث لم يميز الباطل من الحق.. بل زاد على هذا ضلالاً وهو **﴿يتخذها هزوا﴾**: حيث اشترى ما يضر بجهله واستهزأ بما ينفع بضلاله وخيبة عمله.. : **﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾**. **﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم

يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم..﴾ الوقر: الثقل المانع من السمع. وهو الصمم الشديد.

﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم**﴾: معنى هذه المفردات واضح. ﴿**خلق السماوات بغير عمد ترونها..**﴾ عمد: جمع عماد. والعماد: ما يسند به الشيء خوف وقوعه. ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم..**﴾ تميد: تميل وتضطرب. ﴿**وبثّ فيها من كل دابة..**﴾ بثّ: نشر وفرق ووزّع. والدابة: كل ما دبّ على وجه الأرض. ﴿**وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم..**﴾ الزوج الكريم: الثمرة النافعة الناتجة عن وجود الذكر والأنثى في النبات كما هو الحيوان. ومن كل شيء خلقنا زوجين. ﴿**هذا خلق الله**﴾: مخلوق الله لا مخلوق غيره ﴿**فأروني ماذا خلق الذين من دونه**﴾: من المعبودات المزعومة!.. ﴿**بل الظالمون في ضلال مبين**﴾: لكن الظالمون الذين وضعوا الشيء في غير موضعه في ضلال واضح عن معرفة الحقيقة التي يعرفها الحكماء السابقون واللاحقون: ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة: أن أشكر لله..**﴾ لقمان: رجل حكيم نوّه به القرآن الكريم!.. والحكمة: هي استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأعمال الفاضلة على قدر الطاقة البشرية. وفسرت هنا بشكر المنعم على إنعامه سبحانه وتعالى. ﴿**ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإنّ الله غنيّ حميد..**﴾ شكر النعمة: معرفة مصدرها والعمل بما يرضي موهبها. وكفرها وضعها في غير موضعها بجهل مصدرها وإنكار موهبها. ﴿**وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله..**﴾ فهذا شروع في إظهار حكمة لقمان. وهو إسداء النصح والوعظ والإرشاد لابنه الذي هو أوْلى بهذا التوجيه.. ﴿**يا بني لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم**﴾!.. ﴿**ووصّينا الإنسان بوالديه.. حملته أمّه وهنا على وهن**﴾: لا تزال الأمّ تضعف بحمل الولد ضعفا على ضعف.. حتى تضعه.. ﴿**وفصاله في عامين**﴾: فطامه في عامين. وفي هذه المدة تتضاعف مشقة الأم من ضعف الجسم وتوقع ما يكره للطفل. ﴿**أن اشكر لي ولوالديك**﴾: شكر الله بنعمة الإيجاد وشكر الوالدين بما قاما به من الإمداد. ﴿**وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما**﴾: وإن حملاك على الإشراك وبلغا الغاية في دعواك فلا تطعهما.. فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. ﴿**وصاحبهما في**

الدنيا معروفا﴾: صحاباً معروفاً مأموراً به من الله تعالى. وهو معاشرتهم وحسن معاملتهم مما يتعلق بأمور الدنيا.. **﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾**: وأما من جهة الدين فاتبع طريق من ناب إلى الله وعمل صالحا.. **﴿ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾**. **﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل. فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأتِ بها الله..﴾** مثقال حبة من خردل: أخف حبة في الوزن هي حبة الخردل. والصخرة: الحجرة الكبيرة الصمّاء الملساء **﴿إنّ الله لطيف خبير﴾**: يصل علمه إلى كل خفي خبير بكنهه. إنّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿يا بني أقم الصلاة.. وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر.. واصبر على ما أصابك.. إنّ ذلك من عزم الأمور..﴾ مما أوجبه الله وقطعه على عباده من الأمور لمزيد مزيتها. وهو مصدر أطلق على اسم المفعول أي: الأمور المعزوم بها.. **﴿ولا تصعر خدّك للناس﴾**: لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك. والصعر: داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه. **﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾**: فرحا بطرا متكبرا.. **﴿إنّ الله لا يحب كل مختال فخور﴾**: متبختر طاغ بما عنده محتقر غيره. **﴿واقصد في مشيك﴾**: امشِ مشيا متوسطا: لا دبيب المتماوت ولا سرعة المتهافت. **﴿واغضض من صوتك﴾**: انقص وأقصر وخفّض من صوتك بقدر ما يسمع ويفهم منه دون هدر وشغب. **﴿إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾**!: إنّ أوحش الأصوات نهيق الحمير، لأنّه صوت مزعج منفر!.. **﴿ألم تروا أنّ الله سخّر لكم ما في السماوات والأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة..﴾** وأسبغ عليكم نعمه: أكملها وأتمها ووسعها عليكم ظاهرة وباطنة: محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة.

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾: ومع ذلك.. ففي الناس من يجادل في توحيد الله ووجوده بغير علم ـ دليل ـ يستند إليه. ولا هدى من رسول يهتدي به. ولا كتاب منزل من الله يستنير به.. إنما هو التقليد المجرد: **﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا.. أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾**: أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من عبادة غير الله إلى عذاب السعير؟!.. فهم

متوجهون إليه حسب دعوته دون وعي ولا دليل!. ﴿**ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى**..﴾ أسلم وجهه إلى الله: اتجه إليه وفوض أمره إليه وأقبل عليه بكليته..

وهو محسن: متقن في أعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي. فقد استمسك بالعروة الوثقى: تعلق ما يتعلق به من الأسباب العروة من الكوز: مقبضه. وكل حلقة يقبض عليها. ومنها عروة الحبل. الوثقى: مؤنث الأوثق بمعنى الأحكم. ﴿**وإلى الله عاقبة الأمور**..﴾ ﴿**ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إنّ الله عليم بذات الصدور**﴾: كلمات هذه الآية واضحة. ﴿**نمتعهم قليلا**﴾: نمتع الكافرين في الدنيا تمتيعا قليلا.. ﴿**ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ**﴾: ثمّ نلجئهم إلى تكبد عذاب يثقل عليهم تحمله يوم القيامة. والعذاب الغليظ: شدّته وهوله وعظمته!.. ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله.. قل: الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون**..﴾ ﴿**لله ما في السماوات والأرض إنّ الله هو الغني الحميد**﴾: تقدم معنى هذه الكلمات في عدة آيات.. ﴿**ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**﴾: لو فرض أنّ كل شجرة في الأرض جعلت أقلاما، والبحر زيد عليه سبعة أبحر جعلت مدادا.. فكتبت بها كلمات الله لنفدت كلها قبل أن تنفد كلمات الله: ﴿**إنّ الله عزيز حكيم**﴾!!.. ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة إنّ الله سميع بصير**..﴾ ﴿**ألم تر أنّ الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كلّ يجري إلى أجل مسمّى وأنّ الله بما تعملون خبير**﴾!.. فإنّ من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير الفائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه هو وحده الخالق: ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون من دونه الباطل وأنّ الله هو العلي الكبير**..﴾ فإنّ ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء بالله سبحانه وتعالى!. ﴿**ألم تر أنّ الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور**﴾: هذا استشهاد آخر على باهر قدرة الله تعالى، وغاية حكمته، وشمول إنعامه ورحمته. إنّ في ذلك لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق ويتعب نفسه في التفكير في الأنفس والآفاق، ويبالغ في الشكر على تلك النعم العظيمة على الإطلاق!

﴿**وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كلّ ختار كفور**..﴾ غشيهم: علاهم وأحاط بهم.. موج: ما علا واضطرب من غوارب الماء المتراكم بعضه فوق بعض؛ كالظلل: السحاب المتراكم المظلم. والمقتصد: سالك القصد، وهو الطريق المستقيم.. والختار: شديد الغدر مستمر فيه. ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إنّ وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾. لا يجزي: لا يقضي والده عن ولده شيئا.. وجاز: اسم فاعل. الغرور: كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وسلطان، وشهوة وشيطان. وأصل الغرور: هو مأخوذ من غرّ فلان فلانا إذا أصاب غرته. والمعنى: استغفله ونال منه ما يريد. ﴿**إنّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأيّ أرض تموت إنّ الله عليم خبير**..﴾ علم الساعة: تحديد وقت قيام الساعة علم خاص بالله تعالى! وتحديد تنزيل المطر في الزمان والمكان علم خاص بالله تعالى!وتحديد ما في الرحم وما يكون به وما يكون عليه في المستقبل علم خاص بالله تعالى! وتحديد كسب الإنسان في المستقبل كما وكيفا لا يعلمه الإنسان.. وإنما يعلمه الله تعالى! وكذلك أجل الإنسان زمانه ومكانه لا يدري الإنسان عنه شيئا؛ لأن ذلك من خصائص علم الله تعالى إنّ الله عليم خبير.

مبحث الإعراب

﴿**ألم**﴾ حروف مسرودة لا محل لها من الإعراب. تلك﴾ إشارة إلى مجموع الحروف التي يتألف منها هذا الكلام. في محل رفع مبتدأ. ﴿**آيات**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**الكتاب**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**الحكيم**﴾ نعت للكتاب. ﴿**هدى**﴾ حال من الكتاب منصوب بفتحة مقدرة على الألف المحذوف لالتقاء الساكنين. ﴿**ورحمة**﴾ معطوف على هدى ﴿**للمحسنين**﴾ متعلق بمحذوف وقع نعتا للمتعاطفين. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للمحسنين. ﴿**يقيمون الصلاة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**ويؤتون الزكاة**﴾ معطوف على يقيمون الصلاة. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بالآخرة**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**يوقنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر المبتدأ. وجملة وهم بالآخرة هم يوقنون معطوفة على

جملة يقيمون الصلاة. . ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**على هدى**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة مستأنفة. ﴿**من ربهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لهدى.

﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾ معطوف على أولئك على هدى من ربهم. ﴿**ومن**﴾ في محل رفع بمعنى بعض مبتدأ. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى من باعتبار معناها. ﴿**من**﴾ في محل خبر المبتدأ. ﴿**يشتري**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على من باعتبار لفظها. والجملة صلة من. ﴿**لهو**﴾ مفعول به. ﴿**الحديث**﴾ مضاف إلى لهو. ﴿**ليضل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**عن سبيل**﴾ متعلق بيضل. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر المجرور بلام التعليل متعلق بيشتري. ﴿**بغير**﴾ متعلق بيشتري. ﴿**علم**﴾ مضاف إلى غير. ويتخذها﴾ معطوف على يشتري. وفاعله هو فاعله. والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**هزوًا**﴾ مفعول ثان. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ أوّل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ ثان. ﴿**مهين**﴾ نعت لعذاب. وجملة المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأوّل. و﴿**إذا**﴾ في محل نصب ظرف متضمّن معنى الشرط. ﴿**تتلى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**عليه**﴾ متعلق بتتلى. ﴿**آياتنا**﴾ نائب الفاعل. ﴿**ولّى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على من يشتري. ﴿**مستكبرا**﴾ حال من الفاعل. وجملة ولّى مستكبرا جواب شرط إذا. وهو عامل النصب فيه. ﴿**كأن**﴾ مخففة لا عمل لها. ﴿**لم يسمعها**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والفاعل ضمير مثل ضمير ولّى. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**كأن**﴾ ﴿**في أذنيه**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**وقرا**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**فبشره**﴾ أمر موجه إلى المخاطب. ﴿**بعذاب**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. والفاء للتعقيب على ما قبلها. إنّ ﴿**الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ فعل وفاعل ومفعول. معطوف على آمنوا. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**جنات**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**النعيم**﴾ مضاف إلى جنات. والجملة خبر إنّ. ﴿**خالدين**﴾ حال من الضمير المجرور. ﴿**فيها**﴾ متعلق بخالدين. ﴿**وعد**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى وعد. ﴿**حقا**﴾ نعت للوعد. و﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**العزيز**﴾ خبر أول. ﴿**الحكيم**﴾ خبر ثان. والجملة تذييل. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله.

﴿**السماوات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**بغير**﴾ متعلق بخلق. ﴿**عمد**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**ترونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول به. والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. و﴿**ألقى**﴾ معطوف على خلق. في ﴿**الأرض**﴾ متعلق بألقى. ﴿**رواسي**﴾ مفعول به. ﴿**أن تميد**﴾ لئلا تميد. والفاعل ضمير يعود على الأرض. ﴿**بكم**﴾ متعلق بتميد. و﴿**بثّ**﴾ معطوف على خلق. ﴿**فيها**﴾ ﴿**من كل**﴾ متعلقان ببثّ. ﴿**دابة**﴾ مضاف إلى كل. و﴿**أنزلنا**﴾ فعل وفاعل. معطوف على خلق. . ﴿**من السماء**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ماء**﴾ مفعول به. ﴿**فأنبتنا**﴾ مرتب على أنزلنا. ﴿**فيها من كل**﴾ متعلقان بأنبتنا. ﴿**زوج**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**كريم**﴾ نعت لزوج. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خلق**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى خلق. ﴿**فأروني**﴾ أمر موجّه إلى المخاطبين. والنون للوقاية وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. والفاء واقعة في جواب شرط مقدر. . ﴿**ماذا**﴾ اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدّم بخلق. ﴿**الذين**﴾ فاعل خلق. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**الظالمون**﴾ مبتدأ. ﴿**في ضلال**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**مبين**﴾ نعت لضلال. و﴿**لقد آتينا لقمان الحكمة**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. الحكمة مفعول ثانٍ. ﴿**أن**﴾ حرف تفسير. ﴿**أشكر**﴾ أمر موجّه إلى المخاطب. ﴿**لله**﴾ متعلق بأشكر. والجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. و﴿**من يشكر**﴾ فعل مضارع فعل شرط من. والفاعل ضمير يعود على مَن. ﴿**فإنّما**﴾ يشكر فعل مضارع دخلت عليه إنّما. والفاعل ضمير مثل فاعل يشكر. والجملة جواب الشرط. ﴿**لنفسه**﴾ متعلق بيشكر. و﴿**من كفر**﴾ مثل ومن شكر. ﴿**فإنّ الله**﴾ إنّ واسمها. غني حميد﴾ خبران لإنّ. والجملة تعليل لجواب الشرط المقدّر، والتقدير: ومن كفر فإنّما يكفر على نفسه؛ لأنّ الله غنيّ حميد. ﴿**وإذ**﴾ في محل نصب على الظرفية متعلق بفعل مقدّر. ﴿**قال لقمان**﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف.﴿**لابنه**﴾ متعلق بقال. و﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو واو الحال. ﴿**يعظه**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على لقمان. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة حال من فاعل قال. يا ﴿**بنيَّ**﴾ منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المدغمة في ياء التصغير. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى بنيّ. ﴿**لا تشرك**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير

المخاطب. ﴿**بالله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إنّ الشرك** ﴾ إنّ واسمها. ﴿**لظلم**﴾ خبرها. ﴿**عظيم**﴾ نعت لظلم. والجملة تعليلية.

و﴿**وصينا الإنسان**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**بوالديه**﴾ متعلق بوصينا. ﴿**حملته**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**أمّه**﴾ فاعل. و﴿**هْنًا**﴾ حال من أمّه. ﴿**على وهن**﴾ متعلق بمحذوف نعت لقوله: وهنا. و﴿**فصاله**﴾ مبتدأ. ﴿**في عامين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة معطوفة على جملة حملته. ﴿**أن اشكر**﴾ جملة مفسّرة لوصينا. ﴿**لي**﴾ متعلق بأشكر. ﴿**ولوالديك**﴾ معطوف على لي. ﴿**إليّ**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**المصير**﴾ مبتدأ مؤخّر. والجملة تعليلية. ﴿**وإن جاهداك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة فعل الشرط. ﴿**على**﴾ ﴿**أن تشرك**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير المخاطب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى متعلق بالفعل قبله. ﴿**بي**﴾ متعلق بتشرك. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**ليس**﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿**لك**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**علم**﴾ اسم ليس. وجملة ليس لك به علم صلة ما. ﴿**فلا تطعهما**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة فلا تطعهما جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿**وصاحبهما**﴾ أمر موجّه للمخاطب. ﴿**في الدنيا**﴾ متعلق بفعل الأمر. ﴿**معروفا**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدّر. ﴿**واتبع**﴾ أمر معطوف على الأمر قبله. ﴿**سبيل**﴾ مفعول به. ﴿**من**﴾ في محل جر مضاف إلى سبيل. ﴿**أناب**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**إليّ**﴾ متعلق بأناب. والجملة صلة الموصول. ﴿**ثمّ**﴾ ﴿**إليّ**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**مرجعكم**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**فأنبئكم**﴾ فعل مضارع مرتب على ما قبله. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بما**﴾ متعلق بأنبئكم. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم تعملون صلة ما. ﴿**يا بنيّ**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**إنّها**﴾ إنّ واسمها. ﴿**إن تكُ**﴾ فعل مضارع تام مجزوم بإن الشرطية على النون المحذوفة للتخفيف. ﴿**مثقال**﴾ فاعل تكُ. ﴿**حبة**﴾ مضافة إلى مثقال. ﴿**من خردل**﴾ متعلق بمحذوف نعت لحَبّة. ﴿**فتكن**﴾ مرتبة على تك. واسم تكن ضمير مستتر. ﴿**في صخرة**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكن. ﴿**أو في السماوات**﴾ معطوف على في صخرة.

﴿**أو في الأرض**﴾ معطوف على من في السماوات. ﴿**يأت**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الشرط. ﴿**بها**﴾ متعلق بيأت. ﴿**الله**﴾ فاعل يأت. ﴿**إنّ الله لطيف خبير**﴾ : الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليلية. يا ﴿**بنيّ**﴾ مثلما سبق: ﴿**أقم**﴾ أمر. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول بالأمر.

و﴿**أمر**﴾ معطوف على أقم. ﴿**بالمعروف**﴾ متعلق بأمر. ﴿**وانهَ عن المنكر**﴾ معطوف على وأمر بالمعروف. ﴿**واصبر**﴾ كذلك. ﴿**على ما**﴾ متعلق بإصبر. ﴿**أصابك**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على ما. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة صلة ما. ﴿**إنّ ذلك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**من عزم**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. والجملة تعليلية. ﴿**الأمور**﴾ مضاف إلى عزم. ولا ﴿**تصعر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والفاعل ضمير المخاطب. والجملة معطوفة على ما قبلها من الأوامر. ﴿**خدك**﴾ مفعول به. ﴿**للناس**﴾ متعلق بلا تصاعر. ولا ﴿**تمش**﴾ عطف نهي على نهي. في ﴿**الأرض**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مرحا**﴾ حال من فاعل تمش. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا يحب**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على الله والجملة خبر إنّ. وجملة إنّ الله لا يحب تعليلية. ﴿**كلّ**﴾ مفعول به. ﴿**مختال**﴾ مضاف إلى كلّ. ﴿**فخور**﴾ نعت لمختال. ﴿**واقصد في مشيك**﴾ : ﴿**واغضض من صوتك**﴾ : أمران معطوفان على ما قبلهما من الأوامر والنواهي. ﴿**إن أنكر**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الأصوات**﴾ مضاف إلى أنكر. ﴿**لصوت**﴾ خبر إنّ. واللام لتأكيد الخبر. والجملة تعليلية. ﴿**الحمير**﴾ مضاف إلى صوت. ﴿**ألم تروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم وحرف الاستفهام. ﴿**أن**﴾ ﴿**الله**﴾ أن واسمها. ﴿**سخر**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر المنصوب مفعول تروا. ﴿**لكم**﴾ متعلق بسخر. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول بسخر. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. و﴿**ما في الأرض**﴾ معطوف على ما في السماوات. ﴿**وأسبغ**﴾ معطوف على سخر. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بأسبغ. ﴿**نعمه**﴾ مفعول بأسبغ. ﴿**ظاهرة**﴾ حال من نعمة. . ﴿**وباطنة**﴾ معطوف على ظاهرة. ﴿**ومن الناس من يجادل**﴾ : تقدم إعراب مثلها في قوله تعالى: ومن الناس من يشتري. . ﴿**في الله بغير**﴾ متعلقان بيجادل. ﴿**علم**﴾ مضاف إلى غير. ولا ﴿**هدى**﴾ معطوف على ما قبله. و﴿**لا كتاب**﴾ كذلك. ﴿**منير**﴾ نعت لكتاب. ﴿**وإذا**﴾ متضمن معنى الشرط. ﴿**قيل**﴾ فعل ماض

مبني للمجهول. فعل شرط إذا. ﴿**لهم**﴾ متعلق بقيل. ﴿**اتبعوا**﴾ أمر موجه للمخاطبين. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول بالأمر. ﴿**أنزل الله**﴾ فعل وفاعل. صلة ما. وجملة اتبعوا. . مقول القول. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. جواب شرط إذا.

﴿**بل نتبع**﴾ فعل مضارع دخل عليه فعل الإضراب. والفاعل نحن. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول نتبع. ﴿**وجدنا**﴾ فعل وفاعل. صلة ما. ﴿**عليه**﴾ متعلق بوجدنا. ﴿**آباءنا**﴾ مفعول بوجدنا. أولو كان ﴿**الشيطان**﴾ كان واسمها دخل عليها لو وواو العطف وحرف الاستفهام. ﴿**يدعوهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الشيطان. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة يدعو خبر كان. ﴿**إلى عذاب**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**السعير**﴾ مضاف إلى عذاب. و﴿**من يسلم**﴾ فعل مضارع مجزوم باسم الشرط الجازم. والواو للعطف. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**وجهه**﴾ مفعول به. ﴿**إلى الله**﴾ متعلق بيسلم. و﴿**هو محسن**﴾ جملة المبتدأ والخبر حال من فاعل يسلم. ﴿**فقد استمسك**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير مثل فاعل يسلم. وجملة فقد استمسك جواب شرط مَن. ﴿**بالعروة**﴾﴾ متعلق باستمسك. ﴿**الوثقى**﴾ نعت للعروة. مجرور بكسرة مقدرة على الألف. و﴿**إلى الله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم.﴿**عاقبة**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**الأمور**﴾ مضاف إلى عاقبة. والجملة تذييلية. و﴿**من كفر**﴾ جملة شرطية معطوفة على جملة ومن يسلم وجهه إلى الله. . ﴿**فلا يحزنك**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**كفره**﴾ فاعل. والجملة جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿**إلينا**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرجعهم**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**فننبئهم**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عملوا**﴾ فعل وفاعل. صلة ما. وجملة إلينا مَرْجعهم وما عطف عليه تعليل لقوله: ومن كفر فلا يحزنك كفره. ﴿**إنّ الله عليم بذات الصدور**﴾. الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليل لقوله: فننبئهم بما عملوا. ﴿**نمتعهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**قليلا**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. . والتقدير: نمتعهم متاعا قليلا. ﴿**ثم نضطرهم**﴾ مرتب على نمتعهم. . ﴿**إلى عذاب**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**غليظ**﴾ نعت لعذاب. ﴿**ولئن سألتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف الشرط ولام القسم وواو العطف. ﴿**مَنْ**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**السماوات**﴾ مفعول بخلق. ﴿**والأرض**﴾

معطوف على السماوات. جملة خلق خبر المبتدأ.

﴿ليقولُنَّ﴾ فعل مضارع دخلت عليه نون التوكيد الثقيلة فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال. وحذف واو الجماعة الفاعل لالتقاء الساكنين. والجملة جواب القسم لوجود اللام فيها؛ فأغنت عن جواب الشرط؛ لخلو الفاء منها. ﴿الله﴾ فاعل بفعل مقدّر: خلقهن الله. والجملة مقول القول. ﴿قل: ﴿الحمد﴾ مبتدأ. ﴿لله﴾ متعلق بمحذوف خبره. ﴿بل أكثرهم﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿لا يعلمون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدأ. ﴿لله﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿ما﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿في السماوات﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿والأرض﴾ معطوف على السماوات. ﴿إنّ الله﴾ إنّ واسمها. ﴿هو﴾ ضمير فصل. ﴿الغني الحميد﴾ خبرا إنَّ. والجملة تعليل لما قبله. ﴿ولو﴾ حرف امتناع لامتناع متضمّن معنى الشرط. ﴿أنّ ما﴾ أنّ واسمها. ﴿في الأرض﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿من شجرة﴾ بيان لما. ﴿أقلام﴾ خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل بفعل مقدر بعد لو الشرطية. ﴿والبحر﴾ مبتدأ. والواو واو الحال. ﴿يمده﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿من بعده﴾ متعلق بيمده. ﴿سبعة﴾ فاعل يمد. ﴿أبحر﴾ مضاف إلى سبعة. والجملة خبر المبتدأ. وجملة والبحر يمده من بعده سبعة أبحر حال من ما التي في قوله: ولو أنّ ما﴾ في الأرض.. ﴿ما نفدت كلمات﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿الله﴾ مضاف إلى كلمات. وجملة ما نفدت كلمات الله جواب الشرط. ﴿إنّ الله عزيز حكيم﴾ : الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليل لعدم نفاد كلمات الله سبحانه وتعالى. ﴿ما خلقكم﴾ مبتدأ دخلت عليه ما النافية. ﴿ولا بعثكم﴾ معطوف عليه. ﴿إلاّ﴾ أداة استثناء ملغاة. ﴿كنفس﴾ الكاف بمعنى مثل في محل رفع خبر المبتدأ. ونفس مجرور بالكاف. ﴿واحدة﴾ نعت لنفس. ﴿إنّ الله سميع بصير﴾ مثل إنّ الله عزيز حكيم في الإعراب. ﴿ألم تر﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي الجازم وهمزة الاستفهام. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿أنّ الله﴾ أنّ واسمها. ﴿يولج﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله ﴿الليل﴾ مفعول به. ﴿في النهار﴾ متعلق بيولج. ﴿ويولج النهار في الليل﴾ مثل ما قبله في الإعراب. وهو معطوف عليه. وجملة يولج.. خبر أنّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بِتَرَ. ﴿وأنّ الله﴾ أنّ

واسمها. ﴿**بما**﴾ متعلق بخبير فيما يأتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. صلة ما.

﴿**خبير**﴾ خبر أنّ. والجملة معطوفة على قوله أنّ الله يولج.. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بأنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**الحق**﴾ خبر أنَّ. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**وأنّ ما**﴾ أنّ واسمها. ﴿**تدعون**﴾ فعل وفاعل. صلة ما. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بتدعون. ﴿**الباطل**﴾ خبر أنّ. وهي معطوفة على ما قبلها وإعرابها مثلها. ﴿**وأنّ الله هو العلي الكبير**﴾ معطوفة كذلك.. ﴿**ألم تر أنّ الفلك**﴾ مثل ألم تر أنّ الله في الإعراب. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الفلك. ﴿**في البحر بنعمة**﴾ متعلقان بتجري. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى نعمة. وجملة تجري خبر أنّ. ﴿**ليريكم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**من آياته**﴾ متعلق بيريكم. واللام جارة لمصدر مقدّر. كما هو معلوم. ﴿**إنّ في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لآيات**﴾ اسمها مؤخر منصوب بالكسرة. واللام لتأكيد الخبر. ﴿**لكل**﴾ متعلق بمحذوف نعت لآيات. ﴿**صبار**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**شكور**﴾ نعت لصبار. والجملة تعليل لما قبلها. ﴿**وإذا غشيهم**﴾ فعل ماض فعل شرط إذا. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**موج**﴾ فاعل. ﴿**كالظلل**﴾ الكاف في محل رفع نعت لموج. والظلل مجرور بالكاف. ﴿**دعوا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول جواب شرط إذا. ﴿**مخلصين**﴾ حال من فاعل دعوا. ﴿**له**﴾ متعلق بالحال. ﴿**الدين**﴾ مفعول باسم الفاعل. ﴿**فلما نجاهم**﴾ فعل ماض فعل شرط لمّا. والفاعل ضمير يعود على الله والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**إلى البرِّ**﴾ متعلق بنجاهم. ﴿**فمنهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مقتصد**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة جواب شرط لمّا. والفاء رابطة للجواب. ﴿**وما يجحد**﴾ فعل مضارع منفي بما. والواو للعطف. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إلاّ كلّ**﴾ فاعل يجحد. وإلاّ ملغاة. ﴿**ختّار**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**كفور**﴾ نعت لختار. ﴿**يا أيها**﴾ أيُّ منادى مبني على الضم في محل نصب. وها للتنبيه. ﴿**الناس**﴾ نعت لأيُّ باعتبار لفظها. ﴿**اتقوا**﴾ أمر موجه إلى الناس. ﴿**ربكم**﴾ مفعول به. ﴿**واخشوا**﴾ معطوف على اتقوا. ﴿**يوما**﴾ مفعول به. ﴿**لا يجزي والدٌ**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة نعت ليوم. ﴿**عن ولده**﴾ متعلق بيجزي المنفى. ﴿**ولا مولود**﴾ مبتدأ منفي

بلا. وهو المسوغ للابتداء به. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ ثانٍ. ﴿**جازٍ**﴾ خبر المبتدأ الثاني مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة. وجملة المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأوّل. والجملة معطوفة على قوله لا يجزي والد.. ﴿**عن والده**﴾ متعلق بجاز. ﴿**شيئا**﴾ مفعول به.

﴿**إنّ وعد**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى وعد. ﴿**حقّ**﴾ خبر إنّ. والجملة تعليل لما قبلها. ﴿**فلا تغرنكم**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. في محل جزم بلا الناهية. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الحياة**﴾ فاعل. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. والفاء للتعقيب. ﴿**ولا يغرنكم**﴾ معطوف على قوله: فلا تغرنكم. وهو مثله في الاعراب. ﴿**بالله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الغرور**﴾ فاعل. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**عنده**﴾ ظرف متعلق بمحذوف خبره مقدم. ﴿**علم**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**الساعة**﴾ مضاف إلى علم. وجملة عنده علم الساعة خبر إنّ. ﴿**وينزّل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الغيث**﴾ مفعول به. والجملة معطوفة على عنده علم الساعة. ويعلم مثل ينزل. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. في ﴿**الأرحام**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وما تدري نفس**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**ماذا**﴾ اسم استفهام مفعول مقدم مبني على السكون في محل نصب. ﴿**تكسب**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على نفس. ﴿**غدا**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بتكسب. ﴿**وما تدري نفسٌ**﴾ نظير ما تقدم. ﴿**بأيّ**﴾ متعلق بتموت. ﴿**أرض**﴾ مضاف إلى أيّ. ﴿**تموت**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على نفس. ﴿**إنّ الله عليمٌ خبيرٌ**﴾ الجملة من إنّ واسمها وخبرها تعليل لما قبلها.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ألَم تلك آيات الكتاب الحكيم..**﴾ فهذه السورة لها علاقة واتصال بالسورة التي قبلها من عدة وجوه: أولا ـ أنهما ابتدأتا بثلاثة حروف من حروف الهجاء: ألَم. ثانيا ـ لما قال في آخر السورة السابقة: ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل، وكان فيه إشارة إلى إعجاز القرآن، ودل ما بعده إلى تمام السورة على أن المشركين مصرون على كفرهم أكد تلك المعاني في أول هذه السورة. ثالثا ـ في كلتا السورتين جملة من الآيات والدلائل من ابتداء الخلق وإعادته: فقد ذكر

فيما تقدم قول الله تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه. وذكر هنا قوله تعالى: ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة. وكلاهما يفيد سهولة البعث. رابعا ـ اشتركت السورتان في توضيح أدلة التوحيد. والحث على التمسك بدين الإسلام وهو دين الفطرة ودين الحق والعروة الوثقى. والتنفير من الشرك والمشركين.. وغير ذلك مما يظهر للباحث المتدبر لآيات الذكر الحكيم..

﴿**ألَم تلك آيات الكتاب الحكيم**﴾: في الإشارة تنبيه على تعظيم قدْر تلك الآيات بما دل عليه اسم الإشارة من البعد المستعمل في رفعة القدر وما دلت عليه إضافة الآيات إلى الكتاب الموصوف بأنه الحكيم، وأنه هدى ورحمة وسبب فلاح ووصف القرآن بالحكيم تشبيه بليغ. وفي وصف الكتاب بهذا الوصف براعة استهلال، للغرض من ذكر حكمة لقمان. ﴿**هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾: فصلت هذه الآيات الثلاث فلم توصل بالعطف؛ لأنها جاءت لبيان حال تلك الآيات ولبيان أوصاف من يؤمن بها ويتخذها منهجا وهداية يهتدي بها إلى النجاح والفلاح. وتقديم المحسنين دلالة على قبول إسلامهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. والإسلام دليل على صحة الإيمان الذي ظهر واضحا في قوله: وهم بالآخرة هم يوقنون.. فبناء يوقنون على هم للتقوى. وفصلت ـ هم ـ للتأكيد. وتقديم بالآخرة على يوقنون المتعلق به؛ للاهتمام والاختصاص! وجملة أولئك على هدى من ربهم وما عطف عليه بيان وتوضيح لأوصاف الذين ذكرت خصالهم من الإيمان والإسلام والإحسان. والصلاح والفلاح والنجاح: ودلالة على أنهم متميزون بتلك الأوصاف أكمل تمييز؛ منتظمون بسببها في سلك الأمور المشاهدة ـ أولئك ـ . وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم، وبعد منزلتهم في الفضل. وإيراد كلمة الاستعلاء ـ على ـ ؛بناء على تمثيل حالهم في اتصالهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه؛ بحيث يتصرف فيه كيفما يريد.. فهم مالكون لزمام أصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح. وتكرير اسم الإشارة في قوله تعالى: وأولئك هم المفلحون؛ لإظهار مزيد العناية بشأن المشار إليهم. وتعريف المفلحين للدلالة على أن المحسنين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون. وهذا تمييز تفصيلي لأهل الإيمان. أما أهل الكفر فهذا وصفهم المميز لهم: ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث..**﴾ فالكلام موصول بالعطف على ما

قبله. وهذا من مقابلة الثناء على المحسنين الذين يؤمنون بآيات الكتاب الحكيم بذكر ضدهم. وهم الذين يشترون لهو الحديث وهو تخلص من المقدمة إلى مدخل للمقصود وهو ما يدعو إليه بعض الناس من اللهو بأخبار الملوك التي لا تُكسِبُ صاحبها كمالا ولا حكمة..

وتقديم المسند في قوله: ومن الناس.. للتشويق إلى تلقي خبره العجيب! والاشتراء كناية عن العناية بالشيء والاغتباط به، وجملة ﴿**ليضل الناس بغير علم**﴾: تعليل لقوله: يشتري لهو الحديث. أي: يقصد بذلك إضلال الناس وتجهيلهم وإبعادهم عن آيات الله. وجملة ﴿**ويتخذها هزؤًا**﴾: موصولة بالعطف على قوله: يشتري لهو الحديث. وجملة ﴿**أولئك لهم عذاب مهين**﴾: ذلك لما اتصفوا به من إهانتهم الحق بإيثار الباطل عليه، وترغيب الناس فيه. والجزاء من جنس العمل. وأولئك: إشارة إلى من باعتبار معناها. وما في اسم الإشارة من البعد مع قرب العهد بذكر المشار إليه؛ للإيذان ببعد منزلتهم في الجهل والضلال والاستهزاء..

﴿**وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا..**﴾ الكلام موصول بالعطف على آية ومن الناس من يشتري لهو الحديث.. إلخ. زيادة في توضيح موقفه من الكفر والضلال والإنكار.. وجملة ﴿**كأن لم يسمعها.. كأن في أذنيه وقرا**﴾، جملتان مستأنفتان بيانا لوصفه الظاهر بعد بيان وصفه الباطن. وتثقيل كأن الثانية لمناسبته الثقل في معناه. وجملة ﴿**فبشره بعذاب أليم**﴾: مرتب على ما قبله. وذكر البشارة هنا تهكم!.. ﴿**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها**﴾: استئناف مبين لحال المؤمنين بآيات الله تعالى، إثر بيان حال الكافرين بها. لما ذكر عذاب من يضل عن سبيل الله اتبعه بذكر بشارة المؤمنين المحسنين.. وقوله تعالى: ﴿**وعد الله حقا**﴾، مصدران مؤكدان: الأول لنفسه، والثاني لغيره؛ لأن قوله تعالى: لهم جنات النعيم في معنى: وعدهم الله جنات النعيم؛ فأكّد معنى الوعد بالوعد. وأما «حقا» فدال على معنى الثبات، أكد به معنى الوعد. ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم. وجملة ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ تذييل لما سبق من وعيد الكافرين ووعد المؤمنين، على سبيل اللف والنشر المرتب. ﴿**خلق السماوات بغير عمد ترونها**﴾: استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه من قبل..

وتمهيد لقاعدة التوحيد وتقريره، وإبطال لأمر الإشراك. وتبكيت لأهله. وموقع هذه الآية وما بعدها موقع دليل الدليل. وهو المقام المعبّر عنه في علم البحث والمناظرة بالتدقيق!

وهو ذكر الشيء بدليله ودليل دليله. وجملة ترونها استئناف مسوق لإثبات كون السماوات بلا عمد. ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**﴾: موصول بالعطف على ما قبله.. فهو بيان لصنع الله البديع في قرار الأرض إثر بيان صنعة الحكيم في قرار السماوات.. ﴿**وبث فيها من كل دابة**﴾: موصول بالعطف على ما قبله.. فهو بيان منافع استقرار الأرض حيث توزع وانتشر فيها الحيوان على مختلف أنواعه وأوصافه وأوضاعه.. ﴿**وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**﴾: بيان لفوائد السماوات والأرض ومنافعها للحيوان العائد كله على فوائد الإنسان. والالتفات في قوله تعالى: وأنزلنا.. فأنبتنا، من الغيبة إلى التكلم لمزيد الاعتناء بالإنزال والإنبات؛ لما فيهما من استقامة حال الحيوان وعمارة الأرض. ﴿**هذا خلق الله**﴾: هذا الكلام نتيجة الاستدلال بخلق السماوات والأرض والجبال والدوابّ وإنزال المطر وما فيه من فوائد للحيوان والإنسان!.. وما دام هذا كله مخلوق لله فأين خلق التي تعبدونها من دون الله سبحانه؟!.. ﴿**فأروني ماذا خلق الذين من دونه؟!.. بل الظالمون في ضلال مبين**﴾: هذا إضراب عن تبكيتهم بما ذكر قبل.. إلى التسجيل عليهم بالضلال البيّن المستدعي للإعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة؛ لاستحالة أن يفهموا منها شيئا..، فيهتدوا به إلى العلم ببطلان ما هم عليه. ووضع الظاهر ـ الظالمون ـ موضع ضميرهم للدلالة على أنهم بإشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه، ومتعدون عن الحد، وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد. ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله**﴾: وصل هذا الكلام بالعطف على قوله تعالى: تلك آيات الكتاب الحكيم.. إلى قوله: بل الظالمون في ضلال مبين. وهذا كلام جيء به لبيان بطلان الشرك بالنقل بعد الاشارة إلى بطلانه بالعقل. وافتتاح الكلام بحرْفَيْ التوكيد: لام القسم، وحرف التحقيق؛ للانباء بأنه خبر عن أمر مهم واقع. وجملة أن اشكر لله مفسرة ومبينة لمعنى الحكمة. ﴿**ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد**﴾: هذه الجملة تذييل مقرر لما قبله موجب للامتثال بالأمر.. فهذا هو مقتضى الحكمة. وهو المجازاة بالخير على الخير وبالشر على الشر.

﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾: كلام موصول بالعطف على قوله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة.. فهذا انْتقالٌ من وصفه بحكمة الاهتداء إلى وصفه بحكمة الهداية والارشاد. وقد جمع لقمان في كلامه هذا وما يأتي بعدُ أصوَل الشريعة: وهي الاعتقادات والعبادات والمعاملات وأدب النفس.. والنداء مستعمل مجازا في حضور الذهن لوعي الكلام. وذلك من الاهتمام بالغرض المقصود المسوق له هذا التوجيه بالخطاب. وفي كلمة يا بني تصغير إشفاق الأبوّة ورأفة البنوة. وجملة إن الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي عن الشرك لما فيه من التعدي البالغ أقبح الظلم!؛ ولما فيه من التوكيد بإن واللام، وتنكير الظلم، ووصفه بالعظمة. **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ـ : أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾**: هذا الكلام جاء معترضا بين كلام لقمان وذلك على وجه الاستطراد لما فيه من النهي عن الشرك. ولما فيه من حقوق الله وحقوق الوالدين.. وجملة حملته أمه... في موضع التعليل للوصية بالوالدين قصدًا لتأكيد تلك الوصية.. وإنما وقع التعليل بذكر أحوال الأم خاصة؛ لأن ما تقوم به الأم من تربية الطفل لا يراه الطفل لصغره ولعدم إدراكه.. وأما ما يقوم به الأب نحو الطفل فهو يعلمه.. ولأن الأمّ قد تضعف في عين الولد بخلاف الأب؛ لأنّه يخافه رغبة ورهبة.. وجملة أن اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا. وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية بالأم خاصة.. وجملة إليّ المصير تعليل لوجوب الامتثال وللوعظ والتحذير من مخالفة ما أوصى الله به. **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾**: هذا فيما ليس للوالدين حق فيه: فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وصحبة الوالدين المشركين تكون في الدنيا حسب ما أمر به الشارع الحكيم. وخصّ هذا الأمر بأمر الدنيا؛ لتهوين أمر الصحبة، والاشارة إلى أنها في أيّام قلائل وشيكة الانقضاء.. فلا يضر تحمل مشقتها لقلة أيامها وسرعة انصرامها.

﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾: هذا الكلام موصول بالعطف على الأمر قبله. يبين فيه من يستحق اتباعه شرعا. وهو الذي أناب إلى الله وتعلق بأمر الله وأسلم وجهه إلى الله، كالأنبياء والعلماء والحكماء **﴿ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾**: هذا حكم مرتب على ما سبق من الأمر والنهي.. **﴿يا بنيّ إنها إن تكُ**

مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله﴾: هذا شروع في حكاية بقية وصايا لقمان إثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض.. وتكرير النداء لتجديد نشاط السامع لوعي الكلام. واجتمع في هذه الجملة ثلاثة مؤكدات: النداء، وإن، وضمير القصة؛ لعظم خطر ما بعده المفيد تقرير وصف الله تعالى بالعلم المحيط بجميع المعلومات من الكائنات، ووصفه تعالى بالقدرة المحيطة بجميع الممكنات؛ بقرينة قوله: يأتِ بها الله.. فذكر أدق الكائنات حالا من حيث تعلق العلم والقدرة به. وذلك أدق الأجسام المختفى في أصلب مكان، أو أقصاه وأعزه منالا، أو أوسعه وأشدّه انتشارا؛ ليعلم أن ما هو أقوى منه في الظهور والدنو من التناول أولى أن يحيط به علم الله وقدرته. والاتيان كناية عن التمكن منها. وهو أيضا كناية رمزية عن العلم بها؛ لأن الاتيان بأدق الأجسام من أقصى الأمكنة وأعمقها وأصلبها لا يكون إلا عن علم بكونها في ذلك المكان، وعن علم بوسائل استخراجها منه. وجملة **﴿إنّ الله لطيف خبير﴾** تعليل مكرر لمضمون ما سبقه. وبعدما أمر لقمان ابنه بالتوحيد الذي هو أول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته أمره بالصلاة التي هي أكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد. فقال مستميلا له: **﴿أقم الصلاة﴾**؛ تكميلا لنفسك. **﴿وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر﴾** ؛ تكميلا لغيرك. وشمل الأمر بالمعروف الاتيان بالأعمال الصالحة على وجه الاجمال؛ كما شمل النهي عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة. **﴿واصبر على ما أصابك﴾**؛ زيادة في تكميل النفس مما يلم بها من المحن والشدائد.. **﴿إنّ ذلك من عزم الأمور﴾**: هذا تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الأمر والنهي. خصوصا الصبر على المكاره **﴿ولا تصاعر خدك للناس﴾**: هذا انتقال من أدب النفس الخاص إلى الآداب في معاملة الناس **﴿ولا تمشِ في الأرض مرحا﴾**: زيادة في تكميل آداب النفس..

﴿إنّ الله لا يحب كل مختال فخور﴾: تعليل للنهي.. **﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك﴾**: بعد أن بين لقمان لابنه آداب حسن المعاملة مع الناس قفّاها بحسن الآداب في حالته الخاصة به. وتلك حالتا المشي والتكلم. وهما أظهر ما يلوح على المرء من آدابه وجمال سمته وحسن إيهابِهِ!. **﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾**: هذه الجملة تعليل للأمر بالغض على أبلغ وجه

وآكده؛ حيث شبه الرافعون أصواتهم بالحمير. وهو مثل في الذمّ البليغ والشتيمة المتناهية. ومثلث أصواتهم بالنهاق الذي أوله زفير وآخره شهيق: ثم أخلي الكلام من لفظ التشبيه وأخرج مخرج الاستعارة. وفي ذلك من المبالغة في الذم والتهجين، والافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه ما فيه! وإفراد الصوت مع جمع ما أضيف هو إليه للاشارة إلى قوة تشابه أصوات الحمير؛ حتى كأنها صوت واحد. وهو أنكر الأصوات. ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض**﴾: هذا رجوع إلى دلائل الوحدانية، وما صحب ذلك من منة على الخلق.. فالكلام استئناف ابتدائي. ورجوع إلى ما سلف في أول السورة من قوله تعالى: خلق السماوات بغير عمد.. أفإنه بعد الاستدلال بخلق السماوات والأرض والحيوان والأمطار، عاد هنا إلى الاستدلال والامتنان بأن سخر لنا ما في السماوات والأرض.. ﴿**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾: هذه الجملة معطوفة على ما قبلها زيادة في بيان فوائد التسخير. ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير**﴾: وصل الكلام بالعطف على ما سبق من دلائل التوحيد ليأتي بمقابله من مجرد التقليد.. فبين هذا الكلام مراتب اكتساب العلم الصحيح: وهي إما الاجتهاد والاكتساب الناشئ عن البحث الفعلي. وإما التلقي من رسول معصوم أو من ينوب عنه مستندا على الدليل النقلي. ﴿**وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباؤنا**﴾: هذا الكلام موصول بالعطف على صلة من في قوله تعالى: ومن الناس من يجادل في الله ..فمع جهله ومجادلته بالباطل يصر على التقليد لآبائه دون معرفة ما ينتج عن هذا التقليد الأعمى: ﴿**أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير**﴾؟!..

﴿**ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾: هذا مقابل قوله: ومن الناس من يجادل في الله: فإسلام الوجه إلى الله تمثيل لإفراد الله في العبادة.. فهو تشبيه تمثيلي مركب حيث شبه حال المتوكل على الله عزّ وجلّ، المفوض إليه أموره كلها. المحسن في أعماله بمن ترقى إلى جبل شاهق أو تدلى منه فتمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه. وجملة ﴿**وإلى الله عاقبة الأمور**﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله. ﴿**ومن كفر فلا يحزنك كفره**﴾: مقابل ومن يسلم: وجملة ﴿**إلينا مرجعهم**﴾ واقعة موقع التعليل للمنهي. وهي أيضا تمهيد لوعي الرسول بأن الله يتولى الانتقام منهم. المدلول عليه بقوله:

﴿**فننبئهم بما عملوا**﴾، مفرعا على جملة إلينا مرجعهم. وهو كناية على المجازاة. استعمل الإنباء، وأريد لازمه، وهو الإظهار. وجملة ﴿**إنّ الله عليم بذات الصدور**﴾ تعليل لجملة فننبئهم. ﴿**نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ**﴾: استئناف بياني ؛ لأن قوله تعالى: إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا يثير في نفوس السامعين عن عدم تعجيل الجزاء إليهم.. فبين بأن الله يمهلهم زمنا قليلا.. ثم يوقعهم في عذاب لا يجدون منه منجى. وهذا الاستئناف وقع معترضا بين الجمل المتعاطفة. وأطلق الغليظ على الشديد من الأحوال على وجه الاستعارة بجامع الشدة وعدم الطاقة على احتماله. ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله**﴾: الكلام موصول بالعطف على ما قبله. جيء به لإلزام الكافرين الحجة القاطعة باعترافهم بجواب هذا السؤال مع جهلهم بما يقتضيه: ﴿**قل: الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون!.. لله ما في السماوات والأرض إن الله هو الغني الحميد**﴾: موقع هذه الآية بالآية التي قبلها موقع النتيجة من الدليل. ﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**﴾: قد سلك في هذا الكلام مسلك التقريب بضرب هذا المثل، واردا مورد المبالغة في كثرة ما ينزل من القرآن إغاظة للمشركين الحاقدين: فكلمات الله هي القرآن وما يحتويه من معاني لا يحيط بها الإنسان. وفي الكلام اختصار يسمى حذف إيجاز. ويدل على المحذوف السياق.

والتقدير: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت لعدم تناهيها، ونفدت تلك الأقلام والمداد لتناهيها. وجملة ﴿**إنّ الله عزيز حكيم**﴾: تعليل مقرر لمضمون ما في هذا المثل.. فلا تنفد كلماته المؤسسة على العزة والحكمة. ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**﴾: استئناف بياني. مبين لقوله تعالى: إلينا مرجعهم؛ لأنه كلما ذكر أمر البعث هجس في أنفس المشركين استحالة إعادة الجسم بعد اضمحلاله.. فكثر في القرآن تعقيب ذكر البعث بالإشارة إلى إمكانه وتقريبه وفي قوله: ما خلقكم ولا بعثكم: التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ لقصد مجابهتهم بالاستدلال المفحم!. وجملة ﴿**إنّ الله سميع بصير**﴾: تعليل لما قبله.. ﴿**ألم ترَ أنّ الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأنّ الله بما تعملون خبير**﴾: هذه الآية استدلال على

ما تضمنته الآية قبلها من كون الخلق الثاني، وهو البعث في متناول قدرة الله تعالى بأنه قادر على تغيير أحوال ما هو أعظم حالا من الإنسان، وذلك بتغيير أحوال الأرض وأفقها بين ليل ونهار في كل يوم تغييرا يشبه طروّ الموت على الحياة في دخول الليل على النهار، وطروّ الحياة على الموت في دخول النهار على الليل. وبأنه قادر على أعظم من ذلك بما سخره من سير الشمس والقمر.. فهذا الاستدلال على إمكان البعث بقياس التمثيل بإمكان ما هو أعظم منه من شؤون المخلوقات بعد أن استدل عليه بالقياس الكلي. الذي اقتضاه قوله: إن الله سميع بصير من إحاطة العلم الإلهي بالمعلومات المقتضي إحاطة قدرته بالممكنات؛ لأنها جزئيات المعلومات وفرع عنها. وجملة وأن الله بما تعملون خبير: داخلة في حيّز الرؤية لعطفها على يولج.. قوله تعالى: أن الله يولج الليل في النهار.. فإنّ من شاهد مثل ذلك الصنيع الرائق، والتدبير الفائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عزّ وجلّ محيطا بجلائل أعماله ودقائقها. ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون من دونه الباطل وأنّ الله هو العلي الكبير**﴾: موقع هذه الآية موقع النتيجة من الدليل. وجملة وأنّ الله هو العلي الكبير: واقع موقع الفذلكة. ﴿**ألم ترَ أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إنّ في ذلك لآيات لكل صبار شكور**﴾: استئناف جاء على سنن الاستئنافين اللذين قبله في قوله تعالى: ألم ترّ أن الله سخّر لكم.. الخ وفي قوله تعالى: ألم ترّ أنّ الله يولج الليل في النهار ..الخ. وجيء بها غير متعاطفة؛ لِألّا يتوهم السامع أن العطف على ما تخلل بينهما.

وجاء هذا الاستئناف الثالث دليلا ثالثا على عظيم حكمة الله في نظام هذا العالم ؛ وتوفيق البشر للانتفاع بما هيّأه الله بانتفاعهم به.. فلما أتى الاستئنافان الأولان على دلائل صنع الله في السماوات والأرض؛ جاء في هذا الثالث دليل على بديع صنع الله بخلق البحر وتيسير الانتفاع به في إقامة نظام المجتمع البشري. وتخلص منه إلى اتخاذ فريقٍ من الناس موجبات الشكر دواعيَ كُفر: ﴿**وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البرّ فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كلّ ختار كفور**﴾. وصبّار شكور كناية عن المؤمنين؛ لأنّ هاتين الصفتين هما عمدة الإيمان.. فإنه وجميع ما تتوقف عليه: إما ترك للمألوف غالبا، وهو بالصبر.. وإما فعل لما يتقرب به، وهو شكر لشموله عمل القلب والجوارح واللسان. وذكر الوصفين بعد الفلك. فيه أتمّ مناسبة ؛ لأن

الراكب فيه لا يخلو عن الصبر والشكر. وكل ختار كفور كناية عن الكافر ؛ لأنه نقض العهد الفطري. ورفض دعوة الحق وكذب النبي؛ لأن صفتي الختر والكفر جاءتا على صيغة المبالغة: ﴿**وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور**﴾!. ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئا إنّ وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾: موقع هذه الآية بعدما تقدمها من الآيات موقع مقصد الخطبة بعد مقدماتها.. فقد كانت المقدمات السابقة قد هيأت النفوس إلى قبول الهداية، والتأثر بالموعظة الحسنة. ولاعتبار هذا الموقع جعل هذا الكلام مستأنفا؛ لأنه بمنزلة الفذلكة والنتيجة. ﴿**إنّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت**﴾: هذه الآية مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لوقوعها جوابا على سؤال مقدر في نفوس الناس. وجملة ﴿**إن الله عليم خبير**﴾ مستأنفة ابتدائية واقعة موقع النتيجة لما تضمنه الكلام السابق. وفي هذه الجملة براعة المقطع؛ حيث ختمت الصورة بالعلم الكامل الشامل الخاص بالله تعالى.. ففي ظل هذا المشهد يجيء الإيقاع الأخير في السورة قويا عميقا.. فهو يصور علم الله الشامل، وقصور الإنسان المحجوب عن الغيوب، ويقرر القضية التي تعالجها السورة بكل أجزائها ابتداء بحكمة آيات الكتاب وانتهاء بعلم الله العزيز الوهاب. وفي هذا براعة المقطع، وربط الانتهاء بالمطلع!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأوّل: ﴿**ألّمّ تلك آيات الكتاب الحكيم. هدى ورحمة للمحسنين. الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾. في هذا التوجيه تبيُّن الفرّق بين الحكيم والسفيه ! وتميز الغبيّ من النبيه، وتميّز اليقظ من الغافل. والعالم من الجاهل: يبدأ هذا التوجيه بالجولة الأولى بعد افتتاح السورة بالأحرف المقطعة ... فتقرر أن هذه السورة من جنس تلك الأحرف: هي آيات الكتاب الحكيم. وهي هدى ورحمة للمحسنين. وهؤلاء المحسنون هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون.. فاختيار وصف الكتاب هنا بالحكمة، لأن موضوع الحكمة مقرر في هذه السورة.. فناسب أن يختار هذا الوصف من أوصاف الكتاب في

جوه المناسب على طريقة القرآن الكريم. ووصف الكتاب بالحكمة يلقي عليه ظلالٍ الحياة والإرادة.. فكأنما هو كائن حي مُتّصف بالحكمة في قوْلِهِ وتوجيهه، قاصدًا لما يقول، مريد لما يهدف إليه. وإنه لكذلك في صميمه: فيه روح. وفيه حياة. وفيه حركة. وله شخصية ذاتية مميزة. وفيه إيناسٌ. وله صحبة يحس بها من يعيشون معه ويَحيون في ظِلاله، ويشعرون له بحنين وتجاوب كالتجاوب بين الحي والحي، وبين الصديق والصديق. هذا الكتاب بآياته الحكيمة هدى ورحمة للمحسنين، فهذه حاله الأصيلة الدائمة أن يكون هدى ورحمة للمحسنين. هُدًى يهديهم إلى الطريق الواصل الذي لا يضل سالكُه. ورحمة بما يسكبه الهُدى في القلب من راحة وطمأنينة وقرار.. وما يقود إليه من كسب وخير وفلاح. وبما يعقده من الصلات والروابط بين قلوب المهتدين به.. ثم يبين هذه القلوب ونواميس الكون الذي تعيش فيه، والقيم والأحوال والأحداث التي تتعارف عليه القلوب المهتدية. والمحسنون هم: الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون.. فإقامة الصلاة وأداؤها على وجهها وفي وقتها أداءً كاملاً تتحقق بها حكمتها وأثرها في الشعور والسلوك، وتنعقد بها تلك الصلة الوثيقة بين القلب والرب، ويتم به هذا الأنس بالله وتذوق حلاوته التي تعلق القلوب بالصلاة..

وإيتاء الزكاة يحقق استعلاء النفس على شحها الغريزي، وإقامة نظام لحياة الجماعة يرتكن إلى التكافل و التعاون. ويجد الواجدون فيه والمحرومون الثقة والطمأنينة، ومودات القلوب التى لم يفسدها الترف ولا الحرمان، واليقين بالآخرة هو الظمان ليقظة القلب البشرى، وتطلعه إلى ما عند الله تعالى. واستعلائه على أوهاق الأرض، وترفعه على متاع الحياة الدنيا، ومراقبة الله في السر والعلن، وفي الدقيق والجليل، والوصول إلى درجة الاحسان التي هو ثالث قواعد دين الاسلام: الإيمان والاسلام والاحسان التي جاءت في حديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام. وهؤلاء المحسنون هم الذين يكون الكتاب لهم هدى ورحمة ؛ لأنهم بما في قلوبهم من تفتُّح وشفافية يجدون في صحبة هذا الكتاب راحةً وطمأنينة، ويتصلون بما في طبيعته من هُدًى ونورٌ، ويدركون مراميَهُ وأهدافَه الحكيمة، وتتطلع نفوسُهم عليه، وتحس بالتوافق والتناسق ووحدة الاتجاه، ووضوح الطريق. وإنّ هذا القرآن ليعطي كل قلب بمقدار ما في هذا القلب من حساسية وتفتح

وإشراق؛ وبقدر ما يقبل عليه في حب وتطلع وإعزاز. إنّه كائن حيٌّ يعاطف القلوب الصديقة، ويجاوب المشاعر المتوجهة إليه بالرفرفة والحنين. وأولئك الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم يوقنون بالآخرة.. أولئك على هُدى من ربهم وأولئك هم المفلحون.. فمن هدي فقد أفلح.. فهو سائر على النور، واصل إلى الغاية ناج من الضلال في الدنيا.. ومن عواقب الضلال في الآخرة؛ وهو مطمئن في رحلته على هذه الأرض، تتناسق خطاه مع دورة الأفلاك ونواميس الوجود.. فيحس بالأنس والراحة والتجاوب مع كل كائن حيّ. أولئك المهتدون بالكتاب وآياته، المحسنون، المقيمون الصلاة، المؤتون الزكاة، الموقنون بالآخرة، المفلحون في الدنيا والآخرة.. أولئك فريق هم أهل الإيمان.. وفي مقابلهم فريق آخر: وهم أهل الكفر والعصيان: **﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤًا أولئك لهم عذاب مهين..﴾** ولهْوُ الحديث كل كلام يلهي القلب ويأكل الوقت، ولا يثمر خيرا ولا يؤتى حصيلةً تليق بوظيفة الإنسان المستخلف في هذه الأرض لعمارتها بالخير والعدل والصلاح. هذه الوظيفة التي يقرر الإسلام طبيعتَها وحدودَها ووسائلَها، ويرسم لها الطريق.

والنص عام لتصوير نموذج من الناس موجود في كل زمان وفي كل مكان. وبعض الروايات تشير إلى أنه كان تصويرًا لحادث معين في الجماعة الإسلامية الأولى. وقد كان النضر بن الحارث يشتري الكتب المحتوية لأساطير الفرس وقصص أبطالهم وحروبهم: ثم يجلس في طريق الذاهبين لسماع القرآن من رسول الله ﷺ محاولا أن يجذبهم إلى سماع تلك الأساطير والاستغناء بها عن قصص القرآن الكريم: ولكن النص أعم من هذا الحادث الخاص إذا صح أنه وارد فيه. وهو يصور فريقاً من الناس واضح السمات، قائما في كل حين. وقد كان قائما على عهد الدعوة الأولى في الوسط المكي التي نزلت فيه هذه الآيات.. فيشتريه بماله، ويشتريه بوقته، ويشتريه بحياته. يبذل تلك الأثمان الغالية في لهو رخيص، يُفْنى فيه عمره المحدود الذي لا يعاد ولا يعود. يشتري هذا اللهو ليضل عن سبيل الله بغير علم.. ويتخذها هزؤا.. فهو جاهل محجوب لا يتصرف عن علم، ولا يرمي عن حكمة؛ وهو سيّئ النية والغاية، يريد ليضل عن سبيل الله: يضل نفسه ويضل غيره بهذا اللهو الذي ينفق فيه الحياة. وهو سيئ الأدب: يتخذ سبيل الله هزؤًا ويسخَرُ من المنهج الذي رسمه الله للحياة وللناس. ومِنْ ثَمَّ يعاجل القرآن

هذا الفريق الضال المضل بالمهانة والتهديد، قبل أن يكمل رسم الصورة: أولئك لهم عذاب مهين.. فوصف العذاب بالمهين مقصود هنا للرد على سوء الأدب والاستهزاء بمنهج الله وسبيله القويم.. ثم يمضي في استكمال صورة ذلك الفريق: ﴿**وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم**..﴾ فهو مشهد فيه حركة ترسم هيئة المستكبر المعرض المستهين. ومن ثم يعاجله بِوخْزَة مُهينة تدعو إلى تحقير هذه الهيئة: كأنّ في أذنيه وقرا.. فكأن هذا الثقل في أذنيه يحجبه عن سماع آيات الله الكريمة.. وإلاّ.. فما يسمعه إنسان له سمع ثم يعرض عنها هذا الإعراض الذميم. ويتم هذه الإشارة المحقرة بتهكم ملحوظ: فبشره بعذاب أليم.. فما البشارة في هذا إلا نوع من التهكم المهين يليق بالمستكبرين المستهزئين!.

وبمناسبة الحديث عن الجزاء للكافرين المستكبرين المعرضين، يتحدث عن جزاء المؤمنين العاملين، الذين تحدّث عنهم في صدر السورة؛ ويفصل شيئا من أمر فلاحهم الذي أجمله هناك: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم**..﴾ فحيث ما كان ذكر الجزاء في القرآن الكريم ذكر قبله العمل الصالح مع الإيمان.. فطبيعة هذه العقيدة تقتضي أن لا يَظَلَّ الإيمانُ في القلب حقيقةً مجرّدةً راكدةً معطّلةً مكنونةً.. إنما هو حقيقةٌ حيّةٌ فاعلة متحركةٌ، ما تكاد تستقر في القلب ويتم تمامها حتى تتحرك لتحقق ذاتها في العمل والحركة والسلوك؛ ولتترجم عن طبيعتها بالآثار البارزة في عالم الواقع، المنبئة عما هو كائن منها في عالم الضمير. وهؤلاء الذين آمنوا وحققوا إيمانهم بالعمل الصالح لهم جنات النعيم خالدين فيها. فلهم هذه الجنات وهذا الخلود تحقيقا لوعد الله الحق: وعد الله حقا.. فقد بلغ من فضل الله الخالق على العباد أن يوجب الإحسان إليهم جزاء إحسانهم لأنفسهم لا له سبحانه! وهو الغني عن الجميع! القادر على تحقيق وعده الحكيم في الخلق والوعد والتحقيق. وآية القدرة وآية الحكمة، وبرهان تلك القضايا السابقة في سياق السورة.. فآية ذلك كله وبرهانه هو هذا الكون الكبير الهائل، الذي لا يدعي أحد من البشر أنه خلقه، ولا أن أحدًا آخرَ خلقه من دون الله؛ وهو ضخم هائل دقيق النظام متناسق التكوين، يأخذ بالقلب ويبهر اللب، ويواجه الفطرة مواجهة جاهرة لا تملك الإفلات منها أو الإعراض عنها؛ ولا تملك إلا التسليم بوحدانية الخالق

العظيم، وضلال من يشرك به آلهة أخرى ظلما للحق الواضح المبين: ﴿**خلق السماوات بغير عمد ترونها**. .﴾ فهذه السماوات ـ بظاهر مدلولها ودون تعمق في أيةِ بحوثٍ علمية معقّدة ـ تواجه النظر والحس هائلة فسيحة سامقة. وسواء أكانت السماوات هي هذه الكواكب والنجوم والمجرات والسدم السابحة في الفضاء الذي لا يعلم سره ومداه إلا الله. أو كانت هي هذه القبة التي تراها العين ولا يعرف أحد ما هي على وجه التحقيق. سواء كانت السماوات هذه أو تلك. . فهناك خلائق ضخمة هائلة معلقة بغير عمد تسندها؛ والناس يرونها حيث ما امتدت أبصارهم بالليل والنهار، ومهما نأت بهم الأبعاد والأسفار على ظهر كوكبهم السيار. ومجرد تأملها بالعين المجردة، ودون إدراك حقيقة ضخامتها التي تُدير الرؤوس كاف وحده لرعشة الكيان الإنساني وارتجافه أمام الضخامة الهائلة التي لا نهاية لها ولا حدود. وأمام النظام العجيب الذي يمسك بهذه الخلائق كلها في مثل هذا التناسق. وأمام هذا الجمال البديع الذي يجتذب العين للنظر فلا تمل، ويجتذب القلب للتأمل فلا يكل؛ ويستغرق الحس فلا يكاد يؤوب من ذلك التأمل الطويل المديد!. . فكيف إذا عرف الإنسان كل نقطة من هذه النقط الصغيرة المضيئة السابحة في هذا الفضاء الهائل، قد تبلغ كتلتها أضعاف كتلة الأرض التي تقله ملايين المرات؟!. .

ومن هذه الرحلة الهائلة في أجواء الفضاء على إيقاع تلك الإشارة السريعة: «خلق السماوات بغير عمد ترونها» يرتد السياق بالقلب البشري إلى الأرض فيستقر عليها وما يكاد! إلى الأرض الصغيرة: الذرة ! التي لا تبلغ لأن تكون هباءة في كتلة الكون الضخمة. يرتد إلى هذه الأرض التي يراها الإنسان فسيحة لا يبلغ أطرافها فرد واحد في عمره القصير. . ولو قضاه في رحلة دائمة على هذا الكوكب الصغير!. يمتد بالقلب إلى هذه الأرض ويعيد النظر إليها بحس مفتوح يقظ، ليجلو عنه ملالة التكرار والألفة لمشاهد هذه الأرض العجيبة. ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**. .﴾ فالرواسي: الجبال. ويقول علماء طبقات الأرض: إنها تضاريس في قشرة الكرة الأرضية تنشأ من برودة جوف الأرض وتجمد الغازات فيه ونقص حجمها. . فتنكمش القشرة الأرضية وتتجعد، وتقع فيها المرتفعات والمنخفضات وفق الانكماشات الداخلية في حجم الغازات حين تبرد ويصغر حجمها هنا وهناك. وسواء: أصحت هذه النظرية أم لم تصح؟. . فهذا كتاب الله

يقرر، وجود هذه الجبال يحفظ توازن الأرض.. فلا تميد ولا تتأرجح ولا تهتز. وقد تكون نظرية علماء الأرض صحيحة ويكون بروز الجبال على هذا النحو حافظا لتوازن الأرض عند انكماش الغازات، وتقبض القشرة الأرضية هنا وهناك، ويكون نتوء الجبال هنا موازنا لانخفاض في قشرة الأرض هناك. وكلمة الله هي العليا على كل حال. والله هو أصدق القائلين. وهذه إحدى عجائب الوجود الكبيرة: ﴿**وبث فيها من كل دابة**..﴾ فوجود الحياة على هذه الأرض سرٌّ لا يدّعِي أحدٌ - حتى اليوم - إدراكه ولا تفسيره.. الحياة في أولُ صورِها؛ في الخلية الواحدة الساذجة الصغيرة.. فكيف بضخامة هذا السرّ؟ والحياة تتنوع وتتركب وتتعدد أنواعها وأجناسُها وفصائلُها وأنماطها إلى غير حد يعلمه الإنسان أو يحصيه!. ومع هذا.. فإن أكثر الناس يمرون بهذه العجائب مغمضي العيون مطموسي القلوب، وكأنما يمرون على شيء عادي لا يستلفت النظر! بينما هم يقفون مدهوشين مذهولين أمام جهاز من صنع الإنسان ساذج صغير بسيط التكوين حين يقاس إلى خلية واحدة من الخلايا الحية، وتصرفها الدقيق المنظم العجيب، ودعك من الأحياء المعقدة. فضلا على الإنسان الذي يحوي جسمه مئات المعامل الكيماوية العجيبة، ومئات المخازن للإيداع والتوزيع، ومئات المحطات اللاسلكية للإرسال والاستقبال، ومئات الوظائف المعقدة التي لا يعرف سرَّها الإنسانُ..

ولكن يحيط بها اللطيف الخبير! ألا يعلم من خلق..؟!. وإنزال الماء من السماء إحدى العجائب الكونية التي نَمُرُّ عليها كذلك غافلين: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**..﴾ فهذا الماء الذي تفيض به مجاري الأنهار.. والذي تمتلئ به البحيرات.. والذي تتفجر به العيون.. هذا كله ينزل من السماء وفق نظام دقيق، مرتبط بنظام السماوات والأرض وما بينهما من نسب وأبعاد ومن طبيعة وتكوين.. وإنبات النبات من الأرض بعد نزول الماء عجيبة أخرى لا ينقضي منها العجب: عجيبة الحياة.. وعجيبة التنوع.. وعجيبة الوراثة للخصائص الكامنة في البذرة الصغيرة؛ لتعيد نفسها في النبتة وفي الشجرة الكبيرة.. وإن دراسة توزيع الألوان في زهرة واحدة من نبتة واحدة لتقود القلب المفتوح إلى أعماق الحياة وأعماق الإيمان بالله مبدع هذه الحياة.. والنص القرآني يقرر أن الله أنبت النبات أزواجا.. من كل زوج كريم.. فهذه حقيقة ضخمة اهتدى إليها العلم بالاستقراء قريبا جدا. فكل نبات له خلايا تذكير وخلايا تأنيث، إما مجتمعة في

زهرة واحدة أو في زهرتين في العود الواحد، وإما منفصلة في عودين أو شجرتين، ولا توجد الثمرة إلا بعد عملية التقاء وتلقيح بين زوج النبات؛ كما هو الشأن في الحيوان والإنسان سواء ووصف الزوج بأنه كريم يلقي ظلا خاصا مقصودا في هذا الموضع ليصبح لائقا بأن يكون خلقَ الله، وليرفعه أمام الأنظار مشيرا إليه: ﴿**هذا خلق الله**﴾!؛ وليتحداهم به ويتحدى دعواهم المتهافتة: ﴿**فأروني ماذا خلق الذين من دونه**﴾؟!. . وليعقب على هذا التحدي في أنسب وقت: ﴿**بل الظالمون في ضلال مبين**. .﴾ فأي ضلال وأي ظلم بعد هذا الشرك في هذا المعرض الكوني الباهر الجليل؟!. وعند هذا الإيقاع القوي يختم التوجيه الأول في الجولة الأولى في السورة ذلك الختام المؤثر العميق.

التوجيه الثاني: ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة: أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ الله غنيّ حميد**. .﴾: في هذا التوجيه عرض قضية التوحيد في لون جديد: فلقمان الذي اختاره القرآن ليعرض بلسانه قضية التوحيد، تختلف في حقيقته الروايات. . فمن قائل: إنه كان عبدا صالحا من غير نبوة ـ والأكثرون على هذا القول ـ ثم يقال: إنه كان عبدا حبشيا. . ويقال: إنه كان نوبيا. . كما قيل: إنه كان في بني إسرائيل قاضيا من قضاتهم. . وأيا من كان لقمان؟!. فقد قرر القرآن أنه رجل آتاه الله الحكمة: الحكمة التي مضمونها ومقتضاها الشكر لله. . فهذا توجيه قرآني ضمني إلى شكر اقتداء بذلك الرجل الحكيم المختار الذي يعرض قصته وقوله. . وإلى جوار هذا التوجيه الضمني توجيه آخر. . فشكر الله إنما هو رصيد مذخور للشاكر ينفعه هو. . فالله غني عنه. . فالله محمود بذاته ولو لو يحمده أحد من خلقه. . وإذاً. . فأحمق الحمقى هو من يخالف عن الحكمة ولا يدخر لنفسه مثل ذلك الرصيد. . ثم تجيء قضية التوحيد في صورة موعظة من لقمان الحكيم لابنه: ﴿**وإذ قال لقمان لابنه ـ وهو يعظه ـ : يا بني لا تشرك بالله. إن الشرك لظلم عظيم**. .﴾ وإنها لعظة غير متهمة. . فما يريد الوالد لولده إلا الخير. . وما يكون الوالد لولده إلا ناصحا. . فهذا لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك؛ ويعلل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم. ويؤكد هذه الحقيقة مرتين: مرة بتقديم النهي وتفصيل علته. . ومرة بإن واللام. . وهذه الحقيقة التي يعرضها محمد ﷺ على قومه. . فيجادلونه فيها. . ويشكون في غرضه من وراء عرضها. . ويخشون أن يكون وراءها انتزاع السلطان منهم والتفضل عليهم. . فما القول

ولقمان الحكيم يعرضها على ابنه ويأمره بها؟!.. والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة، بعيدة من كل ظنّة. ألا إنها الحقيقة القديمة التي تجري على لسان كل من آتاه الحكمة من الناس؛ يراد بها الخير المحض، ولا يراد بها سواه.. فهذا هو المؤثر النفسي المقصود. وفي ظل نصيحة الأب لابنه يعرض السياق للعلاقة بين الوالدين والأولاد في أسلوب رقيق؛ ويصور هذه العلاقة صورة موحية فيها انعطاف ورقة. ومع هذا: فإن رابطة العقيدة مقدمة على تلك العلاقة الوثيقة: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن، وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير..**﴾.

وتوصية الولد بالوالدين تكرر في القرآن الكريم، وفي وصايا رسول الله ﷺ ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلا: ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه.. فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشئ لضمان امتداد الحياة كما يريدها الله تعالى؛ وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال.. في غير تأفف ولا شكوى.. بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان.. بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان!.. فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة!.. فأما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة مرة بعد مرة؛ ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر المولّي الذاهب في أدبار الحياة! بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة. وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوض الوالدين بعدما بذلاه! ولو وقف عمره عليهما. وهذه الصورة الموحية. حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين؛ ترسم ظلال هذا البذل النبيل! والأم ـ بطبيعة الحال ـ تتحمل النصيب الأوفر وتجود به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق!. وفي ظلال تلك الصورة الحانية بوجه السياق إلى شكر الله المنعم الأول، وإلى شكر الوالدين المنعمين التاليين؛ ويرتب الواجبات.. فيجئ شكر الله أولا ويتلوه شكر الوالدين. ويربط بهذه الحقيقة حقيقة الآخرة حيث ينفع رصيد الشكر المذخور.. ولكن رابطة الوالدين بالولد على كل هذا الانعطاف وكل هذه الكرامة. إنما تأتي في ترتيبها بعد وشيجة العقيدة. .فبقية الوصية للإنسان في علاقته بوالديه: ﴿**وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما..**﴾ فإلى هنا، ويسقط واجب الطاعة، وتعلو وشيجة العقيدة على كل وشيجة.. فمهما بذل الوالدان من

جهد ومن جهاد ومن مغالبة ومن إقناع؛ ليغرياه بأن يشرك بالله ما يجهل ألوهيته ـ وكل ما عدا الله لا ألوهية له فتُعلم! ـ فهو مأمور بعدم الطاعة من الله صاحب الحق الأول في الطاعة.. ولكن الاختلاف في العقيدة، والأمر بعدم الطاعة في خلافها لا يسقط حق الوالدين في المعاملة الطيبة والصحبة الكريمة: ﴿**وصاحبهما في الدنيا معروفا**..﴾ فهي رحلة قصيرة على الأرض لا تؤثر في الحقيقة الأصيلة: ﴿**واتبع سبيل من أناب إلي**..﴾ فهم أولى بالأتباع ﴿**ثمّ إليّ مرجعكم. فأنبئكم بما كنتم تعملون**..﴾ فلكل جزاء ما عمل من شكر أو كفر، ومن توحيد أو شرك. والمفسرون يذكرون أن هذه الآية وما شابهها نزلت في سعد ابن أبي وقّاص وأمّه.. أو في سعْدِ بن مالك..

ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.. فالمدلول عام في كل حال مماثلة، وهو يرتب الوشائج والروابط؛ كما يرتب الواجبات والتكاليف: فتجيء الرابطة في الله هي الوشيجة الأولى، ويجيء التكليف بحق الله هو الواجب الأول. والقرآن الكريم يقرر هذه القاعدة ويؤكدها في كل مناسبة وفي سور شتّى؛ لتستقر في وجدان المؤمن واضحة حاسمة لا شبهة فيها ولا غموض وبعد هذا الاستطراد المعرض في سياق قضية لقمان لابنه، تجيء الفقرة التالية في الوصية؛ لتقرر قضية الآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل.. ولكن هذه الحقيقة لا تعرض هكذا مجردة.. إنما تعرض في المجال الكوني الفسيح، وفي صورة مؤثرة يرتعش لها الوجدان وهو يطالع علم الله الشامل الهائل الدقيق اللطيف: ﴿**يا بني إنها إن تكُ مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأتِ بها الله**..﴾ فما يبلغ تعبير مجرد عن دقة علم الله وشموله، وعن قدرة الله سبحانه وتعالى، وعن دقة الحساب وعدالة الميزان ما يبلغه هذا التعبيرُ المصوِّر. وهذا فصل طريقة القرآن المعجزة الجميلة الأداء العميقة الإيقاع.. حبة من خردل.. صغير ضئيلة ضائعة لا وزن لها ولا قيمة.. فتكن في صخرة.. صلبة محشورة فيها لا تظهر ولا يتوصّل إليها. أو في السماوات في ذلك الكيان الهائل الشاسع الذي يبدو فيه النجم الكبير ذو الجرم العظيم نقطة سابحة أو ذرة تائهة. أو في الأرض.. ضائعة في ثراها وحصاها لا تبين. يأتِ بها الله!.. فعلمه يلاحقها، وقدرته لا تفلتها. ﴿**إن الله لطيف خبير**..﴾ فهو تعقيب يناسب المشهد الخفي اللطيف. ويظل الخيال يلاحق تلك الحبة من الخردل في مكامنها تلك

العميقة الوسيعة.. ويتملّى علم الله يتابعها.. حتى يخشع القلب وينيب إلى اللطيف الخبير بخفايا الغيوب. وتستقر من وراء ذلك تلك الحقيقة التي يريد القرآن إقرارها في القلب. بهذا الأسلوب العجيب!. ويمضي السياق في حكاية قول لقمان لابنه وهو يعظه..

فإذا هو يتابع معه خطوات العقيدة بعد استقرارها في الضمير: بعْدَ الإيمانِ بالله لا شريك له؛ واليقين بالآخرة لا ريب فيها؛ والثقة بعدالة الجزاء لا يفلت منه مثقال حبة من خردل.. فأما الخطوة التالية فهي التوجه إلى الله بالصلاة، والتوجه إلى الناس بالدعوة إلى الله، والصبر على تكاليف الدعوة ومتاعبها التي لا بد أن تكون: ﴿**يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور..**﴾ فهذا هو طريق العقيدة المرسوم.. توحيد لله، وشعور برقابته، وتطلع إلى ما عنده وثقة في عدله وخشية من عقابه.. ثم انتقال إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر. والتزود قبل ذلك كله للمعركة مع الشر بالزاد الأصيل: زاد العبادة لله والتوجه إليه بالصلاة.. ثم الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله من التواء النفوس وعنادها، وانحراف القلوب وإعراضها، ومن الأذى تمتد به الألسنة وتمتد به الأيدي. ومن الابتلاء في المال والابتلاء في النفس عند الاقتضاء: إنّ ذلك من عزم الأمور.. فعزم الأمور: قطع الطريق على التردد فيها بعد العزم والتصميم. ويستطرد لقمان في وصيته التي يحكيها القرآن هنا إلى أدب الداعية إلى الله تعالى.. فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس، والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير. ومن باب أولى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل: ﴿**ولاتصعر خدك للناس، ولا تمشِ في الأرض مرحا..**﴾ فالصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها. والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر. حركة الكبر والازورار، وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار!. والمشي في الأرض مرحا: هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس وهي حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق. وهي تعبير عن شعور مريض بالذات يتنفس في مشية الخيلاء!: ﴿**إن آلله لا يحب كل مختال فخور..**﴾ ومع النهي عن مشية المرح بيان للمشية المعتدلة القاصدة: ﴿**واقصد في مشيك: واغضض من صوتك..**﴾ فالقصد هنا من الاقتصاد وعدم الإسراف وعدم إضاعة الطاقة في التبختر والتثني

والاختيال. ومن القصد كذلك؛ لأن المشية القاصدة إلى هدف لا تتلكأ ولا تتخايل ولا تتبختر.. إنما تمضي لقصدها في بساطة وانطلاق. والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاكّ في قيمة قوله، أو قيمة شخصه، يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق!. والأسلوب القرآني يرذل هذا العمل ويقبحه في صورة منفرة محتقرة بشعة حين يعقب عليه بقوله: ﴿**إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**..﴾ فيرتسم مشهد مضحك يدعو إلى الهزؤ والسخرية، مع النفور والبشاعة. ولا يكاد ذو حسّ يتصور هذا المشهد المضحك من وراء التعبير المبدع ثم يحاول شيئا من صوت تلك الحمير!.. وهكذا تنتهي الجولة الثانية بعدما عالجت القضية الأولى بهذا التنويع بالعرض والتجديد في الأسلوب.

التوجيه الثالث: ﴿**ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**...﴾: في هذا التوجيه عرض لقضية أخرى تتعلق بالكون والإنسان.. ثم يسير هذا العرض على نسق تقرير القضية الأولى التي عالجتها الجولتان الأولى والثانية.. فتبدو في لون جديد وإيقاع جديد، والسياق يعرضها هنا من زاوية التناسق بين حاجات الإنسان على الأرض وتركيب هذا الكون! مما يقطع بأن هذا التناسق لا يمكن أن يكون فلتة ولا مصادفة؛ وأنه لا مفر بالتسليم بالإرادة الواحدة المدبرة التي تنسق بين تركيب هذا الكون الهائل وحاجات البشر على هذا الكوكب الصغير الضئيل.. فالأرض كلها لا تبلغ أن تكون ذرة صغيرة في بناء الكون.. والإنسان في هذه الأرض خلية صغيرة هزيلة ضعيفة بالقياس إلى حجم هذه الأرض، وبالقياس إلى ما فيها من قوى ومن خلائق حية وغير حيّة.. فلا يُعَدُّ الإنسان من ناحية حجمه ووزنه وقدرته المادية شيئا إلى جوارها.. ولكن فضل الله على هذا الإنسان ونفخته فيه من روحه وتكريمه له على كثير من خلقه.. هذا الفضل وحده قد اقتضى أن يكون لهذا المخلوق وزن في نظام الكون والحساب!.. وأن يهيئ الله له القدرة على استخدام الكثير من طاقات هذا الكون وقواه، ومن ذخائره وخيراته. وهذا هو التسخير المشار إليه في الآية في معرض نعم الله الظاهرة والباطنة. وهي أعم من تسخير ما في السماوات وما في الأرض..

فوجود الإنسان ابتداء نعمة من الله وفضل، وتزويده بطاقاته واستعداداته ومواهبه هذه نعمة من الله وفضل، وإرسال رسله وتنزيل كتبه فضل أكبر ونعمة أجل. ووصله بروح الله من قبل هذا كله نعمة من الله وفضل. وكل نفس يتنفسه وكل خفقة يخفقها قلبه، وكل منظر تلتقطه عينه، وكل صوت تلتقطه أذنه، وكل خاطر يهجس في ضميره وكل فكرة يتدبرها عقله.. إن هي إلا نعمة ما كان لينالها لولا فضل الله، وقد سخر الله لهذا المخلوق الإنساني ما في السماوات.. فجعل في مقدوره الانتفاع بشعاع الشمس ونور القمر وهدي النجوم، وبالمطر والهواء والطير السابح فيه.. وسخر له ما في الأرض.. وهذا أظهر وأيسر ملاحظة وتدبرا.. فقد أقامه خليفة في هذا الملك الطويل العريض، ومكنه من كل ما تزخر به الأرض من كنوز.. فمنه ما هو ظاهر ومنه ما هو مستتر.. ومنه ما يعرفه الإنسان ومنه ما لا يدرك إلا آثاره. ومنه ما لا يعرفه أصلا من أسرار القوى التي ينتفع بها دون أن يدري. وأنه لمغمور في كل لحظة من لحظات الليل والنهار بنعمة الله السابغة الوافرة التي لا يدرك مداها ولا يحصي أنماطها.. ومع هذا كله فإن فريقا من الناس لا يشكرون ولا يذكرون ولا يتدبرون ما حولهم ولا يوقنون بالمنعم المتفضل العظيم الكريم: ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير..**﴾ فتبدو هذه المجادلة مستغربة مستنكرة في ظل ذلك البرهان الكوني، وفي جوار هذه النعمة السابغة. ويبدو الجحود والإنكار بشعا شنيعا قبيحا تنفر منه الفطرة ويقشعر منه الضمير. ويبدو هذا الفريق من الناس الذي يجادل في حقيقة الله، وعلاقة الخلق بهذه الحقيقة يبدو منحرف الفطرة ولا يستجيب لداعي الكون كله من حوله.. جاحد النعمة لا يستحيي أن يجادل في المنعم بكل هذه النعم السابغة.. ويزيد موقفه بشاعة أنه لا يرتكز في هذا الجدال إلى علم ولا يهتدي بهدى ولا يستند إلى كتاب ينير له القضية ويقدم له الدليل: ﴿**وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا..**﴾ فهذا هو سندهم الوحيد، وهذا هو دليلهم العجيب! التقليد الجامد المتحجر الذي لا يقوم على علم ولا يعتمد على تفكير. التقليد الذي يريد الإسلام أن يحررهم منه. وأن يطلق عقولهم لتتدبّر، ويشيع فيها اليقظة والحركة والنور.. فيأبوا هم الانطلاق من إسار الماضي المنحرف ويتمسكوا بالأغلال والقيود. إنّ الإسلام حرية في الضمير. وحركة في الشعور. وتطلع إلى النور، ومنهج جديد للحياة طليق من

إسار التقليد والجمود. ومع ذلك كان يأباه ذلك الفريق من الناس، ويدفعون عن أرواحهم هداه ويجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير!..

فمن ثم يسخر منهم ويتهكم عليهم، ويشير من طرف إلى عاقبة هذا الموقف المريب: ﴿**أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير**﴾؟!.. فهذا الموقف إنما هو دعوة من الشيطان لهم لينتهي بهم إلى عذاب السعير.. فهل هم مصرون عليه ولو قادهم إلى ذلك المصير؟!.. فهذه لمسة موقظة ومؤثر مخيف؛ بعد ذلك الدليل الكوني العظيم اللطيف، وبمناسبة ذلك الجدال المتعنت الذي لا يستند إلى علم ولا يهتدي بهدي ولا يستمد من كتاب، يشير إلى السلوك الواجب تجاه الدليل الكوني والنعمة السابغة: ﴿**ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى**..﴾ فهذه العروة الوثقى هي الصلة الوثيقة الثابتة المطمئنة بين قلب المؤمن المستسلم وبين ربه.. فهي الطمأنينة إلى كل ما يأتي به قدر الله في رضى وفي ثقة وفي قبول. طمأنينة تحفظ للنفس هدوءها وسكينتها ورباطة جأشها في مواجهة الأحداث وفي الاستعلاء على السراء فلا تبطر. وعلى الضار فلا تصغّر، وعلى المفاجآت فلا تذهل. وعلى اللأواء في طريق الإيمان والعقبات تتناثر فيه من هنا وهناك. إن الرحلة طويلة وشاقة وحافلة بالأخطار. وخطر المتاع فيها والوجدان ليس أصغر وأقل من خطر الحرمان فيها والشقاء. وخطر السراء فيها ليس أهون ولا أيسر من خطر الضراء. والحاجة إلى السند الذي يَهِن، والحبل الذي لا ينقطع حاجة ماسة دائمة. والعروة الوثقى هي عروة الإسلام لله والاستسلام والإحسان.. وإليه المرجع والمصير.. ﴿**وإلى الله عاقبة الأمور**..﴾ فخير أن يسلم الإنسان وجهه إلى الله منذ البداية. وأن يسلك إليه الطريق على ثقة وهدى ونور، تلك نهاية من يسلم وجهه إلى الله وهو محسن..

فأما نهاية من يكفر ويخدعه متاع الحياة الدنيا فهو تهوين أمره على الرسول وعلى المؤمنين. وتهويل مصيره يوم يلقى جزاءه يوم الدين: ﴿**ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا**..﴾ فشأنه أهون من أن يحزنك، وأصغر من أن يهمك. ونهايته في الأخرى التهوين من شأنه كذلك. وهو في قبضة الله لا يفلت وهو مأخوذ بعمله، والله أعلم بما عمل وبما يخفيه في صدره من نوايا: ﴿**إن الله عليم بذات الصدور**﴾. ومتاع الحياة الذي يخدعه قليل. قصير

الأجل. زهيد القيمة: ﴿**نمتعهم قليلا**..﴾ فالعاقبة بعد ذلك مروعة فظيعة وهو مدفوع إليها دفعا لا يملك لها ردا: ﴿**ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ**..﴾ فوصف العذاب بالغلظ يجسمه ـ على طريقة القرآن ـ والتعبير بالاضطرار يلقي ظل الهول الذي يحاول الكافر أن لا يواجهه مع العجز عن دفعه أو التلكؤ دونه.. فأين هذا ممن يسلم وجهه إلى الله ويستمسك بالعروة الوثقى، ويصير في النهاية إلى ربه هادي النفس مطمئن الضمير؟!. ثم يقفهم أمام منطق فطرتهم حين تواجه الكون.. فلا تجد مناصا من الاعتراف بالحقيقة الكامنة فيها وفي فطرة الكون على السواء ولكنهم يزيغون عنها وينحرفون ويغفلون منطقها القويم: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض؟. ليقولن: الله**..﴾ فما يملك الإنسان حين يستفتي فطرته ويعود إلى ضميره أن ينكر هذه الحقيقة الواضحة الناطقة.. فهذه السماوات والأرض قائمة. مقدرة أوضاعها وأحجامها وحركاتها وأبعادها وخواصها وصفاتها.. مقدرة تقديرا يبدو فيها القصد كما يبدو فيها التناسق. وهي قبل ذلك خلائق لا يدّعي أحد أنه خلقها؛ ولا يدّعي أحد أن خالقا آخر غير الله شارك فيها؛ ولا يمكن أن توجد هكذا بذاتها.. ثم لا يمكن أن تنتظم وتتسق وتقوم وتتناسق بدون تدبير، وبدون مُدبّر؛ والقول بأنها وجدت وقامت تلقائيا أو فلتة أو مصادفة لا يستحق احترام المناقشة، فضلا على أن الفطرة من أعماقها تنكره وترده. وأولئك الذين كانوا يواجهون عقيدة التوحيد بالشرك؛ ويقابلون دعوة رسول الله ﷺ بالجدال العنيف لم يكونوا يستطيعون أن يزيفوا منطق فطرتهم حين تواجه بالدليل الكوني الممثل في وجود السماوات والأرض وقيامهما أمام العين لا تحتاجان إلى أكثر من النظر. ومن ثم لم يكونوا يتلجلجون في الجواب لو سئلوا: من خلق السماوات والأرض؟. جوابهم: الله، ولذلك يوجه الله رسوله ليعقب على جوابهم هذا بحمد الله: ﴿**قل الحمد لله**..﴾ فالحمد لله على وضوح الحق في الفطرة. والحمد لله على هذا الإقرار أمام الدليل الكوني. والحمد لله على كل حال.. ثم يضرب عن الجدل. والتعقيب بتعقيب آخر: ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون**..﴾ فمن ثم يجادلون ويجهلون منطق الفطرة ودلالة هذا الكون على خالقه العظيم. وبمناسبة إقرار فطرتهم بخلق الله للسماوات والأرض يقرر كذلك ملكية الله المطلقة لكل ما في السماوات والأرض: ما سخره للإنسان وما لم يسخره.

وهو مع ذلك الغني عن كل ما في السماوات والأرض، المحمود بذاته ولو

لم يتوجه إليه الناس بالحمد: ﴿**لله ما في السماوات والأرض. إنّ الله هو الغني الحميد**﴾. والآن تختم هذه الجولة بمشهد كوني يرمز إلى غنى الله الذي لا ينفد، وعلمه الذي لا يُحدّ، وقدرته على الخلق والتكوين المتجددين بغير ما نهاية، ومشيئته المطلقة التي لا نهاية لما تريد: ﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر، ما نفدت كلمات الله**﴾: فهذا مشهد منتزع من معلومات البشر ومشاهداتهم المحدودة، ليقرب إلى تصورهم معنى تجدد المشيئة الذي ليس له حدود، والذي لا يكاد تصورهم البشري يدركه بغير هذا التجسيم والتمثيل. أن البشر يكتبون علمهم ويسجلون قولهم ويمضون أوامرهم عن طريق كتابتها بأقلام ـ كانت تتخذ من الغاب والبوص ـ يمدونها بمداد من الحبر ونحوه. لا يزيد هذا الحبر على ملء دواة أو ملء زجاجة.. فها هو ذا يمثل أن جميع ما في الأرض من شجر تحول أقلاماً وجميع ما في الأرض من بحر تحول مداداً.. بل إن هذا البحر أمدته سبعة أبحر كذلك. وجلس الكتاب يسجلون كلمات الله المتجددة الدالة على علمه المعبرة عن مشيئته.. فماذا؟ لقد نفدت الأقلام ونفد المداد. نفدت الأشجار ونفدت البحار.. وكلمات الله باقية لم تنفد ولم تأت لها نهاية.. إنه المحدود يواجه غير المحدود ومهما يبلغ المحدود فسينتهي، ويبقى غير المحدود لم ينقص شيئا على الإطلاق. إن كلمات الله لا تنفد. لأن علمه لا يُحدّ، ولأن إرادته لا تُكفّ، ولأن مشيئته ـ سبحانه ـ ليس لها حدود ولا قيود. وتتوارى الأشجار والبحار وتنزوي الأحياء والأشياء وتتوارى الأشكال والأحوال، ويقف القلب البشري خاشعا أمام جلال الخالق الباقي الذي لا يتحول ولا يتبدل ولا يغيب، وأمام قدرة الخالق القوي المدبر الحكيم: ﴿**إن الله عزيز حكيم**﴾. أمام هذا المشهد الخاشع يلقي بالإيقاع الأخير في هذه الجولة متخذاً من ذلك المشهد دليلا كونيا على يسر الخلق وسهولة البعث: ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة.**.﴾ فالإرادة التي تخلق لمجرد توجه المشيئة إلى الخلق يستوي عندها الواحد والكثير.. فهي لا تبذل جهدا في خلق كل فرد ولا تكرر الجهد مع كل فرد. وعندئذ يستوي خلق الواحد وخلق الملايين.. وبعث النفس الواحدة وبعث الملايين.. إنما هي الكلمة. هي المشيئة: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له: كن فيكون ! ومع القدرة العلم والخبرة مصاحبين للخلق والبعث وما وراءهما من حساب وجزاء دقيق ﴿**إن الله سميع بصير**﴾!...

التوجيه الرابع: ﴿**ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمّى وأنّ الله بما تعملون خبير**. .﴾: في هذا التوجيه لفت الأنظار إلى اختلاف الليل والنهار. . وهذه هي الجولة الرابعة والأخيرة. . فتبدأ هذه الجولة بمشهد كوني ذي إيقاع خاص في القلب البشري: مشهد الليل والنهار. وهما يتلاحقان ويتداخلان. . فمشهد دخول الليل على النهار ودخول النهار على الليل. . ومشهد دخول الليل في النهار. ودخول النهار في الليل وتناقصهما وامتدادهما عند اختلاف الفصول. مشهد عجيب حقا!. . ولكن طول الألفة والتكرار يفقد أكثر الناس الحساسية اتجاهه. . فلا يلحظون هذه العجيبة التي تتكرر بانتظام دقيق، لا يتخلف مرة ولا يضطرب ؛ ولا تنحرف تلك الدورة الدائبة التي لا تكل ولا تحيد. . والله وحده هو القادر على إنشاء هذا النظام وحفظه؛ ولا يحتاج إدراك هذه الحقيقة إلى أكثر من رؤية تلك الدورة الدائبة التي لا تكل ولا تحيد. وعلاقة تلك الدورة بالشمس والقمر وجريانهما المنتظم علاقة واضحة. وتسخير الشمس والقمر عجيبة أضخم من عجيبة الليل والنهار ونقصهما وزيادتهما. وما يقدر على هذا التسخير إلا الله القدير الخبير. وهو الذي يقدر ويعلم أمد جريانهما إلى الوقت المعلوم. ومع حقيقة إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، وحقيقة تسخير الشمس والقمر ـ وهما حقيقتان كونيتان بارزتان ـ حقيقة أخرى مثلهما يقررهما معهما في آية واحدة: وأن الله بما تعملون خبير. .

فهكذا تبرز هذه الحقيقة الغيبية إلى جانب الحقائق الكونية حقيقة مثلها، ذات ارتباط بها وثيق. . ثم يعقب على هذه الحقائق الثلاث بالحقيقة الكبرى التي تقوم عليها الحقائق جميعا. الحقيقة الأولى التي تنبثق منها الحقائق جميعا. وهي الحقيقة التي تعالجها الجولة وتقدم لها بهذا الدليل: ﴿**ذلك بأن الله هو الحق، وأن ما تدعون من دونه الباطل**. .﴾ ذلك. . ذلك النظام الكوني الثابت الدائم المنسق الدقيق. . ذلك النظام قائم بأن الله هو الحق. . وأن ما تدعون من دونه الباطل. . فهو قائم بهذه الحقيقة الكبرى التي تعتمد عليها كل حقيقة، والتي يقوم بها هذا الوجود. . فكون الله هو الحق سبحانه ـ هو الذي يقيم هذا الكون، وهو الذي يحفظه، وهو الذي يدبره، وهو الذي يضمن له الثبات والاستقرار والتماسك والتناسق، ما شاء الله له أن يكون. . فكل شيء غير الله يتبدل، وكل شيء غيره يتحول.

وكل شيء غيره تلحقه الزيادة والنقصان، وتتعاوره القوة والضعف، والازدهار والذبول، والإقبال والإدبار.

وكل شيء غيره يوجد بعد أن لم يكن ويزول بعد أن يكون. وهو وحده ـ سبحانه ـ الدائم الباقي الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يحُول ولا يزول.. ثم تبقى في النفس بقية من قوله تعالى: ذلك بأن الله هو الحق.. بقية لا تنقلها الألفاظ ولا يستقل بها التعبير البشري.. بقية يتمثلها القلب ويستشعرها الضمير، ويحسها الكيان الإنساني كله ويقصر عنها التعبير!.. وكذلك: ﴿**وأن الله هو العلي الكبير**..﴾ الذي ليس غيره عليٌّ ولا كبير!!.. ويعقب السياق على ذلك المشهد الكوني، وهذه اللمسة الوجدانية لمشهد آخر من مألوف حياة البشر. مشهد الفلك تجري في البحر بفضل الله. ويقفهم في هذا المشهد أمام منطق الفطرة حين تواجه هول البحر وخطره مجردة من القوة والبأس والبطر والغرور: ﴿**ألم ترَ أنّ الفلك تجري في البحر بنعمة الله**..﴾ فهذه الفلك تجري في البحر وفق النواميس التي أودعها الله البحر والفلك والريح والأرض والسماء.. فخلقة هذه الخلائق بخواصها هذه هي التي جعلت الفلك تجري في البحر ولا تغطس أو تقف. ولو اختلت تلك الخواص أي اختلال ما جرت الفلك في البحر. لو اختلت كثافة الماء أو كثافة مادة الفلك. لو اختلت نسبة ضغط الهواء على سطح البحر. لو اختلت التيارات المائية والهوائية. لو اختلت درجة الحرارة عن الحد الذي يبقي الماء ماءا، ويبقي تيارات الماء والهواء في الحدود المناسبة.. لو اختلت نسبة واحدة أي اختلال ما جرت الفلك في الماء. وبعد ذلك كله يبقى أن الله هو حارس الفلك وحاميها فوق ثبج الأمواج وسط العواصف والأنواء، حيث لا عاصم لها إلا الله.. فهي تجري بنعمة الله وفضله على كل حال.. ثم هي تجري حاملة نعمة الله وفضله كذلك.

والتعبير يشمل هذا المعنى وذاك: ﴿**ليريكم من آياته**..﴾ فهي معروضة للرؤية يراها من يريد أن يرى، وليس بها من غموض أو إخفاء.. ﴿**إنّ في ذلك لآيات لكل صبار شكور**﴾. صبار في الضراء شكور في السراء وهما الحالتان تتعاوران الإنسان صباح مساء.. ولكن الناس لا يصبرون ولا يشكرون.. إنما يصيبهم الضر فيجأرون وينجيهم الله من الضر فلا يشكر منهم إلا القليل: ﴿**وإذا غشيهم موج**

كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين..﴾ فأمام هذا الخطر، والموج يغشى كالظلل والفلك كالريشة الحائرة في الخضم الهائل.. تتعرى النفوس من القوة الخادعة، وتتجرد من القدرة الموهومة، التي تحجب عنها في ساعات الرضى حقيقة فطرتها، وتقطع ما بين هذه الفطرة وخالقها.. حتى إذا سقطت هذه الحوائل وتعرّت الفطرة من كل ستّار استقامت إلى ربها واتجهت إلى بارئها وأخلصت له الدين ونفت كل شريك ونبذت كل دخيل.. **﴿فلما نجاهم إلى البرّ فمنهم مقتصد..﴾** فلا يجرفه الأمن والرخاء إلى النسيان والاستهتار وعدم الرجاء. ومنهم من يجحد وينكر آيات الله بمجرد زوال الخطر وعودة الرخاء: **﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور..﴾** فهذه المبالغة الوصفية تليق هنا بمن يجحد آيات الله ويكفر بها بعد هذه المشاهد الكبرى ومنطق الفطرة الخالص من الأوهام والأهواء. وبمناسبة هول البحر وخطره الذي يعرّي النفوس من غرور القوة والعلم والقدرة، ويسقط عنها هذه الحواجز الباطلة ويقفها وجها لوجه بمناسبة هذا الهول يذكرهم بالهول الأكبر الذي يبدو هول البحر في ظله صغيرا هزيلا.. هول اليوم الذي يقطع أواصر الرحم والنسب ويشغل الوالد عن الولد، ويحول بين المولود والوالد. وتقف كل نفس فيه وحيدة فريدة.. مجردة من كل عون ومن كل سند.. موحشة من كل قربة ومن كل وشيجة: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا..﴾** فالهول هنا هول نفسي يقاس بمداه في المشاعر والقلوب. وما تنقطع أواصر القربة والدم، ووشائج الرحم والنسب بين الوالد ومن ولد، وبين المولود والولد. وما يستقل كل بشأنه.. فلا يجزي أحد عن أحد.. ولا ينفع أحد إلا عمله وكسبه.. وما يكون هذا كله إلا لهول لا نظير له في مألوف الناس..

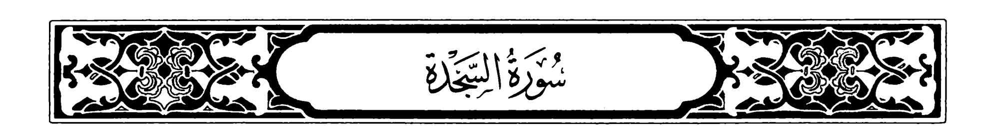
فالدعوة هنا إلى تقوى الله تجيء في موضعها الذي فيه تستجاب، وقضية الآخرة تعرض في ظلال هذا الهول الغامر فتسمع لها القلوب: **﴿إن وعد الله حق..﴾** فلا يخلف ولا يتخلف، ولا مفر من مواجهة هذا الهول العصيب، ولا مفر من الحساب الدقيق والجزاء العادل الذي لا يغني فيه والد عن ولد ولا مولود عن والد: **﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور..﴾** فالغرور متاع يلهي، أو شغل ينسي أو شيطان يوسوس في الصدور. وأعوان الشيطان شياطين من الجن والإنس، وآمال وأوهام تتجمع في النفس.. فالغرور بالمال شيطان..

والغرور بالعلم شيطان.. والغرور بالعمل شيطان.. والغرور بالقوة شيطان.. والغرور بالسلطان شيطان.. ودفعة الهوى شيطان.. ونزوة الشهوة شيطان.. فتقوى الله وتصور الآخرة هما العاصم من كل غرور!. وفي ختام الجولة الرابعة وختام السورة، وفي ظل هذا المشهد الْمَرْهُوب يجيء الإيقاع الأخير في السورة قويا عميقا مرهوبا، يصور علم الله الشامل وقصور الإنسان المحجوب عن الغيوب، ويقرر القضية التي تعالجها السورة بكل أجزائها، ويخرج هذا كله في مشهد من مشاهد التصوير القرآني العجيب: ﴿**إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت..**﴾ فالله سبحانه وتعالى ـ قد جعل الساعة غيبا لا يعلمه سواه؛ ليبقي الناس على حذر دائم وتوقع دائم ومحاولة دائمة أن يقدموا لها وهم لا يعلمون متى تأتي.. فقد تأتيهم بغتة في أية لحظة، ولا مجال للتأجيل في اتخاذ الزاد وكنز الرصيد. والله ينزل الغيث وفق حكمته بالقدر الذي يريده؛ وقد يعرف الناس بالتجارب والمقاييس قرب نزوله.. ولكنهم لا يقدرون على خلق الأسباب التي تنشئه. والنص يقرر أن الله هو الذي ينزل الغيث؛ لأنه سبحانه هو المنشئ للأسباب التي تكونه والتي تنظمه. واختصاص العلم بما في الأرحام كاختصاص العلم بأمر الساعة.. فهو سبحانه الذي يعلم وحده علم يقين ماذا في الأرحام في كل لحظة وفي كل طور من فيض وغيض.. ومن حمل.. حتى حين لا يكون للحمل حجم ولا جرم، ونوع هذا الحمل ذكرا أم أنثى، حين لا يملك أحد أن يعرف عن ذلك شيئا في اللحظة الأولى لاتحاد الخلية والبويضة وملامح الجنين وخواصه وحالته واستعداداته.. فكل أولئك مما يختص به علم الله تعالى.

وما تدري نفس ماذا تكسب من خير وشرّ، ومن نفع وضر، ومن يسر وعسر، ومن صحة ومرض، ومن طاعة ومعصية.. فالكسب أعم من الربح المالي وما في معناه. وهو كل ما تصيبه النفس فيما بعد.. وهو غيب مغلق عليه الأستار.. وكذلك: وما تدري نفس بأي أرض تموت.. فذلك أمر وراء الستر المسبل السميك الذي لا تنفذ منه الأسماع والأبصار. وإنّ النفس البشرية لتقف أمام هذه الأستار عاجزة خاشعة تدرك بالمواجهة حقيقة علمها المحدود وعجزها الواضح، ويتساقط عنها غرور العلم والمعرفة المدعاة. وتعرف أمام ستر الغيب المسدل أنّ الناس لم يؤتوا من العلم إلا قليلا.. والسياق القرآني يعرض هذه

المؤثرات العميقة التأثير في القلب البشري في رقعة فسيحة هائلة: رقعة فسيحة في الزمان والمكان، وفي الحاضر الواقع والمستقبل المنظور، والغيب السحيق. وفي خواطر النفس ووثبات الخيال: ما بين الساعة البعيدة المدى والغيث البعيد المصدر، وما في الأرحام الخافي عن العيان، والكسب في الغد، وهو قريب في الزمان ومغيب في المجهول. وموضع الموت والدفن، وهو مبعد في الظنون. إنها رقعة فسيحة الأماني والأرجاء.. ولكن اللمسات التصويرية العريضة بعد أن تتناولها من أقطارها تدق في أطرافها وتجمع هذه الأطراف كلها عند نقطة الغيب المجهول؛ وتقف بها جميعا أمام كُوّة صغيرة مغلقة، لو انفتح منها سم الخياط لاستوى القريب خلفها بالبعيد.. ولكنها تظل مغلقة في وجه الإنسان؛ لأنها فوق مقدور الإنسان، ووراء علم الإنسان. تبقى خالصة لله لا يعلمها غيره إلا بإذن منه، وإلا بمقدار: ﴿**إن الله عليم خبير**..﴾ فليس غيرُهُ بالعليم ولا بالخبير!.

4 ـ سورة السجدة، تشبه سورة لقمان من نواحٍ عدّة



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿12﴾
وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ
مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿13﴾ فَذُوقُوا۟
بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟
عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿14﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا
ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿15﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿16﴾
فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿17﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿18﴾
أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ
نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿19﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا
وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿20﴾
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿21﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ
ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿22﴾

* وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ
وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (23) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً
يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ (24)
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (25) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26)
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ
فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ
أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (28)
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (30)

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿أَلَمَّ. تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين..﴾ ألم: ثلاثة حروف من الحروف الهجائية يتركب منها كلام العرب.. تنزيل الكتاب: القرآن المنزل. لا ريب فيه: لا ريب فيه لمرتاب. من رب العالمين: منزل من رب العالمين. ﴿**أم يقولون افتراه**﴾: تقدم معنى أمْ هذه في عدّة مواضع.. والذين يقولون هذا القول هم مشركو مكة ومن كانوا مثلهم وقت التنزيل وبَعْدَه. والافتراء: الإتيان بشيء لا

حقيقة له، ولا له مصدر يرجع إليه. ﴿**بل هو الحق من ربك**﴾: رد على قولهم افتراه، واضراب عن هذا القول بالكلية. ﴿**لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك**﴾: بيان للغرض من تنزيل هذا الكتاب. والقوم الذين لم يأتهم نذير من قبل محمد: هم العرب. ﴿**لعلهم يهتدون**﴾: رجاء، هدايتهم إلى الحق الذي جاء به الكتاب الحق. ﴿**الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾: مر بيانه فيما سلف، ﴿**ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون**﴾؟!.

﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**﴾: مفردات الآية واضحة.. ولكنها من حيث المعنى سرّ من أسرار الغيب لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى: ﴿**ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم!.. الذي أحسن كل شيء خلقه**﴾: أحسن كل مخلوق خلقه على ما تقتضيه الحكمة وتوجبه المصلحة.. فما من مخلوق إلا وتظهر عليه سمة الإتقان.. ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾: أول إنسان خلقه الله كان من طين.. والطين: تراب مخلوط بماء. ﴿**ثم جعل نسله..**﴾ النسل: الخلق. والولد. ونسل الصوف: ما تساقط منه. والخيط الذي ينفصل من الثوب وقطعة القماش. والسلالة: الولد. مأخوذ من السلّ، وهو انتزاع الشيء من الشيء وإخراجه برفق مثل انسلال الشعر من العجين.. والماء المهين: المنيّ. ﴿**ثمّ سوّاه**﴾: عدله بتكميل أعضائه في الرحم وتصويره على ما ينبغي. ﴿**ونفخ فيه من روحه**﴾: وضع الله فيه السرّ الإنساني الذي تميز به عن سائر الحيوان.. وهو معنى قوله في سورة المؤمنون: ثمّ أنشأناه خلقا آخر: والروح من عالم الغيب الذي استأثر الله بعلمه. ﴿**وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**﴾: هذه من مظاهر الروح الإنساني.. قليلا ما تشكرون: تشكرون شكرا قليلا لا يعتدّ به. ﴿**وقالوا أئذا ضللنا في الأرض**﴾: صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه. ﴿**إنّا لفي خلق جديد**﴾: أنرجع في خلق جديد بعد ذبول واضمحلال خلقنا الأول؟!.. فهم يستغربون البعث ويعدونه من المحال.. ﴿**بل هم بلقاء ربهم كافرون..**﴾ انتقال من إنكارهم البعث واستغرابهم منه إلى بيان السبب الحقيقي للإنكار. وهو كفرهم وتكذيبهم للخبر من أصله.. ﴿**قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم..**﴾ التوفي: قبض الروح من الجسد. وملك الموت: الملك الموكل بقبض الأرواح. ﴿**ثم إلى ربكم**

ترجعون﴾: ترجعون إلى من يحاسبكم ويجازيكم..

﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم..﴾: المجرمون: هم الذين قالوا ما قالوا منكرين البعث والحساب والعقاب. ناكسوا رؤوسهم: مطأطئوها ندما على ما عملوا.. **﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون﴾**: يقولون هذا القول معترفين بخطئهم متمنين الرجوع إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم.. **﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾**: لو حرف امتناع لامتناع متضمنة معنى الشرط.. فجملة لو شئنا فعل الشرط. وجملة لآتينا كل نفس هداها جواب الشرط.. ولكن لم نشأ فلم نأت.. فقد حق القول منّي: **﴿لأملأن جهنّم من الجنة والناس أجمعين..﴾** وعلى هذه القاعدة.. **﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم.. وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون.. إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون..﴾** فهؤلاء هم فريق المؤمنين المحسنين مقابل فريق الكافرين المجرمين.. **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾**: تتباعد جنوبهم وتتنحى عن مواضع نومهم: **﴿يدعون ربهم خوفا وطمعا.. ومما رزقناهم ينفقون.. فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**: كلمات الآيتين واضحة.. **﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا؟! لا يستوون: أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون. وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون.. ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾**: ولنذيقنهم من عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة الذي هو أشد وأفظع وأنكى وأمرّ.. **﴿لعلهم يرجعون﴾**: رجاء رجوعهم عن الكفر.. **﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها؟!.. إنّا من المجرمين منتقمون﴾**: إنّا مكافئون بالعقوبة كل من أجرم.. فكيف من كان جرمه أشد وأعظم!! **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل..﴾** كلمات هذه الآية واضحة. **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون.. إنّ ربّك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.. أو لم يهدِ لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات، أفلا يسمعون؟!.. أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾**: نسوق السحاب الممطر إلى الأرض الممحلة القاحلة التي هي في حاجة

ماسة إلى المطر. . ﴿**فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم. . أفلا يبصرون؟!. . ويقولون: متى هذا الفتح إن كنتم صادقين. . قل: يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم، ولا هم ينظرون. . فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون**﴾: هذه الآيات كلماتها ظاهرة. .

مبحث الإعراب

﴿**ألم**﴾ حروف مسرودة لا محل لها من الإعراب. ﴿**تنزيل**﴾ مبتدأ. ﴿**الكتاب**﴾ مضاف إلى تنزيل. ﴿**لا ريب**﴾ لا واسمها. ﴿**فيه**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. والجملة في محل نصب حال من الكتاب. ﴿**من رب**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**أم يقولون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أم. وهي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة. والتقدير: بل أيقولون: ﴿**افتراه**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول يعود على الكتاب المنزل. . والفاعل ضمير يعود على الرسول المعلوم من السياق. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الحق**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**من ربك**﴾ متعلق بمحذوف حال من الحق. ﴿**لتنذر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**قوما**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل. متعلق بتنزيل. ﴿**ما أتاهم**﴾ فعل ماضٍ منفي بما. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من نذير**﴾ من صلة. جرّت الفاعل لفظا. ومحله الرفع. ﴿**من قبلك**﴾ متعلق بآتاهم. وجملة ما آتاهم نعت لقوم. ﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**يهتدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعل. وجملة لعلهم يهتدون تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿ **الله**﴾ مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**خلق**﴾ صلة الموصول. ﴿**السماوات**﴾ مفعول. . ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. و﴿**ما**﴾ في محل نصب معطوف على المفعول. ﴿**بينهما**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**في ستة**﴾ متعلق بخلق. ﴿**أيام**﴾ مضاف إلى ستة. ﴿**ثمّ استوى**﴾ فعل ماضٍ معطوف بثم. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**على العرش**﴾ متعلق باستوى. ﴿**ما لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. وما نافية. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بمحذوف حال من الضمير المجرور. ﴿**من وليّ**﴾ مبتدأ مؤخر. جر بحرف الجر الزائد في محل رفع. و﴿**لا شفيع**﴾ معطوف على ولي باعتبار لفظه. ﴿**أفلا تتذكرون**﴾ فعل وفاعل

دخل عليه حرف النفي وفاء العطف وحرف الاستفهام. ﴿**يدبر**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الأمر**﴾ مفعول به. ﴿**من السماء إلى الأرض**﴾ متعلقان بيدبر. ﴿**ثم يرجع**﴾ معطوف على يدبر. وفاعل يعرج ضمير يعود على الأمر. ﴿**إليه في يوم**﴾ متعلقان بيعرج. ﴿**كان مقداره ألف**﴾ كان واسمها وخبرها نعت لقوله: «يوما» ﴿**سنة**﴾ مضاف إلى ألف.

﴿**مما**﴾ متعلق بمحذوف نعت لألف. ﴿**تعدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عالم**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**الغيب**﴾ مضاف إلى عالم. ﴿**والشهادة**﴾ معطوف على الغيب. ﴿**العزيز الرحيم**﴾ خبران آخران لذلك. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر رابع. ﴿**أحسن**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الذي. ﴿**كل**﴾ مفعول به. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. وجملة أحسن صلة الذي. ﴿**خلقه**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الذي. وجملة خلقه نعت لكل شيء. ﴿**وبدأ**﴾ معطوف على أحسن. ﴿**خلق**﴾ مفعول به. ﴿**الإنسان**﴾ مضاف إلى خلق. ﴿**من طين**﴾ متعلق ببدأ. ﴿**ثم جعل نسله**﴾ معطوف على بدأ. ﴿**من سلالة**﴾ متعلق بمحذوف مفعول ثان لجعل. ﴿**من ماء**﴾ متعلق بمحذوف نعت لسلالة. ﴿**مهين**﴾ نعت لماء. ﴿**ثم سواه**﴾ معطوف على ما قبله على قاعدة العطف بغير الواو. ﴿**ونفخ**﴾ معطوف على سواه. ﴿**فيه من روحه**﴾ متعلقان بنفخ. ﴿**وجعل**﴾ معطوف على سواه. ﴿**لكم**﴾ متعلق بجعل ﴿**السمع**﴾ مفعول به. ﴿**والأبصار والأفئدة**﴾ معطوفان على السمع. ﴿**قليلا**﴾ نعت لمفعول مطلق. ﴿**ما**﴾ صلة. ﴿**تشكرون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وقالوا**﴾ : ﴿**أئذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط دخل عليه حرف الاستفهام. متعلق بجوابه الآتي. ﴿**ضللنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة فعل الشرط. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بضللنا. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لفي خلق**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**جديد**﴾ نعت لخلق. وجملة إنا لفي خلق.. جواب الشرط. وجملة الشرط.. مقول القول. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**بلقاء**﴾ متعلق بالخبر، ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى لقاء. ﴿**كافرون**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**قل**﴾: ﴿**يتوفاكم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ملك**﴾ فاعل. ﴿**الموت**﴾ مضاف إلى ملك، ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت لملك. ﴿**وُكِّلَ**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ **بكم**﴾ متعلق به. وجملة وُكِّلَ بكم صلة الموصول. ﴿**ثمّ إلى ربكم**﴾ متعلق بالفعل

بعده: ﴿**ترجعون.**﴾ الفعل ونائب الفاعل معطوف على يتوفاكم بثمّ. ﴿ **ولو ترى**﴾ فعل مضارع دخلت عليه لو الشرطية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بترى. ﴿**المجرمون**﴾ مبتدأ. ﴿**ناكسوا**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**رؤوسهم**﴾ مضاف إلى ناكسوا. ﴿**عند**﴾ ظرف متعلق بناكسوا. ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**ربنا**﴾ منادى حذفت منه ياء النداء. ﴿**أبصرنا**﴾ فعل وفاعل.

﴿**وسمعنا**﴾ معطوف على أبصرنا. ﴿**فارجعنا**﴾ فعل دعاء مرتب على ما قبله. ﴿**نعمل**﴾ جواب فعل الدعاء مجزوم. والفاعل نحن. ﴿**صالحا**﴾ مفعول به. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**موقنون**﴾ خبرها. وجملة إنّا موقنون تعليلية. وجواب لو مقدر. والتقدير: ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم يقولون ما يقولون لرأيت أمرا فظيعاً وهولا شنيعا!.. ﴿**ولو شئنا**﴾ فعل شرط لو. ﴿**لآتينا كل**﴾ فعل وفاعل ومفعول جواب شرط لو. ﴿**نفس**﴾ مضاف إلى كلّ. ﴿**هداها**﴾ مفعول ثان. وجملة ولو شئنا: معطوفة على ما قبلها. ﴿**ولكن حق القول**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستدراك. ﴿**مني**﴾ متعلق بحق. ﴿**لأملأنّ**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد والفاعل ضمير المتكلم واللام لتأكيد الخبر. ﴿**جهنّم**﴾ مفعول به. ﴿**من الجنّة**﴾ متعلق بقوله: لأملأن. ﴿**والناس**﴾ معطوف على الجنة. ﴿**أجمعين**﴾ حال من الجنة والناس. ﴿**فذوقوا**﴾ أمر موجّه إلى المخاطبين، والفاء للتعقيب. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**نسيتم لقاء**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ما. ﴿**يومكم**﴾ مضاف إلى لقاء. ﴿**هذا**﴾ نعت ليومكم. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**نسيناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. ﴿**وذوقوا**﴾ معطوف على نظيره. ﴿**عذاب**﴾ مفعول به. ﴿**الخلد**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿ **بما**﴾ متعلق بذوقوا: ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم تعملون صلة ما. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿ **يؤمن**﴾ فعل مضارع. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق به. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**إذا ذكروا**﴾ فعل ونائب الفاعل، فعل شرط إذا. ﴿**بها**﴾ متعلق بذكروا. ﴿**خروا**﴾ فعل وفاعل جواب شرط إذا. ﴿**سجّدا**﴾ حال من فاعل خرّوا. ﴿**وسبحوا**﴾ معطوف على خرّوا. ﴿**بحمد**﴾ متعلق بسبحوا. ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى حمد. وجملة إذا ذكروا بها خروا سجدا صلة الموصول، ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لا يستكبرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة خبر المبتدأ. وجملة وهم لا يستكبرون معطوفة على

الصلة. ﴿**تتجافى جنوبهم**﴾ فعل وفاعل. والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿**عَنِ المضاجع**﴾ متعلق بتتجافى. ﴿**يدعون ربهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة حال من ضمير جنوبهم. ﴿**خوفا**﴾ حال من ضمير يدعون. ﴿ **وطمعا**﴾ معطوف على الحال قبله. ﴿**ومما**﴾ متعلق بينفقون. ﴿**رزقناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ما. ﴿**ينفقون**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على يدعون ربهم ﴿**فلا تعلم نفس ما**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وفاء السببية. ﴿**أخفى**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**لهم**﴾ متعلق به. والجملة صلة ما. ﴿**من قرّة**﴾ بيان لما. ﴿**أعين**﴾ مضاف إلى قرة. ﴿**جزاء**﴾ مفعول مطلق لفعل مقدر ﴿**بما**﴾. متعلق بجزاء. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها.

﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعملون صلة ما. ﴿**أفمن**﴾: في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على منْ. ﴿**مؤمنا**﴾ خبر كان. وجملة كان مؤمنا صلة مَنْ. ﴿**كمن**﴾ الكاف في محل رفع خبر المبتدأ. ومَنْ في محل جر بالكاف. ﴿**كان فاسقا**﴾ مثل كان مؤمنا في الإعراب. ﴿**لا يستوون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة جوابية لا محل لها من الإعراب. ﴿**أما**﴾ حرف تفصيل. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول﴾ . ﴿**وعملوا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به. ﴿**فلهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**جنات**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**المأوى**﴾ مضاف إلى جنات مجرور بكسرة مقدّرة على الألف. وجملة فلهم جنات المأوى خبر المبتدأ. ﴿**نزلا**﴾ حال من جنات المأوى. ﴿**بما**﴾ متعلق بالحال. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعملون صلة ما. ﴿**وأما الذين فسقوا**﴾ مثل إعراب أما الذين آمنوا. ﴿**فمأواهم**﴾ مبتدأ. ﴿**النار**﴾ خبر المبتدأ. والجملة خبر الذين فسقوا. ﴿**كلما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**أرادوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أن يخرجوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عيه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بأرادوا. ﴿**منها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أعيدوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل جواب شرط كلما. ﴿**فيها**﴾ متعلق بأعيدوا ﴿**وقيل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. معطوف على أعيدوا. ﴿ **لهم**﴾ متعلق بقيل. ﴿**ذوقوا**﴾ أمر موجه للمخاطبين. وهم الذين فسقوا. ﴿**عذاب**﴾ مفعول به. ﴿**النار**﴾ مضاف إلى عذاب. وجملة ذوقوا عذاب

النار مقول القول. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت لعذاب. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**به**﴾ متعلق بالفعل بعده: ﴿**تكذبون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم به تكذبون صلة الذي. ﴿**ولنذيقنهم**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد في آخره. ولام التأكيد في أوّله. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**من العذاب**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الأدنى**﴾ نعت للعذاب، ﴿**دون**﴾ متعلق بما تعلق به الجار والمجرور. ﴿**العذاب**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**الأكبر**﴾ نعت للعذاب. ﴿**لعلهم**﴾ لعل واسمها. ﴿**يرجعون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر لعل وجملة لعلهم يرجعون تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**ومن**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**أظلم**﴾ خبر المبتدأ.

﴿**ممن**﴾ متعلق بأظلم. ﴿**ذكر**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على مَن. والجملة صلة من. ﴿**بآيات**﴾ متعلق بذكر، ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**ثم أعرض**﴾ معطوف على ذكر. ﴿**عنها**﴾ متعلق بأعرض. وجملة ومن أظلم. .إلخ. معطوفة على مقابلها وهم الذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا سجّدا. . ﴿**إنّا**﴾ إن واسمها. ﴿**من المجرمين**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**منتقمون**﴾ خبر إنّ. والجملة تعليلية. . ﴿**ولقد آتينا موسى**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام التأكيد وواو العطف: ﴿**الكتاب**﴾ مفعول ثان. ﴿**فلا تكن**﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بلا الناهية. واسم تكن ضمير المخاطب ﴿**في مِرية**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكن، ﴿**من لقائه**﴾ متعلق بمرية. وجملة فلا تكن مرتبة بالفاء، على ما قبلها. ﴿**وجعلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**هدى**﴾ مفعول ثان. منصوب بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، وجملة وجعلناه هدى معطوفة على آتينا موسى الكتاب. ﴿**لبني**﴾ متعلق بجعلناه. ﴿**وجعلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**منهم**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**أئمة**﴾ مفعول به. ﴿**يهدون**﴾ فعل وفاعل. والجملة مفعول ثان. ﴿**بأمرنا**﴾ متعلق بيهدون. ﴿**لما صبروا**﴾ فعل وفاعل. والجملة فعل شرط لما. والجواب محذوف يدل عليه ما قبله. . ﴿**وكانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يوقنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة وكانوا بآياتنا يوقنون معطوفة على جملة صبروا. ﴿ **إنّ ربك**﴾ إن واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**يفصل**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على ربك. ﴿**بينهم يوم**﴾ متعلقان بيفصل. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**فيما**﴾ متعلق بيفصل

كذلك، ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. . ﴿**فيه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يختلفون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا فيه يختلفون صلة ما. ﴿**أولم يهد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والواو للعطف. والهمزة للاستفهام. ﴿**لهم**﴾ متعلق بيهد. ﴿**كم**﴾ في محل نصب مفعول ﴿**أهلكنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من قبلهم من القرون**﴾ متعلقان بأهلكنا، وفاعل يهد ضمير عائد إلى ما في الذهن. ﴿**يمشون**﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من ضمير لهم. ﴿ **في مساكنهم**﴾ متعلق بيمشون. ﴿**إنّ في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لآيات**﴾ اسمها مؤخر. والجملة تعليل. ﴿**أفلا يسمعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**أولم يروا**﴾ مثل أولم يهد في الإعراب. ﴿**أنا**﴾ أن واسمها. ﴿**نسوق**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. ﴿**الماء**﴾ مفعول به. ﴿**إلى الأرض**﴾ متعلق بنسوق. ﴿**الجرز**﴾ نعت للأرض.

﴿**فنخرج**﴾ مرتب على نسوق. ﴿**به**﴾ متعلق بنخرج. ﴿**زرعا**﴾ مفعول به. ﴿**تأكل**﴾ فعل مضارع. ﴿**منه**﴾ متعلق بتأكل. ﴿**أنعامهم**﴾ فاعل. ﴿**وأنفسهم**﴾ معطوف على أنعامهم. ﴿**أفلا يبصرون**﴾ مثل أفلا يسمعون في الإعراب. . ﴿**ويقولون**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**متى**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿ **هذا**﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**الوعد**﴾ عطف بيان لهذا. وجملة متى هذا الوعد مقول القول. ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ الجملة من كان واسمها خبرها شرط إنّ. والجواب محذوف يدل عليه ما قبله. ﴿**قل**﴾ : ﴿**يوم**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**الفتح**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**لا ينفع**﴾ فعل مضارع منفي بلا. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**إيمانهم**﴾ فاعل. أي: لا ينفع إيمان الكافرين يوم الفتح. ﴿**ولا هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**ينظرون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر المبتدأ. ﴿**فأعرض**﴾ أمر موجه إلى الرسول ﷺ ﴿**عنهم**﴾ متعلق بأعرض ﴿**وانتظر**﴾ معطوف على فأعرض. ﴿**إنهم**﴾ إن واسمها. ﴿**منتظرون**﴾ خبر إن. والجملة تعليلية. وجملة فأعرض عنهم وما عطف عليها تعقيب لقوله: قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم. .

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**أَلَّمَ. تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين..**﴾ افتتحت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن لأنه جامع الهدى الذي تضمنته هذه السورة وغيرها، ولأن جماع ضلال الضالين هو التكذيب بهذا الكتاب، ووجه مناسبة هذه السورة للسورة التي قبلها: اشتمال كل منهما على دلائل الألوهية، وبدء كل بِألم؛ وفي هذه السورة شرح وتفصيل لما أجمل في السورة التي قبلها. وافتتاح الكلام بالجملة الاسمية ـ تنزيل ـ لدلالتها على الدوام والثبات. وجيء بالمسند إليه معرفا بالإضافة ـ تنزيل الكتاب ـ ثم تعقبه بالجملة الحالية. ـ لا ريب فيه ـ ليحصل به التشويق إلى معرفة الخبر ـ من رب العالمين ـ أي: لا ريب في كون هذا الكتاب منزلا من رب العالمين.. ﴿**أم يقولون افتراه**﴾: هذا إضراب إبطال حيث جيء بأم المنقطعة التي بمعنى بل والاستفهام الإنكاري. وفيه تعجيب من قولهم هذا! لغاية ظهور بطلانه، واستحالة كونه مفترىً. وصيغ الخبر عن قولهم العجيب بصيغة المضارع ـ يقولون ـ لاستحضار حالة ذلك القول تحقيقا للتعجيب منه حتى لا تغفل عنه آذان السامعين.

وفي المضارع مع ذلك إيذان بتجدد مقالتهم هذه، وإنهم لا يقلعون عنها على الرغم مما جاءهم من البيان، ورغم افتضاحهم بالعجز عن معارضته. واضرب عن قولهم افتراه: إضراب إبطال إلى بيان خفية ما أنكروه حيث قال الله تعالى: ﴿**بل هو الحق من ربك**﴾. وقد جاءت هذه الآية على أسلوب بديع الإحكام: حيث ثبت أن الكتاب تنزيل من رب جميع الكائنات ـ العالمين ـ وانه يحق أن لا يَرتاب فيه مرتاب؛ ثم انتقل إلى الإنكار بالتعجيب من الذين جزموا بأن الجائي به مفترٍ على الله؛ ثم ردّ عليهم بإثبات أنه الحق الكامل من الرب الذي نسبوا إليه افتراءَه ـ بل هو الحق من ربك ـ ثم جاء بما هو الأنكى للمكذبين، وأبلغ في تسفيه أحلامهم، وأوغل في النداء على إهمالهم النظر في دقائق المعاني.. فبين ما فيه تذكرة لهم ببعض المصالح التي جاء لأجلها هذا الكتاب بقوله: ﴿**لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون..**﴾ فإنّ بيان غاية الشيء وحكمته، لاسيّما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة إليها، مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة، ولقد كانت قريش أضلّ الناس وأحوجهم إلى

الهداية بإرسال الرسول وتنزيل الكتاب؛ حيث لم يبعث إليهم رسول قبل محمد صلى الله عليه وسلم: !. ﴿**الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون**﴾؟!: جيء باسم الله مبتدأ لاستحضاره في الأذهان؛ وجيء باسم الموصول خبرا للإيماء إلى وجه بناء الخبر. وذيل الآية هذه بقوله أفلا تتذكرون، والآية التي قبلها بقوله لعلهم يهتدون لمناسبة كل لما جاء من أجله. ﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**﴾: هذا الكلام مستأنف استئنافا بيانيا لما قبله.. فالمقصود من حرفي الابتداء ـ من ـ والانتهاء ـ إلى ـ شمول تدبير الله تعالى لكل ما في السماوات وما في الأرض. ﴿**ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم. الذي أحسن كل شيء خلقه**﴾: فإسم الإشارة ـ ذلك ـ عائد إلى الله باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السماوات والأرض وما بينهما، والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه، وتدبير أمر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع!!.

وجملة الذي أحسن كل شيء خلقه خبر آخر عن اسم الإشارة ـ ذلك ـ أي: ذلك الذي.. فهو ارتقاء في الاستدلال، مشوب بالامتنان على الناس، حيث بين لهم وانحصار خلقهم وانتقاله من طور إلى طور، وحال إلى حال أخرى.. بقوله: ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين.. ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة..**﴾ ففي حكاية أحوال الإنسان من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة، وطريقة أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه! إذ أخبره بما لا يعلم حاله بطريق الغيبة، وذكّره بما يعلم حاله بطريق الخطاب تهديدا له على كفره وعدم شكره.. فقوله تعالى: ﴿**قليلا ما تشكرون**﴾ بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على أن القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده: ﴿**وقالوا: أئذا ضللنا في الأرض؟ إنا لفي خلق جديد**﴾!.. فهو كلام مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات من الخطاب إلى الغيبة؛ إيذانا بأن ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للإعراض عنهم، وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثّة. وجملة ﴿**بل هم بلقاء ربهم كافرون**﴾ إضراب انتقال من بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه؛ وهو كفرهم بالوصول إلى العاقبة وما

يلقون فيها من الأحوال والأهوال جميعا!.. ﴿**قل: يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم**﴾: استئناف جيء به بيانا للحق، وردا على زعمهم الباطل؛ لأن معنى قل: يتوفاكم ملك الموت جوابا لقولهم: أئذا ضللنا في الأرض، إنّا لفي خلق جديد؟.. وجملة ﴿**ثم إلى ربكم ترجعون**﴾ تذييل مقرر لمضمون يتوفاكم ملك الموت.. فبعد الموت رجوع إلى ربكم الذي خلقكم ورزقكم فأحياكم.. ثم أماتكم.. فليس كما تزعمون أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة. ﴿**ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم**﴾: هذا الكلام موصول بالعطف على ما تضمنه الكلام السابق من الموت والرجوع إلى الله بعده.. فالجملة فرضية مشروطة بلو الامتناعية غير واقع شرطها وجزاؤها.

أي لو رأيت حال المجرمين وهم خاضعون ذليلون عند ربهم حينئذ لرأيت أمرا مهولا فظيعا لا يقادر قدره!. والخطاب في «ولو ترى» لكل أحد ممن يصلح له، كائنا من كان؛ إذ المراد بيانُ كمالِ سوءِ حالهم، وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة والدواهي الفظيعة.. بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها. وجملة ﴿**ربنا أبصرنا وسمعنا..**﴾: مقول لقول مقدر قبل هذه الجملة، يقولون: ربنا الآن صرنا ممن يبصر ويسمع، وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة، وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا.. ﴿**فارجعنا نعمل صالحا**﴾!.. وجاء قولهم: ﴿**إنا موقنون**﴾ جملة اسمية مؤكدة، لإظهار ثباتهم على الإيقان وكمال رغبتهم فيه. وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الإجابة إلى ما سألوا من الرجعة. وأنى لهم ذلك ؟!.. ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها**﴾: هذه الآية فرضية شرطية وصلت بالعطف على ما تضمنه الكلام قبلها من تملص المجرمين من إجرامهم في وقت لا ينفع فيه التملص ولا يكون فيه التخلص ! وجملة ﴿**ولكن حق القول مني: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ استدراك على جواب الشرط المقدر؛ والتقدير: ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها لآتيناها.. ولكن لم نعط كل نفس هداها؛ لسبق القول الحق مني: وهو لآملأن جهنم.. فالفاء في قوله تعالى: ﴿**فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا**﴾؛ لترتيب الأمر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجوع إلى الدنيا. وجملة ﴿**إنا نسيناكم**﴾ تعليل لما قبله من نسيانهم اليوم المشار إليه. وقوله تعالى: ﴿**وذوقوا**

عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾، تكرير للتأكيد والتشديد، وتعيين المفعول المطوي للذوق، والإشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان.. بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا. وعدم نظم الكل في سلك واحد؛ للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب. وفي إبهام المذوق أولا، وبيانه ثانيا لتكرير الأمر، وتوسيط التعليل المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى!. **﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرّوا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾**: هذا استئناف ناشئ عن قوله تعالى: أم يقولون: أفتراه..

تفرغ المقام له بعد أن أنحى بالتقريع والوعيد للكافرين على كفرهم بلقاء الله بما أفادت اسمية جملة بل هم بلقاء ربهم كافرون، من أنهم ثابتون على الكفر بلقاء الله دائمون عليه. وهو مما أنذرتهم به آيات القرآن.. فالتكذيب بلقاء الله تكذيب بما جاء به القرآن.. فهم لا يؤمنون، وإنما يؤمن بآيات الله الذين ذكرت أوصافهم هنا.. فالمراد بالآيات هنا آيات القرآن بقرينة قوله: الذين إذا ذكروا بها خرّوا سجّدا.. فمفاد إنما قصر إضافي. وأُوثرت صيغة المضارع في قوله: إنما يؤمن؛ لما تشعر به من أنهم يتجددون في الإيمان ويزدادون يقينا وقتا فوقتا.. والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الإضافة إلى ضميرهم في قوله: وسبحوا بحمد ربهم؛ للإشعار بعلة التسبيح والتحميد، وبأنهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم. وجملة وهم لا يستكبرون معطوفة على قوله: خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم: زيادة في التنويه.. **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾**: جملة مستأنفة جيء بها لبيان بقية محاسنهم.. **﴿يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾**: بيان وتفصيل لقوله: تتجافى جنوبهم عن المضاجع.. مع زيادة ذكر إنفاقهم في أوجه الخير.. **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**: هذا مرتب على ما عملوا من الأعمال الصالحات.. فهو جزاء من الله لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى.. **﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا﴾**؟!..: فرع بالفاء على ما تقدم من الآيات من الوعد للمؤمنين، والوعيد للكافرين. والاستفهام مستعمل في إنكار المساواة بين المؤمن والكافر. وهو إنكار بتنزيل السامع منزلة المتعجب. من البون الشاسع بين جزاء الفريقين في ذلك اليوم.. فكان الإنكار موجها إلى ذلك التعجيب في معنى الاستئناف البياني.

وجملة ﴿**لا يستوون**﴾ عطف بيان للمقصود من الاستفهام.

﴿**أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون. وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون**﴾: هذا تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر أحوالهما في الدنيا.. فأكد كلا الجزاءين بذكر مرادف لمدلوله مع زيادة فائدة.. فجملة لهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون مؤكدة لمضمون جملة فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين.. وجملة فمأواهم النار..مؤكدة لمضمون جملة فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا.. ﴿**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر**﴾: الكلام موصول بالعطف على ما ذكر من أحوال المجرمين المكذبين المنكرين للبعث في قولهم: أئذا ضللنا في الأرض إنا لفي خلق جديد؟!.. وجملة ﴿**لعلهم يرجعون**﴾ تعليل لما حصل للكافرين في الدنيا من التخويف والتحذير.. ولكنهم استمروا على كفرهم وانكارهم.. ﴿**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها**﴾؟!..: فهذا بيان إجمالي لحال من قابل آيات الله بالإعراض مع التخويف والتحذير والتهديد: ﴿**إنا من المجرمين منتقمون**﴾!.. ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل. وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾: هذا الكلام مقصود به تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بأن ما لقي من قومه هو نظير ما لقيه موسى من قومه بني إسرائيل.. فجملة ﴿**إنّ ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾: تشمل قوم موسى وقوم محمد ـ عليهما السلام، بدليل قوله: ﴿**أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم. إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون**﴾؟!.. واختير فعل الهداية في هذه الآية؛ لإرادة الدلالة الجامعة للمشاهدة ولسماع أخبار تلك الأمم تمهيدا لقوله في آخرها «أفلا يسمعون». ولأن كثرة ذلك المستفادة من «كم» الخبرية، إنما تحصل بترتيب الاستدلال في تواتر الأخبار، ولا تحصل دفعة كما تحصل دلالة المشاهدات. ونيط الاستدلال هنا بالكثرة التي أفادتها كم الخبرية؛ لأن تكرر حدوث القرون وزوالها أقوى دلالة من مشاهدة آثار أمة واحدة.

ولما كان الذي يؤثر من أخبار تلك الأمم، وتقلبات أحوالها وزوال قوتها

ورفاهيتها أشد دلالة وموعظة للمشركين فرع عليه «أفلا يسمعون» استفهاما تقريريا مشوبا بتوبيخ؛ لأن اجتلاب المضارع ـ وهو يسمعون ـ مؤذن بأن استماع أخبار تلك الأمم متكرر متجدد.. فيكون التوبيخ على الإقرار المستفهم عنه أوقع!. ﴿**أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض، الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**﴾؟!: هذه الآية موصولة بالعطف على الآية التي قبلها.. ونيط الاستدلال هنا بالرؤية؛ لأن إحياء الأرض بعد موتها.. ثم إخراج النبات منها دلالة المشاهدة. ولهذا ذيلت بقوله: أفلا يبصرون؟!. ﴿**ويقولون: متى هذا الفتح إن كنتم صادقين؟ قل: يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على قولهم السابق من أول السورة إلى هنا.. ففي هذا الكلام والكلام في أول السورة ارتباط كامل. وهو رد العجز على الصدر. وجملة ﴿**فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون**﴾، فيها براعة المقطع!».

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**الٓمٓ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين..**﴾: في هذا التوجيه تحقيق صدق التنزيل وصدق المنزل عليه من رب العالمين وموقف المعارضين لهذا التنزيل.. تبتدئ هذه السورة كالسور الثلاث التي قبلها بهذه الأحرف الثلاثة: أ ل م. هذه الأحرف التي يعرفها هؤلاء الذين كفروا، المخاطبون بهذا الكتاب. يعرفون ما يملكون أن يصيغوا من هذه الحروف ومن نظائرها من كلام.. ويدركون الفارق الهائل بين ما يملكون أن يصوغوه منها وبين هذا القرآن. وهو فارق يدركه كل خبير بالقول،وكل من يمارس التعبير باللفظ عن المعاني والأفكار. كما يدرك أن في النصوص القرآنية قوة خفية وعنصرا مستكنا، يجعل لها سلطانا وإيقاعا في القلب والحس ليسا كسائر القول المؤلف من أحرف اللغة، مما يقوله البشر في جميع الأعصار. وهي ظاهرة ملحوظة لا سبيل إلى الجدال فيها؛ لأن السامع يدركها ويميزها ويهتز لها من بين سائر القول، ولو لم يعلم سلفا أن هذا قرآن! والتجارب الكثيرة تؤكد هذه الظاهرة في شتى أوساط الناس. والفارق بين القرآن وما يصوغه البشر من هذه الحروف من كلام. هو كالفارق بين صنعة الله وصنعة البشر في سائر الأشياء. صنعة الله واضحة مميزة، لا تبلغ إليها صنعة البشر في أصغر الأشياء. وإن توزيع الألوان في زهرة واحدة ليبدو معجزة لأمهر

الرسامين في جميع العصور.. وكذلك صنع الله في القرآن وصنع البشر في ما يصوغون من هذه الحروف من كلام!. وهذه قضية مقطوع بها، لا سبيل إلى الشك فيها..

فهذا الكتاب المبدوء بعض سوره بهذه الأحرف تنزيل من ربّ العالمين.. فلا سبيل إلى الارتياب فيه! ولا عبرة بإعراض المكذبين. إن كل آية وكل سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن، وتشي بالقوة الخفية المودعة في هذا الكلام. وإن الكيان الإنساني ليهتز ويرتجف ويتزايل ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن، كلما تفتح القلب وصفا الحس وارتفع الإدراك وارتقت حساسية التلقي والاستجابة. وأن هذه الظاهرة لتزداد وضوحا كلما أشبعت ثقافة الإنسان ومعرفته بهذا الكون وما فيه ومن فيه.. فليست هي مجرد وهلة تأثرية وجدانية غامضة.. فهي متحققة حين يخاطب القرآن الفطرة خطابا مباشرا. وهي متحققة كذلك حين يخاطب القلب المجرب والعقل المثقف والذهن الحافل بالعلم والمعلومات. وإن نصوصه ليتسع مدى مدلولاتها ومفهوماتها وإيقاعاتها على السواء كلما ارتفعت درجة العلم والثقافة والمعرفة، ما دامت الفطرة مستقيمة لم تنحرف ولم تطمس عليها الأهواء.. مما يجزم بأن هذا القرآن صنعة غير بشرية على وجه اليقين، وإنه تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين. ﴿**أم يقولون: افتراه**﴾؟!.. ولقد قالوها فيما زعموه متعنتين.. ولكن السياق هنا يصوغ هذا القول في صيغة المستنكر لأن يقال هذا القول أصلا.. فهذه القولة لا ينبغي أن تقال.. فتاريخ محمد ﷺ فيهم ينفي هذه الكلمة الظالمة من جهة ؛ وطبيعة هذا الكتاب ذاتها تنفيه أصلا، ولا تدع مجالا للريب والشك: ﴿**بل هو الحق من ربك..**﴾ الحق.. بما في طبيعته من صدق ومطابقة لما في الفطرة من الحق الأزلي؛ وما في طبيعة الكون كله من هذا الحق الثابت المستقر في كيانه الملحوظ في تناسقه واطراد نظام وثبات هذا النظام وشموله وعدم تصادم أجزائه أو تناثرها وتعارف هذه الأجزاء وتلاقيها. الحق.. بترجمته لنواميس هذا الوجود الكبير ترجمة مستقيمة؛ وكأنما هو الصورة اللفظية المعنوية لتلك النواميس الطبيعية الواقعية العاملة في هذا الوجود. الحق.. بما يحققه من اتصال بين البشر الذين يرتضون منهجه، وهذا الكون الذي يعيشون فيه، ونواميسه الكلية وما يعقده بينهم وبين قوى الكون كله من سلام وتعاون وتفاهم وتلاق، حيث يجدون أنفسهم في صداقة مع كل ما

حولهم من هذا الكون الكبير. الحق.. الذي تستجيب له الفطرة حين يلمسها إيقاعه في يسر وسهولة وفي غير مشقة ولا عنت؛ لأنه يلتقي بما فيها من حق أزلي قديم. الحق.. الذي لا يتفرق ولا يتعارض وهو يرسم منهاج الحياة البشرية كاملا؛ ويلحظ في هذا المنهاج كل قواها وكل طاقاتها وكل نزعاتها وكل حاجاتها وكل ما يعْتَورُها من مرض أو ضعف أو نقص أو آفة تدرك النفوس وتفسد القلوب.

الحق.. الذي لا يظلم أحدا في دنيا أو آخرة، ولا يظلم قوة في نفس ولا طاقة، ولا يظلم فكرة في القلب أو حركة في الحياة فيكفها عن الوجود والنشاط ما دامت متفقة مع الحق الكبير الأصيل في صلب الوجود. بل هو الحق من ربك.. فما هو من عندك.. إنما هو من عند ربك. والإضافة هنا للتكريم. تكريم الرسول الذي يتهمونه بالافتراء، وهو تقرير للصلة الوثيقة التي تحمل مع معنى التكريم معنى وثاقة المصدر وصحة التلقي وأمانة النقل والتبليغ. والعرب الذين أرسل إليهم محمد ﷺ لم يرسل إليهم أحد قبله، ولا يعرف التاريخ رسولا بين إسماعيل وبين محمد ـ وقد نزل الله عليه هذا الكتاب الحق: ﴿**لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون**..﴾ فهدايتهم مرجوّةٌ بهذا الكتاب بما فيه من الحق، الذي يخاطب الفطرة والقلوب. هؤلاء القوم الذين نزل الله الكتاب لينذرهم به رسوله كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى..

هنا يبدأ بيان صفة الله التي يعرفون بها حق ألوهيته سبحانه وتعالى، ويميزون بها بين من يستحق هذا الوصف العظيم. ومن لا يستحقونه من مخلوقات الله: ﴿**الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام**..﴾ فالسماوات والأرض وما بينهما هي هذه الخلائق الهائلة التي يعلم الناس عنها القليل ويجهلون عنها الكثير.. ﴿**ثم استوى على العرش**..﴾ فالاستواء على العرش رمز لاستعلائه على الخلق كله.. وفي ظلال الاستعلاء المطلق يلمس قلوبهم بالحقيقة التي تمسهم: ﴿**ما لكم من دونه من وليّ ولا شفيع**﴾. فأين هو الولي من دون الله سبحانه ؟!.. وأين هو الشفيع الخارج على سلطانه؟!.. ﴿**أفلا تتذكرون**﴾؟!.. ومع الخلق والاستعلاء والتدبير والتقدير.. في الدنيا والآخرة.. وكل أمر يدبر في السماوات والأرض وما بينهما: ﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض.. ثم يعرج**

إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون. .﴾ فالتعبير يرسم مجال التدبير والتقدير. . الشامل للسماوات والأرض وما بينهما؛ يلقي على الحس البشري الظلال التي يطيقها ويملك تصورها ويخشع لها. أما الإحاطة بكيفية التدبير والتقدير فأمر فوق طاقة البشر. وقد تقدم معنى هذا الكلام في مواضع عدة. وليس شيء من هذا كله متروكا سدى ولا مخلوقا عبثا. . إنما يُدبَّرُ بأمر الله إلى أجل مرسوم معلوم.

التوجيه الثاني: **﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه . .﴾**: في هذا التوجيه الإشارة الشاملة الجامعة إلى ما هو غيب لا يعلمه إلا الله. . والى ما هو مشهود للإنسان يراه ويحس به. وما يراه الإنسان وما يحس به فهو من خلق الله كما مرّ في السورة السابقة. . فهذه صنعته في كل ما يراه الإنسان يتجلى فيه الإحسان والإتقان. . فلا تجاوز ولا قصور. ولا زيادة عن حدّ الإحسان ولا نقص، ولا إفراط ولا تفريط في حجم أو شكل أو صنعة أو وظيفة. كل شيء مقدر لا يزيد عن حدّ التناسق الجميل الدقيق ولا ينقص. ولا يتقدم عن موعده ولا يتأخر. ولا يتجاوز مداه ولا يقصر. . كل شيء من الذرة الصغيرة إلى أكبر الأجرام. ومن الخلية الساذجة إلى أعقد الأجسام. كلها يتجلى فيها الإحسان والإتقان. . وكذلك الأعمال والأطوار والحركات والأحداث. وكلها من خلق الله مقدرة تقديرا دقيقا في موعدها وفي مجالها وفي مآلها وفق الخطة الشاملة لسير هذا الوجود من الأزل إلى الأبد مع تدبير الله سبحانه وتعالى!. كل شيء وكل خلق مصنوع ليؤدي دوره المقسوم له في رواية الوجود معد لأداء هذا الدور إعدادا دقيقا، مزودا بالاستعدادات والخصائص التي تؤهله لدوره تمام التأهيل. هذه الخلية الواحدة المجهزة بشتى الوظائف. هذه الدودة السابحة المجهزة بالأرجل أو الشعيرات وبالملاسة والمرونة والقدرة على شق طريقها كأحسن ما يكون. هذه السمكة. هذا الطائر. هذه الزاحفة. هذا الحيوان. . ثم هذا الإنسان. . وهذا الكوكب السيار وهذا النجم الثابت. وهذه الأفلاك والعوالم؛ وهذه الدورات المنتظمة الدقيقة المنسقة العجيبة المضبوطة التوقيت والحركة على الدوام. . كل شيء. . حيث ما امتد البصر متقن الصنعة. بديع التكوين. يتجلى فيه الإحسان والإتقان. والعين المفتوحة والحس المتوقد والقلب البصير ترى الحسن والإحسان في هذا الوجود بتجمعه، وتراه في كل أجزائه وأفراده.

والتأمل في خلق الله حيث ما اتجه النظر أو القلب أو الذهن، يمنح الإنسان رصيدا ضخما من ذخائر الحسن والجمال! ومن إيقاعات التناسق والكمال!.. ولا يدرك القلب شيئا من هذا النعيم في رحلته الأرضية إلا حين يستيقظ من همود العادة، ومن ملالة الألفة، وإلا حين يتسمع لإيقاعات الكون من حوله ويتطلّع إلى إيحاءاته. وإلا حين يبصر بنور الله فتتكشف له الأسماء عن جواهرها الجميلة كما خرجت من يد الله المبدعة. وإلا حين يتذكر الله كلما وقعت عينه على شيء من بدائعه.. فيحس بالصلة بين المبدع وما أبدع! فيزيد شعوره بجمال ما يرى وما يحس؛ لأنه يرى حينئذ من ورائه جمال الله وجلاله!. إن هذا الوجود جميل. وإن جماله لا ينفد. وإن الإنسان ليرتقي في إدراك هذا الجمال والاستمتاع به إلى غير ما حدود! قدر ما يريد. وفق ما يريده له مبدع الوجود ـ سبحانه وتعالى! وإن عنصر الجمال لمقصود قصدا في هذا الوجود.. فإتقان الصنعة يجعل كمال الوظيفة في كل شيء يصل إلى حد الجمال! وكمال التكوين يتجلى في صورة جميلة في كل عضو وفي كل خلق.. أنظر.. هذه النحلة.. هذه الزهرة.. هذه النجمة.. هذا الليل.. هذا الصبح.. هذه الظلال.. هذه السحب.. هذه الموسيقى السارية في الوجود كله.. هذا التناسق الذي لا عوج فيه ولا فطور!!.. فهذه رحلة ممتعة في هذا الوجود الجميل الصنع البديع التكوين؛ يلفتنا القرآن إليها لنتملّاها ونستمتع بها؛ وهو يقول: ﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه**..﴾ فيوقظ القلب لتتبع مواضع الحسن والجمال في هذا الوجود الكبير. ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾: هذه لفتة أخرى هائلة مقصودة بالذات. فهذا الإنسان بدأ الله خلقه من طين: خلق آدم الأب الأول من هذا الطين المتكون من التراب والماء. وهذا معلوم من نصوص القرآن في آيات عدّة.. معلوم بالضرورة لكل من آمن بالله وصدق بالقرآن.. ﴿**ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين.. ثم سواه ونفخ فيه من روحه**..﴾ فإنها يد الله التي سوّت هذا الإنسان.. وإنها النفخة من روح الله في هذا الكيان.. إنها التفسير الوحيد الممكن لهذه العجيبة التي حدثت مع أول إنسان وتتكرر مع كل إنسان في كل لحظة وفي كل آن.. ثمّ هي النفخة من روح الله التي جعلت من هذا الكائن العضوي إنسانا ذا سمع وذا بصر وذا إدراك إنساني مميز من سائر الكائنات العضوية الحيوانية: ﴿**وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**..﴾ فكل تعليل آخر عاجز عن تفسير تلك العجيبة التي تواجه العقل

البشري بالحيرة الغامرة التي لا مخرج منها بغير ذلك التفسير، الذي جاء به هذا الكتاب المنزل من عند الله الحكيم الخبير.

ومع كل هذا الفيض من الفضل: الفضل الذي يجعل من التراب أولا.. ثم يجعل من الماء المهين ثانيا.. ذلك الإنسان الكريم.. الفضل الذي أودع تلك الخلية الصغيرة الضئيلة الكامنة في ذلك الماء المهين كل هذا الرصيد من القدرة على التكاثر والنماء والتطور والتحول والتجمع والتخصص.. ثم أودعها كل تلك الخصائص والاستعدادات والوظائف العليا التي تجعل من الإنسان إنسانا عالما مبدعا خليفة في الأرض!.. مع كل هذا الفيض.. فإن الناس أكثرهم لا يشكرون. كما واجههم القرآن بهذا الخطاب: ﴿**قليلا ما تشكرون**﴾. وفي ظل مشهد النشأة الأولى للإنسان، وأطوار هذا النشأة العجيبة الخارقة لكل مألوف ـ وإن كانت تتكرر في كل لحظة، وتقع أمام الأنظار والأسماع ـ في ظل هذا المشهد يعرض القرآن اعتراض الناس الكثيرين على النشأة الآخرة، وشكهم المستمر في البعث والنشور.. فيبدو هذا الشك وذلك الاعتراض غريبين كل الغرابة بعد هذا الاستعراض!.. ﴿**وقالوا: أئذا ضللنا في الأرض؛ إنا لفي خلق جديد**﴾؟!.. فإنهم يستبعدون أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد موتهم ودفنهم وتحول أجسامهم إلى رفات يغيب في الأرض ويختلط بترابها ويظل فيها.. فماذا في هذا من غرابة أمام النشأة الأولى؟!.. فقد بدأ الله خلق الإنسان من طين. من هذه الأرض التي يقولون إن رفاتهم سيضل فيها ويختلط بترابها.. فالنشأة الآخرة شبيهة بالنشأة الأولى، وليس فيها غريب ولا جديد: ﴿**بل هم بلقاء ربهم كافرون..**﴾ فمن ثم يقولون ما يقولون فهذا الكفر بلقاء الله هو الذي يلقي على أنفسهم ظل الشك والاعتراض على الأمر الواضح الذي وقع مرّة والذي يقع ما هو قريب منه في كل لحظة.. فلذلك يردّ على اعتراضهم بتقرير وفاتهم ورجعتهم مكتفيا بالبرهان الحي الماثل في نشأتهم الأولى ولا زيادة: ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون..**﴾ هكذا في صورة الخبر اليقين.. فأما ملك الموت من هو؟ وكيف يتوفى الأنفس؟ فهذا من غيب الله الذي نتلقى خبره من هذا المصدر الوثيق الأكيد. ولا زيادة على ما نتلقاه من هذا المصدر الوحيد.

وبمناسبة البعث الذي يعترضون عليه والرجعة التي يشكون فيها يقفهم وجها لوجه

أمام مشهد من مشاهد القيامة؛ مشهد حي شاخص حافل بالتأثرات والحركات والحوار كأنه واقع مشهود: ﴿**ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحا إنا موقنون**..﴾ إنه مشهد الخزي والاعتراف بالخطيئة، والإقرار بالحق الذي جحدوه، وإعلان اليقين بما شكّوا فيه، وطلب العودة إلى الأرض لإصلاح ما فات في الحياة الأولى.. وهم ناكسوا رؤوسهم خجلا وخزيا.. عند ربهم.. الذين كانوا يكفرون بلقائه في الدنيا.. ولكن هذا كله يجيء بعد فوات الأوان.. وقبل أن يعلن السياق استخذائهم الذليل يقرر الحقيقة التي تتحكم في الموقف كله وتتحكم قبل ذلك في حياة الناس ومصائرهم: ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها.. ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**..﴾ فلو شاء الله لجعل لجميع النفوس طريقاً واحدا. هو طريق الهدى؛ كما وحد طريق المخلوقات التي تهتدي بإلهام كامل في فطرتها.. فتسلك طريقة واحدة في حياتها من الحشرات والطير والدواب؛ أو الخلائق التي لا تعرف إلا الطاعات كالملائكة. لكن إرادة الله اقتضت أن يكون لهذا الخلق المسمى بالإنسان طبيعة خاصة يملك معها الهدى والضلال، ويختار الهداية أو يحيد عنها؛ ويؤدي دوره في هذا الكون بهذه الطبيعة الخاصة، التي فطره الله عليها لحكمة في تصميم هذا الوجود. ومن ثمّ كتب في قدره أن يملأ جهنّم من الجِنة ومن الناس الذين يختارون الضلالة ويسلكون الطريق المؤدي إلى جهنّم. وهؤلاء المجرمون المعروضون على ربهم وهم ناكسوا رؤوسهم هؤلاء ممن حق عليهم هذا القول، ومن ثم يقال لهم: ﴿**فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا**..﴾ يومكم هذا الحاضر.. فنحن في المشهد في اليوم الآخر.. ذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم، وإهمالكم الاستعداد له وأنتم في فسحة من الوقت.. ﴿**إنا نسيناكم**..﴾ والله لا ينسى أحدا.. ولكنهم يعاملون معاملة المهملين المنسيين! معاملة فيها مهانة وفيها إهمال وفيها ازدراء!.. ﴿**وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون**..﴾ ثم يسدل الستار على المشهد، وقد قيلت الكلمة الفاصلة فيه. وتُرك المجرمون لمصيرهم المهين. ويحس قارئ القرآن وهو يجاوز هذه الآيات كأنه تركهم هناك، وكأنهم شاخصون حيث تركهم! وهذه إحدى خصائص التصوير القرآني المحْيي للمَشَاهِد، الموحي للقلوب.

التوجيه الثالث: ﴿**إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرّوا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون**..﴾ في هذا التوجيه مشهد آخر في ظل آخر وفي

جوّ آخر، له عطر آخر تستروح له الأرواح وتخفق له القلوب. إنه مشهد المؤمنين. مشهدهم خاشعين مخبتين عابدين: ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا**. .﴾ فهم بسبب صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر الباكرة يتركون مضاجعهم الوثيرة الفاخرة. . فيرسم النصّ صورة المضاجع في الليل تدعو الجنوب إلى الرقاد والراحة والتذاذ المنام. . ولكن هذه الجنوب لا تستجيب؛ لأن لها شغلا عن المضاجع اللينة والمنام اللذيذ؛ شغلا بالوقوف في حضرة ربهم، وبالتوجه إليه في خشية وفي طمع يتنازعها الخوف والرجاء: الخوف من عذاب الله والرجاء في رحمته. والخوف من غضبه، والطمع في رضاه. والخوف من معصيته، والطمع في توفيقه. والتعبير يصور هذه المشاعر المرتجفة في الضمير بلمسة واحدة. . حتى لكأنها مجسمة ملموسة: يدعون ربهم خوفا وطمعا: وهم إلى جانب هذه الحساسية المرهفة، والصلاة الخاشعة والدعاء الحار يؤدون واجبهم للجماعة المسلمة طاعة لله وزكاة: ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**. .﴾ فهذه الصورة المشرقة الوضيئة الحساسة الشفيفة ترافقها صورة للجزاء الرفيع الخاص الفريد. الجزاء الذي تتجلى فيه ظلال الرعاية الخاصة والإعزاز الذاتي والإكرام الإلهي والحفاوة الربانية بهذه النفوس: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**. .﴾ فهذا التعبير العجيب يشي بحفاوة الله تعالى بالقوم، وتوليه بذاته العلية إعداد المذخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة مما تقر به العيون. هذا المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه. والذي يظل عنده خاصة مستورا. . حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه عندَ لُقْياه!. وإنها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله!. بالله !كم ذا يفيض الله على عباده من كرامة ؟!. . وكم ذا يغمرهم سبحانه بفضله؟!. . ومن هم؟ ـ كائنا ما كان عملهم وعبادتهم وطاعتهم ـ حتى يتولى الله جلّ جلاله ـ إعداد ما يدخره لهم من جزاء في عناية ورعاية وودّ واحتفال؟ لولا أنه فضل الله الكريم المنّان!!. .

وأمام مشهد المجرمين البائس الذليل، ومشهد المؤمنين الناعم الكريم، يعقب بتلخيص مبدأ الجزاء العادل، الذي يفرق بين المسيئين والمحسنين في الدنيا أو الآخرة، والذي يعلق الجزاء بالعمل على أساس العدل الدقيق: ﴿**أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا؟ لا يستوون**. .﴾ فما يستوي المؤمنون والفاسقون في طبيعة ولا شعور ولا سلوك حتى يستتوا في الجزاء في الدنيا والآخرة فالمؤمنون مستقيمو

الفطرة، متجهون إلى الله، عاملون على منهاجه القويم، والفاسقون منحرفون شاردون مفسدون في الأرض لا يستقيمون على الطريق الواصل المتفق مع نهج الله للحياة وقانونه الأصيل.. فلا عجب إذا أن يختلف طريق المؤمنين والفاسقين في الآخرة، وأن يلقى كل منهما الجزاء الذي يناسب رصيده وما قدمت يداه.. ﴿**أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى**﴾، التي تأويهم وتضمّهم. ﴿**نزلاً**﴾، ينزلون فيه مكرّمين معزّزين.. ﴿**جزاءً.. بما كانوا يعملون**﴾ ﴿**وأما الذين فسقوا فمأواهم النار**﴾ يصيرون إليها ويأوون.. فيا سوءها من مأوى أهون منه التشريد !.. ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها**﴾ وهو مشهد فيه حركة المحاولة للفرار والدفع للنار. ﴿**وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون..**﴾ فهو التقريع زيادة على الدفع والتعذيب. ذلك مصير الفاسقين في الآخرة. وليسوا مع هذا متروكين إلى ذلك الموعد.. فالله يتوعدهم بالعذاب في هذه الدنيا قبل عذاب الآخرة: ﴿**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر..**﴾ لكن ظلال الرحمة تتراءى من وراء هذا العذاب الأدنى فالله سبحانه وتعالى لا يحب أن يعذب عباده إذا لم يستحقوا العذاب بعملهم، وإذا لم يصروا على موجبات العذاب.. فهو يوعدهم بأن يأخذهم بالعذاب في الأرض؛ ﴿**لعلهم يرجعون..**﴾ فتستيقظ فطرتهم ويردهم ألم العذاب إلى الصواب. ولو فعلوا لما صاروا إلى مصير الفاسقين الذي رأيناه في مشهدهم الأليم.. فأما إذا ذكروا بآيات ربهم فأعرضوا عنها، وجاءهم العذاب الأدنى فلم يرجعوا ولم يعتبروا فإنهم إذاً ظالمون: ﴿**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثمّ أعرض عنها**﴾؟!.. فإنهم إذاً يستحقون الانتقام في الدنيا والآخرة: ﴿**إنا من المجرمين منتقمون**﴾! ويا هوله من تهديد، والجبار المتكبر هو الذي يتوعد هؤلاء الضعاف المساكين بالانتقام الرهيب.

وتنتهي تلك الجولة مع مصائر المجرمين والصالحين، وعواقب المؤمنين والفاسقين، ومشاهد هؤلاء وهؤلاء في اليوم الذي يشكون فيه ويستريبون.. ثم يأخذ سياق السورة في جولة جديدة مع موسى وقومه ورسالته. جولة مختصرة لا تزيد على إشارة إلى كتاب موسى الذي جعله الله هدى لبني إسرائيل؛ كما جعل القرآن هدى للمؤمنين.. وإلى التقاء صاحب القرآن مع صاحب التوراة على الأصل الواحد والعقيدة الثابتة. وإلى اصطفاء الصابرين الموقنين من قوم موسى ليكونوا أئمة

لقومهم إيحاء للمسلمين في ذلك الحين بالصبر واليقين، وبيانا للصفة التي تستحق بها الإمامة في الأرض والتمكين: **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل. وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون، إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون..﴾** ففي هذا الكلام إيحاء للقلة المسلمة يوم ذاك في مكة أن تصبر كما صبر المختارون من بني إسرائيل، وتوقن كما أيقنوا؛ ليكون منهم أئمة للمسلمين كما كان أولئك أئمة لبني إسرائيل. ولتقرير طريق الإمامة والقيادة. وهو الصبر واليقين. أما اختلاف بني إسرائيل بعد ذلك فأمرهم فيه متروك إلى الله وحده فيجازيهم بما كانوا يعملون يوم الدين.

التوجيه الرابع: ﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون﴾: في هذا التوجيه جولة مع مصارع الغابرين.. ومصارع الغابرين من القرون تنطق بسنة الله في المكذبين.. وسنة الله ماضية لا تتخلف ولا تحابي.. فهذه البشرية تخضع لقوانين ثابتة في نشوئها ودثورها؛ وضعفها وقوتها.. والقرآن الكريم ينبه إلى ثبات هذه القوانين ،واطراد تلك السنن، ويتخذ من مصارع القرون وآثار الماضين الدارسة الخربة، أو الباقية بعد سكانها موحشة. يتخذ منها معارض للعبرة وإيقاظ القلوب وإثارة الحساسية والخوف من بطش الله وأخذه للجبارين. كما يتخذ منها معارض لثبات السنن والنواميس. ويرفع بذلك مدارك البشر ومقاييسهم.. فلا ينعزل شعب أو جيل في حدود الزمان و المكان؛ وينسى النظام الثابت في حياة البشر المطّرد على توالي القرون؛ وإن كان الكثيرون ينسون العبرة حتى يلاقوا نفس المصير!. وإن للآثار الخاوية لحديثا رهيبا عميقا للقلب الشاعر والحس المبصر، وإن له لرجفة في الأوصال ورعشة في الضمائر وهزة في القلوب. ولقد كان العرب المخاطبون بهذه الآية ابتداءً يمشون في مساكن عاد وثمود ويرون الآثار الباقية من قراهم وقرى غيرهم من الأمم الهالكة التي بقيت آثارها ماثلة للسابقين واللاحقين!.. والقرآن يستنكر أن تكون مصارع هذه القرون معروضة لهم؛ وأن تكون مساكن القوم أمامهم يمرون عليها ويمشون فيها.. ثم لا يستجيش هذا قلوبهم ولا يهز مشاعرهم، ولا يستثير حساسيتهم بخشية الله تعالى، وتوقّي مثل هذا المصير، ولا يهدي لهم ويبصرهم بالتصرف المنجي من استحقاق كلمة الله بالأخذ والتدمير:

﴿**إن في ذلك لآيات! أفلا يسمعون؟**..﴾ يسمعون قصص الغابرين الذين يمشون في مساكنهم.. ويسمعون هذا التحذير قبل أن يصدق فيهم النذير، ويأخذهم التكبر! وبعد لمسة البلى والدثور وما توقعه في الحس من رهبة وروعة، وما تشيعه في القلب من رجفة ورعشة.. يمس قلوبهم بريشة الحياة النابضة في الموات؛ ويجول بهم جولة في الأرض الهامدة الذابلة تدب فيها الحياة، كما جال بهم من قبل في الأرض التي كانت حية فأدركها البلى والممات: ﴿**أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم. أفلا يبصرون**﴾؟!.. فهذه الأرض الميتة البور، يرون أن يد الله تسوق إليها الماء المحيي.. فإذا هي خضراء مترعة بالزرع النابض بالحياة. الزرع الذي تأكل منه أنعامهم وتأكل منه أنفسهم. وإن مشهد الأرض الجدبة والحيا يصيبها فإذا هي خضراء.. إنّ هذا المشهد ليفتح نوافذ القلوب المغلقة لاستجلاء هذه الحياة النامية واستقبالها، والشعور بحلاوة الحياة ونداوتها.. والإحساس بواهب هذه الحياة الجميلة الناضرة: إحساس حب وقربى وانعطاف، مع الشعور بالقدرة المبدعة التي تشيع الحياة والجمال في صفحات الوجود. وهكذا يطوف القرآن بالقلب البشري في مجالي الحياة والنماء بعدما طوّف به في مجالي الفناء والدثور؛ لاستحاثّة مشاعره هنا وهناك.. وإيقاظه من بلادة الألفة وهمود العادة.. ولرفع الحواجز بينه وبين مشاهد الوجود وأسرار الحياة وعبر الأحداث وشواهد التاريخ..

وفي النهاية يجيء المقطع الأخير في السورة بعد هذا المطاف الطويل.. فيحكي استعجالهم بالعذاب الذي يوعدون، وشكهم في صدق الإنذار والتحذير.. ويرد عليهم مخوّفا محذّرا من تحقيق ما يستعجلون به، يوم لا ينفعهم إيمان، ولا يمهلون لإصلاح ما فات.. ثم يختم السورة بتوجيه الرسول إلى الإعراض عنهم وتركهم لمصيرهم المحتوم: ﴿**ويقولون: متى هذا الفتح؟ إن كنتم صادقين!.. قل: يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون.. فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون**..﴾ فالفتح هو الفصل فيما بين الفريقين من خلاف؛ وتحقق الوعيد الذي كان يخدعهم أنه لا يجيئهم من قريب، وهم غافلون عن حكمة الله في تأخيره إلى أجله الذي قدره، والذي لا يقدمه استعجالهم ولا يؤخره.. وما هم بقادرين على دفعه ولا الإفلات منه.. سواء كان هذا اليوم في الدنيا؛ إذ يأخذهم الله وهم كافرون.. فلا يمهلهم بعده ولا ينفعهم إيمانهم فيه. أو كان هذا اليوم

في الآخرة؛ إذ يطلبون المهلة فلا يمهلون. وهذا الرد يخلخل المفاصل ويزعزع القلوب.. ثم يعقبه الإيقاع الأخير في السورة: ﴿**فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون**..﴾ ففي طيات هذا الإيقاع الأخير تهديد خطير بعاقبة الانتظار بعد أن ينفض الرسول يده من أمرهم ويدعهم لمصيرهم المحتوم!!.. وتختم السورة على هذا الإيقاع العميق بعد تلك الجولات والإيحاءات والمشاهد والمؤثرات وخطاب القلب البشري بشتى الإيقاعات.. فتأخذه من كل جانب ونأخذ عليه كل طريق..

5 ـ في سورة الأحزاب توجيه الرسول والمؤمنين إلى التمسك بهذا الكتاب



النص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (2) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (3) مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ
وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ
أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ (4)
ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ
فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ
وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (5)
* ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن
تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا (6)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيٓـِٔينَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿7﴾
لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۖ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿8﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۖ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿9﴾ إِذْ جَآءُوكُم
مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۖ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ
وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿10﴾
هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿11﴾ وَإِذْ يَقُولُ
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿12﴾
* وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ
وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيٓءَ يَقُولُونَ إِنَّ
بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿13﴾
وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟
ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿14﴾
وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۖ
وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿15﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ
إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ۖ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ

إِلَّا قَلِيلًا ﴿16﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً
وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا ﴿17﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ
وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿18﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ
رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ
أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿19﴾ * يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا
وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ
يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿20﴾
لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ
اللَّهَ كَثِيرًا ﴿21﴾ وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا
هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿22﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ

وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿23﴾
لِّيَجْزِيَ اَ۬للَّهُ اُ۬لصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ اَ۬لْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿24﴾
وَرَدَّ اَ۬للَّهُ اُ۬لَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً
وَكَفَى اَ۬للَّهُ اُ۬لْمُؤْمِنِينَ اَ۬لْقِتَالَ وَكَانَ اَ۬للَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴿25﴾
وَأَنزَلَ اَ۬لَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ اِ۬لْكِتَٰبِ مِن
صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ اُ۬لرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً ﴿26﴾ وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضاً
لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ اَ۬للَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴿27﴾
* يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لنَّبِيٓءُ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اَ۬لْحَيَوٰةَ
اَ۬لدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴿28﴾
وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اَ۬للَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَالدَّارَ اَ۬لْأٓخِرَةَ
فَإِنَّ اَ۬للَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ﴿29﴾
يَٰنِسَآءَ اَ۬لنَّبِيٓءِ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ
يُضَٰعَفْ لَهَا اَ۬لْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اَ۬للَّهِ يَسِيراً ﴿30﴾
وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحاً
نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ﴿31﴾
يَٰنِسَآءَ اَ۬لنَّبِيٓءِ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ اَ۬لنِّسَآءِ إِنِ اِ۪تَّقَيْتُنَّ

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿32﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿33﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿34﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**. .﴾ المراد بالتقوى المأمور بها: الثبات عليها والازدياد منها. . والمراد بالكافرين: المجاهرون بالكفر. . والمنافقين: المضمرون للكفر سواء كانوا من العرب أو اليهود. ﴿**واتبع ما يوحى إليك من ربك**. .﴾ ﴿**وتوكل على الله**﴾: فوض جميع أمورك إلى الله تعالى؛ وكفى بالله وكيلا: حافظا موكولا إليه كل الأمور. ﴿**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**. .﴾ الجوف: محل القلب والمعدة وما يلحقهما. . ﴿**وما جعل أزواجكم الئى تظّهّرون منهن أمهاتِكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم**. .﴾ الظِهَار: قول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي. وفيه عدة صيغ: ظاهر وتظاهر وتظهّر وأظهر. والأدعياء: جمع دعي. وهو المتبنَّى ليس بأبيه. ﴿**ذلكم قولكم بأفواهكم**﴾. الأفواه: واحد، فم أو مضاف من الأسماء الخمسة. نحو: هذا فوه وأعجبني فوهُ. . ورأيت فاه ونظرت إلى فيه. . ﴿**والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**﴾: إنسبوهم إليهم وخصوهم بهم. . وأقسط: أعدل. . ﴿**فإن لم تعلموا ءآباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم. . وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**. .﴾ الجناح: الإثم. أخطأ:

ضد تعمّد. ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾: في كل أمر من أمور الدين والدنيا.. ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾: منزلات منزلة الأمهات في التحريم واستحقاق التعظيم. ﴿**وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين..**﴾ أولو الأرحام: القرابة التي ترث وتورث..

وقبل نزول هذه الآية كانوا يرثون بالتآخي بين المهاجرين والأنصار في أول الهجرة.. ﴿**إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا..**﴾ ﴿**وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا..**﴾ ميثاق النبيئين: تعهدهم بتبليغ الرسالة.. والميثاق الغليظ: شدة العهد وعظمته.. ﴿**ليسأل الصادقين عن صدقهم**﴾: فعل الله ذلك ليسأل.. ﴿**وأعد للكافرين عذابا أليما**﴾: أثاب المؤمنين وأعد للكافرين.. ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا**﴾: هذا تذكير بنعمة الله في غزوة الأحزاب بنصر المؤمنين وخذلان الكافرين.. ﴿**إذ جاءوكم من فوقكم**﴾: من أعلى الوادي من جهة المشرق. ﴿**ومن أسفل منكم**﴾: من أسفل الوادي من قبل المغرب نحو ساحل البحر الأحمر.. ﴿**وإذ زاغت الأبصار**﴾: حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا.. ﴿**وبلغت القلوب الحناجر**﴾: ارتفعت القلوب حتى بلغت منتهى الحلقوم. ﴿**وتظنون بالله الظنونا**﴾: جمع ظن، والظن احتمال شيء يرجح حصوله. ﴿**هنالك ابتلي المؤمنون**﴾ في ذلك الوقت العصيب عومل المؤمنون معاملة من يختبر.. فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل: ﴿**وزلزلوا زلزالا شديدا..**﴾ والزلزال الشديد: التحرك الشديد العنيف. والمراد به هنا: اضطراب النفوس بما حصل لها من الهول والفزع. ﴿**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا**﴾: ﴿**وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا..**﴾ يثرب: المدينة المنورة. لا مقام لكم: لا مكان لكم في معسكر المسلمين فارجعوا إلى منازلكم قبل أن تأخذكم الأحزاب. ﴿**ويستأذن فريق منهم النبيء: يقولون: إن بيوتنا عورة..**﴾ وأصل العورة: الخلل في الثغر وغيره.. يقولون: إن بيوتنا غير حصينة معرضة للعدو.. ﴿**إن يريدون إلا فرارا..**﴾ هذا هو المراد من قولهم.. والفرار: الهروب من القتال. والفرار: الروغان والهرب. ﴿**ولو دخلت عليهم من أقطارها..**﴾

﴿**ثم سئلوا الفتنة لأتوها**. .﴾ الأقطار: جمع قطر، الناحية والجانب. والفتنة هنا: الردة والرجعة إلى الكفر. ﴿**لأتوها**﴾: لفعلوها وجاءوها. ﴿**وما تلبثوا بها إلا يسيرا**. .﴾ التلبث: التوقف. ﴿**ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار**. .﴾ ﴿**قل: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل**. .﴾ فإنه لا بد لكل شخص من حتف آنف أوقتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم. ﴿**وإذاً لا تمتعون إلا قليلا**. .﴾ ﴿**قل: من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة؟. . ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا**. .﴾ فالكلمات في هذا الكلام لا تحتاج إلى بيان. ﴿**قد يعلم الله المعوقين منكم**. .﴾ المعوقون: جمع معوق. وهو المثبط والمانع من عمل الخير. ﴿**والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا**. .﴾ هلمّ: اسم فعل أمر. يستوي فيه المفرد والجمع في لغة أهل الحجاز. ومعناه: أحضروا إلينا وقربوا أنفسكم منا. ﴿**ولا يأتون البأس إلا قليلا**. .﴾ البأس: الشدة في الحرب. ﴿**أشحة عليكم**﴾: بخلاء عليكم بالمعاونة. . فهو جمع شحيح. والشحّ: البخل والحرص. . ﴿**فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغْشى عليه من الموت**. .﴾ فهو تمثيل لحال هؤلاء المنافقين. . ﴿**فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد**. .﴾ أصل السلق: الطعن بالرمح أو باللسان إذا آذاه بالكلام، أو ما رآه وجادله بلسان حادّ مرن ألد. . ﴿**أولئك لم يؤمنوا. . فأحبط الله أعمالهم. . وكان ذلك على الله يسيرا. . يحسبون الأحزاب لم يذهبوا**﴾: هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ففروا إلى داخل المدينة. ﴿**وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم**. .﴾ ولو جاء الأحزاب مرة ثانية لتمنى هؤلاء المنافقون أنهم مع الأعراب داخلون فيهم يسألون عن أخباركم من بعيد. . ﴿**ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا**. .﴾ فهذه هي أوصاف المنافقين في القول والفعل وحالة النفس الداخلة. . ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**. .﴾

الأسوة الحسنة: القدوة في عمل الخير واتباع المحسن والداعي إلى ما فيه صلاح الدين والدنيا. . ﴿**ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله. . وما زادهم إلا إيمانا وتسليما. . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. . فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. . وما بدلوا**

تبديلا. .﴾ قضى نحبه: مات. وأصل النحب: النذر. وهؤلاء الشهداء نذروا نفوسهم لله فماتوا في سبيل الله. ومنهم من ينتظر الشهادة: **﴿وما بدّلوا تبديلا. . ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾**: وقع ما وقع ليجزي الصادقين بسبب صدقهم **﴿ويعذب المنافقين﴾** إن بقوا على نفاقهم، **﴿أو يتوب عليهم﴾** إن تابوا وأنابوا **﴿إن الله كان غفورا رحيما﴾**. **﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا﴾**: رد الله الكافرين من الأحزاب بحقدهم وغضبهم وكيدهم لم ينالوا من المؤمنين شيئا مما كانوا يتوقعونه. . **﴿وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا. .﴾** **﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم. .﴾** أهل الكتاب: هم بنوا قريظة. وهم الذين عاونوا الأحزاب، ونقضوا عهد الله ورسوله. والصياصي: الحصون الرفيعة المنيعة. **﴿وقذف في قلوبهم الرعب: فريقا تقتلون وتأسرون فريقا. .﴾** الرعب: الخوف الشديد. والفريق المقتول: هم رجال بني قريظة. والفريق المأسور: النساء والأطفال. **﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها. . وكان الله على كل شيء قديرا. .﴾** **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا﴾**: كلمات هذه الآية واضحة لا تحتاج إلى بيان. وكذلك قوله تعالى: **﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجرا عظيما. يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا. . ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما. . يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا. . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وءاتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا﴾**: هذا الكلام الموجه إلى نساء النبي ﷺ واضح لا يحتاج إلى بيان. .

مبحث الإعراب

﴿يا أيها﴾ يا حرف نداء. وأي منادى مبني على الضم في محل نصب. وها للتنبيه. **﴿النبي﴾** نعت لأي باعتبار لفظه. **﴿اتقِ﴾** فعل أمر مبني على حذف الياء.

والفاعل ضمير النبي. ﴿**الله**﴾ مفعول به، ﴿**ولا تطع**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية. معطوف على فعل الأمر. ﴿**الكافرين**﴾ مفعول به. ﴿**والمنافقين**﴾ معطوف على الكافرين. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الله. ﴿**عليما**﴾ ﴿**حكيما**﴾ خبران لكان. وجملة كان عليما حكيما خبر إن. وجملة إن الله كان عليما حكيما تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**واتبع**﴾ معطوف على اتق. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يوحى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**إليك**﴾ ﴿**من ربك**﴾ متعلقان بيوحى. والجملة صلة ما. ﴿**إن الله كان**﴾ سبق إعراب مثلها. ﴿**بما**﴾ متعلق بخبر كان الآتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**خبيرا**﴾ خبر كان. ﴿**وتوكل**﴾ معطوف على اتق. ﴿**على الله**﴾ متعلق بتوكل. ﴿**وكفى**﴾ فعل ماض. والواو للعطف. ﴿**بالله**﴾ فاعل جر بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**وكيلا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**ما جعل الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**لرجل**﴾ متعلق بجعل. ﴿**من قلبين**﴾ مفعول به مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**في جوفه**﴾ متعلق بمحذوف مفعول ثان. ﴿**وما جعل**﴾ مثل ما سبق. ﴿**أزواجكم**﴾ مفعول به. ﴿**الئي**﴾ في محل نصب نعت لأزواج. ﴿**تظهرون**﴾ فعل وفاعل والجملة صلة الئي. ﴿**منهن**﴾ متعلق بتظهرون. ﴿**أمهاتكم**﴾ مفعول ثان. ﴿**وما جعل**﴾ . . ﴿**أدعياءكم**﴾ مفعول أول. ﴿**أبناءكم**﴾ مفعول ثان. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**قولكم**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**بأفواهكم**﴾ متعلق بقولكم. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**يقول**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الحق**﴾ مفعول به. وجملة يقول الحق خبر المبتدأ. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. معطوف على قوله: والله. . ﴿**يهدي**﴾ جملة يهدي خبر المبتدأ. ﴿**السبيل**﴾ مفعول به. ﴿**أدعوهم**﴾ فعل أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**لآبائهم**﴾ متعلق بأدعوهم. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**أقسط**﴾ خبره. ﴿**عند الله**﴾ متعلق بأقسط. ﴿**فإن لم تعلموا آباءهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الجازم وحرف الشرط وحرف التعقيب. ﴿**فإخوانكم**﴾ خبر لمبتدأ محذوف. والجملة جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿**في الدين**﴾ متعلق بإخوانكم. ﴿**ومواليكم**﴾ معطوف على إخوانكم. ﴿**وليس**﴾ ﴿**عليكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**جناح**﴾ اسم ليس مؤخر.

والجملة معطوفة على جملة فإن لم تعلموا آباءهم. . ﴿**فيما**﴾ متعلق بجناح. ﴿**أخطأتم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما ﴿**به**﴾ متعلق بأخطأتم. ﴿**ولكن**﴾ حرف استدراك. ﴿**ما**﴾ في محل جر معطوف على فيما. ﴿**تعمدت قلوبكم**﴾ فعل وفاعل والجملة صلة ما. ﴿**وكان الله**﴾ كان واسمها. ﴿**غفورا رحيما**﴾ خبران لكان. والجملة تذييل ﴿**النبي**﴾ مبتدأ. ﴿**أولى**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**بالمؤمنين**﴾ ﴿**من أنفسهم**﴾ متعلقان بأولى. ﴿**وأزواجه**﴾ مبتدأ. ﴿**أمهاتهم**﴾ خبر المبتدأ. والجملة معطوفة على الجملة قبلها. ﴿**وأولو**﴾ مبتدأ. ﴿**الأرحام**﴾ مضاف إلى أولو. ﴿**بعضهم**﴾ مبتدأ ثان. ﴿**أولى**﴾ خبر المبتدأ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول. ﴿**ببعض**﴾ متعلق بأولى. وكذلك ﴿**في كتاب الله من المؤمنين**﴾ . ﴿**والمهاجرين**﴾ . ﴿**إلآ**﴾ أداة استثناء منقطع. ﴿**أن**﴾ ﴿**تفعلوا**﴾ فعل وفاعل منصوب بأن المصدرية. وأن وما دخلت عليه مصدر منصوب على الاستثناء. ﴿**إلى أوليائكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**معروفا**﴾ مفعول به. ﴿**كان ذلك**﴾ كان واسمها. ﴿**في الكتاب**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**مسطورا**﴾ خبر كان. وجملة كان ذلك. . تذييل. ﴿**وإذ**﴾ في محل نصب مفعول بفعل مقدر، والتقدير: واذكر إذ. ﴿**أخذنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من النبيئين**﴾ متعلق بأخذنا. ﴿**ميثاقهم**﴾ مفعول به. و﴿**منك**﴾ و﴿**من نوح**﴾ معطوفان على قوله من النبيين. و﴿**إبراهيم**﴾ و ﴿**موسى**﴾ و﴿**عيسى**﴾ . . عطف على نوح. ﴿**ابن**﴾ نعت لعيسى. ﴿**مريم**﴾ مضاف إلى ابن. ﴿**وأخذنا**﴾ ﴿**منهم**﴾ ﴿**ميثاقا**﴾ الجملة معطوفة على جملة أخذنا من النبيئين ميثاقهم. . ﴿**غليظا**﴾ نعت لميثاق، ﴿**ليسأل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على الله المعلوم من سياق الكلام. ﴿**الصادقين**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بفعل مقدر. والتقدير: فعل الله ما فعل من أخذ الميثاق ليسأل الصادقين؛ ﴿**عن صدقهم**﴾ متعلق بيسأل. ﴿**وأعد**﴾ فعل ماض. معطوف على الفعل قبله. . ﴿**للكافرين**﴾ متعلق بأعد. ﴿**عذابا**﴾ مفعول به. ﴿**أليما**﴾ نعت له.

﴿**ياأيها**﴾ تقدم إعراب مثلها. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع على لفظ أيّ. أو النصب على محلها. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**اذكروا**﴾ أمر موجه إلى الذين آمنوا. ﴿**نعمة**﴾ مفعول به. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى نعمة. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بنعمة. ﴿**إذ**﴾ ظرف في محل نصب متعلق بفعل الأمر. ﴿**جاءتكم**﴾ فعل ماض. والضمير

المتصل به مفعول. ﴿**جنودٌ**﴾ فاعل. ﴿**فأرسلنا**﴾ فعل وفاعل. مرتب على ما قبله. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**ريحا**﴾ مفعول به. ﴿**وجنودا**﴾ معطوف عليه. ﴿**لم تروها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة نعت لجنود. ﴿**وكان الله**﴾ كان واسمها. ﴿**بما**﴾ متعلق بخبر كان الآتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**بصيرا**﴾ خبر كان. والجملة تذييل مقرر لما قبله. ﴿**إذ جاءوكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول في محل جر مضاف إلى الظرف قبله. والجملة بدل من قوله: إذ جاءتكم جنود بدل كل من كل. ﴿**من فوقكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ومن أسفل**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**منكم**﴾ متعلق بأسفل. ﴿**وإذ زاغت الأبصار**﴾ فعل وفاعل مضاف إلى الظرف. والجملة معطوفة على ما قبلها داخلة معه في حكم التذكير. ﴿**وبلغت القلوب الحناجر**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على زاغت الأبصار. ﴿**وتظنون**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على زاغت. . ﴿**بالله**﴾ متعلق بيظنون. ﴿**الظنونا**﴾ مفعول به والألف للإطلاق. ﴿**هنالك**﴾ أصلها ظرف للمكان البعيد ويستعمل للزمان. . وهو متعلق بما بعده: ﴿**ابتلي**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**المؤمنون**﴾ نائب الفاعل. و﴿**زلزلوا**﴾ معطوف على ابتلي المؤمنون. ﴿**زلزالا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**شديدا**﴾ نعت له. ﴿**وإذ يقول المنافقون**﴾ معطوف على إذ زاغت الأبصار. و﴿**الذين**﴾ في محل رفع معطوف على فاعل يقول. ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرض**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة صلة الموصول. ﴿**ما وعدنا**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف النفي والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف عليه. إلاّ ﴿**غرورا**﴾ مفعول به. والجملة مقول القول. ﴿**وإذ قالت طائفة**﴾ فعل وفاعل مضاف إلى الظرف. والواو للعطف. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لطائفة. ﴿**يا أهل**﴾ منادى منصوب بالفتحة. ﴿**يثرب**﴾ مضاف إلى أهل مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. ﴿**لا مقام**﴾ لا واسمها. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. ﴿**فارجعوا**﴾ أمر مرتب على قولهم: لا مقام لكم. والجملتان مقول القول. ﴿**ويستأذن فريق**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على قالت.

﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لفريق. ﴿**النبيء**﴾ مفعول به. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. والجملة بدل من يستأذن. ﴿**إن بيوتنا**﴾ إن واسمها. ﴿**عورة**﴾ خبرها. والجملة مقول القول. و﴿**ما**﴾ تعمل عمل ليس. ﴿**هي**﴾ اسم ما في محل رفع.

﴿**بعورة**﴾ خبر ما. جرت بحرف الجر الزائد في محل نصب. والواو للحال. والجملة في محل نصب على الحال من البيوت. ﴿**إن يريدون**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه إن النافية. ﴿**إلا فرارا**﴾ مفعول به. و﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**دخلت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**عليهم**﴾ ﴿**من أقطارها**﴾ متعلقان بدخلت. والجملة فعل شرط لو. ﴿**ثم سئلوا**﴾ مرتب على دخلت. ﴿**الفتنة**﴾ مفعول به ﴿**لأتوها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. واللام للتوكيد. والجملة جواب شرط لو. و﴿**ما تلبثوا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**بها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إلا يسيرا**﴾ نعت لمفعول مطلق. أي: إلا تلبثا يسيرا. و﴿**لقد كانوا**﴾ كان واسمها. دخل عليها حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**عاهدوا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر كان. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بعاهدوا. ﴿**لا يولون**﴾ ﴿**الأدبار**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. و﴿**كان عهد**﴾ كان واسمها والواو للعطف. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عهد. ﴿**مسؤولا**﴾ خبر كان. ﴿**قل**﴾ : ﴿**لن ينفعكم**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الفرار**﴾ فاعل. ﴿**إن فررتم**﴾ جملة شرطية، جوابها محذوف يدل عليه ما قبلها. ﴿**من الموت**﴾ متعلق بفررتم. ﴿**أو القتل**﴾ معطوف على الموت. ﴿**وإذاً**﴾ ظرف يفيد الجواب والجزاء، والتنوين فيه عوض عن المضاف إليه. ﴿**لا تمتعون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منفي بلا. وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**إلا قليلا**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. أي: لا تمتعون إلا تمتيعا قليلا. ﴿**قل**﴾ : ﴿**من ذا**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**يعصمكم**﴾ فعل مضارع فاعله ضمير يعود على الذي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من الله**﴾ متعلق بيعصمكم. ﴿**إن أراد**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة فعل شرط إنّ. ﴿**بكم**﴾ متعلق بأراد. ﴿**سوءا**﴾ مفعول به. ﴿**أو أراد بكم رحمة**﴾ معطوف على ما قبله. وجواب الشرط محذوف يدل عليه جملة من ذا الذي يعصمكم من الله. ﴿**ولا يجدون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**لهم**﴾ متعلق بيجدون. ﴿**من دون الله**﴾ كذلك. ﴿**وليا**﴾ مفعول به. ﴿**ولا نصيرا**﴾ معطوف عليه. ﴿**قد يعلم الله المعوقين**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**منكم**﴾ بيان للمعوقين. ﴿**والقائلين**﴾ معطوف على المعوقين.

﴿**لإخوانهم**﴾ متعلق بالقائلين. ﴿**هلم**﴾ اسم فعل أمر لا محل له من الإعراب. ﴿**إلينا**﴾ متعلق به. وجملة هلم إلينا مقول القول. ﴿**ولا يأتون البأس**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلا قليلا**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر أي: إلا إتيانا قليلاً. ﴿**أشحة**﴾ منصوب على الحال من فاعل يأتون. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بأشحة. ﴿**فإذا جاء الخوف**﴾ فعل وفاعل. والجملة فعل شرط إذا. والفاء للتعقيب. ﴿**رأيتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة جواب شرط إذا. ﴿**ينظرون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إليك**﴾ متعلق بينظرون. ﴿**تدور أعينهم**﴾ فعل وفاعل. وجملة ينظرون إليك حال من الضمير المفعول في رأيتهم. وجملة تدور أعينهم﴾ حال ثانية مؤكّدة. . ﴿**كالذي**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمفعول مطلق. أي تدور أعينهم دورانا مثل الذي. ﴿**يغشى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**عليه من الخوف**﴾ متعلق بيغشى. . ﴿**فإذا ذهب الخوف سلقوكم**﴾ مثل فإذا جاء الخوف رأيتهم في الإعراب. ﴿**بألسنة**﴾ متعلق بسلقوكم. ﴿**حدادٍ**﴾ نعت لألسنة. ﴿**أشحة على الخير**﴾ إعرابها كإعراب أشحة عليكم. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لم يؤمنوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. وجملة لم يؤمنوا خبر المبتدأ. ﴿**فأحبط الله أعمالهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿**وكان ذلك**﴾ كان واسمها. والواو للعطف. ﴿**على الله**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**يسيرا**﴾ خبر كان. ﴿**يحسبون الأحزاب**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**لم يذهبوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة مفعول ثان ليحسبون. ﴿**وإن يأت الأحزاب**﴾ فعل وفاعل. والجملة فعل شرط إنْ. ﴿**يودوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب شرط إنْ. ﴿**لو**﴾ حرف تمنٍّ وليس حرف شرط. ﴿**أنّهم**﴾ أنّ واسمها. ﴿**بادون**﴾ خبر أن. ﴿**في الأعراب**﴾ متعلق ببادون. ﴿**يسألون**﴾ فعل وفاعل. والجملة حال من الضمير المستتر في اسم الفاعل ـ بادون ـ هم. ﴿**عن أنبائكم**﴾ متعلق بيسألون. ﴿**ولو كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**فيكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر. والجملة فعل شرط لو. ﴿**ما قاتلوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة جواب شرط لو. ﴿**إلا قليلا**﴾ نعت لمفعول مطلق. أي: إلاّ قتالا قليلا. وجملة ولو كانوا فيكم. . معطوفة على ما قبلها. ﴿**لقد كان لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. وقد للتحقيق. واللام للقسم. ﴿**في رسول**﴾ متعلق بخبر كان. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى رسول. ﴿**إسوة**﴾ اسم كان مؤخر.

﴿**حسنةً**﴾ نعت لأسوة. ﴿**لمن**﴾ متعلق بحسنة. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على منْ. ﴿**يرجو**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على منْ. والجملة خبر كان. وجملة كان يرجو صلة مَنْ. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**واليوم**﴾ معطوف عليه. ﴿**الآخر**﴾ نعت لليوم. و﴿**ذكر**﴾ معطوف على يرجو. ﴿**الله**﴾ مفعول بذكر ﴿**كثيرا**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. أي: ذكرا كثيرا. و﴿**لما رأى المؤمنون الأحزاب**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط لما. والواو للعطف. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. جواب شرط لما. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ما**﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. و﴿**عدنا**﴾ فعل ماضٍ. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. وجملة وعدنا الله.. صلة ما. وجملة هذا ما وعدنا الله ورسوله مقول القول. ﴿**وصدق الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. والجملة معطوفة على ما قبلها داخلة في خبر المقول. ﴿**وما زادهم**﴾ فعل ماضٍ منفي بما. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على المفهوم من جملة ولما رأى المؤمنون الأحزاب. إلا ﴿**إيمانا**﴾ مفعول به. و﴿**تسليما**﴾ معطوف عليه. ﴿**من المؤمنين**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**رجال**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**صدقوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لرجال. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**عاهدوا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ما. ﴿**عليه**﴾ متعلق بعاهدوا. ﴿**فمنهم**﴾ في محل رفع مبتدأ بمعنى بعضهم. ﴿**من**﴾ اسم موصول في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**قضى**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلة من. ﴿**نحبه**﴾ مفعول به. ﴿**ومنهم من ينتظر**﴾ معطوف على فمنهم من قضى.. وهو مثله في الإعراب. و﴿**مابدلوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**تبديلا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ليجزي**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الصادقين**﴾ مفعول به. ﴿**بصدقهم**﴾ متعلق بيجزي. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بفعل مقدر مفهوم من السياق. والتقدير: وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بصدقهم. و﴿**يعذب المنافقين**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**إن شاء**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله والجملة وقعت شرطا لتعذيب المنافقين. ﴿**أو يتوب**﴾ معطوف على يعذبوا. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بيتوب.

﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على الله. ﴿**غفورا**﴾

﴿**رحيما**﴾ خبران لكان. وجملة كان غفورا رحيما خبر إن. وجملة إن الله كان غفورا رحيما تعليلية. و﴿**رد الله الذين كفروا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على ما سبق من قوله: فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا.. ﴿**بغيظهم**﴾ متعلق بمحذوف حال من الذين كفروا. أي: متلبسين بغيظهم. ﴿**لم ينالوا خيرا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة بيان لما قبلها. و﴿**كفى الله المؤمنين**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**القتال**﴾ مفعول ثان. و﴿**كان الله**﴾ كان واسمها. ﴿**قويا**﴾ ﴿**عزيزا**﴾ خبران لكان. والجملة تذييل. و﴿**أنزل**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول بأنزل. ﴿**ظاهروهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**من أهل**﴾ متعلق بظاهروه. ﴿**الكتاب**﴾ مضاف إلى أهل. ﴿**من صياصيهم**﴾ متعلق بأنزل. وجملة وأنزل الذين ظاهروهم.. معطوفة على قوله تعالى: ورد الله الذين كفروا بغيظهم.. و﴿**قذف**﴾ معطوف على أنزل. ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بقذف. ﴿**الرعب**﴾ مفعول به. ﴿**فريقا**﴾ مفعول مقدم ﴿**تقتلون**﴾ ﴿**وتأسرون**﴾ معطوف على تقتلون. ﴿**فريقا**﴾ مفعول بتأسرون. و﴿**أورثكم**﴾ معطوف على أنزل.. ﴿**أرضهم**﴾ مفعول ثان. و﴿**ديارهم**﴾ و﴿**أموالهم**﴾ معطوفان على أرضهم. ﴿**وأرضا**﴾ عطف على أرضهم كذلك. ﴿**لم تطؤوها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة نعت «لأرضا» .و﴿**كان الله**﴾ كان واسمها. ﴿**على كل**﴾ متعلق بخبر كان الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قديرا**﴾ خبر كان. والجملة تذييل. ﴿**يا أيها النبي**﴾ تقدم إعراب مثلها في أول السورة. ﴿**قل**﴾ : ﴿**لأزواجك**﴾ متعلق بقل. ﴿**إن كنتن**﴾ كان واسمها. دخل عليه حرف الشرط. ﴿**تردن**﴾ فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة. ونون النسوة فاعل مبني على الفتح في محل رفع والجملة خبر كان. ﴿**الحياة**﴾ مفعول به. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**وزينتها**﴾ معطوف على الحياة.. ﴿**فتعالين**﴾ فعل أمر مبني على السكون. ونون النسوة فاعل. والجملة جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿**أمتعكن**﴾ مجزوم في جواب الأمر. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**وأسرحكن**﴾ معطوف على أمتعكن. ﴿**سراحا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**جميلا**﴾ نعت له. ﴿**وإن كنتن تردن**﴾ مثل إن كنتن تردن الحياة.. ﴿**الله**﴾ مفعول به.

﴿**ورسوله**﴾ معطوف عليه. و﴿**الدار**﴾ معطوف على الله. ﴿**الآخرة**﴾ نعت للدار. ﴿**فإن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**أعد**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إن. وجملة فإن الله أعد للمحسنات جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿**منكن**﴾ متعلق بالمحسنات. ﴿**أجرا**﴾ مفعول به. ﴿**عظيما**﴾ نعت له. ﴿**يا نساء**﴾ منادى منصوب بالفتحة. ﴿**النبي**﴾ مضاف إلى نساء. ﴿**من**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يأتِ**﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف الياء. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**منكن**﴾ ﴿**بفاحشة**﴾ متعلقان بيأتِ. ﴿**مبينة**﴾ نعت لفاحشة. ﴿**يضاعف**﴾ فعل مضارع جواب الشرط مجزوم بالسكون مبني للمجهول. ﴿**لها**﴾ متعلق بيضاعف. ﴿**العذاب**﴾ نائب الفاعل. ﴿**ضعفين**﴾ مفعول مطلق منصوب بالياء. و﴿**كان ذلك**﴾ كان واسمها. ﴿**على الله**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**يسيرا**﴾ خبر كان. والجملة تذييل. ومن ﴿**يقنت منكن**﴾ جملة شرطية معطوفة على جملة شرطية. ﴿**لله**﴾ متعلق بيقنت. و﴿**رسوله**﴾ معطوف على الله. و﴿**تعمل**﴾ معطوف على تقنط. ﴿**صالحا**﴾ مفعول به. ﴿**نؤتها**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الشرط. والفاعل نحن. ﴿**أجرها**﴾ مفعول ثان. والفاعل الأول الضمير المتصل بالفعل. ﴿**مرتين**﴾ مفعول مطلق مثل ضعفين. و﴿**أعتدنا**﴾ فعل وفاعل معطوف على نؤتها. ﴿**لها**﴾ متعلق بأعتدنا. ﴿**رزقا**﴾ مفعول به. ﴿**كريما**﴾ نعت له. ﴿**يا نساء النبي**﴾ سبق إعراب مثلها. ﴿**لستن**﴾ ليس واسمها. ﴿**كأحد**﴾ الكاف في محل نصب خبر ليس. وأحد مجرور بالكاف. ﴿**من النساء**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأحد. ﴿**إن اتقيتن**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فعل الشرط. ﴿**فلا تخضعن**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. والجملة جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿**بالقول**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فيطمع**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع فاعل. ﴿**في قلبه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرض**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة صلة الموصول.

و﴿**قلن**﴾ فعل أمر مبني على السكون. ونون النسوة فاعل مبني على الفتح في محل رفع. ﴿**قولا**﴾ مفعول مطلق ﴿**معروفا**﴾ نعت له. ﴿**وقرن**﴾ فعل أمر مثل قلن. ﴿**في بيوتكن**﴾ متعلق بقرن. ﴿**ولا تبرجن**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**تبرج**﴾ مفعول مطلق. ﴿**الجاهلية**﴾ مضاف إلى تبرج. ﴿**الأولى**﴾ نعت للجاهلية مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**وأقمن**﴾ معطوف على قرن.

وهو مثله في الإعراب. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول به، ﴿**وآتين الزكاة**﴾ معطوف على أقمن الصلاة. ﴿**وأطعن**﴾ مثل ما سبقه. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف عليه، ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**يريد الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ليذهب**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**عنكم**﴾ متعلق بيذهب. ﴿**الرجس**﴾ مفعول به. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بيريد. ﴿**أهل**﴾ منادى حذفت منه ياء النداء. ﴿**البيت**﴾ مضاف إلى أهل. ﴿**ويطهركم**﴾ معطوف على يذهب. ﴿**تطهيرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**واذكرن**﴾ معطوف على فعل الأمر الأول وهو: وقرن.. ﴿**ما يتلى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة ما. وهي في محل نصب مفعول باذكرن. في ﴿**بيوتكن من آيات**﴾ متعلقان بيتلى. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آيات. و﴿**الحكمة**﴾ معطوف على آيات. ﴿**إن الله كان لطيفا خبيرا**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة إن الله كان غفورا رحيما.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**يا أيها النبئ اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما**﴾: هذا المطلع يناسب ما في السورة السابقة في المقطع؛ فإن تلك ختمت بأمر النبي بالإعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم.. وهذه بدأت بأمر النبي بالتقوى وعدم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع ما أوحى الله إليه والتوكل عليه.. ونداء النبي بوصف النبوءة دون اسمه العلم تشريف له، وتنويه بشأنه، وتنبيه على سموّ مكانه ـ صلى الله عليه وسلم.. وجملة إن الله كان عليما حكيما تعليل للأمر والنهي، مؤكد لوجوب الامتثال بهما. ﴿**واتبع ما يوحى إليك من ربك**﴾: وصل هذا الكلام بما قبله زيادة في تفصيل المأمور به.

والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر. وجملة ﴿**إن الله كان بما تعملون خبيرا**﴾ تعليل للأمر وتأكيد لموجبه، وليدخل في الأمر كل المؤمنين.. ﴿**وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**﴾: هذه الآية من تمام المأمور به فيما أوحى الله إلى النبي. ﴿**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم الّئ تظهرون منهم أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم و الله يقول الحق وهو يهدي السبيل**﴾: هذا الكلام استئناف ابتدائي يثبت فيه حقائق

الأشياء على ما هي عليه. وهو تشريع وتبيين لحقائق الأشياء ومعانيها، وأن ماهية الشيء لا تتغير بما يلصق بها من الأقوال المنافية للحقائق. والجعل المنفِي هنا: هو الجعل الجبلي التكويني. والمعنى ما خلق الله رجلا بقلبين في جوفه. وقد جعل إبطال هذا الزعم تمهيدا لإبطال ما تواضع عليه أهل الجاهلية من جعل أحد ابنا لمن ليس هو بابنه.. ومن جعل امرأة أما ليست بأمه.. فهذا الإبطال جاء على قياس التمثيل.. فكما أن الله لم يجعل لرجل قلبين في جوفه كذلك لم يجعل الزوجة أما، ولا المتبنى ابنا.. فجملة وما جعل أزواجكم الئ تظهرون منهم أمهاتكم إبطال ثان لبعض مزاعم العرب في الجاهلية. وهو أن الرجل إذا أراد فراق امرأته فراقا لا رجعة فيه بحال يقول لها: أنت علي كظهر أمي. هذه صيغة معروفة عندهم.. فهي موجبة طلاق المرأة وحرمة تزوجها من بعد؛ لأنها صارت أما له. وجملة وما جعل أدعياءكم أبناءكم هي المقصودة التي مهدت بالآيتين قبلها.. ولذلك أطنب الكلام بعدها بتفاصيل التشريع في حكم التبني. وعطف هذه الجملة ـ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ـ على الآيتين قبلها لاشتراك الثلاث التي نفت وأبطلت مزاعم لا حقائق لها. وقوله تعالى: ذلكم قولكم بأفواهكم استئناف اعتراضي بين التمهيد والمقصود من التشريع. وهو فذلكة لما تقدم من الجمل الثلاث التي نفت وأبطلت جعلهم ما ليس بواقع واقعا.. فلذلك فصلت هذه الجملة ولم تعطف؛ لأنها تتنزل منزلة البيان بالتحصيل لما قبلها. والإشارة ـ ذلكم ـ إلى مذكور ضمنا من الكلام المتقدم. وهو ما نفى أن يكون الله جعله: من وجود قلبين لرجل، ومن كون الزوجة المتظاهر منها أما لمن ظاهر منها، ومن كون الأدعياء أبناء للذين تبنوهم.

وإذ قد كانت تلك المنفيات الثلاث ناشئة عن أقوال قالوها صح الإخبار عن الأمور المشار إليها بأنها أقوال، باعتبار أن المراد أنها أقوال فحسب، ليس لمدلولاتها حقائق خارجية تطابقها كما تطابق النسب الكلامية الصادقة النسب الخارجية. وإلا فلا جدوى في الإخبار عن تلك المقالات بأنها قول بالأفواه. ولزيادة هذا المعنى قيد بقوله: بأفواهكم؛ فإنه من المعلوم أن القول إنما هو من الأفواه.. فكان ذكْرُ بأفواهكم مع العلم به مشيرا إلى أنّه قول لا تتجاوز دلالته الأفواه.. فعلم من تقييده بأفواهكم أنه قول كاذب لا يطابق الواقع. وزاده تصريحا بقوله والله يقول الحق.. فأومأَ إلى أن قولهم ذلك قول كاذب. ولهذا عطف عليه

جملة وهو يهدي السبيل؛ لأنه داخل في الفذلكة لما تقدم من قوله: ما جعل الله لرجل من قلبين.. إلخ. وفي الإخبار عن اسم الله وضميره بالمسندين الفعليين - يقول - ويهدي - إفادة قصر القلب. أي: الله يقول الحق لا الذين وضعوا لكم تلك المزاعم.. وهو يهدي السبيل لا الذين أضلوا الناس بالأوهام!. **﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾**: استئناف بالشروع في المقصود من التشريع لإبطال التبني، وتفصيل لما يحق أن يجريه المسلمون في شأنهم. واللام في لآبائهم لام الانتساب. وأصلها لام الاستحقاق. وجملة هو أقسط استئناف مبين علة الحكم. والغرض منه تقرير ما دلّ عليه قوله: وما جعل أدعياءكم أبناءكم.. ثم فرع بقوله: **﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم..﴾** وجمع فيه تأكيدا للتشريع بعدم التساهل في بقاء ما كانوا عليه بعذر أنهم لا يعلمون آباء بعض الأدعياء. **﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾**: موصول بالعطف على ما قبله.. **﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾**: استدراك احترس به على تعميم الحكم قبله.. وجملة **﴿وكان الله غفورا رحيما﴾** تذييل مكرر لمضمون ما قبله من عدم الجناح في الخطأ. **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾**: هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من حيث علاقتهم بالرسول في كل أمر من أمور الدين والدنيا: كما يشهد به الإطلاق. **﴿وأزواجه أمهاتهم﴾**: وصلت هذه الجملة بالعطف على جملة النبي أولى.. فأزواج النبي منزلات في الاحترام والتعظيم منزلة الأمهات. وهذا تشريع جديد لا تعرفه الجاهلية!. **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾**: هذا تشريع جديد آخر أبطل ما كان عليه أهل الجاهلية. وما صار إليه المسلمون أول أيام الهجرة من التوارث بين الابن المتبنى ومتبنيه، وبين المتآخين في أول الهجرة بين المهاجرين والأنصار.. وجملة **﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا﴾**؛ استثناء مما تقدم من نسخ حكم التوارث المعروف في الجاهلية وصدر الإسلام.. فالمعروف بين الأولياء بصدقة أو وصية أو إسداء نفع مما يدخل تحت التشريع العام.. وجملة **﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾** تذييل مقرر لما تقدم من تفصيل الأحكام ببيان المشروع وغير المشروع من أحكام الدين المفصّل والمسطر في هذا الكتاب المبين.

﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيس ابن

مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على النداء الأول: يا أيها النبي اتق الله.. وما عقبه من أوامر ونواه.. إلى قوله كان ذلك في الكتاب مسطورا.. فهو إعلام للنبي ﷺ بأن الذي أمره الله به أو نهى عنه هو من عهود أخذها الله على النبيئين.. فتخصيص من ذكروا هنا مع اندراجهم في النبيئين اندراجا بينا للإيذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع وأساطين أولي العزم من الرسل. وتقديم النبي المخاطب بهذا الكلام ـ عليه الصلاة والسلام لإبانة خطره الجليل!.. **﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾**: متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع إلى ما ذكر من أخذ الميثاق وغاية له. والمقصود تذكير الميثاق المأخوذ من جميع الأنبياء.. ثم بيان الفرد منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى الغيبة. أي: فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الأنبياء.. ووضع الصادقين موضع ضميرهم للإيذان من أول الأمر بأنهم صادقون فيما سئلوا عنه. وجملة **﴿وأعد للكافرين عذابا أليما﴾** معطوفة على مقدر معلوم من السياق مرتب على ما دل عليه قوله: ليسأل الصادقين عن صدقهم.. فأثاب المؤمنين، وأعد للكافرين عذابا أليما. **﴿يا أيها الذين، آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعلمون بصيرا﴾**: افتتح الكلام بتوجيه الخطاب إلى المؤمنين لأنهم أهل للخطاب في مثل هذه المواقف الصعاب ولأن فيه تخليد كرامتهم بعناية الله ولطفه، وتحقيرا لعدوهم ومن يكيد لهم من الأحزاب.. فأمروا أن يذكروا هذه النعمة ولا ينسوها؛ لأن في ذكرها تجديد الاعتزاز بدينهم والثقة بربهم والتصديق لنبيهم.. **﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾**: هذا الكلام فصّل ما أجمل مما سبق من قوله: إذ جاءتكم جنود.. **﴿وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر﴾**: معطوف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير.. **﴿وتظنون بالله الظنونا﴾**: هذه الجملة موصولة بالعطف على ما قبلها. وجاءت بصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار. وأكدت بالمصدر إظهارا لتنوع الظنون المختلفة: حيث ظن المخلصون الثبت القلوب أن الله تعالى ينجز وعده في إعلاء دينه.

والضعاف القلوب والمنافقون يقولون: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا. **﴿هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾**: استؤنف هذا الكلام استئنافا بيانيا لإظهار الحالة التي كان عليها المؤمنون.. **﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم**

مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾: الكلام موصول بالعطف على ما قبله.. **﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾**: هذا قول فريق آخر من المنافقين مختبئين في المدينة ينادون أصحابهم الذين في المعسكر مع الرسول ليرجعوا عنه ويتركوه وأصحابه لمصيرهم!.. **﴿ويستأذن فريق منهم النبي يقولون: إن بيوتنا عورة﴾**: فريق آخر من المنافقين وهم من كانوا مع الرسول في المعسكر يعتذرون ويطلبون الرجوع إلى بيوتهم ليحافظوا عليها؛ لأنها في خطر من المهاجمين.. **﴿يقولون: إن بيوتنا عورة!. وما هي بعورة! إن يريدون إلا فرارا!!.. ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا﴾**: الكلام موصول بالعطف على ما قبله.. والآية تظهر كذب المنافقين في قولهم: إن بيوتنا عورة. ويبين حقيقة أمرهم من أنهم يتعللون بما يقولون ليفروا عن نصر الرسول ﷺ **﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل: لا يولون الأدبار﴾**: وهذا بيان لغدرهم ونقضهم العهد.. وجملة **﴿وكان عهد الله مسؤولا﴾** تذييل مقرر لمضمون ما سبقه من وجوب الوفاء بالعهد. **﴿قل: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾**: هذا جواب عن قوله: إن بيوتنا عورة.. ولذلك فصل الكلام؛ لأنه جرى على أسلوب التقاول والتجاوب. وما بين الجملتين اعتراض. وجملة **﴿وإذا لا تمتعون إلا قليلا﴾**: جوابية عن احتمال نفع الفرار. أي: وإن ينفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك إلا قليلا مقدارا وزمنا. **﴿قل: من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة﴾**؟!.. هذه الآية واقعة موقع التعليل لآية قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل.. وإعادة فعل قل تكرير لأجل الاهتمام بمضمون الآية. وجملة **﴿ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾** تذييل مقرر لمضمون ما سبقه.. **﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا﴾**: استئناف بياني ناشئ عن قوله: من ذا الذي يعصمكم من الله؛ لأن ذلك يثير سؤالا يهجس في نفوسهم أنهم يخفون مقاصدهم عن رسول الله.. فلا يشعر بمرادهم من الاستئذان.. فأمر أن يقول لهم: قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم: هلم إلينا. وجملة **﴿ولا يأتون البأس إلا قليلا﴾** تذييل مقرر لما هم عليه من الجبن والهلع والخوف من الموت أو القتل.

﴿أشحة عليكم﴾: بيان لحالهم في الواقع ونفس الأمر: **﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت!.. فإذا ذهب**

الخوف سلقوكم بألسنة حداد: أشحة على الخير﴾!.. فهذا الكلام فصل ما هم عليه تفصيلا كاملا في حالة الخوف وحالة الطمع.. فجملة تدور أعينهم حال من ضمير ينظرون، وجملة ينظرون حال من الضمير المنصوب في رأيتهم. وصور هيئة نظرهم نظر الخائف المذعور الذي يحدق بعينيه إلى جهات يحذر أن تأتيه المصائب من إحداها.. ثم يصورهم مرة أخرى حادة ألسنتهم مرفوعة أصواتهم يتطاولون عليكم طامعين حريصين على ما عندكم من الخير!!.. ﴿**أولئك لم يؤمنوا**﴾: جيء باسم الإشارة لقصد تمييزهم بتلك الصفات الذميمة التي أجريت عليهم من قبل: بخلاء في المغرم، ودخلاء في المغنم!. وللتنبيه على أنهم أحرياء بما سيرد من الحكم بعد اسم الإشارة.. ثم رتب على انتفاء إيمانهم أن الله أحبط أعمالهم: ﴿**فأحبط الله أعمالهم..**﴾ وجملة ﴿**وكان ذلك على الله يسيرا**﴾، خبر مستعمل في لازمه وهو تحقيرهم. ﴿**يحسبون الأحزاب لم يذهبوا**﴾: استئناف ابتدائي مرتبط بقوله: اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها. جاء عودا على بدء بمناسبة ذكر أحوال المنافقين.. فهؤلاء المنافقون بجبنهم قابعون في منازلهم لا يدرون شيئا عما حصل لهؤلاء الأحزاب من رعب وذعر وهروب واندحار وانهزام وانسحاب ! وهؤلاء الجبناء الأغبياء لو عاد الأحزاب مرة أخرى ـ لتمنوا أن يكونوا بعيدين عنكم ﴿**يسألون عن أنبائكم!!.. ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا**﴾: تذييل مقرر لمضمون ما تقدم لأوصاف المنافقين وكشف فضائحهم!. ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾: فصلت هذه الآية عما قبلها لكونها جاءت فاصلة بين كلام يتعلق بالمنافقين، وبين كلام يتعلق بالمؤمنين الصادقين.

وفي هذه الآية وضع قاعدة عامة يتبين بها المؤمن الصادق من الكافر المنافق. ﴿**ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على الكلام المتعلق بالمنافقين فهذه الآية تبين ما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر من المنافقين والذين في قلوبهم مرض.. فقوبلت أقوال أولئك بأقوال المؤمنين عندما نزلت بهم الأحزاب. ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه: فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا**

تبديلا﴾: فصلت هذه الآية عما قبلها ولم تعطف؛ لأنها جاءت بيانا لحال رجال من المؤمنين الصادقين بدلوا نفوسهم وأموالهم في سبيل الله.. فمنهم من قضى نحبه: تفصيل لحال الصادقين، وتقسيم لهم إلى قسمين.. **﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما﴾**: فصلت هذه الآية عما قبلها ولم تعطف؛ لأنها جاءت لبيان ما هو داع إلى وقوع ما حكي من الأحوال والأقوال على التفصيل، وغاية له؛ كما مرّ في قوله تعالى: ،ليسأل الصادقين عن صدقهم.. فكأنه قيل: وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا.. ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الأعمال إن شاء تعذيبهم، أو يتوب عليهم إن تابوا.. وجملة إن الله كان غفورا رحيما تعليل لقوله: أو يتوب عليهم. وفيه حث وبعث إلى التوبة. **﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾**: وصلت هذه الآية بالعطف على آية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها.. فهذه الآية رجوع إلى حكاية بقية القصة وتفصيل لتتمة النعمة المشار إليها إجمالا بقوله تعالى: فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها.. فكأنه قيل إثر حكاية الأمور المذكورة: وقع ما وقع من الحوادث، ورد الله الذين كفروا.. والالتفات إلى ذكر الاسم الجليل ـ ورد الله ـ لتربية المهابة وإدخال الروعة.. وجملة لم ينالوا خيرا، استئناف بياني؛ لبيان موجب غيظهم.. وجملة وكان الله قويا عزيزا؛ تذييل لجملة ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال.. وذكر فعل كان للدلالة على أن العزة والقوة وصفان ثابتان لله تعالى، ومن تعلقات قوته وعزته أنه صرف ذلك الجيش العظيم خائبين مفتضحين.

﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب: فريقا تقتلون وتأسرون فريقا. وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها لكونها تكملة لما حصل للأحزاب من هزيمة واندحار.. فهذه هزيمة لليهود من بني قريظة من سلب النفوس والسبي وفقد الديار!.. فجملة وقذف في قلوبهم الرعب سبب لقوله: فريقًا تقتلون وتأسرون فريقا.. وآية وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم.. موصولة على ما قبلها تكملة لهذه الغنيمة العظيمة التي لم تخطر لهم

على بال!. وقوله تعالى: وأرضا لم تطؤوها وعد كريم بغنائم أخرى تأتيهم فيما بعد من مغانم القتال. وكان الله على كل شيء قديرا: تذييل مقرر لما تضمنه الكلام من قهر الأعداء وفوز المؤمنين في الحال والمآل. ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك: إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما**﴾: فصلت هاتان الآيتان عما قبلها.. فهو نداء ثان بعد النداء الذي في أول السورة.. فالنداء الأول أمر للنبي في ذاته وما يتعلق بالدعوة.. وهذا النداء فيما يتعلق به وبأزواجه. وهو تخييرهن بين الدنيا وزينتها وبين ما يرضي الله ورسوله وما يفيد في الدار الآخرة.. فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة. ﴿**يا نساء النبي: من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما**﴾: فصلت هاتان الآيتان عما قبلهما كذلك.. فهو تلوين للخطاب وتوجيه له إلى نساء النبي؛ لإظهار الاعتناء بنصحهن.. ونداءهن ههنا وفيما بعده بالإضافة إلى النبي لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام.. ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾: تكرير للنداء؛ لما في النداءين من الاهتمام بالمطلوب منهن من المأمور به من الطاعة، والمرغوب عنه من المنهي عنه من الفاحشة.. ثم بين سبب مضاعفة العقاب، وتكثير الثواب بقوله تعالى: لستن كأحد من النساء.. ثم فصل لهن الحكم ببيان أدق وأخص المطلوب منهن: ﴿**إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا..**﴾

ثم زاد بالتفصيل بما يناسبهن من عفة وصيانة ونزاهة وشرف: ﴿**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى..**﴾ ثم بين ما هو الواجب الأصلي قبل كل شيء: ﴿**وأقمن الصلاة وآتين الزكاة، وأطعن الله ورسوله..**﴾ ثم بين حكمة هذه الأحكام ونتائجها: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا..**﴾ ثم بين واجبهن اللازم عليهن تبليغه من دعوة الإسلام: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة..**﴾ فجملة ﴿**إن الله كان لطيفا خبيرا**﴾ تذييل مقرر لمضمون كل ما ورد من الأمر والنهي.. ففي الجملة ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، وتحريض وتحذير. وبراعة المقطع فيها ظاهر لكل خبير!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما. واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا. وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**﴾: في هذا التوجيه توجيه الرسول ﷺ إلى تقوى الله وعدم الطاعة للكافرين والمنافقين، واتباع ما يوحى إليه من ربه والتوكل عليه وحده. وهو البدء الذي يربط سائر ما ورد في السورة من تنظيمات وأحداث بالأصل الكبير الذي تقوم عليه شرائع هذا الدين وتوجيهاته، ونظمه وأوضاعه، وآدابه وأخلاقه.. فهو أصل استشعار القلب بجلال الله، والاستسلام المطلق لإرادته، واتباع المنهج الذي اختاره، والتوكل عليه وحده والاطمئنان إلى حمايته ونصرته.. ثم بعد ذلك يلقي بكلمة الحق والفصل في بعض التقاليد والأوضاع الاجتماعية؛ مبتدئا بإيقاع حاسم يقرر حقيقة واقعة: ﴿**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**﴾. فهو يرمز بها إلى أن الإنسان لا يملك أن يتجه إلى أكثر من أفق واحد، ولا أن يتبع أكثر من منهج واحد، وإلا نافق واضطربت خطاه.

وما دام لا يملك إلا قلبا واحداً.. فلا بدّ أن يتجه إلى إلهٍ واحد، وأن يتبع نهجا واحدا؛ وأن يدع ما عداه من مألوفات وتقاليد وأوضَاع وعادات.. فلا يملك الإنسان أن يستمد آدابه من معين، ويستمد شرائعه وقوانينه من معين آخر، ويستمد أوضاعه الاجتماعية أو الاقتصادية من معين ثالث، ويستمد فنونه وتصوراته من معين رابع.. فهذا الخليط لا يكون إنسانا له قلب واحد.. إنما يكون ممزقًا وأشلاء ليس لها قوام!. وصاحب العقيدة لا يملك أن تكون له عقيدة حقا.. ثم يتجرد من مقتضياتها وقيمها الخاصة في موقف واحد من مواقف حياته كلها، صغيرا كان هذا الموقف أم كبيرا. لا يملك أن يقول كلمة، أو يتحرك حركة أو ينوي نية، أو يتصور تصورا، غير محكوم في هذا كله بعقيدته - إن كانت هذه العقيدة حقيقة واقعة في كيانه - لأن الله لم يجعل له سوى قلب واحد، يخضع لناموس واحد، ويستمد من تصور واحد، ويزن بميزان واحد. لا يملك صاحب العقيدة أن يقول عن فعل فعله: فعلت كذا بصفتي الشخصية، وفعلت كذا بصفتي الإسلامية؛ كما يقول رجال السياسة، أو رجال الشركات، أو رجال الجمعيات الاجتماعية، أو العلمية وما إليها في هذه الأيام!.. إنه شخص واحد، له قلب

واحد تعمره عقيدة واحدة. وله تصور واحد للحياة. وميزان واحد للقيم. وتصوره المستمد من عقيدته متلبس بكل ما يصدر عنه، في كل حالة من حالاته على السواء. وبهذا القلب الواحد يعيش فردا، ويعيش في الأسرة، ويعيش في الجماعة، ويعيش في الدولة، ويعيش في العالم، ويعيش سرا وعلانية. ويعيش عاملا وصاحب عمل. ويعيش حاكما ومحكوما. ويعيش في السراء والضراء.. فلا تتبدل موازينه، ولا تتبدل قيمه، ولا تتبدل تصوراته. وبعد هذا الإيقاع الحاسم في تعيين المنهج والطريق يؤخذ في إبطال عادة الظهار وعادة التبني، ليقيم المجتمع على أساس الأسرة الواضح السليم المستقيم: ﴿**وما جعل أزواجكم الّئ تظّهّرون منهن أمهاتكم، وما جعل أدعياءكم أبناءكم**..﴾ فكان الرجل في الجاهلية يقول لامرأته: أنت علي كظهر أمي.. فمن ساعتئذ تحرم عليه كما تحرم عليه أمه.. فكان في هذا من القسوة ما فيه.. وكان طرفا من سوء معاملة المرأة في الجاهلية والاستبداد بها وسومها كل مشقة وعنت. وقد علم حكم الظهار وما يترتب عليه في سورة المجادلة.. فهذه مسألة الظهار.. فأما مسألة التبني، ودعوة الأبناء إلى غير آبائهم فقد كانت كذلك تنشأ من التخلخل في بناء الأسرة، وفي بناء المجتمع كله.. فمن هؤلاء زيد ابن حارثة الكلبي. وهو من قبيلة عربية سبي صغيرا في غارة أيام الجاهلية.. فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة.. فلما تزوجها رسول الله وهبته له خديجة.. ثم طلبه أبوه وعمه.. فخيّره رسول الله.. فاختار رسول الله.. فأعتقه وتبناه.

وكانوا يقولون عنه: زيد بن محمد.. فلما شرع الإسلام ينظم علاقات الأسرة على الأساس الطبيعي لها، ويُحكّم روابطها ويجعلها صريحة لا خلط فيها ولا تشويش.. أبطل عادة التبني هذه، ورد علاقة النسب إلى أسبابها الحقيقية.. علاقات الدم والأبوة والبنوة الواقعية: فقال: ﴿**ذلكم قولكم بأفواهكم**..﴾ فالكلام لا يغير واقعا، ولا ينشأ علاقة غير علاقة الدم، وعلاقة الوراثة للخصائص التي تحملها النطفة. وعلاقة المشاعر الطبيعية الناشئة من كون الولد بضعة حية من جسم والده الحي.. ﴿**والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**..﴾ فالله يقول الحق المطلق الذي لا يلابسه باطل. ومن الحق إقامة العلاقات على تلك الرابطة الحقة، المستمدة من اللحم والدم، لا على كلمة تقال بالفم. والله يهدي السبيل المستقيم المتصل بناموس الفطرة الأصيل، الذي لا يغني غناءه سبيل آخر من صنع البشر

يصنعونه بأفواههم بكلمات لا مدلول لها من الواقع. . فتغلبها كلمة الحق والفطرة التي يقولها الله ويهدي بها السبيل: ﴿**أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله. .**﴾ وإنه لقسط وعدل أن يُدعى الولد لأبيه. عدل للوالد الذي نشأ هذا الولد من بضعة منه حية. وعدل للولد الذي يحمل اسم أبيه؛ ويرثه ويورثه ويتعاون معه، ويكون امتدادا له بوراثاته الكامنة، وتمثيله لخصائصه وخصائص آبائه وأجداده، وعدل للحق في ذاته الذي يضع كل شيء في مكانه، ويقيم كل علاقة على أصله الفطري، ولا يضيع مزية على والد ولا ولد. كما أنه لا يحمل غير الوالد الحقيقي تبعة البنوة، ولا يعطيه مزاياها. . ولا يحمل غير الولد الحقيقي تبعة البنوة ولا يحابيه بخيراتها. . فهذا هو النظام الذي يجعل التبعات في الأسرة متوازنا. ويقيم الأسرة على أساس ثابت دقيق مستمد من الواقع. وهو في الوقت ذاته يقيم بناء المجتمع على قاعدة حقيقية قوية بما فيها من الحق ومن مطابقة الواقع الفطري العميق. . فكل نظام يتجاهل حقيقة الأسرة الطبيعية هو نظام فاشل ضعيف، مزوّر الأسس لا يمكن أن يعيش. ونظرا للفوضى في علاقات الأسرة في الجاهلية والفوضى الجنسية كذلك التي تخلف عنها أن تختلط الأنساب، وأن يجهل الآباء في بعض الأحيان فقد يسّر الإسلام الأمر ـ وهو بصدد إعادة تنظيم الأسرة وإقامة النظام الاجتماعي على أساسها ـ. فقرر في حالة عدم الاهتداء إلى معرفة الآباء الحقيقيين مكانا للأدعياء في الجماعة الإسلامية قائما على الأخوة في الدين والموالاة فيه: ﴿**فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم. .**﴾ فهي علاقة أدبية شعورية لا تترتب عليها التزامات محددة؛ كالتزام التوارث والتكافل. .

وهذا النص صور لنا حقيقة الخلخلة في المجتمع الجاهلي، وحقيقة الفوضى في العلاقات الجنسية. هذه الفوضى وتلك الخلخلة هي التي عالجها الإسلام بإقامة نظام الأسرة على أساس الأبوة، وإقامة نظام المجتمع على أساس الأسرة السليمة. وبعد الاجتهاد في رد الأنساب إلى حقائقها. . فليس على المؤمنين من مؤاخذة في الحالات التي يعجزون عن الاهتداء فيها إلى النسب الصحيح: ﴿**وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم. .**﴾ فهذه السماحة مردها إلى أن الله تعالى يتصف بالغفران والرحمة، فلا يعنت الناس بما لا يستطيعون: ﴿**وكان الله غفورا رحيما**﴾. بعد ذلك يقرر إبطال نظام المؤاخاة كما أبطل نظام التبني. ونظام المؤاخاة لم يكن جاهليا، إنما هو نظام استحدثه الإسلام بعد الهجرة

لمواجهة حالة المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأهليهم في مكة.. ومواجهة الحالة كذلك بين المسلمين في المدينة ممّنْ انفصلت علاقاتهم بأسرهم نتيجة لإسلامهم.. وذلك مع تقرير الولاية العامة للنبي.. وتقديمها على جميع ولايات النسب، وتقرير الأمومة الروحية بين أزواجه وجميع المؤمنين: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا**..﴾ فقد هاجر المهاجرون من مكة إلى المدينة، تاركين وراءهم كل شيء، فارين إلى الله بدينهم.. كذلك وقع شيء من هذا في صورة أخرى.. فقد دخل في الإسلام أفراد من بيوت وظل آخرون فيها على الشرك.. فأنبتّت العلاقةُ بينهم وبين قرابتهم.. فوقع على أية حال تخلخل في الروابط العائلية، وتخلخل أوسع منه في الارتباطات الاجتماعية. وكان المجتمع الإسلامي لا يزال وليدًا، والدولة الإسلامية الناشئة أقرب إلى أن تكون فكرة مسيطرة على النفس من أن تكون نظاما مستندا إلى أوضاع مقررة. هنا ارتفعت موجة من المدّ الشعوري للعقيدة الجديدة، تغطي على كل العواطف والمشاعر، وكل الأوضاع والتقاليد، وكل الصلات والروابط. لتجعل العقيدة وحدها هي الوشيجة التي تربط القلوب وتربط في الوقت ذاته الوحدات التي انفصلت عن أصولها الطبيعية في الأسرة والقبيلة؛ فتقوم بينها مقام الدم والنسب، والمصلحة والصداقة.. فتخرج بين هذه الوحدات الداخلة في الإسلام فقامت الجماعة الإسلامية على هذا الأساس.

نزل المهاجرون على إخوانهم الأنصار الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلهم فاستقبلوهم في دورهم وفي قلوبهم وفي أموالهم. وتسابقوا إلى إيوائهم وتنافسوا فيهم.. فآخى رسول الله ﷺ بين رجال من المهاجرين ورجال من الأنصار. وكان هذا الإيخاء صلة فريدة في تاريخ التكافل بين أصحاب العقائد. وقام هذا الإيخاء مقام أخوة الدم.. فكان يشمل التوارث والالتزامات الأخرى.. فارتفع المد الشعوري في هذا إلى ذروة عالية. وأخذ المسلمون هذه العلاقة الجديدة مأخذ الجد.. وإن مثل هذا المدّ الشعوري لضرورة لنشأة كل جماعة تواجه مثل تلك الظروف. وإن الإسلام مع حفاوته في ذلك المدّ الشعوري واستبقاء ينابيعه في القلب مفتوحة دائما لحريص على أن يقيم بناءه على أساس الطاقة العادية للنفس البشرية لا على أساس الفورات الاستثنائية. ومن ثم عاد القرآن الكريم بمجرد

استقرار الأحوال في المدينة واستتباب الأمن.. فعاد القرآن الكريم بمجرد توفر هذه الضمانات إلى إلغاء نظام المؤاخاة.. فرد الأمور إلى حالتها الطبيعية في الجماعة الإسلامية. ورد الإرث والتكافل في الديات إلى قرابة الدم والنسب؛ كما هي «أصلا» في كتاب الله القديم: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله: «كان ذلك في الكتاب مسطورا».

وبمناسبة ما سُطّر في كتاب وما سبقت به مشيئته، ليكون هو الناموس الباقي والمنهج المطرد، يشير إلى ميثاق الله مع النبيين عامة، والنبي ﷺ وأولو العزم من الرسل خاصة في حمل أمانة هذا المنهج والاستقامة عليه وتبليغه للناس والقيام عليه في الأمم التي أُرسلُوا إليها. وذلك حتى يكون الناس مسؤولين عن هداهم وضلالهم وإيمانهم وكفرهم: **﴿وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا. ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما﴾**. فهو ميثاق واحد مطرد من لدن نوح عليه السلام - إلى خاتم النبيئين محمد ﷺ ميثاق واحد، ومنهج واحد، وأمانة واحدة، يتسلمها كل منهم حتى يسلمها. وبعد بيان أصحاب الميثاق عاد إلى وصف الميثاق نفسه: فوصف الميثاق بأنه غليظ منظور فيه إلى الأصل اللغوي للفظ ميثاق، وهو الحبل المفتول الذي استعير للعهد والرابطة. وفيه من جانب آخر تجسيمٌ للأمر المعنوي. وإنه لميثاق غليظ متين ذلك الميثاق بين اللهِ والمختارين من عباده؛ ليتلقوا وحْيَه، ويبلغوا عنه، ويقدموا على منهجه في أمانة واستقامة: ليسأل الصادقين عن صدقهم.. فالصادقون هم المؤمنون الذين قالوا كلمة الصدق واعتنقوا عقيدة الصدق، ومن سواهم كاذب؛ لأنه يعتقد بالباطل، ويقول كلمة الباطل. ومن ثم كان لهذا الوصف دلالته وإيحاءه.. فأما غير الصادقين الذين دانوا بعقيدة الباطل وقالوا كلمة الكذب في أكبر قضية يقال فيها الصدق أو يقال فيها الكذب: قضية العقيدة. هؤلاء لهم جزاء آخر حاضر مهيّأ يقف لهم في الانتظار: وأعد للكافرين عذابا أليما!.

التوجيه الثاني: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا..﴾**: في هذا التوجيه بيان نعمة الله على المؤمنين إذ رد عنهم كيد الأحزاب والمهاجمين من

المشركين واليهود أعداء الدين! في معترك الحياة ومصطرع الأحداث، كانت الشخصية المسلمة تصاغ. ويوما بعد يوم وحدث بعد حدث كانت هذه الشخصية تنضج وتنمو وتتضح سماتها، وكانت الجماعة المسلمة التي تُكون من تلك الشخصيات تبرز إلى الوجود بمقوماتها الخاصة وقيمها الخاصة وطابعها المميز بين سائر الجماعات. وكانت الأحداث تقسو على الجماعة الناشئة حتى لتبلغ أحيانا درجة الفتنة. وكانت فتنة كفتنة الذهب تفصّل بين الجوهر الأصيل والزبد الزائف، وتكشف عن حقائق النفوس ومعادنها.. فلا تعود خليطا مجهول القيم. وكان القرآن يتنزل في إبّان الابتلاء أو بعد انقضائه، يصور الأحداث، ويلقي الأضواء على منحنياته وزواياه.. فتنكشف المواقف والمشاعر والنوايا والضمائر.. ثم يخاطب القلوب وهي مكشوفة في النور عارية عن كل رداء وستار، ويلمس فيها مواضع التأثر والاستجابة، ويربيها يوما بعد يوم. وحادثا بعد حادث، ويرتب تأثراتها واستجاباتها وفق منهجه الذي يريد. ولقد كانت فترة عجيبة حقا تلك التي قضاها المسلمون في حياة الرسول ﷺ فترة اتصال الملأ الأعلى بالأرض اتصالا مباشرا ظاهرا.. فقد كانت فترة عجيبة حقا يتملاّها الإنسان اليوم ويتصور حوادثها ومواقفها.. فهذا المقطع من سورة الأحزاب يتولى تشريح حدث من الأحداث الضخمة في تاريخ الدعوة الإسلامية.

ويصف موقفا من مواقف الامتحان العسيرة: وهو غزوة الأحزاب.. فمن تدبر هذا النص القرآني وطريقة عرضه للحادث، وأسلوبه للوصف والتعقيب، ووقوفه أمام بعض المشاهد والحوادث والحركات والخوالج وإبرازه للقيم والسنن.. من ذلك كله ندرك كيف كان الله تعالى يربي هذه الأمة بالأحداث والقرآن في وقت واحد.. إن النص القرآني يغفل أسماء الأشخاص وأعيان الذوات ليصور نماذج البشر وأنماط الطباع. ويغفل تفصيلات الحوادث وجزئيات الوقائع؛ ليصور القيم الثابتة والسنن الباقية. هذه التي لا تنتهي بانتهاء الحادث ولا تنقطع بذهاب الأشخاص، ولا تنقضي بانقضاء الملابسات. ومن ثم تبقى قاعدة ومثلا لكل جيل ولكل قبيل!. ذلك إلى جمال التصوير وقوته وحرارته مع التهكم القاصم والتصوير الساخر للجبن والخوف والنفاق والتواء الطباع.. ومع الجلال الرائع والتصوير الموحي للإيمان والشجاعة والصبر والثقة في نفوس المؤمنين..

فيبدأ السياق القرآني الحديث عن حادث الأحزاب بتذكير المؤمنين بنعمة الله

عليهم: أن رد عنهم الجيش الذي همَّ أن يستأصلهم، لولا عون الله وتدبيره اللطيف.. ومن ثم يجمّل في الآية الأولى طبيعة ذلك الحادث وبدأه ونهايته قبل تفصيله وعرض مواقفه.. ثم يأخذ بعد هذا الإجمال في التفصيل والتصوير: ﴿**إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم**..﴾ إنها صورة الهول الذي روع المدينة، والكرب الذي شملها والذي لم ينج منه أحد من أهلها. وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان وغيرهم.. واليهود من بني قريظة ومن لجأ إليهم من اليهود.. من كل جانب ومن أعلاها ومن أسفلها. وننظر اليوم فنرى الموقف بكل سماته وكل انفعالاته وكل خلجاته وكل حركاته ماثلا أمامنا كأننا نراه من خلال هذا النص القصير. ننظر فنرى من خارجه: ﴿**إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم**..﴾ ثم ننظر فنرى أثر الموقف في النفوس: ﴿**وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر**..﴾ فهو تعبير مصور لحالة الخوف والكربة والضيق يرسمها بملامح الوجوه وحركات القلوب.. ثم يزيد تصويرا لحالة الجماعة المختلفة الهواجس والتوقعات: ﴿**وتظنون بالله الظنونا**..﴾ ثم تزيد سمات الموقف بروزا، وتزيد خصائص الهول فيه وضوحا: ﴿**هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا**..﴾ فالهول الذي زلزل المؤمنين لا بد أن يكون هولا مروعا رهيبا!. ذلك كله إلى ما كان من كيد المنافقين والمرجفين في المدينة وبين الصفوف: ﴿**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا**﴾!.. فقد وجد هؤلاء في الكرب المزلزل والشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبيئة نفوسهم، وهم آمنون أن يلومهم أحد؛ وفرصة للتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله، وهم مطمئنون أن يأخذهم أحد بما يقولون.. فالواقع بظاهره يصدقهم في التوهين والتشكيك، وهم مع هذا منطقيون مع أنفسهم ومشاعرهم.. فالهول قد أزاح عنهم ذلك الستر الرقيق من التجمل، وروع نفوسهم ترويعا لا يثبت له إيمانهم المهلهل.. فجهروا بحقيقة ما يشعرون غير مبقين ولا متجملينّ. ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائمون في كل جماعة، وموقفهم في الشدة هو موقف إخوانهم هؤلاء!.. فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مدار الزمن!.. ثم يفصل ويبين هؤلاء المنافقين فيقسمهم قسمين: ﴿**وإذ قالت طائفة منهم: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا**..﴾ فهم قابعون في المدينة لم يخرجوا إلى معسكر المسلمين يبعثون لمن في المعسكر من أهل المدينة غير

المهاجرين طبعا.. فيحرضون جماعتهم على ترك المعسكر والعودة إليهم بحجة أن إقامتهم في المعسكر مع المعسكر لا موضع لها ولا محل..

﴿**ويستأذن فريق منهم النبي: يقولون: إن بيوتنا عورة..**﴾ فهؤلاء هم القسم الثاني، وهم من كانوا في المعسكر مع المسلمين استجابوا لدعوة جماعتهم الباقين في المدينة.. فهم يستأذنون الرسول في الخروج من المعسكر بحجة أن بيوتهم مكشوفة متروكة بلا حماية معرضة للسلب والنهب والقتل والسبي!!.. وهنا يكشف النص عن الحقيقة ويجردهم من العذر والحجة: ﴿**وما هي بعورة**﴾!.. فيضبطهم متلبسين بالكذب والاحتيال والجبن والفرار: ﴿**إن يريدون إلا فرارا**﴾!.. فهكذا كان أولئك الذين يجبهم القرآن.. ويقف السياق عند هذه اللقطة المصورة لموقف البلبلة والفزع والمراوغة.. يقف ليرسم صورة نفسية لهؤلاء المنافقين والذين في قلوبهم مرض: صورة نفسية داخلية لوهن العقيدة وخور القلب والاستعداد للانسلاخ من الصف والدفاع بمجرد مصادفة أمر يقتضي مقاومة: ﴿**ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا..**﴾ كذلك كان شأنهم، والأعداء بعد خارج المدينة.. فالخطر المتوقع غير الخطر الواقع.. فأما لو وقع واقتحمت المدينة من أطرافها ودخل عليهم العدو وهم فيها ثم سئلوا الفتنة وطلبت إليهم الردة عن دينهم لأتوها سراعا غير متلبثين ولا مترددين إلا قليلا!!.. فهي عقيدة واهنة لا تثبت!! وهو جبن غامر لا يملكون معه مقاومة!.. فهكذا يكشفهم القرآن ويظهر نفوسهم عارية من كل ستار.. ثم يصمهم بعد هذا بنقض العهد وخلف الوعد. ومع من؟.. مع الله الذي عاهدوه من قبل على غير هذا.. ثم لم يرعوا مع الله عهدا.. ﴿**ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل: لا يولون الأدبار. وكان عهد الله مسؤولا..**﴾ فعند هذا المقطع ـ وهم أمام العهد المنقوض ابتغاء النجاة من الخطر والأمان من الفزع ـ يقرر القرآن إحدى القيم الباقية التي يقررها في أوانها؛ ويصحح التصور الذي يدعوهم إلى نقض العهد والفرار: ﴿**قل: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل..**﴾ فقدر الله هو المسيطر على الأحداث والمصائر، يدفعها في الطريق المرسوم، وينتهي بها إلى النهاية المحتومة. والموت أو القتل قدر لا مفر منه في موعده. لا يستقدم لحظة ولا يستأخر. ولن ينفع الفرار منه.. فإذا فروا. فإنهم ملاقون حتفهم المكتوب في موعده القريب. وكل موعد في الدنيا قريب. وكل متاع فيها قليل. ولا عاصم من

الله ولا من يحول دون نفاذ مشيئته. سواء أراد بهم سوءا أو أراد بهم رحمة. ولا مولى لهم ولا نصير من دون الله يحميهم ويمنعهم من قدر الله: ﴿**وإذا لا تمتعون إلا قليلا**﴾. ﴿**قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا**. .﴾ فالاستسلام! والطاعة الطاعة! والوفاء الوفاء بالعهد مع الله في السراء والضراء.. ورجع الأمور إليه والتوكل الكامل عليه.. ثم يفعل الله ما يشاء..

ثم يستطرد السياق إلى تقرير علم الله بالمعوقين الذين يقعدون عن الجهاد ويدعون غيرهم إلى القعود. ويرسم لهم صورة نفسية مبدعة: ﴿**قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا**. .﴾ يبدأ هذا النص بتقرير علم الله المؤكد بالمعوقين الذين يسعون بالتخذيل في صفوف الجماعة المسلمة الذين يدعون إخوانهم إلى القعود أو ترك المعسكر والإتيان إليهم مع أنهم لم يفيدوا المعسكر شيئا: ﴿**ولا يأتون البأس إلا قليل**﴾!.. فهم مكشوفون لعلم الله: الموجود في المعسكر والقابع في بيته متوار متستر!.. ثم تأخذ الريشة المعجزة في رسم سمات هذا النموذج: ﴿**أشحة عليكم**. .﴾ ففي نفوسهم كزازة على المسلمين: كزازة بالجهد وكزازة بالمال، وكزازة في العواطف والمشاعر على السواء: ﴿**فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت**. .﴾ فهي صورة شاخصة واضحة الملامح متحركة الجوارح. وهي في الوقت ذاته مضحكة تثير السخرية من هذا الصنف الجبان الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن المرتعش الخوار!.. وأشد إثارة للسخرية صورتهم بعد أن يذهب الخوف ويجيء الأمن: ﴿**فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد**. .﴾ فخرجوا من الجحور وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، ونفشوا بعد الانزواء، وادعوا في غير حياء ما شاء لهم الادعاء! من البلاء في القتال والفضل في الأعمال والشجاعة والاستبسال.. ثم هم: ﴿**أشحة على الخير**. .﴾ فلا يبذلون للخير شيئا من طاقتهم وجهدهم وأموالهم وأنفسهم، مع كل ذلك الادعاء العريض وكل ذلك التبجح وطول اللسان!.. فهذا النموذج من الناس لا ينقطع في جيل ولا في قبيل.. فهو موجود دائما. وهو شجاع فصيح بارز حيث ما كان هناك أمن ورخاء. وهو جبان صامت مُتروٍّ حيث ما كان هناك شدة وخوف. وهو شحيح بخيل على الخير، وأهل الخير لا ينالهم

منها إلا سلاطة اللسان كالسيف الحاد الطعان!!.. ﴿**أولئك لم يؤمنوا**..﴾ فهذه هي العلة الأولى: العلة أن قلوبهم لم تخالطها بشاشة الإيمان ولم تهتد بنوره، ولم تسلك منهجه.. ﴿**فأحبط الله أعمالهم**﴾ ولم ينجحوا؛ لأن عنصر النجاح الأصيل ليس هناك.

﴿**وكان ذلك على الله يسيرا**..﴾ فليس هنالك عسير على الله. وكان أمر الله مفعولا.. فأما يوم الأحزاب فيمضي النص في تصويرهم صورة مضحكة مزرية: ﴿**يحسبون الأحزاب لم يذهبوا**﴾ فهم ما يزالون يرتعشون. ويتخاذلون ويخذلون، ولا يعلمون أن الأحزاب قد ذهبت وهربت وانهزمت، وقد ذهب الخوف وجاء الأمان! ﴿**وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم**﴾ فيا للسخرية! ويا للتصوير المزري! ويا للصورة المضحكة! وإن يأت الأحزاب يود هؤلاء الجبناء لو أنهم لم يكونوا من أهل المدينة يوما من الأيام، ويتمنون أن لو كانوا من أعراب البادية لا يشاركون أهل المدينة في حياة ولا في مصير. ولا يعلمون: حتى ما يجري عند أهلها.. إنما هم يجهلونه ويسألون عنه سؤال الغريب عن الغريب!!.. فهذه مبالغة في البعد والانفصال والنجاة من الأهوال!.. فهم يتمنون هذه الأمنيات المضحكة، مع أنهم قاعدون بعيدون عن المعركة لا يتعرضون لها مباشرة.. إنما هو الخوف من بعيد والفزع والهلع من بعيد!: ﴿**ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا**﴾! وبهذا الخط ينتهي رسم الصورة: صورة ذلك النموذج الذي كان عائشا في الجماعة الإسلامية الناشئة في المدينة، والذي لا يزال يتكرر في كل جيل وكل قبيل، بنفس الملامح ونفس السمات ..

التوجيه الثالث: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**..﴾: في هذا التوجيه يرسم السياق صورة وضيئة نيرة في وسط الظلام الحالك، مطمئنة في وسط الزلزال الهالك! واثقة بالله راضية بقضاء الله مستيقنة من نصر الله بعد كل ما كان من خوف وبلبلة واضطراب هنالك!.. فقد كان رسول الله ﷺ في هذا الهول المرعب والضيق المجهد مثابة الأمان للمسلمين ومصدر الثقة والرجاء والإطمئنان. وإن دراسة موقف الرسول ﷺ في هذا الحادث الضخم وغيره في الأحداث التي مرت على المسلمين لما يرسم على قادة الجماعات والحركات طريقهم. وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وتطلب نفسه القدوة الطيبة!..

ثم تأتي صورة الإيمان الواثق المطمئن، وصورة المؤمنين الذين كانت لهم في رسول الله الأسوة الحسنة.. فقد وقفوا مع رسولهم أمام هذا الهول والخطر صامدين مطمئنين يغمرهم الاستبشار واليقين بالنصر المبين: ﴿**ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما**..﴾ فقد كان الهول الذي واجهه المسلمون في هذا الحادث من الضخامة، وكان الكرب الذي واجهوه من الشدة وكان الفزع الذي لقوه من العنف لا يطيقه إلا من آمن بالله وصدّق بوعد الله واقتدى برسول الله واطمأن في النهاية بنصر الله.. فكانوا في هذا نموذجا فريدا في تاريخ البشرية لم يعرف له نظير!. ذلك النموذج الذي يذكر عنه القرآن الكريم مواقفه الماضية، وحسن بلائه وجهاده وثباته على عهده مع الله. فمنهم من لقيه، ومنهم من ينتظر أن يلقاه: ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**..﴾ فهذه الصورة الوضيئة لهذا النموذج من المؤمنين تذكر هنا تكملة لصورة الإيمان في مقابل صورة النفاق والضعف ونقض العهد من ذلك الفريق.. لتتم المقابلة في معرض التربية بالأحداث الضخام وبآيات القرآن العظام! ثم يعقب عليها ببيان حكمة الابتلاء، وعاقبة النقض والوفاء وتفويض الأمر في هذا كله إلى الله الفعال لما يشاء: ﴿**ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما**﴾. ومثل هذا التعقيب يتخلل تصوير الحوادث والمشاهد؛ ليرد الأمر كله إلى الله ويكشف عن حكمة الأحداث والوقائع.. فليس شيء منها عبثا ولا مصادفة.. إنما تقع وفق حكمة مقدرة وتدبير قاصد. وتنتهي إلى ما شاء الله من العواقب، وفيها تتجلى رحمة الله بعباده. ورحمته ومغفرته أقرب وأكبر: وكان الله غفورا رحيما. ويختم الحديث عن الحدث الضخم بعاقبته التي تصدق ظنّ المؤمنين بربهم، وظلال المنافقين والمرجفين وخطأ تصوراتهم.. وتثبت القيم الإيمانية بالنهاية الواقعية: ﴿**ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا**..﴾ فقد بدأت المعركة وسارت في طريقها وانتهت إلى نهايتها، وزمامها في يد الله يصرفها كيف يشاء. وأثبت النص القرآني هذه الحقيقة بطريقة تعبيره، فأسند إلى الله تعالى إسنادا مباشرا كل ما تم من الأحداث والعواقب تقريرا لهذه الحقيقة وتثبيتا لها في القلوب وإيضاحا للتصور الإسلامي.

ولم تدر الدائرة على المشركين من قريش ومن تحزب معهم من العرب وحدهم.. بل دارت كذلك على بني قريظة حلفاء المشركين من اليهود: ﴿**وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا. وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا**..﴾ فكانت بنو قريظة ومن لجأ إليهم من اليهود إلباً وحربا على المسلمين مع المشركين.. فقد نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين. فلم يكن لهم عهد ولا مسالمة بل مناجزة القتال إلى نهاية المشوار معهم.. فكان ما كان من قتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسائهم. وأورث الله المؤمنين أرضهم وديارهم وأموالهم.. وأرضا لم تطئوها. وسترثونها فيما بعد. وقد تحقق هذا الوعد. وهكذا يتم استعراض ذلك الحادث الضخم وقد اشتمل على السنن والقيم والتوجيهات والقواعد التي جاء القرآن ليقيمها في قلوب الجماعة المسلمة وفي حياتها على السواء. وقد شاهدوا تفصيلات الواقعة وأخبروا من جاء بعدها عنها فدونت في تاريخ الإسلام. فهكذا تصبح الأحداث مادة للتربية، ويصبح القرآن دليلا وترجمانا للحياة وأحداثها ولاتجاهها وتصوراتها.. فتستقر القيم وتطمئن القلوب بالابتلاء والاختبار، وبالقرآن وما استنبط منه من وقائع الأخبار !.

التوجيه الرابع: ﴿**يا أيها النبيء، قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما**..﴾: في هذا التوجيه القرار الحاسم بأمر الرسول بتخيير أزواجه بين متاع الدنيا وزينتها، وبين إيثار الله ورسوله والدار الآخرة. وقد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ورضين هذا المقام الكريم.. فهذا القرار الحاسم بيان للقيم التي أراد الله لبيت النبوءة الطاهر أن يمثلها، وإن يكون نموذجا لهذه القيم، ليقوم عليها وإن يكون منارة يهتدي إليها السالكون.. فقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف. لا عجزا عن حياة المتاع.. فقد عاش حتى فتحت له الأرض، وكثرت غنائمها وعم فيؤها، واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد.. ولكن ذلك كان اختيارًا للاستعلاء على متاع الحياة الدنيا ورغبة خالصة فيما عند الله. رغبة الذي يملك ولكنه يعف ويستعلي ويختار. ولم يكن رسول الله مكلفا من عقيدة ولا من شريعة إن يعيش مثل هذه المعيشة التي أخذ بها نفسه وأهل بيته.. فلم

تكن الطيبات محرمة في عقيدته وشريعته، ولم يحرمها على نفسه حين كانت تقدم إليه عفوا بلا تكلف.

وتحصل بين يديه مصادفة واتفاقا، لا جريا وراءها ولا تَشَبُّهاً لها، ولا انغماسا ولا انشغالا بها. ولم يكلف أمته كذلك أن تعيش عيشته التي اختارها لنفسه، إلا أن يختارها من يريد، استعلاء على اللذائذ والمتاع، وانطلاقا من نقلتها إلى حيث الحرية التامة من رغبات النفس وميولها. ونساء النبي كن نساء من البشر لهن مشاعر البشر. وعلى فضلهن وكرامتهن وقربهن من ينابيع النبوءة الكريمة فإن الرغبة الطبيعية في متاع الحياة ظلت حية في نفوسهن.. فلما أن رأين السعة والرخاء بعدما أفاض الله على رسوله وعلى المؤمنين راجعن النبي في أمر النفقة ـ كما روت كتب السيرة ـ فلم يستقبل هذه المراجعة بالترحيب.. إنما استقبلها بعدم الرضا؛ إذ كانت نفسه ترغب أن تعيش فيما اختاره لها من طلاقة وارتفاع ورضى متجردة من الانشغال بمثل ذلك الأمر والاحتفال به أدنى احتفال، وأن تظل حياته وحياة من يلوذون به على ذلك الأفق السامي الوضيئ البرّيء من كل ظلّ لهذه الدنيا وأوشابها. لا بوصفه حلالا وحراما ـ فقد تبين الحلال والحرام ـ ولكن من ناحية التحرر والانطلاق من الفكاك من هواتف هذه الأرض الرخيصة!. لقد جاء القرآن الكريم ليحدد القيم الأساسية في تصور الإسلام للحياة. هذه القيم التي ينبغي أن تجد ترجمتها الحية في بيت النبي وحياته الخاصة، وأن تتحقق في أدق صورة وأوضحها في هذا البيت الذي كانت وسيبقى منارة للمسلمين وللإسلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها. إنه يحدد التصور الإسلامي الواضح للقيم ويرسم الطريق الشعوري للإحساس بالدنيا والآخرة. ويحسم في القلب المسلم كل أرجحة وكل لجلجة بين قيم الدنيا وقيم الآخرة.. فبعد تحديد القيم في أمر الدنيا والآخرة في صورة عملية في حياة النبي وأهل بيته. نجد النص القرآني يأخذ في بيان الجزاء المدخر لأزواج النبي ﷺ وفيه خصوصية لهن وعليهن تناسب مقامهن الكريم، ومكانهن من رسول الله المختار: ﴿**يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما**..﴾ فهذه هي تبعة المكان الكريم الذي هن فيه. وهن أزواج رسول الله وهن أمهات المؤمنين. وهذه الصفة وتلك، كلتاهما ترتبان عليهن واجبات ثقيلة، وتعصمانهن كذلك من

مقارفة الفاحشة.. فإن فرض واقترفت واحدة منهن فاحشة مبينة واضحة لا خفاء فيها كانت مستحقة لضعفين من العذاب. وذلك فرض يبين تبعة المكان الكريم الذي هن فيه.. وكان ذلك على الله يسيرا.. لا تمنعه ولا تصعبه مكانتهن من رسول الله المختار، كما قد يتبادر إلى الأذهان!.

ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا.. والقنوت الطاعة والخضوع. والعمل الصالح هو الترجمة العملية للطاعة والخضوع.. نؤتها أجرها مرتين.. كما أن العذاب يضاعف للمقارفة للفاحشة المبينة ضعفين.. وأعتدنا لها رزقا كريما.. فهو حاضر مهيّأ ينتظرها فوق مضاعفة الأجر، فضلا من الله ومنّة.. ثم يبين الله لأمهات المؤمنين اختصاصهن بما ليس لغيرهن من النساء. ويقرر واجباتهن في معاملة الناس: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء..**﴾ فقد جاء الإسلام فوجد المجتمع العربي كغيره من المجتمعات في ذلك الحين ينظر إلى المرأة على أنها أداة للمتاع وإشباع للغريزة ومن ثم ينظر إليها من الناحية الإنسانية نظرة هابطة. كذلك وجد في المجتمع نوعا من الفوضى في العلاقة الجنسية ووجد نظام الأسرة مخلخلا على نحو ما سبق بيانه في أول السورة.. فلما أن جاء الإسلام أخذ يرفع من نظرة المجتمع إلى المرأة ويؤكد الجانب الإنساني في علاقات الجنسين وفي هذه الآية وفي الآيات التي تليها حديث إلى نساء النبي، وتوجيه لهن في علاقاتهن بالناس.. فهو يبدأ بإشعار نفوسهن بعظيم مكانهن ورفيع مقامهن وفضلهن على النساء كافة، وتفردهن بذلك المكان بين نساء العالمين: يا نساء النبي لستن كأحد من النساء! وبعد أن يبين منزلتهن يأخذ في بيان الوسائل التي يريد الله أن يذهب بها الرجس عن أهل البيت ويطهرهم تطهيرا: ﴿**إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض..**﴾

فهذا أول نهي يتعلق بالتقوى المطلوب من نساء النبي حين يبدأ بتوجيههن حين يخاطبن الرجال الأغراب.. فلا يكن في كلامهن ونبراتهن ذلك الخضوع اللين الذي يثير شهوات الرجال ويحرك غرائزهن فيطمع مرضى القلوب في الوصول إلى مطلوبهم الخبيث من رغائبهم ومن هنّ التي يحذرهن الله هذا التحذير؟ إنهن أزواج النبي ﷺ وأمهات المؤمنين اللواتي لا يطمع فيهن طامع ولا يرف عليها خاطر مريض، فيما يبدو للعقل أول مرة!. وفي أي عهد يكون هذا

التحذير؟ إنه في عهد النبي وعهد الصفوة المختارة من البشرية في جميع الأعصار!.. ولكن الله الذي خلق الرجال والنساء يعلم أن في صوت المرأة حين تخضع بالقول وتترقق في اللفظ ما يثير الطمع في قلوب.. ويهيج الفتنة في قلوب.. فإن القلوب المريضة التي تثار وتطمع موجودة في كل عهد وفي كل بيئة وتجاه كل امرأة ـ ولو كانت هي زوج النبي الكريم وأم المؤمنين! وإنه لا طهارة من الدنس ولا تخلص من الرجس حتى تمتنع الأسباب المثيرة من الأساس. ﴿**وقلن قولا معروفا**﴾: نهاهن من قبل عن النبرة اللينة واللهجة الخاضعة، وأمرهن في هذه أن يكون حديثهن في أمور معروفة غير منكرة.. فإن موضوع الحديث قد يطمع، مثل لهجة الحديث.. فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء ولا هذر ولا هزل ولا دعابة ولا مزاح؛ كي لا يكون مدخلا إلى شيء آخر وراءه من قريب أو من بعيد!. والله سبحانه الخالق العليم بخلقه وطبيعة تكوينهم هو الذي يقول هذا الكلام لأمهات المؤمنين الطاهرات؛ كي يراعينه في خطاب أهل زمانهن خير الأزمنة على الإطلاق! ﴿**وقرن في بيوتكن**﴾: البيت: هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى غير مشوهة ولا منحرفة ولا ملوثة ولا مكدودة في غير التي هيأها الله لها بالفطرة. ولكي يُهيّئ الإسلام للبيت جوه ويهيئ للفراخ الناشئة فيه رعايتها أوجب على الرجل النفقة وجعلها؛ كي يتاح للأم من الجهد ومن الوقت ومن هدوء البال ما تشرف به على هذه الفراخ الزغب، وما تهيأ به للمثابة نظامها وعطرها وبشاشتها.. فالأم المكدودة بالعمل للكسب المرهقة بمقتضيات العمل المقيدة بمواعيد المستغرقة الطاقة فيه لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره، ولا يمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها. وبيوت الموظفات والعاملات ما تزيد على جو الفنادق والخانات. وما يشيع فيها ذلك الأرج الذي يشيع في البيت. فحقيقة البيت لا توجد إلا إذا حققتها امرأة. وأرج البيت لا يفوح إلا أن تطلقه زوجة. وحنان البيت لا يشيع إلا أن تتولاه أم والمرأة أو الزوجة أو الأم التي تقضي وقتها وجهدها وطاقتها الروحية في العمل لن يطلق في جو البيت إلا الإرهاق والكلال والملال. وإن خروج المرأة لتعمل كارثة على البيت ـ قد تبيحها الضرورة ـ أما أن يتطوع لها الناس وهم قادرون على اجتنابها فتلك هي اللعنة التي تصيب الأرواح والضمائر والعقول في عصور الانتكاس والشرور والضلال.. فأما خروج المرأة لغير العمل.. تروجها

للاختلاط ومزاولة الملاهي والتسكع في النوادي والمجتمعات.. فذلك هو الارتكاس في الحمأة التي يرد البشر إلى مراتع الحيوان!..

﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾: فقد كانت المرأة في الجاهلية تتبرج.. ولكن جميع الصور التي تروى عن تبرج الجاهلية الأولى تبدو ساذجة، أو محتشمة حين تقاس إلى تبرج أيامنا هذه في جاهليتنا الحاضرة!.. فالجاهلية ليست فترة معينة من الزمان.. إنما هي حالة اجتماعية ذات تصورات للحياة ويمكن أن توجد هذه الحالة، وأن يوجد هذا التصور في أي زمان وفي أي مكان..فيكون دليلا على الجاهلية حيث كان!. وبهذا المقياس تجد الآن الناس تعيش فترة جاهلية عمياء بلا إحساس.. فلا طهارة ولا زكاة ولا بركة في مجتمع يحيا هذه الحياة الغارقة في الأوحال والأدناس. ولا يأخذ بوسائل التطهر والنظافة التي جعلها الله سبيل البشرية إلى التطهر من الأرجاس. والقرآن الكريم يوجه نساء النبي إلى تلك الوسائل لكونهن خير النساء أخرجت للناس!.. ثم يربط قلوبهن بالله ويرفع أبصارهن إلى الأفق الأعلى: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة: ﴿**وأقمن الصلاة وآتين الزكاة**..﴾ فعبادة الله ليست بمعزل عن السلوك الاجتماعي أو الأخلاقي في الحياة.. إنما هي الطريق للارتفاع إلى ذلك المستوى، والزاد الذي يقطع به السالك الطريق فلا بد من صلة بالله، يأتي منها المدد والزاد. ولا بد من صلة بالله تطهر القلب وتزكيه.. فمن ثم كان الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.. وقبل هذين وبعدهما طاعة الله ورسوله: ﴿**وأطعن الله ورسوله.. إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾!!..

فالنص يسمي نساء النبي أهل البيت بدون وصف للبيت ولا إضافة.. فكأنما هذا البيت هو البيت الواحد في هذا العالم، المستحق لهذه الصفة.. فإذا قيل البيت فقد عرف وحدد ووصف!.. فالتعبير عن بيت الرسول كذلك تكريم وتشريف واختصاص عظيم!!.. ثم يختم النص هذه التوجيهات لنساء النبي بمثل ما بدأها به.. بتذكيرهن بعلو مكانتهن وامتيازهن على بقية النساء لمكانتهن وبما أنعم الله عليهن.. فجعل بيوتهن مهبط القرآن ومنزل الحكمة ومشرق النور والهدى والإيمان: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة. إن الله كان لطيفا خبيرا**..﴾ فهذا التذكير يجيء في ختام الخطاب الذي بدأ بتخيير نساء

النبي بين متاع الحياة الدنيا وزينتها.. وبين ما عند الله ورسوله من نعمة وفضل وكرامة.. فتبدو جزالة النعمة التي ميزهن الله بها.. فتبدو معها ضآلة الحياة الدنيا بمتاعها كله وزينتها لا قيمة لها!.. فهذا البيت وأهله يصبح مدرسة الإسلام الأولى ونساء النبي يكن المعلمات والمربيات والمرشدات والموجهات للنساء والرجال على السواء!!..

1 ـ ذكر صفات المسلمين والمسلمات، يقابله ذكر صفات المنافقين والمنافقات

النص

* إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (35) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (36) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (38) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (39) * مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42)
هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ
وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (44) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (46)
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (47)
وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (48) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ
ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (49) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ
أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ
وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ
مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (50)
* تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ
عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ
وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿51﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ
وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿52﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَدْخُلُواْ بِيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمُۥٓ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ
نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَانتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمُۥ كَانَ يُؤْذِي
ٱلنَّبِيٓءَ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ
وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ
ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمُۥٓ أَن تُؤْذُواْ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا
إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿53﴾ إِن
تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿54﴾
* لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ
وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ
وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَاتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿55﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ
عَلَى ٱلنَّبِيٓءِ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿56﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ

فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿57﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا
وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿58﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ
أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿59﴾
* لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ
فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿60﴾ مَّلْعُونِينَ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿61﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ
فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿62﴾
يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿63﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿64﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا
لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿65﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ
يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿66﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا
وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿67﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا ﴿68﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟
كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ
وَجِيهًا ﴿69﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿70﴾

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ * إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿72﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿73﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**إن المسلمين والمسلمات**﴾: الداخلين في السلْم المنقادين لحكم الله. من الذكور والإناث. ﴿**والمؤمنين والمؤمنات**﴾: المصدقين بما يجب أن يصدق به من الفريقين. ﴿**والقانتين والقانتات**﴾: المداومين على الطاعة القائمين بها من الفريقين. ﴿**والصادقين والصادقات**﴾: الصادق ضد الكاذب. والمرأة صادقة. ﴿**والصابرين والصابرات**﴾: الصبر نقيض الجزع. والرجل صابر والمرأة صابرة. ﴿**والخاشعين والخاشعات**﴾: الخشوع الخضوع. والسكون. والتذلل والتواضع. والرجل خاشع والمرأة خاشعة. ﴿**والمتصدقين والمتصدقات**﴾: تصدق بماله أخرجه صدقة لله. وتصدق من ماله أخرج بعضه، والرجل متصدق. والمرأة متصدقة. ﴿**والصائمين والصائمات**﴾: الصوم: الإمساك عن الطعام. والشراب. والكلام. والنكاح. والسير. والرجل صائم والمرأة صائمة. والمراد به هنا الصيام الشرعي. وهو الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح يوما كاملا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله والفرض منه صيام شهر رمضان، ﴿**والحافظين فروجهم والحافظات**﴾: حفظ الفرج صيانته عن الزنا. والرجل حافظ فرجه. والمرأة حافظة فرجها.

﴿**والذاكرين الله كثيرا والذاكرات**﴾: ذكر الله كثيرا المواظبة والمحافظة على العبادة الشاملة للصلاة والدعاء والثناء بالحمد والتسبيح. . ﴿**أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾: هيّأ الله لهم مغفرة لما صدر منهم من مخالفات قد تطرأ للمسلم. . وأجرا عظيما جزاء بما عملوا من الطاعات. . ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾: ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين والمؤمنات إذا قرر الله ورسوله أمرا من أمورهم أن تكون لهم الخيرة، بأن يختاروا هم ما يشاءون. . بل يجب عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. ﴿**ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا. .**﴾ ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. .**﴾ الذي أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم عليه الرسول بالعتق هو زيد بن حارثة الذي ذكر حكمه في أول السورة. ﴿**فلمّا قضى زيد منها وطرا زوجناكها. .**﴾ ذكر زيد هنا لتعيينه باسمه الحقيقي لا بوصفه التلفيقي. والوطر الحاجة. زوجناكها: أمرناك أن تتزوج زينب بعد طلاقها من زيد: ﴿**لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا**﴾: المقصود من هذا الحكم إبطال ما كانوا عليه في الجاهلية من أن المتبنّى له حكم الابن. ﴿**وكان أمر الله مفعولا. .**﴾ فلا يُرد. ﴿**ما كان على النبيء من حرج فيما فرض الله له**﴾: ما صح وما استقام في الحكمة الربانية أن يكون على الرسول ضيق فيما قسم وقدر له في هذا الحكم: ﴿**سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا**﴾: هذه هي الطريق الواضح في حكم الله مع رسله السابقين: فلا حرج على الرسول الخاتم أن ينفذ حكم الله المقدر في السابقين واللاحقين إلى يوم الدين. ﴿**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا. .**﴾ الذين يبلغون رسالات الله: هم الرسل الكرام عليهم وعلى رسولنا الصلاة والسلام. فهم الذين نفذوا هذه الأحكام دون خوف من أحد ولا ملام! . .

﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**﴾: نفى الله أبوة محمد عن الناس حتى لا يكون لأحد ادعاء بجعل هذه الأبوة خصوصية له. . ولكن رسول الله: ﴿**ولكن**﴾ كان محمد ﴿**رسول الله**﴾ يدعو جميع الناس إلى ما أرسل من أجله من دعوتهم إلى الله والعمل بما جاء به رسول الله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ . .

﴿**وخاتم النبيئين**﴾: ﴿**وكان محمد خاتم النبيئين.. فلا نبيء بعده ولا رسول من باب أولى!وكان الله بكل شيء عليما**﴾: يعلم من يتلاعب بهذه الأحكام.. فينتسب إلى محمد ويتطاول على الناس بهذا النسب. أو يدعي النبوءة ويتحكم على الناس بما يفرضه عليهم بالزور والكذب. ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا**﴾: وجّه الله المؤمنين إلى العمل بما جاء به الرسول محمد ﷺ من الذكر والتسبيح في أوقات الصلاة التي حددها الله بالأوقات المحددة الصفات والهيآت.. ﴿**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور..**﴾ في هذا تحريض للمؤمنين على ملازمة الطاعة والعمل بما جاء به محمد ﷺ لما فيه من الرحمة من الله والاستغفار من الملائكة! هذا هو النور الذي وضحه الله وأظهره للناس؛ ليكون على بينة من أمرهم. ويتضح مآل المؤمنين منهم: ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام. وأعد لهم أجرا كريما**﴾!!.. ﴿**يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**﴾: هذه هي وظيفة النبيء محمد التي كلف ببيانها للناس: هو رسول من الله شاهد لهم أو عليهم، بشير للمؤمنين بالنعيم المقيم. ونذير للكافرين بالعذاب الأليم، نور واضح بالسراج المنير يدعو إلى ربه على هذا الأمر الخطير. ﴿**وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا.. ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا..**﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدّونها..**﴾ نكحتم هنا بمعنى عقدتم النكاح.. ثم حصل الطلاق قبل الوطء فلا عدة على المطلقة لبراءة رحمها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا.. متعة المرأة: ما وصلت به بعد الطلاق. والسَّراحُ الجميل: الطلاق بغير ضرر ولا منع حق وهو اسم مصدر. والمصدر التسريح.

﴿**يا أيها النبيء إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن**﴾: أحللنا: جعلناه حلالا غير حرام، وأجورهن: مهورهن. وهو الصداق المقدر للمرأة مقابل نكاحها. ﴿**وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك**﴾: المرأة المأخوذة في القتال بين المسلمين والكافرين. ﴿**وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتِى هاجرن معك**﴾: هؤلاء من جملة من أحلها الله للنبي.. ﴿**وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ أن أراد النبيء أن يستنكحها**﴾: المرأة المؤمنة تهب نفسها للنبيء دون صداق.. وهي خصوصية له ﷺ دون غيره من المؤمنين: ﴿**خالصة لك من**

دون المؤمنين. قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم.. لكي لا يكون عليك حرج .. وكان الله غفورا رحيما﴾.. ﴿ترجي من تشاء منهن﴾: تؤخر من تشاء من نسائك وتترك قربها. أرجى أخّر. **﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾**: تضم إليك من تشاء منهن وتعاشرها.. **﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾**: لا حرج عليك فيما ذكر: **﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنّ ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾**: ما ذكر من تفويض الأمر إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن ورضاهن .. **﴿والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما..﴾ ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك..﴾** لا يحل لك: لا يجوز لك أن تتزوج بعد هؤلاء اللاتى اخترنك ورضين بحكم الله ورسوله.. ولا تبديل واحدة منهن بأخرى. وهن التسع اللاتي بقين بعد الرسول ﷺ وهن: عائشة بنت أبي بكر.. وحفصة بنت عمر.. وأم حبيبة بنت أبي سفيان.. وسودة بنت زمعة.. وأم سلمة بنت أبي أمية.. وصفية بنت يحيى .. وميمونة بنت الحارث الهلالية.. وزينب بنت جحش الأسدية.. وجويرية بنت الحارث المصطلقية. **﴿وكان الله على كل شيء رقيبا..﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾**: نهى المؤمنين عن دخول بيوت أزواج النبيء بدون إذن. **﴿إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه..﴾** غير منتظرين وقته.. **﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا. فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث.. إن ذلكم كان يؤذي النبيء. فيستحي منكم والله لا يستحيي من الحق﴾. ﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن.. وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما. إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما﴾**: هذه أحكام تتعلق بنساء النبي وبيوتهن خاصة.. ثم يبين من لا يجب الاحتجاب عنهم: **﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن.. واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا﴾. ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾**: الصلاة من الله الرحمة. ومن الملائكة الاستغفار. **﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾**: الصلاة من المؤمنين الدعاء.. فهذا تعظيم وتشريف للنبي ﷺ من الله ومن الملائكة ومن المؤمنين. **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا**

والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾: الذين يؤذون الله هم اليهود الذين يقولون عزير ابن الله، والنصارى الذين يقولون المسيح ابن الله، والمشركون الذين يقولون إن الأصنام شفعاؤنا عند الله. ويؤذون رسول الله بإنكارهم رسالته وما جاء به من عند الله. لعنهم: طردهم وأبعدهم من رحمته. **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾**: هؤلاء هم المنافقون الذين يشيعون الفاحشة في حق المؤمنين والمؤمنات.. **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾**: أمر الله ورسوله بأن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين: بأن يتسترن بالجلابيب: **﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين.. وكان الله غفورا رحيما﴾**. **﴿لئن لم ينتهِ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم﴾**: لئن لم يكف هؤلاء الأصناف الثلاثة عما هم عليه من إيذاء المؤمنين بالقول والفعل لنغرينك بهم: **﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا!!.. ملعونين﴾**: مطرودين مبعدين عن المؤمنين منهزمين: **﴿أين ما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾**: جملة شرطية تبين كيفية الإغراء بهم. **﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل.. ولن تجد لسنة الله تبديلا..﴾** فهذا هو الإنذار النهائي للمنافقين في المدينة. وبعده استتروا واندثروا وذهبت ريحهم.. **﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا.. إنّ الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا.. خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا.. يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾**: مفردات هذه الآيات واضحة فلا تحتاج إلى بيان.

﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا.. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا..﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى.. فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها.. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما..﴾ ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا..﴾ الأمانة: التكاليف الشرعية التي جاء بها الأنبياء من ربهم. **﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما..﴾**

مبحث الإعراب

﴿**إن المسلمين**﴾ إن واسمها. ﴿**والمسلمات**﴾ معطوف عليه. ﴿**والمؤمنين**﴾ و﴿**المؤمنات** ﴾ معطوف على المسلمين والمسلمات. ومثلها بقية المعطوفات إلى قوله: والذاكرين الله كثيرا والذاكرات. ﴿**أعد الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعد. ﴿**مغفرة**﴾ مفعول به. و﴿**أجرا**﴾ معطوف على مغفرة. ﴿**عظيما**﴾ نعت للمعطوف ـ أجرا ـ وجملة أعد الله لهم مغفرة خبر إنَّ. و﴿**ما كان**﴾ فعل ماض تام بمعنى صح منفي بما. والواو للعطف. ﴿**لمؤمن**﴾ متعلق بكان. و﴿**لا مؤمنة**﴾ معطوف على مؤمن. ﴿**إذا**﴾ ظرف في محل نصب متعلق بكان. ﴿**قضى الله**﴾ فعل وفاعل. و﴿**رسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**أمرا**﴾ مفعول به. ﴿**أن تكون**﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر تكون. ﴿**الخيرة**﴾ اسم تكون. ﴿**من أمرهم**﴾ متعلق بالخيرة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل كان. و﴿**من**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يعص**﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف الياء. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**الله**﴾ مفعول به. و﴿**رسوله**﴾ معطوف عليه. ﴿**فقد ضل**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**ضلالا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**بعيدا**﴾ نعت له. وجملة فقد ضل جواب شرط من. والفاء رابطة للجواب لوجود قد فيه. ﴿**وإذْ**﴾ في محل نصب ظرف متعلق بفعل مقدر. ﴿**تقول**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**للذي**﴾ متعلق بتقول. ﴿**أنعم الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**عليه**﴾ متعلق بأنعم. والجملة صلة الموصول.

﴿**وأنعمت**﴾ فعل و﴿**فاعل**﴾ معطوف على أنعم الله. ﴿**عليه**﴾ متعلق بأنعمت. ﴿**أمسك**﴾ فعل أمر. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**عليك**﴾ متعلق بأمسك. ﴿**زوجك**﴾ مفعول به. ﴿**واتقِ**﴾ معطوف على أمسك. مبني على حذف الياء. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**وتخفي**﴾ فعل مضارع معطوف على تقول. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**في نفسك**﴾ متعلق بتخفي. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول تخفي. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**مبديه**﴾ خبر المبتدأ. والجملة صلة ما. ﴿**وتخشى**﴾ معطوف على تخفي. ﴿**الناس**﴾ مفعول به، ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**أحق**﴾ خبره ﴿**أن تخشاه**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير المخاطب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بأحق.

﴿فلما﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. والفاء للتعقيب. **﴿قضى زيد﴾** فعل وفاعل. والجملة فعل شرط لمّا. **﴿منها﴾** متعلق بقضى. **﴿وطرا﴾** مفعول به. **﴿زوجناكها﴾** فعل وفاعل ومفعولين. والضمائر الثلاثة ضمائر متصلة. والجملة جواب شرط لما. **﴿لكي لا يكون﴾** فعل مضارع منصوب بكي. واللام للتعليل. ولا للنفي. **﴿على المؤمنين﴾** متعلق بمحذوف خبر يكون. أو متعلق به إذا كان الفعل تاما. **﴿حرج﴾** اسم يكون أو فاعله. **﴿في أزواج﴾** متعلق بحرج. **﴿أدعيائهم﴾** مضاف إلى أزواج. **﴿إذا﴾** في محل نصب ظرف متعلق بحرج. **﴿قضوا﴾** فعل وفاعل **﴿منهن﴾** متعلق بقضوا. **﴿وطرا﴾** مفعول به. **﴿وكان أمر﴾** كان واسمها. **﴿الله﴾** مضاف إلى أمر. **﴿مفعولا﴾** خبر كان. والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله. **﴿ما كان﴾** ما ثبت. **﴿على النبي﴾** متعلق بكان. **﴿من حرج﴾** مجرور بمن الزائدة في محل رفع فاعل. **﴿فيما﴾** متعلق بحرج. **﴿فرض الله﴾** فعل وفاعل. والجملة صلة ما. **﴿له﴾** متعلق بفرض. **﴿سنة﴾** مفعول مطلق لفعل مقدر. **﴿الله﴾** مضاف إلى سنة. **﴿في الذين﴾** متعلق بسنة. **﴿خلوا﴾** فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. **﴿من قبل﴾** متعلق بخلو. **﴿وكان أمر الله قدرا﴾** إعرابه مثل إعراب وكان أمر الله مفعولا. **﴿مقدورا﴾** نعت لخبر كان. **﴿الذين﴾** في محل جر نعت للذين خلوا. **﴿يبلغون رسالات﴾** فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. **﴿الله﴾** مضاف إلى رسالات. **﴿ويخشونه﴾** معطوف على يبلغون رسالات الله. **﴿ولا يخشون﴾** **﴿أحدا﴾** معطوف على يخشونه. **﴿إلا الله﴾** مستثنى بما قبله منصوب على الاستثناء. **﴿وكفى بالله حسيبا﴾** تقدم إعراب مثله عند قوله تعالى: وكفى بالله وكيلا في أول هذه السورة. **﴿ما كان محمد﴾** كان واسمها. وما نافية. **﴿أبا﴾** خبر كان منصوب بالألف. **﴿أحد﴾** مضاف إلى أبا.

﴿من رجالكم﴾ متعلق بمحذوف نعت لأحد. **﴿ولكن﴾** حرف استدراك والواو للعطف. **﴿رسول﴾** خبر كان المقدم بعد لكن. أي: ولكن كان محمد رسول **﴿الله﴾** مضاف إلى رسول. **﴿وخاتم﴾** معطوف على رسول الله. **﴿النبيئين﴾** مضاف إلى خاتم مجرور بالياء. **﴿وكان الله﴾** كان واسمها. والواو للعطف. **﴿بكل﴾** متعلق بالخبر الآتي. **﴿شيء﴾** مضاف إلى كل **﴿عليما﴾** خبر كان. **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله﴾** تقدم إعراب مثله عند قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله. **﴿ذكرا﴾** مفعول مطلق. **﴿كثيرا﴾** نعت له. **﴿وسبّحوه﴾** معطوف

على اذكروا الله. ﴿**بكرة**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**وأصيلا**﴾ معطوف عليه. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**يصلي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الذي. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيصلي. والجملة صلة الموصول. ﴿**وملائكته**﴾ معطوف على الفاعل. ﴿**ليخرجكم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. والفاعل ضمير يعود على الذي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بيصلي. ﴿**من الظلمات إلى النور**﴾ متعلقان بيخرجكم. ﴿**وكان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الذي. ﴿**بالمؤمنين**﴾ متعلق بالخبر بعده: ﴿**رحيما**﴾ خبر كان. ﴿**تحيتهم**﴾ مبتدأ. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بتحيتهم. ﴿**يلقونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**سلام**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**وأعد**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الذى. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعد. ﴿**أجرا**﴾ مفعول به. ﴿**عظيما**﴾ نعت له. ﴿**يا أيها النبيء**﴾ تقدم إعراب مثلها في أول السورة. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**أرسلناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إن. ﴿**شاهدا**﴾ حال من ضمير المخاطب. ﴿**ومبشرا**﴾ ﴿**ونذيرا**﴾ ﴿**وداعيا**﴾ معطوفات على ما قبلها. . ﴿**إلى الله**﴾ ﴿**بإذنه**﴾ متعلقان بقوله: داعيا. ﴿**وسراجا**﴾ معطوف على قوله: شاهدا، ﴿**منيرا**﴾ نعت لـ «سراجا». ﴿**وبشر**﴾ أمر موجه إلى النبي. ﴿**المؤمنين**﴾ مفعول به، ﴿**بأن لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدم. ﴿**من الله**﴾ متعلق بالخبر المقدم. ﴿**فضلا**﴾ اسم أن مؤخر، ﴿**كبيرا**﴾ نعت له. وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق ببشر. ﴿**ولا تطع**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل ضمير المخاطب يعود على النبي. ﴿**الكافرين**﴾ مفعول به ﴿**والمنافقين**﴾ معطوف عليه. ﴿**ودع**﴾ أمر معطوف على النهي. ﴿**أذاهم**﴾ مفعول به. ﴿**وتوكل**﴾ معطوف على الأمر قبله. ﴿**على الله**﴾ متعلق بتوكل.

﴿**وكفى**﴾ ﴿**بالله**﴾ ﴿**وكيلا**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ علم إعرابه مما سبق. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**نكحتم المؤمنات**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة فعل شرط إذا. ﴿**ثم طلقتموهن**﴾ مرتب على جملة نكحتم المؤمنات. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أن تمسوهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية فتؤوّل الجملة بمصدر مجرور مضاف إلى قبل. ﴿**فما لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عليهن**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**من عدة**﴾

اسم مجرور بمن الزائدة في محل رفع خبر مؤخر. والجملة جواب شرط إذا. ﴿**تعتدونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لعدة. ﴿**فمتعوهن**﴾ مفرع على جواب شرط إذا. ﴿**وسرحوهن**﴾ معطوفة على ما قبله. ﴿**سراحا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**جميلا**﴾ نعت له. يا أيها النبي ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. . ﴿**أحللنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إن. ﴿**لك**﴾ متعلق بأحللنا. ﴿**أزواجك**﴾ مفعول به. ﴿**اللاتى**﴾ في محل نصب نعت لأزواجك، ﴿**آتيت أجورهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول ثان والمفعول الأول مقدر والتقدير: آتيتهنّ أجورهن. ﴿**وما**﴾ في محل نصب معطوف على أزواجك. ﴿**ملكت يمينك**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**مما**﴾ متعلق بملكت. ﴿**أفاء الله**﴾ فعل وفاعل والجملة صلة ما. ﴿**عليك**﴾ متعلق بأفاء. ﴿**وبنات**﴾ معطوف على أزواجك. منصوب بالكسرة. ﴿**عمك**﴾ مضاف إلى بنات. ﴿**وبنات عماتك**﴾ ﴿**وبنات خالك**﴾﴿ **وبنات خالاتك**﴾ معطوفات على بنات عمك. ﴿**اللاتي**﴾ في محل نصب نعت لبنات. ﴿**هاجرن**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**معك**﴾ متعلق بهاجرن. ﴿**وامرأة**﴾ عطف على مفعول أحللنا. ﴿**مؤمنة**﴾ نعت لامرأة. ﴿**إن وهبت**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الشرط. والفاعل ضمير يعود على امرأة. ﴿**نفسها**﴾ مفعول به. ﴿**للنبي**﴾ متعلق بوهبت. وجواب الشرط محذوف. فله أن يتزوجها بشرط: ﴿**إن أراد النبي**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط. ﴿**أن يستنكحها**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب بأراد. وجواب الشرط ما دل عليه الجواب السابق. ﴿**خَالِصَةً**﴾ حال من امرأة مؤمنة. ﴿**لك من دون**﴾ متعلقان بخالصة. ﴿**المؤمنين**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**قد علمنا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق.

﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**فرضنا**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**عليهم**﴾ ﴿**في أزواجهم**﴾ متعلقان بفرضنا. ﴿**وما**﴾ في محل نصب عطف على ما في قوله: قد علمنا ما فرضنا. ﴿**ملكت أيمانهم**﴾ فعل وفاعل صلة ما. ﴿**لكي لا يكون عليك حرج**﴾ تقدم إعراب مثلها في قوله: لكي لا يكون على المؤمنين حرج. ﴿**وكان الله غفورا رحيما**﴾ إعراب هذه الجملة معلوم مما سبق. ﴿**ترجى**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب عائد على النبي. ﴿**من**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**تشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب. والجملة صلة من. ﴿**منهن**﴾ متعلق بترجى. ﴿**وتؤوي**﴾ معطوف على ترجى. ﴿**إليك**﴾ متعلق بتؤوي.

﴿**من تشاء**﴾ مثل من تشاء السابقة في الإعراب. ﴿**ومن ابتغيت**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه من الشرطية. ﴿**ممن**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عزلت**﴾ فعل وفاعل صلة من. ﴿**فلا جناح**﴾ لا واسمها. ﴿**عليك**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. والفاء رابطة لجواب شرط من. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أدنى**﴾ خبر المبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف . ﴿**أن تقر أعينهن**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بأدنى. والتقدير: ذلك أقرب إلى قرة عيونهن. ﴿**ولا يحزَنّ**﴾ فعل مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة. ﴿**ويرضين**﴾ معطوف عليه. ﴿**بما**﴾ متعلق بيرضين. ﴿**آتيتهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ما. ﴿**كلهن**﴾ توكيد للضمير الفاعل في يرضين. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله والجملة خبر المبتدأ. ﴿**ما**﴾: في محل نصب مفعول به. ﴿**في قوبكم**﴾: متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وكان الله عليمًا حليما**﴾ إعراب هذه الجملة معلوم مما سبق. ﴿**لا يحل**﴾ فعل مضارع منفي بلا. ﴿**لك**﴾ متعلق به. ﴿**النساء**﴾ فاعل. ﴿**من بعدُ**﴾ متعلق بقوله: لا يحل. ﴿**ولا أن تبدل**﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع معطوف على فاعل لا يحل . ـ النساء ـ ﴿**بهن**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من أزواج**﴾ مجرور بمن الزائدة في محل نصب مفعول بتبدل. ﴿**ولو أعجبك حسنهن**﴾ قصد من هذه الجملة الواقعة بعد لو الوصلية المبالغة في المنع السابق . ومثلها في القرءان كثير. ﴿**إلا ما**﴾ في محل نصب على الاستثناء بإلاّ. ﴿**ملكت يمينك**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وكان الله**﴾ كان واسمها.

﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**رقيبا**﴾ خبر كان. ﴿**يا أيها الذين أمنوا**﴾ إعراب هذه الجملة معلوم مما سبق. ﴿**لا تدخلوا بيوت**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**النبيء**﴾ مضاف إلى بيوت. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**أن يؤذن**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن المصدرية. ﴿**لكم إلى طعام**﴾ متعلقان بيؤذن. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بلا تدخلوا. أي: لا تدخلوا بيوت النبيء في أي حال من الأحوال إلا في حال كونكم مصحوبين بالإذن. ﴿**غير**﴾ منصوب على الحال من واو الجماعة في قوله: لا تدخلوا. ﴿**ناظرين**﴾ مضاف إلى غير.

﴿**إناه**﴾ مفعول باسم الفاعل منصوب بفتحة مقدرة على الألف. والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ولكن**﴾ حرف استدراك. والواو للعطف. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط، ﴿**دعيتم**﴾ الفعل ونائب الفاعل فعل شرط إذا. ﴿**فادخلوا**﴾ أمر موجّه إلى المخاطبين جواب شرط إذا. ﴿**فإذا طعمتم فانتشروا**﴾: جملة الشرط وجوابه مرتبة على الشرط وجوابه الذي قبلها. ﴿**ولا مستأنسين**﴾ معطوف على ناظرين مجرور بالياء. ﴿**لحديث**﴾ متعلق بمستأنسين. ﴿**إن ذلكم**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على ذلكم ﴿**يؤذي**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على اسم كان. ﴿**النبيء**﴾ مفعول به. وجملة يؤذي خبر كان. وجملة كان يؤذي خبر إن. وجملة إن ذلكم كان يؤذي النبي تعليلية. ﴿**فيستحيي**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التعقيب. والفاعل ضمير يعود على النبي. ﴿**منكم**﴾ متعلق بيستحيي. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**لا يستحيي**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على الله وجملة لا يستحيي خبر المبتدأ. ﴿**من الحق**﴾ متعلق بيستحيي. ﴿**وإذا سألتموهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول وقع شرطا لإذا. ﴿**متاعا**﴾ مفعول ثان. ﴿**فاسألوهن**﴾ أمر وقع جوابا لإذا. ﴿**من وراء**﴾ متعلق بفعل الأمر. ﴿**حجاب**﴾ مضاف إلى وراء والفاء رابطة للجواب. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أطهر**﴾ خبره. ﴿**لقلوبكم**﴾ متعلق بأطهر. ﴿**وقلوبهن**﴾ معطوف على قلوبكم. ﴿**وما كان لكم**﴾ الواو للعطف. وما نافية. كان تامة. لكم متعلق بكان. أي: وما صح لكم ﴿**أن تؤذوا رسول الله**﴾. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع فاعل كان. ﴿**ولا أن تنكحوا أزواجه**﴾ معطوف على قوله: أن تؤذوا رسول الله. ﴿**من بعده أبدا**﴾ متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿**إن ذلكم كان**﴾ تقدم إعراب مثله.

﴿**عند**﴾ متعلق بخبر كان. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**عظيما**﴾ خبر كان. وجملة كان عند الله عظيما خبر إن. ﴿**إن**﴾ حرف شرط جازم. ﴿**تبدوا شيئا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**أو تخفوه**﴾ معطوف على تبدوا شيئا. ﴿**فإن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الله. ﴿**بكل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عليما**﴾ خبر كان. وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن. وجملة إن واسمها وخبرها جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿**لا جناح**﴾ لا واسمها. ﴿**عليهن**﴾ متعلق بمحذوف خبر لا. ﴿**في آبائهن**﴾ متعلق بما تعلق به عليهن. ﴿**ولا أبنائهن ولا إخوانهن**﴾ معطوفان على آبائهن. ﴿**ولا أبناء**﴾ كذلك.

﴿**إخوانهن**﴾ مضاف إلى أبناء. ومثله ﴿**ولا أبناء**﴾ أخواتهن. ﴿**ولا نسائهن**﴾ أيضا. ﴿**ولا ما**﴾ في محل جر. ﴿**ملكت أيمانهن**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**واتقين**﴾ أمر موجه إلى المخاطبات. ﴿**الله**﴾ مفعول باتقين. ﴿**إن الله كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الله. ﴿**على كل شيء**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**شهيدا**﴾ خبر كان.. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**وملائكته**﴾ معطوف على الله منصوب بالفتحة. ﴿**يصلون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر إن .﴿**على النبي**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إعرابه معلوم. ﴿**صلوا**﴾ أمر.. ﴿**عليه**﴾ متعلق به. ﴿**وسلموا**﴾ معطوف عليه. ﴿**تسليما**﴾ مفعول مطلق. ﴿**إن الذين**﴾ إن واسمها. ﴿**يؤذون الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**لعنهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. والجملة خبر إن. ﴿**في الدنيا**﴾ متعلق بلعنهم. ﴿**والآخرة**﴾ معطوف على الدنيا.. ﴿**وأعد**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة معطوفة على لعنهم. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعد. ﴿**عذابا**﴾ مفعول به. ﴿**مهينا**﴾ نعت له. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يؤذون المؤمنين**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**والمؤمنات**﴾ معطوف على المؤمنين. ﴿**بغير**﴾ متعلق بيؤذون. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى غير. ﴿**اكتسبوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**فقد احتملوا بهتانا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق وفاء التعقيب. ﴿**وإثما**﴾ عطف على المفعول «بهتانا». ﴿**مبينا**﴾ نعت له. وجملة فقد احتملوا خبر المبتدأ. ﴿**يا أيها النبي** ﴿**قل لأزواجك**﴾ متعلق بقل. ﴿**وبناتك**﴾ معطوف على أزواجك. ﴿**ونساء**﴾ كذلك. ﴿**المؤمنين**﴾ مضاف إلى نساء. ﴿**يدنين**﴾ فعل وفاعل.

﴿**عليهن من جلابيبهن**﴾ متعلقان بيدنين. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ ﴿**أدنى**﴾ خبر المبتدأ. مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**أن يعرفن**﴾ فعل ونائب فاعل. دخلت عليه أن الناصبة المصدرية. والفعل مبني على السكون في محل نصب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بأدنى. ﴿**فلا يؤذين**﴾ الفعل ونائب الفاعل مرتب بالفاء على ما قبله.. ﴿**وكان الله غفورا رحيما**﴾ إعراب هذه الجملة معلوم لتكررها كثيرا في هذه السورة. ﴿**لئن لم ينته المنافقون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم وحرف الشرط ولام القسم. ﴿**والذين**﴾ معطوف على الفاعل.. ﴿**في قلوبهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر

مقدم. ﴿**مرض**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة صلة الموصول. ﴿**والمرجفون**﴾ معطوف على الفاعل الأول. ﴿**في المدينة**﴾ متعلق بالمرجفون. ﴿**لنغرينك**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. واللام واقع في جواب القسم سد مسد جواب الشرط. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ثم لا يجاورونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه لا النافية، وثم العاطفة. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إلا قليلا**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر بعد إلا. ﴿**ملعونين**﴾ حال من واو الجماعة في يجاورونك. ﴿**أينما**﴾ اسم شرط جازم ﴿**ثقفوا**﴾ فعل مبني للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**أخذوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**وقتلوا**﴾ معطوف عليه ﴿**تقتيلا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**سنّة**﴾ مفعول مطلق لفعل مقدر. . ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سنة. ﴿**في الذين**﴾ متعلق بسنة. ﴿**خلوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الذين. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بخلوا. ﴿**ولن تجد**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والواو للعطف. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**لسنّة**﴾ متعلق بتجد. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سنّة .﴿**تبديلا**﴾ مفعول به. ﴿**يسألك**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الناس**﴾ فاعل. ﴿**عن الساعة**﴾ متعلق بيسألك. ﴿**قل**﴾ : ﴿**إنما علمها**﴾ مبتدأ. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عند. والجملة مقول القول. ﴿**وما يدريك**﴾ فعل مضارع. والواو للعطف. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة خبر ما الاستفهامية. ﴿**لعل الساعة**﴾ لعل واسمها. ﴿**تكون**﴾ اسم تكون ضمير يعود على الساعة. ﴿**قريبا**﴾ خبر تكون. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لعن**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر إنّ. ﴿**الكافرين**﴾ مفعول به. ﴿**وأعد**﴾ معطوف على لعن. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعد. ﴿**سعيرا**﴾ مفعول به.

﴿**خالدين**﴾ حال من ضمير الكافرين، ﴿**فيها**﴾ متعلق بخالدين .﴿**أبدا**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بخالدين. ﴿**لا يجدون وليا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف النفي. ﴿**ولا نصيرا**﴾ معطوف على المفعول. ﴿**يوم**﴾ متعلق بقوله: لا يجدون. ﴿**تقلب**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**وجوههم**﴾ نائب الفاعل. ﴿**في النار**﴾ متعلق بتقلب. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**يا ليتنا**﴾ ليت واسمها دخل عليها حرف النداء. ﴿**أطعنا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر ليت. ﴿**وأطعنا الرسول**﴾ معطوف على أطعنا الله. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل. والواو

للعطف. ﴿**ربنا**﴾ منادى حذف منه حرف النداء. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**أطعنا سادتنا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ. وجملة إنا أطعنا مقول القول. ﴿**وكبراءنا**﴾ معطوف على سادتنا. ﴿**فأضلونا**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب بالفاء على ما قبله. ﴿**السبيل**﴾ مفعول ثان. ﴿**ربنا**﴾ منادى مثل سابقه. ﴿**آتهم**﴾ فعل دعاء. والضمير المتصل به مفعول أول. ﴿**ضعفين**﴾ مفعول ثان. ﴿**من العذاب**﴾ متعلق بآتهم. ﴿**والعنهم**﴾ معطوف على آتهم. ﴿**لعنا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**كثيرا**﴾ نعت له، ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ ﴿**لا تكونوا**﴾ تكونوا واسمها دخل عليها حرف النهي الجازم. ﴿**كالذين**﴾ الكاف في محل نصب خبر تكون. والذين في محل جر بالكاف. ﴿**آذوا موسى**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿**فبرّأه**﴾ فعل ماض والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**مما**﴾ متعلق ببرأه. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وكان**﴾ اسم كان ضمير يعود على موسى. ﴿**عند الله**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**وجيها**﴾ خبر كان. ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ ﴿**اتقوا الله وقولوا**﴾ معطوف على اتقوا. ﴿**قولا سديدا**﴾ مفعول مطلق ونعته. ﴿**يُصلح**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيصلح. ﴿**أعمالكم**﴾ مفعول به. ﴿**ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ معطوف على يصلح لكم أعمالكم. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم ﴿**يطع**﴾ فعل شرط مجزوم بالسكون. وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**الله**﴾ مفعول به. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله ﴿**فقد فاز**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**فوزا عظيما**﴾ مفعول مطلق ونعته. وجملة فقد فاز جواب الشرط. والفاء رابطة للجواب. ﴿**إنا**﴾ إن واسمها. ﴿**عرضنا الأمانة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر إنّ.

﴿**على السماوات**﴾ متعلق بعرضنا. ﴿**والأرض والجبال**﴾ معطوفان على السماوات. ﴿**فأبين**﴾ فعل وفاعل مرتب على عرضنا. ﴿**أن يحملنها**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. فالفعل مبني على السكون في محل نصب. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بأبين. ﴿**وأشفقن**﴾ معطوف على أبين. ﴿**منها**﴾ متعلق بأشفقن. ﴿**وحملها**﴾ فعل ماض. والواو عاطفة والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الإنسان**﴾ فاعل. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**كان**﴾

اسم كان ضمير يعود على الإنسان. ﴿**ظلوما جهولا**﴾ خبران لكان. وجملة كان ظلوما خبر إن. ﴿**ليعذب الله المنافقين**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**والمنافقات**﴾ معطوف على المنافقين. ﴿**والمشركين والمشركات**﴾ معطوف على المنافقين والمنافقات. ﴿**ويتوب الله**﴾ معطوف على قوله ليعذب. ﴿**على المؤمنين**﴾ متعلق بيتوب. ﴿**والمؤمنات**﴾ معطوف على المؤمنين. واللام في قوله تعالى: ليعذب للعاقبة. والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بقوله وحملها الإنسان. أي: حمل الإنسان الأمانة لأجل تعذيب من يخونها وإثابة من يصونها. ﴿**وكان الله غفورا رحيما**﴾: الجملة من كان واسمها وخبرها تذييل مقرر لمضمون ما سبقه.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إن المسلمين والمسلمات. .**﴾ إلخ فهذا الكلام استئناف ابتدائي ورد بمناسبة ما ذكر من فضائل أزواج النبي. وسلك الكلام مسلك الإطناب في تعداد الأوصاف؛ لأن المقام مهيّأ لزيادة البيان. وفيه إيماء إلى أصول التشريع. وقد اشتملت هذه الخصال العشر على جوامع فصول الشريعة كلها. ويراعى في الانصاف بهذه الصفات أن تكون جارية على ما حدده الشرع في تفاصيلها: الأولى: التسليم والانقياد لأمر الله عز وجل: إن المسلمين والمسلمات. الثانية: الإيمان بكل ما يجب أن يصدق به. . فإن المكلف يقول أولا كل ما يقول الشارع: فأنا أقبله. . فهذا إسلام. . فإذا قال له شيئا وقِبله صدق مقالته وصحح اعتقاده. . ﴿**والمؤمنين والمؤمنات. .**﴾ ثم إن اعتقاده يدعوه إلى الفعل الحسن والعمل الصالح، فيقنت ويعبد: ﴿**والقانتين والقانتات. .**﴾ فهو المرتبة الثالثة. . ثم إذا آمن وعمل صالحا كمل غيره. . فيأمر بالمعروف وينصح أخاه. . فيصدُقُ في كلامه عند النصيحة وهو المراد بقوله: ﴿**والصادقين والصادقات**﴾: وهو المرتبة الرابعة. . ثم إن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه وهو المرتبة الخامسة: ﴿**والصابرين والصابرات**﴾.

ثم إنه إذا كمل في نفسه وكمّل غيره قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقولُه ﴿**والخاشعين والخاشعات**﴾. وهو المرتبة السادسة. ثم أردفها بالصدقة. وهو المرتبة السابعة: ﴿**والمتصدقين والمتصدقات. .**﴾ ثم أردفها بالصيام. وهو

المرتبة الثامنة: ﴿**والصائمين والصائمات**..﴾ ثم مِنْ مَنْع شهوة البطن إلى المنع من شهوة الفرج وهو المرتبة التاسعة: ﴿**والحافظين فروجهم والحافظات**﴾. ثم ختم الأوصاف بالمرتبة العاشرة وهو قوله: ﴿**والذاكرين الله كثيرا والذاكرات**..﴾ فهم في جميع الأحوال يذكرون الله.. فيكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم وحفظهم فروجهم كلها خالصة لله. وإنما وصف الذكر بالكثرة في أكثر المواضع.. فقال: ﴿**لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾. وقال في هذه الآية: والذاكرين الله كثيرا والذاكرات. ويجيء بعد ذلك: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيرا.. لأن الإكثار من الأفعال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الأغلب.. ولكن لا مانع من أن يذكر الله وهو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف. على أن جميع الأعمال صحتها أو كمالها بذكر الله تعالى.. فهولاء من المسلمين والمسلمات.. ﴿**أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾. ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾: الكلام موصول بالعطف لمناسبته بما قبله.. فهو تعقيب على ما تقدم من أوصاف الرجال والنساء ﴿**ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا**﴾: هذه الجملة تذييل وتعميم للتحذير من مخالفة الله ورسوله. سواء فيما هو فيه الخيرة، أم كان عن عمد للهوى في المخالفة.

﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه: أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾: هذا الكلام موجه إلى الرسول بذكر ما حدث من زواج زيد من زينب وطلاقها.. ﴿**فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها**﴾: هذا تفريع على جملة وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك.. ثم يبين علة هذا الحكم بقوله: ﴿**لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا**..﴾ ثم بين حكمة هذا الحكم بالنسبة للنبيء: ﴿**ما كان على النبيء من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا.. الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا**..﴾ ﴿**ما كان محمّدٌ أبا أحد من رجالكم**﴾ : جملة مستأنفة استئنافا بيانيا، إعلام لكل من يسمع هذا الخطاب بأن علاقته بمحمد ﷺ لم تكن علاقة

نسب من جهة الأبوة والبنوة .. ولكن علاقته من حيث الرسالة التي جاء بها من ربه: ﴿**ولكن رسول الله وخاتم النبيين.. وكان الله بكل شيء عليما. يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا**﴾: استئناف ابتدائي موجه إلى المؤمنين ليعملوا بما جاء به النبي بكونه رسول الله وخاتم النبيين .. ﴿**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور**﴾: كلام مستأنف جار مجرى التعليل لما قبله من الأمر بالذكر والتسبيح وجملة ﴿**وكان بالمؤمنين رحيما**﴾: اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله.. وجملة ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾: بيان للثواب الآجل الذي سيلقونه يوم لقاء ربهم، بعد بيان ما لقوه في العاجل من رحمة الله واستغفار الملائكة لهم.. وجملة ﴿**وأعد لهم أجرا كريما**﴾: بيان لزيادة رحمته الفائضة عليهم في الجنة، بعدما بين رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك.. ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا**﴾: هذا هو النداء الثالث للنبي ـ صلى الله عليه سلم ـ ناداه ليبين له وظيفته الأساسية التي كلف بتبليغها للناس.. فذكر الله له هنا خمسة أوصاف: الأول ـ شاهدا ـ فالنبي شاهد بصحة ما هو صحيح من الشرائع: عقيدة وعبادة ومعاملة وسلوكا.. وبقاء ما يصلح للبقاء منها.. وهو شاهد أيضا على الناس ممن يعمل بمقتضى هذه الشريعة.. ومن كان خارجا عنها.. ومبشرا.. بالجنة للمؤمنين.. ونذيرا.. بالنار للكافرين. وداعيا إلى الله بإذنه.. فهي دعوة الله إلى الناس جميعا.. وسراجا منيرا.. تضيء الطريق الموصل إلى رضوان الله وثوابه.. فالنبي سراج يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية، ويهتدى بأنواره إلى مناهج الرشد والهداية، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا: هذه الآية موصولة بالعطف على ما يقتضيه قوله: مبشرا ونذيرا. أي: راقب أحوال الناس وبشر المؤمنين منهم.. ﴿**ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم..**﴾ فهؤلاء من جملة من أنذروا.. ﴿**وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**﴾.

أعيد هذا الكلام من جديد. وقد تقدم في أول السورة نظيره في قوله: ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً.. إلى قوله: وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً؛ ليربط الكلام آخره بأوله؛ ليتخلص السياق إلى أحكام تتعلق بالنكاح العامة والخاصة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن**

من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا. .﴾ فهذا حكم عام للجميع. وأما الخاص بالنبي ﷺ فقوله تعالى: **﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيء إن أراد النبيء أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين. قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما﴾. ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾**: هذا الكلام مستأنف استئنافا بيانيا ناشئ عن قوله تعالى: **﴿يا أيها النبيء إنا أحللنا لك أزواجك﴾** إلخ. . **﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾**: جملة شرطية وصلت بالعطف على ما قبلها زيادة في تفويض الأمر إلى الرسول في معاملته مع نسائه. . **﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ولا يَرضَيْن بما آتيتهن كلهن﴾**. ذلك: ما ذكر من تفويض الأمر إلى مشيئتك أدنى أن تقر أعينهن. . **﴿والله يعلم ما في قلوبكم. وكان الله عليما حليما. لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا﴾**: في هذه الآية التنويه بشأن أزواج النبي اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة حيث حظر الله على الرسول الزواج من غير هؤلاء التسع ولا تبديل إحداهن بامرأة أخرى.

وهن اللاتي بقين بعد الرسول يفتين الناس ويعلّمْنَهم أحكام دينهم كما أمرهن الله بقوله: واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة. . **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيء إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلك كان يؤذي النبي فيستحيي منكم؛ والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعدِهِ أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾**: هذه الآية فيها كل ما يتعلق بأدب المؤمنين مع الرسول في بيته وفيما يتعلق بأزواجه من بعده. . ففيها من تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته حيا وميتا مما هو غني عن البيان؛ ولذلك بالغ الله في الوعيد لمن يتساهل في هذا حيث قال: **﴿إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما﴾**. وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد

تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد! . ﴿**لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إنّ الله كان على كل شيء شهيدا**﴾: هذا استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم . . ﴿**إنّ الله وملائكته يصلون على النبيء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾: لما حذر الله تعالى المؤمنين من كل ما يؤذي الرسول أعقبه بأن ذلك ليس هو أقصى حظهم من معاملة رسولهم . . بل حظهم أكبر من ذلك بأن يصلوا ويسلموا على النبيء كما صلى الله وملائكته عليه ﷺ . . **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**﴾: لما أرشد الله المؤمنين إلى تناهي مراتب حرمة النبيء ﷺ حذرهم مما قد يخفى على بعضهم من خفيّ الأذى في جانبه بقوله: إن ذلكم كان يؤذي النبيء . . وبقوله: وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله . . وعلمهم كيف يعاملون النبي معاملة التوقير والتكريم، وعلم أنهم قد امتثلوا . . أردف ذلك بوعيد قوم اتسموا بسمات المؤمنين، وكان من دأبهم السعي فيما يؤذي الرسول . . فأعلم الله المؤمنين بأن أولئك ملعونون في الدنيا والآخرة؛ لِيَعْلَم المؤمنون أن أولئك ليسوا من الإيمان في شيء! وأنهم منافقون! لأن مثل هذا الوعيد لا يعهد إلاّ للكافرين . . فالآية مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأنه يخطر في نفوس كثير ممّن يسمع الآيات السابقة أن يتساءلوا عن حال قوم قد علم منهم قلة التحرز من أذى الرسول بما لا يليق بتوقيره وتعظيمه .

وجيء باسم الموصول للدلالة على أنهم عرفوا بأن إيذاء النبي هو علّة لعنهم وعذابهم . ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا**﴾: ألحقت حرمة المؤمنين بحرمة الرسول ﷺ تنويها بشأنهم . وذكروا على حدة للإشارة إلى نزول رتبتهم عن رتبة الرسول . . وهذا من الاستطراد معترض بين أحكام حرمة النبي، وبين آداب أزواجه وبناته والمؤمنات . . وعطف المؤمنات على المؤمنين في قوله: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات . . تصريح بمساواة الحكم ـ وإنْ كان ذلك معلوما من الشريعة ـ لموزع المؤذين عن أذى المؤمنات لأنهن جانب ضعيف! بخلاف الرجال فقد يزعهم عنهم اتقاء غضبهم وثأرهم لأنفسهم . . وكذلك السمعة السيئة تلتصق بالنساء وتبقى فيهن أكثر من الرجال بكثير . والمراد بالأذى هنا أذى القول؛ بقرينة قوله: فقد احتملوا بهتانا؛ لأن البهتان من أنواع الأقوال . وذلك تحقير لأقوالهم . واتبع ذلك التحقير بأنه إثم مبين! . وضمير

اكتسبوا عائد على المؤمنين والمؤمنات على سبيل التغليب. وليس المراد به تقييد الحكم حتى يكون مفهومه جواز أذى المؤمنين والمؤمنات بما اكتسبوا؛ لأن الجزاء على ذلك ليس موكولا لعموم الناس. . ولكنه موكول إلى ولاة الأمور﴿. **يا أيها النبيء قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾: أتبع النهي عن أذى المؤمنات بأن أمرن باتقاء أسباب الأذى؛ لأن من شأن المطالب السعي في تذييل وسائلها. . فهذا يرجع إلى قاعدة التعاون على إقامة المصالح وإماتة المفاسد. وجملة ﴿**ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**﴾ بيان لحكمة هذا الحكم. وجملة ﴿**وكان الله غفورا رحيما**﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله. ﴿**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلاّ قليلا**﴾: هذا انتقال من زجر قوم عرفوا بأذى الرسول ﷺ ومن توعدهم بغضب الله عليهم، إلى تهديدهم بعقاب في الدنيا يشرعه الله لهم إن هم لم يقلعوا عن ذلك؛ للعلم بأن لا ينفع في أولئك وعيد الآخرة؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث. فالآية مستأنفة استئنافا ابتدائيا. وقوله: ﴿**ملعونين**﴾: شتم لهم وطرد وإبعاد من رحمة الله وجوار المؤمنين الصالحين: ﴿**أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا. . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾. ولما أنهى الكلام عن حال المنافقين وتهديدهم رجع السياق إلى خطاب الرسول وموقف الناس الذين يسألونه عن الساعة: ﴿**يسألك الناس عن الساعة. قل: إنما علمها عند الله. وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا**﴾!.

وفي هذا الكلام تهديد للمستعجلين، وتبكيت للمتعنّين. . وذكر الساعة مرة أخرى إظهار في مقام الإضمار للتهويل وزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة. ﴿**إنّ الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا. خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار**﴾: فصلت هذه الآيات فلم تعطف على ما قبلها. . فالكلام استئناف يبين مصير الكافرين عموما منافقين ومشركين ومنكرين ومكذبين. وجملة يوم تقلب وجوههم في النار، ظرف متعلق بما سبقه من قوله إنّ الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدًا لا يجدون وليا ولا نصيرا في ذلك اليوم الشديد العسير يوم تقلب وجوههم في النار! وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الأعضاء في الإنسان. ولأنه مقر الحواس النافعة لو استعملت فيما يفيدهم! ﴿**يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا**﴾: كلام مستأنف ناشئ عن سؤال

سائل. كأنه قيل: فماذا يصنعون عند ذلك؟ فقيل: يقولون: يا ليتنا.. متحسرين على ما فاتهم!. ﴿**وقالوا ربنا: إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا.. فأضلونا السبيلا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا**﴾! فجملة وقالوا ربنا.. عطف على ﴿**يقولون**﴾. والعدول إلى صيغة الماضي للإشعار بأن قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين أضلوهم وألقوهم في تلك الورطة!.. فهذا الاعتذار مردود عليهم بما أنطقهم الله به من الحقيقة؛ إذ قالوا: إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا.. ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها**﴾: هذه الآية. جاءت لمناسبة نهي المؤمنين عن أذى الرسول.. فلا يكونوا مثل اليهود الذين آذوا موسى قولا وفعلا وسلوكا.. حتى قالوا له في النهاية: ﴿**اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون**﴾. فتبرأ منهم والتجأ إلى ربّه، ﴿**قال ربِ: إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين!.**﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما**﴾: يجيء هذا الكلام في نهاية الأوامر والنواهي في هذه السورة متضمنا خلاصة المطلوب من المؤمنين.. ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**﴾: هذا الكلام استئناف ابتدائي.

وموقع هذه الآية عقب ما قبلها وفي آخر هذه السورة يقتضي أن لمضمونها ارتباطا بمضمون ما قبلها.. ففيها رد العجز على الصدر. وهو من المحسنات البلاغية. والله سبحانه وتعالى لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الأليم.. ومنال المراعين لها من الفوز العظيم، عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها، بطريق التمثيل، مع الإيذان بأن ما صدر عنهم من الطاعة وتركها، صدر عنهم بعد القبول والالتزام. وعبر عنها بالأمانة، تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين وأْتمنهم عليها؛ وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد.. ﴿**ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما**﴾: بهذا الإيقاع الهائل العميق تختم السورة التي بدأت بتوجيه الرسول الكريم ﷺ إلى طاعة الله وعصيان الكافرين والمنافقين،

واتباع وحي الله والتوكل عليه وحده دون سواه. والتي تضمنت توجيهات وتشريعات يقوم عليها النظام الإسلامي.. بهذا الإيقاع تختم السورة، فيتناسق بدؤها وختامها، مع موضوعها واتجاهها. ذلك التناسق المعجز الدال بذاته على مصدر هذا الكتاب!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾: في هذا التوجيه عرض الصفات التي تحقق قيم المسلم والمسلمة التي جمعت في هذه الآية تتناسق وتتعاون في تكوين النفس المسلمة: فهي الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم وحفظ الفروج وذكر الله كثيرا.. ولكل منها قيمته في بناء الشخصية المسلمة. والإسلام: الاستسلام، والإيمان: التصديق، وبينهما صلة وثيقة، أو أن أحدهما هو الوجه الثاني للآخر.. فالاستسلام إنما هو مقتضى التصديق. والتصديق الحق ينشأ عنه الاستسلام. والقنوت: الطاعة الناشئة من الإسلام والإيمان عن رضى داخلي لا عن إكراه خارجي. والصدق: هو الصفة التي يخرج من لا يتصف بها من صفوف الأمة المسلمة لقوله تعالى: **﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾** فالكاذب مطرود من الصف. صف هذه الأمة الصادقة. والصبر: هو الصفة التي لا يستطيع المسلم حمل عقيدته والقيام بتكاليفها إلا بها. وهي تحتاج إلى الصبر في كل خطوة من خطواتها.

الصبر على شهوات النفس، وعلى مشاق الدعوة، وعلى أذى الناس، وعلى التواء النفوس وضعفها وانحرافها وتلونها، وعلى الابتلاء والامتحان والفتنة، وعلى السراء والضراء والصبر على كلتيهما شاق عسير. والخشوع: صفة القلب والجوارح، الدالة على تأثر القلب بجلال الله تعالى واستشعار هيبته وتقواه. والتصدق: وهو دلالة التطهر من شح النفس، والشعور بمرحمة الناس، والتكافل في الجماعة المسلمة والوفاء بحق المال، وشكر المنعم على العطاء.. والصوم:

والنص يجعله صفة من الصفات إشارة إلى اطراده وانتظامه وهو استعلاء على الضرورات وصبر عن الحاجات الأولية للحياة. وتقرير لإرادة وتوكيد لغلبة الإنسان هذا الكائن البشري على الحيوان، وحفظ الفرج: وما فيه من تطهر وضبط لأعظم ميل وأعمقه في تركيب كيان الإنسان وسيطرته على الدفعة التي لا يسيطر عليها إلا تقي يدركه عون الله. وتنظيم للعلاقات واستهداف لما هو أرفع من فورة اللحم والدم في التقاء الرجل والمرأة.

وإخضاع هذا الالتقاء لشريعة الله تعالى، وللحكمة العليا من خلق الجنسين في عمارة الأرض وترقية الحياة. وذكر الله كثيرا: وهو حلقة الاتصال بين نشاط الإنسان كله وعقيدته في الله، واستشعار القلب لله في كل لحظة.. فلا ينفصل بخاطر ولا حركة عن العروة الوثقى. وإشراك القلب ببشاشة الذكر الذي يسكب فيه النور والحياة.. هؤلاء الذين تتجمع فيهم هذه الصفات المتعاونة في بناء الشخصية المسلمة الكاملة.. هؤلاء أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما. وهكذا يعمم النص في الحديث عن صفة المسلم والمسلمة ومقومات شخصيتهما. وتذكر المرأة في هذا النص بجانب الرجل كطرف من عمل الإسلام في رفع قيمة المرأة وترقية النظرة إليها في المجتمع، وإعطائها مكانها إلى جانب الرجل فيما هما فيه سواء من العلاقة بالله، ومن تكاليف هذه العقيدة في التطهر والعبادة والسلوك القويم في الحياة.. ثم بعد عرض هذه القاعدة العامة التي تتعلق بالرجل والمرأة يأتي النص بتفصيله على أساس التصور الإسلامي. وهو يختص ابتداء بإبطال التبني الذي ورد الحديث عنه في أول السورة.. وقد شاء الله أن ينتدب لإبطال هذا التقليد من الناحية العملية رسوله ﷺ وقد كانت العرب تحرم مطلقة الابن بالتبني حرمة مطلقة الابن من النسب.. وقرر القرآن قاعدة تتعلق بهذا الحكم قبل التفصيل فيه: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا**.﴾ فهذا المقوم من مقومات العقيدة هو الذي استقر في قلوب تلك الجماعة الأولى من المسلمين استقرارا حقيقيا، واستيقنته أنفسهم، وتكيفت به مشاعرهم.. فهذا المقوم يتلخص في أنه ليس لهم في أنفسهم شيء، وليس لهم من أمرهم شيء.. إنما هم وما ملكت أيديهم لله تعالى: يصرفهم كيف يشاء ويختار لهم ما يريد.. ثم يجيء الحديث عن حادث زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش وما سبقه وما تلاه من أحكام وتوجيهات:

﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه: أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. فلمّا قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهم وطرا وكان أمر الله مفعولا. ما كان على النبيء من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا..﴾ فهذا كل ما يتعلق بحادث زواج رسول الله من زينب بعدما كانت زوجة زيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم عليه الرسول بالعتق وحسن المعاملة، وبعدما طلقها زيد.. فقد فرض الله لرسوله أن يتزوج زينب، وأن يبطل عادة العرب في تحريم أزواج الأدعياء.. وإذا.. فلا حرج في هذا الأمر وليس النبي فيه بدعا من الرسل: سنة الله في الذين خلوا من قبل.. فهو أمر يمضي وفق سنة الله التي لا تتبدل، والتي تتعلق بحقائق الأشياء لا بما يحوطها من تصورات وتقاليد مصطنعة لا تقوم على أساس.

وكان أمر الله قدرا مقدورا.. فأمر الله نافذ مفعول، لا يقف في وجهه شيء ولا أحد من الناس.. وهو مقدر بحكمة وخبرة ووزن، منظور فيه إلى الغاية التي يريدها الله منه. ويعلم ضرورتها وقدرها وزمانها ومكانها.. وقد أمر الله رسوله أن يبطل تلك العادة ويمحو آثارها عمليا، ويقرر بنفسه السابقة الواقعية.. فلم يكن بد من تنفيذه أمر ربه، وسنة الله هذه قد مضت في الذين خلوا من قبل من الرسل: **﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله..﴾** فلا يحسبون للخلق حسابا فيما يكلفهم الله به من أمور الرسالة. ولا يخشون أحدا إلا الله الذي أرسلهم للتبليغ والعمل والتنفيذ. **﴿وكفى بالله حسيبا﴾**: هو وحده الذي يحاسبهم، وليس للناس عليهم من حساب.. **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾**: علاقة محمد بالناس لم تكن علاقة نسب من لحم ودم.. فزينب ليست حليلة ابن محمد ـ زيد ـ وليس زيد ابن محمد.. إنما هو ابن حارثة.. فالعلاقة بين محمد ﷺ وبين جميع المسلمين ـ ومنهم زيد ابن حارثة ـ هي علاقة النبي بقومه، وليس هو أباً لأحد منهم: **﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**. ومن ثم فهو يشرع الشرائع الباقية الخاتمة لما قبلها.. فتسير عليها البشرية وفق آخر رسالة الله إلى الناس جميعا التي لا تبديل فيها بعد ذلك ولا تغيير. **﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾**: هو الذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية وما يصلحها.. قضى

الله هذا وفق علمه لكل شيء وبالأصلح والأوفق من النظم والشرائع والقوانين، ووفق رحمته وتخيره للمؤمنين.

التوجيه الثاني: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا﴾: في هذا التوجيه تذكير المؤمنين بما يربط قلوبهم بهذا المعنى الأخير، ويصلهم بالله الذي فرض على رسوله ما فرض. واختار للأمة المسلمة ما اختار. فالله يريد بالمؤمنين الخير والخروج من الظلمات إلى النور.. فذكر الله اتصال القلب به، والاشتغال بمراقبته. وليس هو مجرد تحريك اللسان.. وإقامة الصلاة ذكر لله.. بل إنه وردت آثار تكاد تخصص الذكر بالصلاة وأن القلب ليظل فارغا أو لاهيا أو حائرا.. حتى يتصل بالله ويذكره ويأنس به.. فإذا هو مليء جادّ قارّ مستقرّ يعرف طريقه ويعرف منهجه ويعرف من أين وإلى أين ينقل خطاه. ومن هنا يحضّ القرءان كثيرا على ذكر الله كثيرا.. ويربط القرءان بين هذا الذكر وبين الأوقات والأحوال التي يمر بها الإنسان؛ لتكون الأوقات والأحوال مذكرة بذكر الله ومنبهة إلى الاتصال.. حتى لا يغفل القلب ولا ينسى: وسبّحوه بكرة وأصيلا.. ففي البكرة والأصيل خاصة ما يستجيش القلوب إلى الاتصال بالله مغير الأحوال ومبدل الظلال. وهو باق لا يتغير ولا يتبدل ولا يحول ولا يزول. وكل شيء سواه يتغير ويتبدل، ويدركه التحول والزوال. وإلى جانب الأمر بذكر الله وتسبيحه إشعار القلوب برحمة الله ورعايته، وعنايته بأمر الخلق وإرادة الخير لهم. وهو الغني عنهم، وهم الفقراء المحاويج لرعايته وفضله: **﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور..﴾** فتعالى الله وجلت نعمته وعظم فضله وتضاعفت منته. وهو يذكر هؤلاء العباد الضعاف المحاويج الفانين، الذين لا حول لهم ولا قوة، ولا بقاء لهم ولا قرار. يذكّرهم ويعنى بهم، ويصلي عليهم هو وملائكته، ويذكرهم بالخير في الملإ الأعلى.. فيتجاوب الوجود كله بذكرهم.. ألا إنها لعظيمة لا يكاد الإدراك يتصورها. وهو يعلم أن هذه الأرض ومن عليها وما عليها إن هي إلا ذرة صغيرة زهيدة بالقياس إلى تلك الأفلاك الهائلة. وما الأفلاك وما فيها إلا بعض ملك الله الذي قال له: كن.. فكان!!.. ونور الله واحد متصل شامل.. وما عداه ظلمات تتعدد وتختلف. وما يخرج الناس من نور الله إلا ليعيشوا في ظلمة من الظلمات، أو في الظلمات مجتمعة. وما ينقذهم من الظلام إلا نور الله الذي يشرق في

قلوبهم، ويغمر أرواحهم، ويهديهم إلى فطرتهم. وهي فطرة هذا الوجود. ورحمة الله بهم وصلاة الملائكة ودعاؤهم لهم هي التي تخرجهم من الظلمات إلى النور حين تنفتح قلوبهم للإيمان : ﴿**وكان بالمؤمنين رحيما**. .﴾ ذلك أمرهم في الدنيا دار العمل. . فأما أمرهم في الآخرة دار الجزاء. . فإن فضل الله لا يتخلى عنهم ورحمة الله لا تتركهم؛ ولهم فيها الكرامة والحفاوة والأجر الكريم: ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما**. .﴾ فهذا سلام من كل خوف ومن كل تعب ومن كل كد. . سلام يتلقونه من الله تحمله إليهم الملائكة. وهم يدخلون عليهم من كل باب، يبلغونهم التحية العلوية. . إلى جانب ما أعد لهم من أجر كريم. . فياله من تكريم! فهذا هو ربهم الذي يشرع لهم ويختار. . فمن ذا الذي يكره هذا الاختيار؟!. .

فأما النبي الذي يبلغهم اختيار الله لهم، ويحقق بسنته العملية ما اختار الله وشرعه للعباد؛ فيلتفت السياق التفاتة كذلك إلى بيان وظيفته وفضله على المؤمنين في هذا المقام: ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**. .﴾ فوظيفة النبي ﷺ فيهم أن يكون شاهدا عليهم. . فليعلموا بما يحسن هذه الشهادة التي لا تكذب ولا تُزَوَّرُ ولا تبدل ولا تغير. . وأن يكون مبشرا لهم بما ينتظر العاملين من رحمة وغفران ومن فضل وتكريم. . وأن يكون نذيرا للغافلين بما ينتظر المسيئين من عذاب ونكال. . فلا يؤخذوا على غرة ولا يعذبوا إلا بعد إنذار. . وداعيا إلى الله. . لا إلى دنيا ولا إلى مجد ولا إلى عزة قومية ولا إلى عصبيّة جاهلية ولا إلى مغنم ولا إلى سلطان أو جاه. . ولكن داعيا إلى الله. في طريق واحد يصل إلى الله: بإذنه. . فما هو بمبتدع ولا بمتطوع ولا بقائل من عنده شيئا. . إنما هو إذن الله له وأمره لا يتعداه. . وسراجا منيرا. . يجلو الظلمات ويكشف الشبهات وينير الطريق. . نورا هادئا هاديا كالسراج المنير في الظلمات. وهكذا كان رسول الله ﷺ وما جاء به من النور. جاء بالتصور الواضح البين النير لهذا الوجود ولعلاقة الوجود بالخالق، ولمكان الكائن الإنساني من هذا الوجود وخالقه، وللقيم التي يقوم عليها الوجود كله ويقوم عليها وجود هذا الإنسان فيه، وللمنشأ والمصير والهدف والغاية والطريق والوسيلة في قول فصل لا شبهة فيه ولا غموض. وفي أسلوب يخاطب الفطرة خطابا مباشرا وينفذ إليها من أقرب السبل وأوسع الأبواب وأعمق المسالك والدروب!!. . ثم يكرر ويفصل في وظيفة الرسول

مسألة تبشير المؤمنين: ﴿**وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا**. .﴾ بعد ما أجملها في قوله: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. .زيادة في بيان فضل الله ومنته على المؤمنين الذين يشرع لهم على يدي هذا النبي ما يؤول بهم إلى البشرى والفضل الكبير!! . .وينهي هذا الخطاب للنبي بأن لا يطيع الكافرين والمنافقين وألا يحفل بأذاهم له وللمؤمنين وأن يتوكل على الله وحده وهو بنصره كفيل: ﴿**ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله**. .﴾ فهذا الخطاب ورد مثله في أوّل السورة قبل تفصيل التشريع والتوجيه والتنظيم الاجتماعي الجديد. .ففيه زيادة توجيه النبي ألا يحفل بأذى الكافرين والمنافقين. .وأن لا يتقيه بطاعتهم في شيء. .أو الاعتماد عليهم في شيء. .فالله وحده هو الوكيل: ﴿**وكفى بالله وكيلا**﴾.

التوجيه الثالث: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾: في هذا التوجيه حكم عام جاء في سياق السورة في صدد تنظيم الأسرة في الحياة العامة للجماعة المسلمة. . فالمرأة المطلقة قبل الدخول بها، إن كان قد فرض لها مهر فلها نصف ذلك المهر المسمى. وإن لم يذكر لها مهر فلها متاع يتبع قدرة المطلق سعة وضيقا. . وهذا الحكم جاء في سورة البقرة. وقد زاد هنا بيان حكم العدة لهذه المطلقة. . فقرر أن لا عدة عليها؛ إذ إنّه لم يكن دخول بها. والعدة إنما هي استبراء لِلرحم من الحمل. وتأكد من أنها خالية من آثار الزواج الصادق؛ كي لا تختلط الأنساب ولا ينسب إلى رجل ما ليس منه، ويسلب رجل ما هو منه في رحم المطلقة. . فأما في حالة عدم الدخول فالرحم بريئة، ولا عدة إذًا ولا انتظار. . فالسراح الجميل: هو الذي لا عضل فيه ولا أذى ولا تعنت ولا رغبة في تعويقهن عن استئناف حياة أخرى جديدة. . ثم بعد ذلك يبين الله لرسوله ما يحل له من النساء، وما في ذلك من خصوصية لشخصه ولأهل بيته. وكان في عصمة النبي في هذا الوقت تسع نساء. . وكن قد أصبحن أمهات المؤمنين. . ونلن شرف القرب من رسول الله. . واخترن الله ورسوله والدار الآخرة بعد نزول آيتي التخيير. . وحول هذه المبادئ تدور هذه الآيات: ﴿**يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن، وما ملكت يمينك ممّا أفاء الله عليك، وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاّتي هاجرن**

معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيء إن أراد النبيء أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما﴾. ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما. .﴾

ففي الآية يحل الله للنبي أنواع النساء المذكورات فيها ـ ولو كن فوق الأربع، مما هو محرم على غيره ـ وهذه الأنواع هي الأزواج اللواتي أمهرهن. . وما ملكت يمينه إطلاقا من الفيء وبنات عمه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته ممن هاجرن معه دون غيرهن ممن لم يهاجرن ـ إكراما للمهاجرات ـ وأيما امرأة وهبت نفسها للنبي بلا مهر ولا وليّ، إن أراد النبي نكاحها. . وقد جعل الله هذه خصوصية للنبي، بما أنه ولي المؤمنين والمؤمنات جميعا. . فأما الآخرون فهم خاضعون لما بينه الله وفرضه عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم. . ذلك لكي لا يكون على النبي حرج في استبقاء أزواجه وفي الاستجابة للظروف الخاصة المحيطة بشخصه. ثم ترك الخيار له في أن يضم إلى عصمته من شاء ممن يعرضن أنفسهن عليه، أو يؤجل ذلك، ومن أرجأهن فله أن يعود إليهن حين يشاء. . وله أن يباشر من نسائه من يريد ويرجئ من يريد. . ثم يعود. . فهي مراعاة الظروف الخاصة المحيطة بشخص الرسول. . والرغبات الموجهة إليه، والحرص على شرف الاتصال به، مما يعلمه الله ويديره بعلمه وحلمه: والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما. . ثم أنزل الله تحريم من عدا نسائه اللواتي في عصمته فعلا. لا من ناحية العدد. . ولكن هن بذواتهن لا يستبدل بهن غيرهن: **﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا﴾**. بعد ذلك ينظم القرآن علاقة المسلمين ببيوت النبيء، ونسائه في حياته وبعد وفاته كذلك: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيء إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه. . ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا. ولا مستأنسين لحديث. إن ذلكم كان يؤذي النبيء فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق. .﴾** فالآية تتضمن آدابا لم تكن تعرفها الجاهلية في دخول البيوت. . حتى بيت رسول الله ﷺ فقد كان الناس يدخلون

البيوت بلا إذن من أصحابها.. وربما كان هذا الحال أظهر في بيوت النبي بعد أن أصبحت هذه البيوت مهبط العلم والحكمة..

وكان بعضهم يدخل وحين يرى طعاما يوقد عليه يجلس في انتظار نضج هذا الطعام ليأكل بدون دعوة إلى الطعام. وكان بعضهم يجلس بعد الطعام ويأخذ في الحديث والسمر غير شاعر بما يسببه هذا من إزعاج.. فجاءت هذه الآية تعلم المسلمين ألا يدخلوا بيوت النبي بغير إذن.. فإذا دعوا إلى الطعام دخلوا. فأما إذا لم يدعوا فلا يدخلوا.. ثم إذا طعموا خرجوا ولم يبقوا بعد الطعام للسمر والأخذ بأطراف الحديث.. ثم يقرر النص في الآية الحجاب بين نساء النبي وبين الرجال غير المحارم: ﴿**وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب**..﴾ فيقرر النص أن هذا الحجاب أطهر لقلوب الجميع: ﴿**ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن**..﴾ فلا يقل أحد غير ما قال الله. لا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجب والترخّص في الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب وأعف للضمائر وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة، وعلى إشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك.. إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين. لا يقل أحد شيء من هذا ؛ والله يقول: وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن.. يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات. أمهات المؤمنين. وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق!. وحين يقول الله قولا، ويقول خلق من خلقه قولا: فالقول لله سبحانه ـ وكل قول آخر هراء لا يردده إلا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقي الذي خلق هؤلاء العبيد!. والواقع العملي الملموس يهتف بصدق الله وكذب المدعين غير ما يقوله الله ـ سبحانه وتعالى: والتجارب المعروضة اليوم في العالم مصدقة لما يقول الله ومكذبة لما يقول المغرضون! وقد ذكرت الآية أن مجيئهم للطعام منتظرين نضجه من غير دعوة، وبقاءهم بعد الطعام مستأنسين للحديث.. كان يؤذي النبي.. فيستحيي منهم.. وفي ختامها تقرر أنه ما يكون للمسلمين أن يؤذوا رسول الله.. وكذلك ما يكون لهم أن يتزوجوا أزواجه من بعده.. فهن بمنزلة أمهاتهم. ومكانهن الخاص من رسول الله يحرم أن ينكحهن أحد.. احتفاظا بحرمة هذا البيت وجلاله وتفرده: ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن**

تنكحوا أزواجه من بعده أبدا.. إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾!!..فلا يقف السياق عند هذا الإنذار الهائل.. بل يستطرد إلى تهديد آخر وأهول: ﴿**إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما**..﴾ فالله سبحانه هو الذي يتولى الأمر. وهو عالم بما يبدو وما يخفى. مطلع على كل تفكير وعلى كل تدبير. والأمر عنده عظيم!.. فمن شاء فليتعرض.. فإنما يتعرض لبأس الله الساحق الماحق العظيم!!..

ثم بعد الإنذار والتهديد يعود السياق إلى استثناء الذين لا حرج على نساء النبي في عدم الاحتجاب منهم: ﴿**لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن**..﴾ فهؤلاء المحارم هم الذين استثناهم هذا النص دون غيرهم.وقد عمم القرآن هذا الحكم بعدُ على جميع المؤمنين والمؤمنات. وهو الوارد في سورة النور.. ﴿**واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا**..﴾ فالإيحاء بالتقوى ومراقبة الله يطرد في مثل هذه المواضع؛ لأن التقوى هي الضمان الأول والأخير. وهي الرقيب اليقظ الساهر على القلوب. ويستمر السياق في تحذير الذين يؤذون النبي.. في نفسه أو في أهله.. وفي تفظيع الفعلة التي يقدمون عليها.. وذلك عن طريقين: الطريق الأول تمجيد رسول الله ﷺ وبيان مكانته عند ربه وفي الملإ الأعلى.. والطريق الثاني ـ تقرير أن إيذاءه إيذاء لله. وجزاؤه عند الله الطرد من رحمته في الدنيا والآخرة، والعذاب الذي يناسب الفعلة الشنيعة: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**..﴾ فصلاة الله على النبي ذكره بالثناء في الملإ الأعلى. وصلاة الملائكة على النبي ثناؤهم عليه بما هو أهله.. فيا لها من مرتبة سنيّةٍ حيث تردد جنبات الوجود ثناء الله على نبيه؛ ويشرق به الكون كله وتتجاوب به أرجاؤه. ويثبت في كيان الوجود ذلك الثناء الأزلي القديم الأبدي الباقي. وما من نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة وهذا التكريم! وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العلي وتسليمه.. وصلاة الملائكة في الملإ الأعلى وتسليمهم؟!.. إنما يريد الله تكريم المؤمنين وتشريفهم بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته وتسليمهم إلى تسليمه الأزلي الباقي.. وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوي الكريم الأزلي القديم. وفي ظل هذا

التمجيد الإلهي يبدو إيذاء الناس للنبي بشعا شنيعا.. ملعونا قبيحا: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**..﴾ ويزده بشاعة وشناعة أنه إيذاء لله من عبيده ومخاليقه وهم لا يبلغون أن يؤذوا الله.. إنما هذا التعبير يصور الحساسية بإيذاء رسوله.. فكأنما هو إيذاء لذاته جلّ وعلا.. فما أفظع وما أبشع وما أشنع هذا الصنيع مع رسول الله رب الجميع!!!..

ويستطرد السياق كذلك إلى إيذاء المؤمنين والمؤمنات عامة.. إيذاؤهم كذبا وبهتانا بنسبة ما ليس فيهم إليهم من النقائص والعيوب: ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا**..﴾ فهذا التشديد يشي بأنه كان في المدينة يوم ذاك فريق يتولى هذا الكيد للمؤمنين والمؤمنات ينشر قالة السوء عنهم وتدبير المؤامرات لهم، وإشاعة التهم ضدهم، وهذا عام في كل زمان وفي كل مكان، والمؤمنون والمؤمنات عرضة لهذا الكيد في كل بيئة من الأشرار المنحرفين والمنافقين والذين في قلوبهم مرض.. والله يتولى عنهم الرد على ذلك الكيد، ويصم أعداءهم بالإثم والبهتان، وهو أصدق القائلين.. ثم أمر الله نبيه أن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة ـ إذا خرجن لحاجتهن ـ أن يغطين أجسامهن بجلباب كاسٍ.. ليكون لهن ميزة يعرفن به: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**..﴾ فهذا تطهير للبيئة الإسلامية من رواسب الجاهلية، والتوجيه المطرد لإزالة كل أسباب الفتنة والفوضى.. حتى تسيطر التقاليد الإسلامية على الجماعة كلها وتحكمها.

وفي النهاية يأتي تهديد المنافقين ومرضى القلوب والمرجفين الذين ينشرون الشائعات المزلزلة في صفوف الجماعة المسلمة.. تهديدهم القوي الحاسم بأنهم إذا لم يرتدعوا عما يأتونه من هذا كله، وينتهوا عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات والجماعة المسلمة كلها أن يسلط الله عليهم نبيه كما سلطه على اليهود من قبل.. فيطهر منهم جو المدينة ويطاردهم من الأرض ويبيح دمهم.. فحيث ما وجدوا أخذوا وقتلوا.. كما جرت سنة الله فيمن قبلهم من اليهود على يد النبي.. وغير اليهود من المفسدين في الأرض في القرون الخالية: ﴿**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا**

قليلا. ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا. سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا..﴾ فمن هذا التهديد الحاسم الصارم ندرك مدى قوة المسلمين في المدينة، بعد بني قريظة ومدى سيطرة الدولة الإسلامية عليها.. وانزواء المنافقين إلا فيما يديرونه من كيد خفي.. مثل بناء مسجد الضرار ليكون وكرا لهم.. واتصالهم بالروم والفرس بعد هزيمتهم في الأحزاب.. ومحاولات أخرى خابوا وفشلوا فيها كلها.. فصاروا لا يقدرون على الظهور إلا وهم مهددون خائفون.. فاندثروا وذهبت ريحهم أمام قوة المسلمين الظاهرة!

التوجيه الرابع: ﴿يسألك الناس عن الساعة. قل إنما علمها عند الله. وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾. في هذا التوجيه حديث عن سؤال الناس عن الساعة واستعجالهم بها وشكهم فيها.. وجواب عن هذا السؤال يَدَعُ أمرها إلى الله مع تحذيرهم من قربها واحتمال أن تأخذهم على غرة أخذا سريعا. والناس يسألون النبي عن الساعة التي حدثهم عنها طويلا، وخوّفهم بها طويلا. ووصف القرآن مشاهدها حتى لكأن قارئه يراها. يسألونه عن موعدها، ويستعجلون هذا الموعد؛ ويحمل هذا الاستعجال معنى الشك فيها، أو التكذيب بها، أو السخرية منها، بحسب النفوس السائلة، وقربها من الإيمان أو بعدها. والساعة غيب قد اختص الله به سبحانه، ولم يشأ أن يطلع عليها أحدًا من خلقه جميعا، بما فيهم الرسل والملائكة المقربون. قدر الله هذا لحكمة يعلمها، نلمح طرفا منها: في ترك الناس على حذر من أمرها، وفي توقع دائم لها وفي استعداد مستمر لمفاجأتها. ذلك لمن أراد الله له الخير، وأودع قلبه التقوى.. فأما الذين يغفلون عن الساعة، ولا يعيشون في كل لحظة على أهبة للقائها فأولئك الذين يختانون أنفسهم ولا يقونها من النار. وقد بين الله لهم وحذرهم وأنذرهم. وجعل الساعة غيبا مجهولا متوقعا في أية لحظة من لحظات الليل والنهار: وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا. إنهم يسألون عن الساعة: فهذا مشهد من مشاهد الساعة: **﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا. خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا. يوم تقلب وجوههم في النار..﴾** فهؤلاء الكافرون الذين يسألون عن الساعة استهزاء وتهكما واستغرابا! قد لعنهم وأعد لهم نارا تسعر بهم وتتقلب وجوههم فيها.. فهنالك تنطق ألسنتهم بالحسرة والندامة على ما فرطوا في طاعة الله ورسوله: **﴿يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾**!!..

وتنطلق من ألسنتهم ونفوسهم النقمة على سادتهم وكبرائهم الذين أضلّوهم: ﴿**وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا**. .﴾ فهذا النداء! وهذا التحسر والنقمة على هؤلاء أمنية ضائعة لا موضع لها ولا استجابة. . فقد فات الأوان. . إنما هي الحسرة على ما كان!!. . فهذه هي الساعة. . ففيما السؤال عنها؟!. . إن العمل لها هو المخلص الوحيد من هذا المصير المشؤوم فيها!. ويبدو أن زواج النبي من زينب بنت جحش مخالفا في ذلك عرف الجاهلية الذي تعمد القرآن أن يبطله بهذه السابقة العملية. . يبدو أن هذا الزواج لم يمر بسهولة ويسر. . فقد انطلقت ألسنة كثيرة من المنافقين ومرضى القلوب. . انطلقت تغمز وتلمز وتؤوّل وتعترض، وتهمس وتوسوس، وتقول قولا عظيما!!. . فالمنافقون والمرجفون لم يكونوا يسكتون. . فقد كانوا ينتهزون كل فرصة لبث سمومهم كالذي كان في غزوة الأحزاب، وفي حديث الإفك، وفي قسمة الفيء، وفي كل مناسبة تعرض لإيذاء النبي بغير حق. وكان المنافقون هم الذين يروّجون الأكاذيب. . فكان بعض المؤمنين يقع في حبائلهم ويسايرهم في بعض ما يرجون. . فجاء القرآن يحذرهم إيذاء النبي ﷺ كما آذى بنو إسرائيل موسى، ويوجههم إلى تسديد القول وعدم إلقائه على عواهنه بغير ضبط ولا دقّة، ويحببهم في طاعة الله ورسوله وما وراءها من فوز عظيم: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها. ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما**. .﴾ فلم يحدد القرآن نوع الإيذاء لموسى. . إنما يريد الله تحذير الذين آمنوا من كل ما يؤذي النبي. . وقد ضرب بني إسرائيل للالتواء والانحراف في مواضع من القرآن كثيرة. . فيكفي أن يشير إلى إيذاء اليهود لنبيئهم وتحذير المسلمين من متابعتهم فيه؛ لينفّر حِسّ كل مؤمن من أن يكون كهؤلاء المنحرفين الملتوين الذين يضربهم القرآن مثلا للانحراف والالتواء. وقد برّأ الله موسى مما رماه به اليهود.

والله مبرّئ رسله من كل ما يُرمون به كذبا وبهتانا. ومحمد ﷺ أفضل الرسل وأولاهم بتبرئة الله له والدفاع عنه. ويوجه الله المؤمنين إلى تسديد القول وإحكامه والتدقيق فيه، ومعرفة هدفه واتجاهه قبل أن يتابعوا المنافقين والمرجفين فيه، وقبل أن يستمعوا في نبيئهم ومرشدهم ووليهم إلى قول طائش ضال أو مغرض خبيث.

ويوجههم إلى القول الصالح الذي يقود إلى العمل الصالح.. فالله يرعى المُسدِّدِين ويقود خطاهم ويصلح لهم أعمالهم جزاء التصويب والتسديد. والله يغفر لذوي الكلمة الطيبة والعمل الصالح؛ ويكفر عن السيئة التي لا ينجو منها الآدميون الخطاء ولا ينقذهم منها إلا المغفرة والتكفير. ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما: والطاعة بذاتها فوز عظيم.. فهي استقامة على نهج الله. والاستقامة على نهج الله مريحة ومطمئنة. والاهتداء إلى الطريق المستقيم الواضح الواصل سعادة بذاته، ولو لم يكن وراءه جزاء سواه. وليس الذي يسير في الطريق الممهود المنير وكل ما حوله من خلق الله يتجاوب معه ويتعاون كالذي في الطريق المقلق المظلم، وكل ما حوله من خلق الله يعاديه ويصادمه ويؤذيه!.. فطاعة الله ورسوله تحمل جزاءها في ذاتها. وهي الفوز العظيم قبل يوم الحساب وقبل الفوز بالنعيم المقيم. أما نعيم الآخرة فهو فضل زائد على جزاء الطاعة. فضل من كرم الله وفيضه بلا مقابل ولعله فضل نظر الله فيه إلى ضعف هذا الإنسان، وإلى ضخامة التبعة التي يحملها على عاتقه، وإلى حمله للأمانة التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال. والتي أخذها على عاتقه وتعهّد بحملها وحده، وهو على ما هو عليه من الضعف وضغط الشهوات والميول والنزعات وقصور العلم وقصر العمر وحواجز الزمان والمكان، دون المعرفة الكاملة ورؤية ما وراء الحواجز والآماد: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا..﴾** فالسماوات والأرض والجبال ـ التي اختارها القرآن ليحدث عنها ـ هذه الخلائق الضخمة الهائلة التي يعيش الإنسان فيها أو حيالها فيبدو شيئا صغيرا ضئيلا. هذه الخلائق تنقاد إلى بارئها بلا محاولة، وتهتدي إلى ناموسه الذي يحكمها بطبيعتها وتكوينها.. وتطيع ناموس الخالق طاعة مباشرة بلا تدبر ولا واسطة..

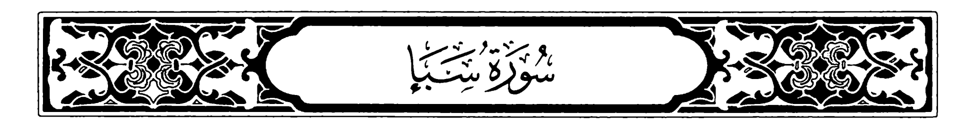
وتجري وفق هذا الناموس دائبة لا تني ولا تتخلف دورتها جزءا من ثانية وتؤدي وظيفتها بحكم خلقتها وطبيعتها غير قاصدة ولا مختارة.. فهذه الشمس تدور في فلكها دورتها المنتظمة التي لا تختل.. وترسل بأشعتها فتؤدي وظيفتها التي قدرها الله لها.. وتجذب توابعها بلا إرادة منها.. فتؤدي دورها الكوني أداء كاملا.. وهذه الأرض تدور دورتها.. وتخرج زرعها.. وتقوت أبناءها.. وتواري موتاها.. وتفجر ينابيعها.. وفق سنة الله بلا إرادة منها.. وهذا القمر.. وهذه

النجوم والكواكب.. وهذه الرياح والسحب.. وهذا الهواء.. وهذا الماء.. وهذه الجبال وهذه الوهاد.. كلها.. تمضي لشأنها بإذن ربها. وتنقاد لبارئها وتخضع لمشيئته بلا جهد منها ولا كد ولا محاولة.. لقد أشفقت من أمانة التبعة. أمانة الإرادة. أمانة المعرفة الذاتية. أمانة المحاولة الخاصة.. وحملها الإنسان.. الإنسان الذي يعرف اللهَ بإدراكه وشعوره.. ويهتدي إلى ناموسه بتدبره وبصره.. ويعمل وفق هذا الناموس بمحاولته وجهده.. ويطيع الله بإرادته وحمله لنفسه، ومقاومة انحرافاته ونزعاته ومجاهدة ميوله وشهواته..وهو في كل خطوة من هذه الخطوات مريد مدرك.. يختار طريقه وهو عارف إلى أين يؤدي بهذا الطريق!. إنها أمانة ضخمة حملها هذا المخلوق الصغير الحجم القليل القوة الضعيف الحول المحدود العمر؛ الذي تناوشه الشهوات والنزعات والميول والأطماع.. وإنها لمخاطرة أن يأخذ على عاتقه هذه التبعة الثقيلة.ومن ثم كان ظلوما لنفسه جهولا لطاقته.هذا بالقياس إلى ضخامة ما زج بنفسه لحمله..فأما حين ينهض بالتبعة.حين يصل إلى المعرفة الواصلة إلى بارئه،والاهتداء المباشر لناموسه والطاعة الكاملة لإرادة ربه المعرفة والاهتداء والطاعة التي تصل في طبيعتها وفي آثارها إلى مثلِ ما وصلت إليه من سهولة ويسر وكمال في السماوات والأرض والجبال..الخلائق التي تنقاد مباشرة وتهتدي مباشرة وتطيع مباشرة، ولا تحول بينها وبين بارئها وناموسه وإرادته الحوائل. ولا تقعد بها المثبطات عن الانقياد والطاعة والأداء..حين يصل الإنسان إلى هذه الدرجة،وهو واع مدرك مريد..فإنه يصل حقا إلى مكان كريم، ومكان بين خلق الله فريد!.إنها الإرادة والإدراك والمحاولة وحمل التبعة..هي هي ميزة الإنسان على كثير من خلق الله .وهي هي مناط التكريم الذي أعلنه الله في الملإ الأعلى.

وهو يأمر ملائكته بالسجود لآدم..وأعلنه في قرءانه الباقي وهو يقول ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿**ولقد كرمنا بني آدم**﴾ فليعرف الإنسان مناط تكريمه عند الله..ولينهض بالأمانة التي اختاره..والتي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ..!ذلك كان ﴿..**ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات**﴾..فاختصاص الإنسان بحمل الأمانة وأخذه على عاتقه أن يعرف بنفسه ويهتدي بنفسه ويعمل بنفسه ويصل بنفسه..كان هذا ليتحمل عاقبة اختياره وليكون

جزاؤه من عمله. وليحق العذاب على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات.. وليمد الله يد العون للمؤمنين والمؤمنات.. فيتوب عليهم مما يقعون فيه تحت ضغط ما ركب فيهم من نقص وضعف وما يقف في طريقهم من حواجز وموانع، وما يشدهم من جواذب وأثقال. فذلك فضل الله وعونه وهو أقرب إلى المغفرة والرحمة بعباده: **﴿وكان الله غفورا رحيما﴾**. بهذا الإيقاع الذي يصور جسامة التبعة وضخامة الأمانة. ويحدد موضع الجسامة ومنشأ الضخامة. ويحصرها كلها في نهوض الإنسان بمعرفة الله والاهتداء إلى ناموسه والخضوع لمشيئته التي أرادها الله للإنسان.

2 ـ موضوعات هذه السورة المكيّة،
هي موضوعات العقيدة الرئيسية



النصّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿1﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿2﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿3﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿4﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿5﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿6﴾ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿7﴾

أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (8) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ
نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (9) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ
مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10)
أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا
إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ
وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ
يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ
السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ
كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ
عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ
مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ
أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)
* لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15)
فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ

ذَوَاتَيْ أُكْلِ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿16﴾
ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ يُجَٰزَىٰٓ إِلَّا ٱلْكَفُورُ ﴿17﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿18﴾
فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿19﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ
فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿20﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم
مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا
فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿21﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿22﴾
وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿23﴾
* قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿24﴾
قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿25﴾
قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ

ٱلْعَلِيمُ ﴿26﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿27﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً
لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿28﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿29﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً
وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿30﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ
يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿31﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ
عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿32﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ
أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا
رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿33﴾ * وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿34﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿35﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (36) وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي
تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ (37) وَٱلَّذِينَ
يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ (38)
قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ
وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (39)
وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ
يَعۡبُدُونَ (40) قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ
يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ (41) فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ
لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (42) وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ
قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ
وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ
إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ (43) وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ
وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ (44) وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ
وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ (45)
۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ
ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ

إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿46﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿47﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿48﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿49﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿50﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿51﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿52﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿53﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿54﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير﴾: أصل الحمد في اللغة الثناء باللسان الصادر عن القادر المختار على الفعل الجميل الصادر بالاختيار والحكيم: الذي أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة. والخبير: العليم ببواطن الأشياء ومكنوناتها. **﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور﴾** ما يلج في الأرض: ما يدخل في الأرض. يقال: ولج يلج ولوجا: دخل. وعكسه: خرج: والعروج: الصعود. يقال: عرج يعرج عروجا. وعكسه نزل. وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمة. والغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه. **﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾**: أنكر الذين كفروا مجيء يوم القيامة. **﴿قل: بلى وربي لتأتينكم..﴾** بلى: حرف جواب رد لنفي قولهم.

وربي لتأتينكم: قسمٌ على إثبات مجيء الساعة التي نفاها الكافرون. ﴿**عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض. ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين..**﴾ العزوب: البعد والغياب والخفاء. مثقال ذرة: وزن هباءة.. ﴿**ليجزىَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم**﴾: هذا بيان لإثبات الساعة وما يكون فيها من جزاء. والرزق الكريم: الذي لا تعب فيه ولا منّ عليه ولا ضرر منه. ﴿**والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم**﴾: والذين أجهدوا أنفسهم في إبطال آياتنا مسابقين لنا.. معنى معاجزين: مسابقين لكي يفوتونا؛ لأن المسابق يطلب تعجيز خصمه. والرجس: سوء العذاب. والأليم: زيادة في سوئه وشدته.. ﴿**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد..**﴾ الذين أوتوا العلم أولوا العلم من أصحاب الرسول ومن تابعهم من المؤمنين ومن أهل الكتاب الذين علموا صدق الرسول.. رأوا القرآن حقا وهاديا إلى طريق الله العزيز الحميد.

﴿**وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد**﴾: القائلون: هم كفار قريش. هل ندلكم على رجل: يعنون به النبي.. ينبئكم: يخبركم بخبر عجاب. إذا مزقتم كل ممزق: إذا متم ومزقت أجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا. إنكم لفي خلق جديد! تعودون إلى الحياة من جديد!!.. ﴿**أفترى على الله كذبا أم به جنة؟!.. بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد! أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض؟! إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء**﴾: كلمات هذه الآية واضحات.. ﴿**ولقد آتينا داوود منا فضلا**﴾: أعطينا داوود شيئا زائدًا خاصا به. وهو ما ذكر من قوله تعالى: ﴿**يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد ..**﴾ التأويب: ترجيع الصوت. وتليين الحديد له: جعله له طوع إرادته: أن اعمل سابغات، بحيث يعمل منه دروعا سابغات واسعات.. وقدر في السرد: اقتصد في نسج الدروع بحيث تتناسب حلقها والمراد إتقان صنعها. ﴿**واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير.. ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر..**﴾ سخر الله لسليمان الريح لتسيير السفن.. فتغدو مسيرة شهر.. وتروح مسيرة شهر في اليوم.

﴿**وأسلنا له عين القطر**﴾: أجرى الله لسليمان عين النحاس من معدنه. ﴿**ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير: يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات. .**﴾ محاريب: جمع محراب. وهو بيت العبادة ويطلق على المساكن الحصينة. وتماثيل: جمع تمثال. وهو الصورة. . وجفان كالجواب: الجفان جمع جفنة. هي القصعة التي يؤكل فيها. والجوابي الحياض الكبيرة، يجمع فيها الماء. وقدور: جمع قدر. وهو الإناء الكبير يطبخ فيه الطعام. راسيات: ثابتات. ﴿**اعملوا آل داوود شكرا. . وقليل من عبادي الشكور. . فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته. . فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين. .**﴾ فالمعنى هنا: فلما انقضى أجل سليمان مات واقفا متكئا على عصاه. وما دل الجنّ على موته إلا أرضة أكلت عصاه فسقط. ومن هذا علم أن الجنّ لا يعلمون الغيب؛ لأنهم بقوا بعد موته يعملون العمل الشاق. وهو العذاب المهين.

﴿**لقد كان لسبأ في مساكنهم آية. .**﴾ سبأ: أولاد سبأ. . آية: علامة دالة على نعم الله عليهم. . ﴿**جنتان**﴾: جماعتان من البساتين. ﴿**عن يمين وشمال**﴾: عن يمين السائر في الطريق وشماله. . ﴿**كلوا من رزق ربكم واشكروا له. . بلدة طيبة ورب غفور. . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم**﴾: فأعرضوا عن أمر الله ولم يشكروه على نعمه. . فأرسل الله عليهم سيلا مدمرا هائلا خرب بساتينهم ودمر مساكنهم. . ﴿**وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. .**﴾ فالخمط: كل نبت فيه مرارة. والأثل: شجر الطرفاء. والسدر: شجر النبق. ﴿**ذلك جزيناهم بما كفروا. . وهل يجازى إلا الكفور؟!. . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة**﴾: جعل الله قراهم متصلة بعضها ببعض من اليمن إلى الشام. بحيث يسير السائر دون أن يشعر بمشقة السفر. . ﴿**وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم**﴾: بطروا النعمة وسئموا أطيب العيش. . فطلبوا مشاق السفر. . فاستجاب الله مطلبهم. . ﴿**فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق. . إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور. . ولقد صدق عليهم إبليس ظنّه. . فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين. . وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك**

. . وربك على كل شيء حفيظ. . قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له. . حتى إذا فزع عن قلوبهم. .﴾ أزيل الفزع عنهم . . **﴿قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق. . وهو العلي الكبير. . قل: من يرزقكم من السماوات والأرض؟ قل: الله! . وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾**: سيأتي تفصيل هذا الكلام في خلاصة المعنى العام. **﴿قل: لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون. . قل: يجمع بيننا ربنا. . ثم يفتح بيننا بالحق﴾**: يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنك: بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار. **﴿قل: أروني الذين ألحقتم به شركاء ؟! . . كلا. . بل هو الله العزيز الحكيم. . وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾**: الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فهو الذي أرسله الله لجميع الناس بشيرا ونذيرا. . **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون. . ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. . قل: لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون. .﴾**.

﴿وقال الذين كفروا: لن نؤمن بهذا القرآن. . ولا بالذي بين يديه﴾: يوم القيامة وما فيه من الحساب. . **﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾**: المنكرون للبعث . . **﴿موقوفون﴾**: في موقف المحاسبة. **﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾**: يتحاورون ويتراجعون القول: **﴿يقول الذين استضعفوا﴾**: الأتباع . . **﴿للذين استكبروا﴾**: المتبوعين في الغي والضلال **﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾**. **﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا﴾ ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم؟! . . بل كنتم مجرمين. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا: بل مكر الليل والنهار﴾**: صدنا مكركم بنا بالليل والنهار: **﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا. . وأسروا الندامة لما رأوا العذاب. .وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا. .هل يجزون إلا ما كانوا يعملون. .وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾**: الذين أترفهم المال والجاه والسلطان . . **﴿إنّا بما أرسلتم به كافرون . . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾**! . . فنحن الأكرمون بالأموال والأولاد. . فلا أحد يستطيع أن يعذبنا . . **﴿قل : إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. .﴾** بسط الرزق زيادته. وتقديره: تنقيصه وتضييقه. . فالمقدر المعدود قليل، والمبسوط الممدود كثير. . **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون. .﴾** فيقيسون كثرة المال بالقوة

والعظمة.. وقلة المال بالضعف والمهانة .. ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى.. إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف. بما عملوا وهم في الغرفات آمنون.. والذين يسعون في آياتنا مُعاجزين أولئك في العذاب محضرون.. قل: إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين.. ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟!.. قالوا: سبحانك!: أنت ولينا من دونهم .. بل كانوا يعبدون الجن.. أكثرهم بهم مؤمنون.. فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا.. ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون!!.. وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**﴾: آيات القرآن الواضحة.. ﴿**قالوا: ما هذا**﴾: المشار إليه النبي.. ﴿**إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم!. وقالوا: ما هذا**﴾: المشار إليه القرآن.. ﴿**إلا إفك مفترى**﴾: كذب مختلق لا أساس له من الصحة!!.. ﴿**وقال الذين كفروا للحق**﴾: القرآن المعجز.. ﴿**لما جاءهم**﴾: متحديا لهم.. ﴿**إن هذا إلا سحر مبين!!.. وما آتيناهم من كتب يدرسونها**﴾: ما آتينا أهل مكة ومن حولها أي كتب يدرسونها ويعلمون ما فيها.. ﴿**وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير**﴾: ولا جاءهم قبلَ محمدٍ أيُّ نذير ينذرهم مما هم فيه من الضلال. ﴿**وكذب الذين من قبلهم**﴾: من الأمم السابقة.. ﴿**وما بلغوا معشار ما آتيناهم**﴾: ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة والكثرة في الأموال والأولاد والجاه والسلطان.. ﴿**فكذبوا رسلي.. فكيف كان نكير؟!.. قل: إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى**﴾: متفرقين: اثنين اثنين، أو واحدا واحدا.. فإن الازدحام يشوش الأفهام!.. ﴿**ثم تتفكروا**﴾: تنظروا بأفكاركم في أمر محمد ودعوته لتعلموا حقيقته وما جاء به.. ﴿**ما بصاحبكم من جنّة**﴾: ليس بمحمد من جنون ولا هموس ولا ظنون.. ﴿**إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد..**﴾ فمحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إليكم لينذركم عذاب الآخرة. ﴿**قل: ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله.. وهو على كل شيء شهيد.. قل: إن ربي يقذف بالحق**﴾: يرمي به الباطل فيزهق ولا يثبت أمام الحق.. ﴿**علام الغيوب.. قل: جاء الحق**﴾: الإسلام دين الحق، ﴿**وما يبدئ الباطل وما يعيد!.. قل: إن ضللت فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربي.. إنه سميع قريب.. ولو ترى إذ فزعوا**﴾: لو ترى حين فزعوا

من هول ما لقوا لرأيت أمرا عجيبا..!!. ﴿**فلا فوت**﴾: لا هروب ولا حِصْنَ.. ﴿**وأخذوا من مكان قريب**﴾: المكان القريب الأرض التي دفنوا فيها.. ﴿**وقالوا آمنا به**﴾: هنالك يقرون بإيمانهم بالرسول وبما جاء به.. ولكن لا يفيدهم: ﴿**وأنى لهم التناوش من مكان بعيد**﴾؟!.. التناوش: التناول السهل القريب: فقد بعد الأمر واستحال. ﴿**وقد كفروا به من قبل**﴾ عندما كانوا في الدنيا ﴿**ويَقْذِفُونَ بالغيب من مكان بعيد..**﴾ فقد كانوا يرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾: حال الله بينهم وبين ما يشتهون من النجاة من النار ونفع الإيمان بعد فوات الأوان. ﴿**كما فعل بأشياعهم من قبل..**﴾ فعل بهم كما فعل بأشباههم من كفرة الأمم السابقة. ﴿**إنهم كانوا في شك مريب**﴾. موقع في الارتياب.

مبحث الإعراب

﴿**الحمد**﴾ مبتدأ. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبره. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت لله. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخر. والجملة صلة الموصول. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وما في الأرض**﴾ معطوفة على ما في السماوات. ﴿**وله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الحمد**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة معطوف على ما قبلها. ﴿**في الآخرة**﴾ متعلق بما تعلق به الخبر. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الحكيم الخبير**﴾ خبران. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يلج**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ما. والجملة صلة ما. ﴿**في الأرض**﴾ متعلق بيلج. ﴿**وما يخرج**﴾ معطوف على ما يلج. ﴿**منها**﴾ متعلق بيخرج. ﴿**وما ينزل من السماء وما يعرج فيها**﴾ إعرابها مثل إعراب ما قبلها. ﴿**وهو الرحيم الغفور**﴾ مثل إعراب وهو الحكيم الخبير. ﴿**وقال الذين**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**لا تأتينا**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**الساعة**﴾ فاعل. وجملة لا تأتينا مقول القول. ﴿**قل**﴾ : ﴿**بلى**﴾ حرف جواب. ﴿**وربي**﴾ قسم مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. وياء المتكلم في محل جر بالإضافة إلى رب. ﴿**لتأتينكم**﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والفاعل ضمير يعود على

الساعة. والجملة واقعة في جواب القسم. ﴿**عالم**﴾ خبر لمبتدأ محذوف هو عالم. ﴿**الغيب**﴾ مضاف إلى عالم. ﴿**لا يعزب**﴾ فعل مضارع منفي بلا. ﴿**عنه**﴾ متعلق بيعزب. ﴿**مثقال**﴾ فاعل. ﴿**ذرة**﴾ مضاف إلى مثقال. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بيعزب. ﴿**ولا في الأرض**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**ولا أصغر**﴾ مبتدأ. ﴿**من ذلك**﴾ متعلق بأصغر. ﴿**ولا أكبر**﴾ معطوف على أصغر. ﴿**إلا في كتاب**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**مبين**﴾ نعت لكتاب. ﴿**ليجزى**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام. والفاعل ضمير يعود على الله. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بتأتينكم. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وعملوا**﴾ معطوف على آمنوا. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به.

﴿**أولئك**﴾ مبتدأ أول. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مغفرة**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة خبر المبتدأ الأول. ﴿**ورزق**﴾ معطوف على مغفرة. ﴿**كريم**﴾ نعت لرزق. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**سعوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**في آياتنا**﴾ متعلق بسعوا. ﴿**معاجزين**﴾ حال من واو الجماعة في سعوا. ﴿**أولئك**﴾ مبتدأ. ﴿**لهم عذاب**﴾ مثل لهم مغفرة في الإعراب. ﴿**من رجس**﴾ بيان لعذاب. ﴿**أليم**﴾ نعت لرجس. وجملة لهم عذاب خبر أولئك. وجملة أولئك لهم عذاب خبر الذين سعوا في آياتنا. ﴿**ويرى الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أوتوا**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿**العلم**﴾ مفعول به. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب مفعول أول ليرى. ﴿**أنزل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الذي. ﴿**إليك من ربك**﴾ متعلقان بأنزل. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**الحق**﴾ مفعول ثان ليرى. ﴿**ويهدي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الذي أنزل. ﴿**إلى صراط**﴾ متعلق بيهدي. ﴿**العزيز**﴾ مضاف إلى صراط. ﴿**الحميد**﴾ عطف بيان للعزيز. وجملة يهدي عطف على الحق. ﴿**وقال الذين**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**هل ندلكم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**على رجل**﴾ متعلق بالفعل قبله ﴿**ينبئكم**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير يعود على رجل. وضمير المخاطبين مفعول. وجملة ينبئكم نعت لرجل. ﴿**إذا مزقتم**﴾ الفعل ونائب الفاعل فعل شرط إذا. ﴿**كل**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ممزق**﴾

مضاف إلى كل. وجواب شرط إذا مقدر. والتقدير: إذا مزقتم كل ممزق تبعثون. وهو عامل في إذا النصب. ﴿**إنكم**﴾ إن واسمها. ﴿**لفي خلق**﴾ متعلق بمحذوف خبر إن. ﴿**جديد**﴾ نعت لخلق. والجملة مؤكدة للجواب. ﴿**أفترى**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الاستفهام. والفاعل ضمير يعود على رجل. ﴿**على الله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كذبا**﴾ مفعول به. ﴿**أم**﴾ حرف عطف. ﴿**به**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم ﴿**جنة**﴾ مبتدأ مؤخر. والجملة عطف على جملة أفترى. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب وعطف. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. والجملة صلة الموصول. ﴿**بالآخرة**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**في العذاب**﴾ متعلق بمحذوف خبر الذين. ﴿**والضلال**﴾ معطوف على العذاب. ﴿**البعيد**﴾ نعت للضلال. ﴿**أفلم يروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. وحرف الترتيب وهمزة الاستفهام. ﴿**إلى ما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**بين**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**أيديهم**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**وما خلفهم**﴾ معطوف على ما بين أيديهم.

﴿**من السماء**﴾ بيان لما. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماء. ﴿**إن نشأ**﴾ فعل مضارع مجزوم بِإنْ الشرطية. والفاعل نحن. ﴿**نخسف**﴾ مجزوم في جواب الشرط. ﴿**بهم**﴾ متعلق بنخسف. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به. ﴿**أو نسقط**﴾ معطوف على نخسف. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بنسقط. ﴿**كسفا**﴾ مفعول به. ﴿**من السماء**﴾ متعلق بنسقط. وجملة إن نشأ بيان لما تضمنه قوله: أفلم يروا إلى ما. إلخ ﴿**إن في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إن مقدم. ﴿**لآية**﴾ اسم إن مؤخر. والجملة تعليلية. ﴿**لكل**﴾ متعلق بآية. ﴿**عبد**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**منيب**﴾ نعت لعبد. ﴿**ولقد آتينا داوود**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**منا**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**فضلا**﴾ مفعول ثان. ﴿**يا جبال**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب. ﴿**أوّبي**﴾ فعل أمر مبني على حذف النون. وياء المؤنث في محل رفع فاعل. ﴿**معه**﴾ متعلق بأوبي. ﴿**والطير**﴾ معطوف على قوله: ولقد آتينا داوود منا فضلا على تقدير فعل. أي: وسخرنا له الطير. ﴿**وألنّا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**له**﴾ متعلق بألنّا. ﴿**الحديد**﴾ مفعول به. ﴿**أن اعمل**﴾ فعل أمر دخلت عليه أن المصدرية. ﴿**سابغات**﴾ مفعول به. وإن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام جر مقدر. والتقدير ألنّا له الحديد لعمل

سابغات. ﴿**وقدّر**﴾ معطوف على اعمل. ﴿**في السرد**﴾ متعلق بقدر. ﴿**واعملوا**﴾ أمر موجّه إلى المخاطبين. ﴿**صالحا**﴾ مفعول به. ﴿**إني**﴾ إن واسمها. ﴿**بما**﴾ متعلق بخبر إنّ الآتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**بصير**﴾ خبر إن. ﴿**ولسليمان**﴾ متعلق بفعل مقدر معطوف على قوله تعالى: ولقد آتينا داوود منا فضلا. والتقدير: وسخرنا لسليمان ﴿**الريح**﴾ مفعول به. ﴿**غدوّها**﴾ مبتدأ. ﴿**شهر**﴾ خبره. ﴿**ورواحها شهر**﴾ مبتدأ وخبر معطوف على ما قبله. ﴿**وأسلنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**له**﴾ متعلق بأسلنا. ﴿**عين**﴾ مفعول به. ﴿**القطر**﴾ مضاف إليه. ﴿**ومن**﴾ في محل رفع بمعنى بعض مبتدأ. ﴿ **الجن**﴾ مضاف إليه. ﴿**من**﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿**يعمل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلة الموصول. ﴿**بين**﴾ متعلق بيعمل. ﴿**يديه**﴾ مضاف إلى بين مجرور بالياء. ﴿**بإذن**﴾ متعلق بما تعلق به الظرف. ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى إذن. ﴿**ومن يزغ**﴾ فعل مضارع مجزوم بمن الشرطية. والفاعل ضمير يعود على من. والجملة فعل الشرط.

﴿**منهم عن أمرنا**﴾ متعلقان بيزغ. ﴿**نذقه**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الشرط. والفاعل نحن. ﴿**من عذاب**﴾ متعلق بنذقه. ﴿**السعير**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة مستأنفة. ﴿**له**﴾ متعلق بيعملون. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على سليمان. والجملة صلة ما. ﴿**من محاريب**﴾ بيان لما يشاء. ﴿**وتماثيل**﴾ معطوف على محاريب. وهما ممنوعان من الصرف على صيغة مفاعيل. ﴿**وجفان**﴾ عطف على محاريب. ﴿**كالجواب**﴾ تشبيه لجفان. ﴿**وقدور**﴾ معطوف على جفان كالجواب. ﴿**راسيات**﴾ نعت لقدور. ﴿**اعملوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**آل**﴾ منادى حذفت منه حرف النداء. ﴿**داوود**﴾ مضاف إلى آل. ﴿**شكرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وقليل**﴾ مبتدأ. ﴿**من عبادي**﴾ متعلق بمحذوف نعت لعباد. ﴿**الشكور**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**فلما قضينا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه لما الشرطية وفاء التعقيب. ﴿**عليه**﴾ متعلق بقضينا. ﴿**الموت**﴾ مفعول به. ﴿**ما دلّهم**﴾ فعل ماض. وما نافية. ﴿**على موته**﴾ متعلق بدلهم. ﴿**إلا دابة**﴾ فاعل دلهم. ﴿**الأرض**﴾ مضاف إلى دابة. ﴿**تأكل**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على دابة. ﴿**منساته**﴾ مفعول به. وجملة ما دلهم على موته إلا دابة الأرض جواب شرط لمّا. ﴿**فلما خرّ**﴾ إعرابها

مثل إعراب فلما قضينا. وفاعل خرّ ضمير يعود على سليمان. ﴿**تبينت الجن**﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب شرط لما. ﴿**أن**﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير يعود على الجنّ. أي: أنهم. ﴿**لو كانوا**﴾ كان واسمها. دخلت عليها لو الشرطية. ﴿**يعلمون الغيب**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر كان. ﴿**ما لبثوا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي. ﴿**في العذاب**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**المهين**﴾ نعت للعذاب. وجملة ما لبثوا.. جواب شرط لو. وجملة لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين خبر أن المخففة. وأن هذه وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور متعلق بفعل تبينت الجن. أي: ظهرت الجن على عدم علم الغيب. ﴿**لقد كان**﴾ فعل ماض ناقص دخل عليها حرف التحقيق ولام القسم. ﴿**لسبإٍ في مساكنهم**﴾ متعلقان بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**آية**﴾ اسم كان مؤخر. والجملة قسمية لا محل لها من الإعراب. ﴿**جنتان**﴾ بدل من آية. ﴿**عن يمين**﴾ متعلق بمحذوف نعت جنتان. ﴿**وشمال**﴾ عطف على يمين. ﴿**كلوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**من رزق**﴾ متعلق بكلوا. ﴿**ربكم**﴾ مضاف إلى رزق. ﴿**واشكروا**﴾ معطوف على كلوا. ﴿**له**﴾ متعلق باشكروا. ﴿**بلدة**﴾ خبر لمبتدأ مقدر. أي: بلدتكم بلدة ﴿**طيبة**﴾ نعت لبلدة. ﴿**ورب**﴾ معطوف على بلدة، بتقدير وربكم رب ﴿**غفور**﴾ خبر ثان. ﴿**فأعرضوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء التعقيب. ﴿**فأرسلنا**﴾ مرتب على أعرضوا.

﴿**عليهم**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**سيل**﴾ مفعول به. ﴿**العرم**﴾ مضاف إلى سيل. ﴿**وبدلناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**بجنتيهم**﴾ متعلق ببدلناهم. ﴿**جنتين**﴾ مفعول ثان. ﴿**ذواتى**﴾ نعت لجنتين. ﴿**أكل**﴾ مضاف إلى ذواتى. ﴿**خمط**﴾ نعت لأكل. ﴿**وأثل**﴾ عطف على أكل. ﴿**وشيء**﴾ كذلك. ﴿ **من سدر**﴾ بيان لشيء. ﴿**قليل**﴾ نعت لسدر. ﴿**ذلك**﴾ في محل نصب مفعول مقدم. ﴿**جزيناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿**بما**﴾ متعلق بجزيناهم. ﴿**كفروا**﴾ صلة ما. ﴿**وهل**﴾ وما. ﴿**يجازى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**إلا**﴾ ملغاة. ﴿**الكفور**﴾ نائب الفاعل. ﴿**وجعلنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**بينهم**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**وبين**﴾ معطوف على الظرف قبله. ﴿**القرى**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**التي**﴾ في محل جر نعت للقرى. ﴿**باركنا**﴾ فعل وفاعل صلة التي. ﴿**فيها**﴾ متعلق بباركنا. ﴿**قرى**﴾ مفعول به. ﴿**ظاهرة**﴾ نعت لقرى. ﴿**وقدرنا**﴾ معطوف على

جعلنا. ﴿**فيها**﴾ متعلق بقدرنا. ﴿**السير**﴾ مفعول به. ﴿**سيروا**﴾ أمر موجّه إلى المخاطبين. ﴿**فيها**﴾ متعلق بسيروا. ﴿**ليالي**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**وأياما**﴾ معطوف عليه. ﴿**آمنين**﴾ حال من واو الجماعة في سيروا. ﴿**فقالوا**﴾ فعل وفاعل. والفاء للتعقيب. ﴿**ربنا**﴾ منادى حذفت منه ياء النداء. ﴿**باعد**﴾ فعل دعاء. ﴿**بين**﴾ متعلق بباعد. ﴿**أسفارنا**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**وظلموا أنفسهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**فجعلناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول والفاء للتعقيب. . ﴿**أحاديث**﴾ مفعول ثان. ﴿**ومزقناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**كل**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ممزق**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**إن في ذلك لآيات**﴾ تقدم إعراب مثل هذه الجملة. ﴿**لكل**﴾ متعلق بآيات. ﴿**صبار**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**شكور**﴾ نعت لصبار. ﴿**ولقد صدق**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بصدق. ﴿**إبليس**﴾ فاعل صدق. ﴿**ظنّه**﴾ مفعول به. ﴿**فاتبعوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**إلا فريقا**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**من المؤمنين**﴾ بيان له. ﴿**وما كان**﴾ ما نافية وكان ناقصة. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**من سلطان**﴾ خبر كان مجرور بمن الزائدة في محل نصب. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**لنعلم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام. والفاعل نحن. ﴿**من**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يؤمن**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على من. والجملة صلة من. ﴿**بالآخرة**﴾ متعلق بيؤمن.

﴿**ممن**﴾ متعلق بنعلم. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**منها**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**في شك**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة صلة من. ﴿**وربك**﴾ مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**حفيظ**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**قل**﴾ : ﴿**ادعوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**زعمتم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**من دون**﴾ متعلق بزعمتم. ﴿**الله**﴾ مضاف. ﴿**لا يملكون مثقال**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**ذرة**﴾ مضاف إلى مثقال. ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بقوله: لا يملكون. ﴿**ولا في الأرض**﴾ معطوف على قوله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات. أي: ولا يملكون مثقال ذرة في الأرض. ﴿**وما لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. وما نافية. والواو للعطف. ﴿**فيهما**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**من شرك**﴾

مبتدأ مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**وما لهم**﴾ مثل إعراب ما له. ﴿**منه**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**من ظهير**﴾ مثل قوله من شرك في الإعراب. ﴿**ولا تنفع الشفاعة**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي وواو العطف .﴿**عنده**﴾ متعلق بقوله: لا تنفع. ﴿**إلا لمن**﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال.﴿**أذن**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**له**﴾ متعلق بأذن. وجملة أذن له صلة من ﴿**حتى**﴾ حرف غاية. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**فزع**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**عن قلوبهم**﴾ نائب الفاعل. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ماذا**﴾ اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم ﴿**قال ربكم**﴾ فعل وفاعل وجملة قالوا ماذا قال ربكم جواب شرط إذا وجملة ﴿**قالوا الحق**﴾ جواب ماذا.وهو فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**العلي**﴾ خبر المبتدأ.﴿**الكبير**﴾ خبر ثان. ﴿**قل**﴾ : ﴿**من**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**يرزقكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على من. والضمير المتصل بالفعل مفعول. والجملة خبر من. وجملة من يرزقكم. . مقول القول. ﴿**من السماوات**﴾ متعلق بيرزقكم. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**قل**﴾ : ﴿**الله**﴾ فاعل بفعل مقدر. أي: يرزقكم الله. ﴿**وإنا**﴾ إن واسمها. والواو للعطف. ﴿**أو إياكم**﴾ معطوف على اسم إن. مبني على السكون في محل نصب. ﴿**لعلى هدى**﴾ متعلق بمحذوف خبر إن. واللام لتقوية الخبر. ﴿**أو في ضلال**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**مبين**﴾ نعت لضلال.﴿**قل**﴾: ﴿**لا تسألون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منفي بلا. وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**عما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أجرمنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**ولا نسأل**﴾ نحن. معطوف على ما قبله.

﴿**عما تعملون**﴾ مثل عما أجرمنا في الإعراب. ﴿**قل**﴾ : ﴿**يجمع**﴾ فعل مضارع. ﴿**بيننا**﴾ متعلق به. ﴿**ربنا**﴾ فاعله. ﴿**ثم يفتح**﴾ معطوف على يجمع وفاعله ضمير ربنا. ﴿**بيننا بالحق**﴾ متعلقان بيفتح. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الفتاح**﴾ خبره. ﴿**العليم**﴾ خبر ثان. ﴿**قل: أروني**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول ثان. ﴿**ألحقتم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**به**﴾ متعلق بألحقتم. ﴿**شركاء**﴾ مفعول ثالث. ﴿**كلا**﴾ حرف ردع. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الله**﴾ خبره. ﴿**العزيز الحكيم**﴾ عطف بيان لله.

﴿**وما أرسلناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**إلا**﴾ ملغاة. ﴿**كافة**﴾ حال مقدم من: لِلناس﴾ متعلق بأرسلناك. ﴿**بشيرا**﴾ حال من ضمير المخاطب. ﴿**ونذيرا**﴾ حال بعد حال. ﴿**ولكن أكثر**﴾ لكن واسمها والواو للعطف. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أكثر. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي والجملة خبر لكن. ﴿**ويقولون**﴾ : ﴿**متى**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**الوعد**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها دخلت عليه إن الشرطية. ﴿**صادقين**﴾ خبر كان. وجواب الشرط محذوف دل عليه متى هذا الوعد. ﴿**قل: لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ميعاد**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**يوم**﴾ مضاف إلى ميعاد. ﴿**لا تستأخرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي ﴿**عنه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ساعة**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**ولا تستقدمون**﴾ معطوفة على الجملة قبلها، وجملة لا تستقدمون نعت ليوم. ﴿**وقال الذين**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**لن نؤمن**﴾ فعل مضارع منصوب بلن. والفاعل نحن. ﴿**بهذا**﴾ متعلق بنؤمن. ﴿**القرآن**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**ولا بالذي**﴾ معطوف على قوله: لن نؤمن بهذا. ﴿**بين**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذي. ﴿**يديه**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**ولو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**ترى**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير المخاطب .﴿**إذ**﴾ متعلق بترى.

﴿**الظالمون**﴾ مبتدأ. ﴿**موقوفون**﴾ خبره. ﴿**عند**﴾ متعلق بموقوفون. ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى عند. وجواب شرط لو محذوف.أي: لرأيت أمرا فضيعا وحالا مهولة لا تطاق رؤيتها. . ﴿**يرجع بعضهم**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إلى بعض**﴾ متعلق بيرجع. ﴿**القول**﴾ مفعول به. وجملة يرجع بعضهم حال من الظالمين. ﴿**يقول الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**استضعفوا**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿**للذين**﴾ متعلق بيقول. ﴿**استكبروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**لولا**﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿**أنتم**﴾ مبتدأ في محل رفع والخبر محذوف. أي: موجودون، ويحذف خبر المبتدأ بعد لولا غالبا. ﴿**لكنا**﴾ كان واسمها واللام لتقوية الجملة. ﴿**مؤمنين**﴾ خبر كان. وجملة لكنّا مؤمنين جواب شرط لولا. ﴿**قال الذين استكبروا للذين استضعفوا**﴾ إعراب هذا الكلام مثل إعراب الذي سبقه: ﴿**أنحن**﴾ في محل رفع مبتدأ والهمزة للاستفهام. ﴿**صددناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة خبر المبتدأ. ﴿**عن الهدى**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**بعد**﴾ منصوب على

الظرفية متعلق بما تعلق به الجار والمجرور قبله. ﴿**إذ**﴾ في محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**جاءكم**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الهدى والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب وعطف. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**مجرمين**﴾ خبرها. ﴿**وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا**﴾. ﴿**بل مكر**﴾ مبتدأ. ﴿**الليل**﴾ مضاف إلى مكر. ﴿**والنهار**﴾ معطوف على الليل وخبر المبتدأ محذوف أي مكر الليل والنهار سبب كفرنا. ﴿**إذ**﴾ مبني على السكون في محل نصب معمول لما قبله. ﴿**تأمروننا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**أن نكفر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل نحن. ﴿**بالله**﴾ متعلق بنكفر. وأنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر. والتقدير: تأمروننا بالكفر بالله. ﴿**ونجعل**﴾ مثل أن نكفر في الإعراب. ﴿**له**﴾ متعلق بنجعل. ﴿**أندادا**﴾ مفعول به. ﴿**وأسروا الندامة**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**لما**﴾ ظرف متعلق بأسروا. ﴿**رأوا العذاب**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وجعلنا الأغلال**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والواو للعطف. ﴿**في أعناق**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى أعناق. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**هل**﴾ ما. ﴿**يجزون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**إلا ما**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعملون صلة ما. ﴿**وما أرسلنا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**في قرية**﴾ متعلق بأرسلنا.

﴿**من نذير**﴾ مفعول بأرسلنا مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**إلا**﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿**قال مترفوها**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إنا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**أرسلتم**﴾ الجملة من الفعل ونائب الفاعل صلة ما. ﴿**به**﴾ متعلق بأرسلتم. ﴿**كافرون**﴾ خبر إنا. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أكثر**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**أموالا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**وأولادا**﴾ معطوف عليه. ﴿**وما**﴾ تعمل عمل ليس. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع اسم ما. ﴿**بمعذبين**﴾ خبر ما. جر بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**قل: إن ربي**﴾ إن واسمها. ﴿**يبسط**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ربي. ﴿**الرزق**﴾ مفعول به. وجملة يبسط خبر إن. ﴿**لمن**﴾ متعلق بيبسط. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير مثل ضمير يبسط. وجملة يشاء صلة من. ﴿**ويقدر**﴾ معطوف على يبسط. وفاعله هو فاعله. ﴿**ولكن أكثر**﴾ لكن واسمها. والواو

للعطف. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى أكثر. ﴿**لا يعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. وجملة لا يعلمون خبر لكنّ. ﴿**وما أموالكم**﴾ ما واسمها. والواو للعطف. ﴿**ولا أولادكم**﴾ معطوف على أموالكم. ﴿**بالتي**﴾ في محل نصب خبر ما. والباء حرف جر زائد. ﴿**تقربكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على التي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**عندنا**﴾ متعلق بتقربكم. ﴿**زلفى**﴾ مفعول مطلق منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**إلا من**﴾ في محل نصب على الاستثناء. ﴿**آمن**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على آمن. والجملة صلة من. ﴿**وعمل**﴾ معطوف على أمن. ﴿**صالحا**﴾ مفعول به. ﴿**فأولئك**﴾ مبتدأ أول. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**جزاء**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**الضعف**﴾ مضاف إلى جزاء. وجملة لهم جزاء الضعف خبر المبتدأ الأول. وهذه الجملة مرتبة على قوله: إلا من آمن وعمل صالحا. ﴿**بما**﴾ متعلق بجزاء. ﴿**عملوا**﴾ صلة ما. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ والواو للعطف. ﴿**في الغرفات**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**آمنون**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مُبتدأ. ﴿**يسعون**﴾ صلة الذين. ﴿**في آياتنا**﴾ متعلق بيسعون. ﴿**معاجزين**﴾ حال من الضمير في يسعون. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ ثان ﴿**في العذاب**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**محضرون**﴾ خبر المبتدأ الثاني. والمبتدأ الثاني وخبره خبر الذين. ﴿**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له**﴾ تقدم إعراب مثل هذا الكلام قريبا. وزيادة من عباده وله: مقصود به واحد من العباد. واختلاف البسط والضيق باعتبار الأوقات. ﴿**وما أنفقتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه اسم الشرط الجازم. ﴿**من شيء**﴾ بيان لما. ﴿**فهو**﴾ في محل رفع مبتدأ.

﴿**يخلفه**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ربّي. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وجملة فهو يخلفه جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خير**﴾ خبره. ﴿**الرازقين**﴾ مضاف إلى خير. والجملة تذييلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**ويوم**﴾ ظرف متعلق بفعل مقدر. ﴿**نحشرهم**﴾ فعل مضارع. والفاعل نحن. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**جميعا**﴾ حال من الضمير في نحشرهم. ﴿**ثم نقول**﴾ معطوف على نحشرهم. ﴿**للملائكة**﴾ متعلق بنقول. ﴿**أهؤلاء**﴾ مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ والهمزة للاستفهام. ﴿**إياكم**﴾ في محل نصب مفعول مقدم ليعبدون. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعبدون**﴾ فعل

وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كانوا يعبدون خبر هؤلاء. **﴿قالوا: سبحانك﴾** مفعول مطلق. والضمير فيه مضاف إليه. **﴿أنت﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿وليّنا﴾** خبره. **﴿من دونهم﴾** متعلق بوليّنا. **﴿بل﴾** حرف إضراب وعطف. **﴿كانوا﴾** كان واسمها. **﴿يعبدون الجن﴾** فعل وفاعل ومفعول والجملة خبر كان. **﴿أكثرهم﴾** مبتدأ. **﴿بهم﴾** متعلق بما بعده: **﴿مؤمنون﴾** خبر المبتدأ. **﴿فاليوم﴾** ظرف متعلق بما بعده. والفاء للترتيب والتعقيب. **﴿لا يملك بعضكم﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. **﴿لبعض﴾** متعلق بلا يملك. **﴿نفعا﴾** مفعول به. **﴿ولا ضرا﴾** معطوف عليه. **﴿ونقول﴾** فعل مضارع. والفاعل نحن. والواو للعطف. **﴿للذين﴾** متعلق بنقول. **﴿ظلموا﴾** صلة الذين. **﴿ذوقوا﴾** أمر موجه إلى المخاطبين. وهم الذين ظلموا. **﴿عذاب﴾** مفعول به. **﴿ النار﴾** مضاف إلى عذاب. **﴿التي﴾** في محل جر نعت للنار. **﴿كنتم﴾** كان واسمها. **﴿بها﴾** متعلق بما بعده: **﴿تكذبون﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم بها تكذبون صلة التي. **﴿وإذا﴾** ظرف متضمن معنى الشرط. **﴿تتلى﴾** فعل مضارع مبني للمجهول. **﴿عليهم﴾** متعلق بتتلى. **﴿آياتنا﴾** نائب الفاعل. **﴿بينات﴾** حال من آياتنا. **﴿قالوا﴾** فعل وفاعل. والجملة جواب شرط إذا. **﴿ما هذا﴾** في محل رفع مبتدأ. دخل عليه حرف النفي. **﴿إلا رجل﴾** خبر المبتدأ. وإلا ملغاة. **﴿يريد﴾** فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على رجل والجملة نعت لرجل. **﴿أن يصدكم﴾** فعل مضارع منصوب بأن. والفاعل ضمير يعود على رجل. والضمير المتصل بالفعل مفعول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يريد. **﴿عما﴾** متعلق بيصدكم. **﴿كان﴾** اسم كان ضمير يعود على ما. **﴿يعبد آباؤكم﴾** فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كان يعبد آباؤكم صلة ما. **﴿وقالوا: ما هذا إلا إفك﴾** إعرابه مثل إعراب قالوا ما هذا إلا رجل. **﴿مفترى﴾** نعت لإفك مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوف لالتقاء الساكنين.

﴿وقال الذين﴾ فعل وفاعل والواو للعطف. **﴿كفروا﴾** صلة الذين. **﴿للحق﴾** متعلق بقال. **﴿لما﴾** ظرف متعلق بما تعلق به الجار والمجرور. **﴿جاءهم﴾** فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الحق. والضمير المتصل بالفعل مفعول. **﴿إن هذا﴾** في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف النفي. **﴿إلا سحر﴾** خبر المبتدأ. وإلا ملغاة. **﴿مبين﴾** نعت لسحر.. وجملة إن هذا إلا سحر مبين مقول القول. **﴿وما**

آتيناهم فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف النفي. والواو للعطف. ﴿**من كتب**﴾ مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب مفعول ثان بآتيناهم. ﴿**يدرسونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة نعت لكتب. ﴿**وما أرسلنا**﴾ فعل وفاعل. دخل عليه حرف النفي والواو للعطف. ﴿**إليهم قبلك**﴾ متعلقان بأرسلنا. ﴿**من نذير**﴾ مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب مفعول بأرسلنا. ﴿**وكذب الذين**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**وما بلغوا معشار**﴾ فعل وفاعل ومفعول. دخل عليه حرف النفي والواو للعطف. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى معشار. ﴿**آتيناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة ما. ﴿**فكذبوا رسلي**﴾ فعل وفاعل ومفعول مرتب على ما قبله. ﴿**فكيف**﴾ في محل نصب خبر كان مقدم. والفاء للتعقيب. ﴿**كان نكير**﴾ كان واسمها. ﴿**قل: إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**أعظكم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المتكلم. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**بواحدة**﴾ متعلق بأعظكم. ﴿**أن تقوموا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بدل من واحدة. ﴿**لله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مثنى**﴾ حال من الفاعل في «تقوموا». ﴿**وفرادى**﴾ معطوف على مثنى. ونصبهما بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**ثم تتفكروا**﴾ معطوف على تقوموا. ﴿**ما بصاحبكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. وما نافية. ﴿**من جنة**﴾ مبتدأ مؤخر مجرور بمن الزائدة في محل رفع. ﴿**إن**﴾ نافية. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**إلا نذير**﴾ خبر المبتدأ. وإلا ملغاة. ﴿**لكم بين**﴾ متعلقان بنذير. ﴿**يدي**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**عذاب**﴾ مضاف إلى يدي. ﴿**شديد**﴾ نعت لعذاب. ﴿**قل: ما**﴾ اسم شرط. ﴿**سألتكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**من أجر**﴾ بيان لما. ﴿**فهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة جواب الشرط والرابط الفاء. ﴿**إن**﴾ نافية ﴿**أجري**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى أجر. وحركت بالفتحة للتخفيف. ﴿**إلا**﴾ ملغاة ﴿**على الله**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف.

﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**شهيد**﴾ خبر المبتدأ. ﴿**قل: إن ربي**﴾ إن واسمها. ﴿**يقذف**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على ربي والجملة خبر إن. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بيقذف. ﴿**علام**﴾ خبر ثان لإنّ.

﴿**الغيوب**﴾ مضاف إلى علام. ﴿**قل: جاء الحق**﴾ فعل وفاعل. ﴿**وما يبدئ الباطل**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي والواو للعطف. ﴿**وما يعيد**﴾ معطوف على ما يبدئ الباطل. ﴿**قل: إن ضللت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط ﴿**فإنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**أضل**﴾ فعل مضارع والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**على نفسي**﴾ متعلق بأضل. وجملة فإنما أضل جواب الشرط. والرابط للجواب الفاء. ﴿**وإن اهتديت**﴾ معطوف على قوله: إن ضللت.. ﴿**فَبِما**﴾ متعلق بمحذوف دلّ عليه جواب الشرط الأول. أي: فإنما اهتدائي بسبب ﴿**ما يوحي إليّ ربي**﴾ . وجملة يوحي إليّ ربي صلة ما. ﴿**إنه**﴾ إن واسمها. ﴿**سميع**﴾ خبر إن. ﴿**قريب**﴾ خبر ثان. ﴿**ولو ترى**﴾ فعل مضارع دخلت عليه لو الامتناعية الشرطية. والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**إذ**﴾ ظرف متعلق بترى. ﴿**فزعوا**﴾ فعل وفاعل. وجواب شرط لو محذوف. أي: لرأيت أمرا فظيعا وهولا مهولا. ﴿**فلا فَوْتَ**﴾ لا واسمها مبني على الفتح في محل نصب. وخبر لا محذوف. أي: فلا فوت كائن هناك. ﴿**وأخذوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل معطوف على فزعوا. ﴿**من مكان**﴾ متعلق بأخذوا. ﴿**قريب**﴾ نعت لمكان. ﴿**وقالوا: آمنّا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**به**﴾ متعلق بآمنا. ﴿**وأَنّى**﴾ اسم استفهام في محل نصب. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**التناوش**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**من مكان**﴾ متعلق بالتناوش. ﴿**بعيد**﴾ نعت للمكان. ﴿**وقد كفروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. والواو للعطف. ﴿**به من قبل**﴾ متعلقان بكفروا. ﴿**ويقذفون**﴾ فعل وفاعل. والواو للعطف. ﴿**بالغيب من مكان**﴾ متعلقان بيقذفون. ﴿**بعيد**﴾ نعت لمكان. ﴿**وحيل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**بينهم**﴾ ظرف ناب عن الفاعل. ﴿**وبين**﴾ معطوف على بينهم. ﴿**ما**﴾ في محل جر مضاف إلى بين. ﴿**يشتهون**﴾ فعل وفاعل والجملة صلة ما.. ﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف. أي: فعل بهم فعلا مثل ما ﴿**فُعل**﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**بأشياعهم**﴾ متعلق بفعل. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بأشياعهم. ﴿**إنهم**﴾ إن واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**في شك**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. وجملة كانوا في شك خبر إن. وجملة إنهم كانوا في شك تعليلية. ﴿**مريب**﴾ نعت لشك.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير**. .﴾ فهذه السورة لها ارتباط واضح بالسورة التي قبلها . . فمنها: أن الصفات التي أجريت على الله تعالى في مفتتح هذه السورة مما يناسب الحِكَم التي مختتم السورة التي قبلها من قوله تعالى: ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما. . ومنها: أن الأمانة التي كلف بها الإنسان هي نعمة على المؤمنين يناسبها الحمد عليها. . ومنها: أنه أشير فيما تقدم إلى سؤال الكفار عن الساعة على جهة الاستهزاء وهاهنا قد حكى عنهم إنكارها صريحا والطعن بمن يقول بالمعاد على أتم وجه؛ وذكر مما يتعلق بذلك ما لم يذكر هناك. وكل ما في هذه السورة تهديد وتخويف للمكذبين المنكرين. . فمن هذا ظهرت المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها. التعريف في الحمد تعريف الحقيقة أي: الحمد الحق المستحق لله الحق. . فكل ما في السماوات والأرض نعم فائضة منه تعالى! وله الحمد في الآخرة: هذه الجملة متصلة بما قبلها بالعطف. جاءت زيادة لبيان الاختصاص الحمد الأخروي بالله تعالى إثر بيان اختصَاص الحمد الدنيوي به. وجملة وهو الحكيم الخبير تذييل مُقرّر لمضمون ما سبق من اختصاص الحمد به تعالى في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: ﴿**يعلم ما يلج في الأرض**. .﴾ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه ـ سبحانه وتعالى ـ من الأمور التي نِيطت بها مصالح العباد الدينية والدنيوية. . فهو يعلم ما يدخل في الأرض من الماء والكنوز والدفائن والأموات ونحوها. . ويعلم ما يخرج منها من الحيوان والنبات وماء العيون ونحوها. . ويعلم ما ينزل من السماء من الملائكة والكتب والمقادير ونحوها. . ويعلم ما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد ونحوها. . وجملة وهو الرحيم الغفور تذييل مقرر لمضمون ما ذكر. . ﴿**وقال الذين كفروا**﴾: ﴿**لا تأتينا الساعة**﴾: هذه الجملة موصولة بالعطف على الجمل التي قبلها. . فمع هذه الأدلة القاطعة ينكر الكافرون مجيء الساعة في هذا القول الدال على نفي البعث من أساسه.

﴿**قل بلى وربي لتأتينكم**﴾: هذا رد لقولهم وإثبات لما نفوه على معنى ليس الأمر إلا إتيانها. وجملة وربي لتأتينكم تأكيد للقول بإتيان الساعة على أتم الوجوه

وأكملها. وجملة ﴿**عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض**﴾.: إمداد للتأكيد وتسديد له، إثر تسديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم.. فإن تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به ـ وربي ـ على الإطلاق يؤذن بفخامة المقسم عليه ـ لتأتينكم ـ وقوة ثباته وصحته.. فإن وصف المقسم به بعلم الغيب الذي أشهر أفراده وأدخلها في الخفاء المقسم عليه، تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما!. وفائدة الأمر بهذه المرتبة من اليمين ـ قل: بلى وربي ـ أن لا يبقى للمعاندين عذر ما أصلا.. فإنهم كانوا يعرفون أمانة محمد ونزاهته عن وصمة الكذب، فضلا عن اليمين الفاجرة .. وإنما لم يصدق المشركون محمدا ﷺ عنادا ومكابرة!. وجملة ﴿**ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين**﴾ مؤكدة لنفي العزوب. وجملة ﴿**ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ علة لقوله: لتأتينكم. وبيان لما يقتضيه إتيان الساعة من ثواب أو عقاب. ﴿**أولئك لهم مغفرة ورزق كريم.**﴾ بيان لنوع الجزاء من الثواب. والإشارة إلى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة. وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف. ﴿**والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها لبيان العقاب الذي أعد جزاء لمن لم يؤمن بالله وكذب بآياته وسعى في صد الناس عنها.. وأشير إلى هؤلاء بأولئك ليتميز الخبيث من الطيب. وما بين الفريقين من بعد شاسع!: لهم مغفرة ورزق كريم.. ولهم عذاب من رجز أليم! ﴿**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد**﴾: هذه الآية موصولة بالعطف على مضمون ما سبق من موقف المنكرين المكذبين جهلا وعنادا وغباوة.. فالآية مسوقة للاستشهاد لأولي العلم على الجهلة الساعين في إبطال الآيات بصد الناس عنها: ﴿**وقال الذين كفروا: هل ندلكم على رجل ينبئكم: إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد**﴾؟!..

وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها؛ لإظهار ما في نفوسهم من حقد وكراهية لمن جاءهم بهذا النبأ العظيم الذي حيرهم وأذهلهم وجعلهم يتكلمون بكلام المجانين.. فقالوا مستفهمين مستغربين: ﴿**أفترى على الله كذبا، أم به جنة**﴾؟!.. فهذا النبأ الذي يقوله لنا هذا الرجل لا يقوله إلا متجبر على الله مفتر عليه أو به جنون لا يدري معنى ما يهدف إليه.. ﴿**بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في**

العذاب والضلال البعيد﴾: هذا الكلام صادر من الله تعالى للرد عليهم بإبطال ما استفهموا عنه؛ ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا في حق الرسول ﷺ: فكأنه قيل: ليس الأمر كما زعموا.. بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والإدراك، الذي هو الجنون حقيقة، وفيما يؤدي إليه ذلك من العذاب؛ ولذلك يقولون: ما يقولون: وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة إلى بيان ما يسوؤهم ويفت في أعضادهم، والإشعار بغاية سرعة ترتبه عليه؛ كأنه يسابقه فيسبقه. ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة.. ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على أن علة ما ارتكبوه واجترؤوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب.. ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته. **﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾**؟: هذا استئناف مسوق لتهويل ما اجترأوا عليه من تكذيب آيات الله تعالى، واستعظام ما قالوا في حق الرسول ﷺ وإنه من العظائم الموجبة لنزول أشد العقاب وحلول أفظع العذاب من غير ريث وتأخير. وجملة **﴿إن نشأ﴾**: بيان لما ينبئ عنه ذكر إحاطة السماء والأرض بهم من المحذور المروع من جهتهما. وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه إلا تعلق المشيئة به. والمعنى: أَفَعَلُوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص: إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء. إن في ذلك لآية لكل عبد منيب: تذييل مقرر لمضمون ما سبقه من الترغيب والترهيب الدال عليه ثواب المؤمن، وعقاب الكافر المنكر..

﴿ولقد آتينا داوود منّا فضلا: يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير﴾: هذه الآية جاءت توكيدا لقوله تعالى: إن في ذلك لآية لكل عبد منيب. خصّ الله عبده داوود بهذه الفضائل تنويها بشأنه ورفعة لمكانه.. فتنكير «فضلا» للتفخيم. **﴿ولسليمان الريح: غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير.. يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾**: هذا هو المنيب الآخر وهو سليمان. وحكى ما

استفاد هو بالإنابة. وهو تسخير الريح له معجزة خاصة به. ومن جملة معجزاته إسالة عين القطر، وتسخير الجن له يعملون تحت أمره وقهره.. فمن هاتين القصتين نعلم أن اشتغال داوود بآلة الحرب أكثر لأن رسالته كانت دفاعا عن شريعته وبناء دولته.. فأما سليمان فالملك قد استقر وحكمه قد انتشر.. فأمره الله بالبناء والتعمير.. فبنى القصور والمحاريب وتزيينها بأنواع الزينة الدالة على سعة الملك ووفرة الأطعمة وكثرة الجنود ورفاهية العيش واستقرار الحياة .. اعملوا آل داوود شكرا.. وقليل من عبادي الشكور!. ولما بين الله عظمة سليمان وتسخير الريح والجن له.. فبنى وشيد وأعطاه ملكا لا ينبغي لأحد. بين الله بعد ذلك أن سليمان لم ينج من الموت: ﴿**فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منساته.. فلما خر تبينت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين..**﴾ فلو نجا أحد من الموت لكان نبي الله أولى بذلك! ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ ﴿**لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال**﴾: جر خبر سليمان إلى ذكر خبر سبأ لما بين ملك سليمان وبين مملكة سبأ من الاتصال ولأن في حال أهل سبأ مضادة لأحوال داوود وسليمان؛ إذْ كان هذان مثلا في إسباغ النعمة على الشاكرين. وكان أولئك مثلا لسلب النعمة عن الكافرين المعرضين. وفيهم موعظة للمشركين؛ إذ كانوا في بحبوحة من النعمة.. فلما جاءهم رسول من الله المنعم عليهم يذكرهم بربهم، ويوقظهم بأنهم خاطئون، كذبوه وأعرضوا عنه وعن النظر في دلالة تلك النعمة على المنعم المتفرد بالألوهية. فهذه القصة تمثيل أمة بأمة وبلاد بأخرى..

فالمعنى: لقد كان لسبإ في حال مساكنهم ونظام بلادهم آية!!.. فالتأكيد بلام القسم وحرف التحقيق وفعل الكينونة الثابتة؛ لتنزيل المخاطبين بالتعريض بهذه القصة منزلة من يتردد في ذلك؛ لعدم اتعاظهم بحال قوم من أهل بلادهم.. وجنتان بدل من آية. وفيه تشبيه بليغ. ﴿**كلوا من رزق ربكم واشكروا له: بلدة طيبة ورب غفور**﴾: هذا الكلام حكاية لما قيل لهم على لسان الرسل وخلفائهم من الداعين إلى الله.. وجملة بلدة طيبة مستأنفة مبينة لما يوجب الشكر المأمور به.. ورب غفور؛ عطف على بلدة طيبة.. ﴿**فأعرضوا**﴾: تفريعٌ على قوله: واشكروا له.. فهو اعتراض بين أجزاء القصة. والإعراض يقتضي سبق دعوة رسول أو نبي أو خليفة نبي.. ﴿**فأرسلنا عليهم سيل العرم. وبدلناهم بجنتيهم**:

جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل﴾: هذا مرتب على قوله: فأعرضوا. . **﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾**: هذا استئناف بياني ناشئ عن قوله: فأرسلنا عليهم سيل العرم. . فهو من تمام الاعتراض. وما في «ذلك» من معنى البعد للإيذان ببعد رتبته في الفظاعة وجملة **﴿وهل يجازى إلا الكفور﴾** تذييل مقرر لمضمون ما أوتوا بسبب كفرهم وإعراضهم. . **﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. .﴾** وصل الكلام بالعطف على قوله لقد كان لسبأ. . إلخ. تكملة للقصة بذكر نعمة بعد نعمة. . فإن ما تقدم لنعمة الرخاء والبهجة وطيب الإقامة. وما هنا لنعمة الأمن وتيسير الأسفار وعمران بلادهم. . فالمعنى: وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض بتقاربها على مقدار معين: **﴿سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾**: تعقيب قولهم هذا جاء جوابا عن مواعظ أنبيائهم والصالحين منهم الذين يريدون لهم الخير في الدنيا والآخرة!. بطروا النعمة وسئموا أطيب العيش وملوا العافية. . وطلبوا الكدّ والتعب!. كما طلب بنوا إسرائيل الثوم والبصل مكان المنّ والسلوى. وسألوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا. **﴿وظلموا أنفسهم﴾** حيث عرّضوها للسخط والعذاب: **﴿وجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق. .﴾**

ففي هذا التعبير، حيث كان ما حصل لسبإ يضرب به المثل. . فقالوا ذهبوا أيدي سبأ! وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه وذهابه من تهويل الأمر، والدلالة على شدة التأثير والإيلام ما لا يخفى!. **﴿إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور﴾**: تذييل مقرر لمضمون ما سبق في هذه القصة. **﴿ولقد صَدَقَ عليهم إبليس ظنّه﴾**: هذا الكلام متصل بالعطف على قوله تعالى: وقال الذين كفروا: هل ندلكم على رجل. . إلخ. وإن وما بينهما من الأخبار المسوقة للاعتبار واقع موقع الاستطراد والاعتراض. . فالمقصود منه تنبيه المؤمنين إلى مكائد الشيطان، وأن المشركين وقعوا في تيار إغوائه. . **﴿فاتبعوه. . إلا فريقا من المؤمنين﴾** : الاستثناء منقطع. أي: لكن فريقا من المؤمنين لم يقعوا في تيار إغوائه فلم يتبعوه. وهناك فريق آخر من المؤمنين مسكوت عنهم . . **﴿وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾**: وصل هذا الكلام بالعطف على

قوله: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين. يبين فيه الله حكمة تسليط الشيطان على الإنسان: فقوله: إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من أعم العِلَل. أي: وما كان تسلط إبليس على الناس إلا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء وجملة ﴿**وربك على كل شيء حفيظ**﴾ تذييل جيء به احتراسا من أن الأمر كان خافيا على الله. ثم أظهر الله ضلال المشركين في آلهتهم المزعومة.. فأمر الله رسوله أن يقول لهم: ﴿**ادعوا الذين زعمتم من دون الله. لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.**﴾ فهو إظهار لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم! والمعنى: أدعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صح زعمكم!.. ثم أجاب الله عنهم إشعارا بتعين الجواب، وأنه لا يقبل المكابرة فقال: لا يملكون مثقال ذرة.. فالجملة استئناف لبيان حالهم وحال آلهتهم! وزاد بقوله توضيحا: ﴿**وما لهم فيهما من شرك، وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾: هذا رد على زعم المشركين أن أصنامهم شفعاء لهم عند الله، وأنهم ما يعبدونها إلا لتقربهم من الله زلفى!..

﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق. وهو العلي الكبير..**﴾ حتى هنا غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الإشعار بوقوع الإذن لمن أذن الله له.. فإنه مسبوق بالاستئذان المستدعي للتقرب والانتظار للجواب؛ كأنه سئل: كيف يؤذن لهم؟.. فقيل: يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء، ويتوقفون على فزع ووجل.. حتى إذا أزيل الفزع عن قلوبهم، وظهرت لهم تباشير الإجابة؛ قال المشفوع لهم: ماذا قال ربكم؟ قال الشفعاء قال ربنا الحق. وهو الإذن في الشفاعة للمستحقين لها. وجملة وهو العليّ الكبير من تمام كلام الشفعاء؛ قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب الله عز وجل، وقصور شأن كل من سواه. ﴿**قل: من يرزقكم من السماوات والأرض**﴾؟!.. هذا أمر من الله إلى رسوله بتبكيت المشركين بحملهم على الإقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما.. وحيث كانوا يتلعثمون أحيانا في الجواب مخافة الإلزام، قيل للرسول: ﴿**قل: الله**﴾.. فهذا الجواب لا جواب سواه.. ﴿**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾: هذا من جملة القول المأمور به الرسول؛ جار على سنن الإنصاف المسكت للخصم الألد. واختلاف الجارَّيْن ـ لَعَلى ـ أوْ في ـ للإيذان بأن الهادي كمن

استعلى منارا ينظر الأشياء ويتطلع عليها.. والضال كأنه منغمس في ظلام لا يرى شيئا، أو محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج منها. ﴿**قل: لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون**﴾: هذا أبلغ في الإنصاف وأبعد من الجدل والاعتساف. حيث أسند فيه الإجرام إلى أنفسهم، ومطلق العمل إلى المخاطبين، مع أن أعمالهم من أكبر الكبائر!. أعيد الأمر بأن يقول لهم مقالا آخر، إعادة لزيادة الاهتمام، واستدعاء لإسماع المخاطبين بالإصغاء إليه. والجملة بيان لما قبلها. ﴿**قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم**..﴾ هذه الآية جاءت مؤكدة لما قبلها.. ﴿**قل: أروني الذين ألحقتم به شركاء**..﴾ أعيد القول رابع مرة لمزيد الاهتمام. وهو رجوع إلى مهيع الاحتجاج على بطلان الشرك.. فهذا القول كالنتيجة لقوله تعالى: قل من يرزقكم من السماوات والأرض.. والأمر في قوله: أروني مستعمل في التعجيز. ﴿**كلا.. بل هو الله العزيز الحكيم**﴾: في هذا الكلام ردع لهم، وإبطال لمزاعمهم الباطلة في أصنامهم المدعاة.. فأين شركاؤكم التي هي أخس الأشياء وأذلها من الله العزيز الحكيم؟!.. ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون**..﴾ انتقال من إبطال المشركين في أمر الربوبية إلى إبطال ضلالهم في شأن صدق الرسول ﷺ تشريفًا له بتوجيه هذا الخيار بالنعمة العظيمة إليه.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال!. ﴿**ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾؟!..

فهذا إظهار لفرط جهلهم وغاية غيّهم حيث استبعدوا هذا الوعيد الشديد واستهزؤوا بهذا الإنذار والتهديد. ﴿**قل: لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون**﴾: في هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى؛ حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا. ﴿**وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه**﴾: وصل هذا الكلام بالعطف على ما قبله بالواو زيادة في توضيح موقف الكفار من هذا القرآن الذي يخبرهم بما طرق أسماعهم من دلائل الحجج وقوة البرهان. ﴿**ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول. يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا: لولا أنتم لكنا مؤمنين**﴾!: الكلام موصول بالعطف على ما قبله. زيادة في توضيح وتفصيل ما يقع للكافرين المنكرين للبعث والمكذبين بهذا الكتاب الذي أنذرهم وحذرهم من

مغبة ما هم صائرون إليه: لو ترى في الزمان الذي يوقف فيه الظالمون بين يدي ربهم لرأيت أمرا فظيعا حيث ينكر التابعون على أتباعهم ما فعل الآخر بالآخر!: ﴿**يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا: لولا أنتم لكنا مؤمنين!.. قال الذين استكبروا للذين استضعفوا: أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم**﴾؟!.. هكذا يقع الحوار والخصام بين التابعين والأتباع في موقف يظهر فيه بين المختصمين شدّة النزاع.. وجملة ﴿**بل كنتم مجرمين**﴾ إبطال لما ادعاه التابعون من كونهم هم السبب في ضلالهم.. ﴿**وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا: بل مكر الليل والنهار.. إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا**﴾: أظهر التابعون ما كان يعمله المتبوعون معهم في الليل والنهار حيث تصدوا لهم بالإغواء والإضلال الدائبين دون فتور وملال.. حتى أوصلوهم إلى هذا الموقف الذي ظهرت فيه حقيقة المآل.. ﴿**وأسروا الندامة لمّا رأوا العذاب.. وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا .. هل يجزون إلا ما كانوا يعملون**﴾؟!..

وهذه هي النهاية حيث كل منهم ذهب بحسرته إلى الجحيم جزاء بما كانوا عليه من الإجرام والظلم العظيم!. ﴿**وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها: إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾: جاءت هذه الآية معترضة بين الآيات التي تتحدث عن موقف المشركين من أمر الرسول وما جاء به من عند ربه تسلية مما مني به من أهل مكة المترفين من التكذيب والكفر بما جاء به؛ بأن الله لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا أهل مكة في حق الرسول ﷺ وكادوا به مثل ما كاد أهل مكة بالرسول محمد ﷺ وقاسوا أمور الآخرة الموهومة والمفروضة عندهم على أمور الدنيا. وزعموا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم طيبات الدنيا. ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم منها!..فعلى ذلك الرأي السخيف والدليل الركيك بنوا أحكامهم: ﴿**وقالوا: نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين**﴾!..فجملة وما نحن بمعذبين كالنتيجة لقولهم: نحن أكثر أموالا وأولادا.وإنما جيء فيه بحرف العطف لترجيح جانب الفائدة المستقلة على جانب الاستنتاج الذي يومئ إليه ما تقدمه.وهو قولهم: نحن أكثر أموالا وأولادا!..فحصل من هذا النظم استدلال لصحة دينهم لإبطال ما جاء به الإسلام..ثم الافتخار بذلك على المسلمين،والضعة لجانب المسلمين بإشارة إلى قياس استثنائي بناء على ملازمة موهومة..ثم ارتقى من إبطال الملازمة إلى

الاستدلال على أنهم ليسوا بمحل الرضى من الله على طريقة النقض التفصيلي. .فرد عليهم حسما لمادة طمعهم الفارغ،وتحقيقا للحق الذي يدور عليه أمر التكوين: ﴿**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون. . وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى** . .﴾ فجاءت جملة وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم. .في صيغة حصر بتعريف الطرفين؛ لأن هذه الجملة أريد منها نفي قولهم: نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين. وجملة إلا من آمن وعمل صالحا استدراك ورد على جميع ما أفاده كلام المشركين من الدعوى الباطلة والفخر الكاذب؛ لرفع توهم أن الأموال والأولاد لا تنفع بحال. .فإن من أموال المؤمنين صدقات ونفقات في الخير. .ومن أولادهم أعوانا على البر. أي: وما الأموال والأولاد تقرب أحدًا إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله. . وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح. . ﴿**فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون**﴾: أولئك المنعوتون بالإيمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف . .فما في الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه؛ للإيذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل. . وجملة وهم في الغرفات آمنون تأكيد لبعد المنزلة في الفضل ورفعة المكان في السكن والنزل! . .

﴿**والدين يسعون في آياتنا مُعاجزين أولئك في العذاب محضرون**﴾: جرى الكلام على عادة القرآن في تعقيب الترغيب بالترهيب. وكان هذا بمنزلة الاعتراض بين الثناء على المؤمنين الصالحين وبين إرشادهم إلى الانتفاع بأموالهم للتقرب عند الله. . وآية والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون مقابلة للآية التي فيها إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون. وشتان ما بين: لأولئك من الأماني والأمن والنعيم المقيم، ولهؤلاء من النكال والهوان والعذاب الأليم!! . . ﴿**قل: إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له. . وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾: هذه الآية جاءت تحرض المؤمنين بالإنفاق لأنه الطريق الذي يكون المنفق والمنفق عليه على السواء دون خوف من الإنفاق ودون خوف الفقير من حرمان الأرزاق. . فالمنفق معوض عليه والمنفق عليه قد يكون بعد ذلك موسعا عليه. وجملة وهو خير الرازقين تذييل مقرر لمضمون ما سبقه. ﴿**ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول**

للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟! قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم.. بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾: وصل هذا الكلام بالعطف على قوله: ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم..إلخ. وهو استكمال لتصوير فظاعة حالهم يوم الوعد الذي أنكروه. وتابع لما وصف من حال مراجعة المستكبرين منهم والمستضعفين.. فوصف هنا افتضاحهم بتبرُّئِ الملائكة منهم، وشهادتهم عليهم بأنهم يعبدون الجن.. **﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا﴾**: هذا من جملة ما يقال عند جوابهم بالتنزه والتبرئ عما نسب إليهم الكفرة. يخاطبون بذلك على رؤوس الأشهاد، إظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم، وتمحيصا على ما يوجب خيبة رجاء المشركين بالكلية. وجملة **﴿ونقول للذين ظلموا: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾** موصولة بالعطف على جملة ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون.. فالمعنى: ويوم نحشرهم جميعا: ثم نقول للملائكة: كذا وكذا.. ويقولون كذا وكذا.. ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار.. **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا: ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا: ما هذا إلا إفك مفترى..﴾**

هذا الكلام انتقال من حكاية كفرهم وغرورهم وازدهائهم بأنفسهم، وتكذيبهم بأصول الديانة إلى حكاية تكذيبهم الرسول، وأتبع ذلك حكاية تكذيبهم الكتاب والدين الذي جاء به الرسول ﷺ من ربه.. فكان ذلك كالفذلكة لما تقدم من كفرهم.. والكلام معطوف على قوله: ويوم نحشرهم: عطف القصة على القصة. وجملة **﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم: إن هذا إلا سحر مبين﴾** موصولة بالعطف على قولهم السابق إظهارًا لشناعة قولهم اللاحق، وإنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه! **﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾**: قالوا هذا والحال أنهم لم يعطوا كتابا ولم يرسل إليهم رسول!!.. فمن أين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وكيف قالوا هذا القول الفارغ؟!.. فهذا غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم.. ثم هددهم بقوله.. **﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم ..﴾** فالمعنى.. ما بلغ هؤلاء عشر ما أعطينا أولئك من الملك والقوة وطول العمر وكثرة المال.. **﴿فكذبوا رسلي﴾**: مرتب على كذب الذين من قبلهم. بطريق التفصيل والتفسير. وهو تسلية للرسول وتهديد للذين كذبوه.. **﴿فكيف كان نكير﴾**: مفرع على ما قبله. وكيف استفهام عن الحالة.

وهو مستعمل في التقرير والتقريع. ﴿**قل: إنما أعظكم بواحدة: أن تقوموا لله مثنى وفرادى.. ثم تتفكروا..**﴾ هذا استئناف للانتقال من حكاية أحوال كفر المشركين، وما تخلل ذلك من النقض والاستدلال والتسلية والتهديد ووصف صدودهم ومكابرتهم، إلى دعوتهم للإنصاف في النظر والتأمل في الحقائق؛ ليتضح خطؤهم فيما ارتكبوه من العسف في تلقي دعوة الإسلام. وجملة ﴿**ما بصاحبكم من جنة**﴾ استئناف مسوق من جهة الله تعالى؛ للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه إلا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه.. أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوءة واثق بحجته وبرهانه.. وإذ قد علمتم أن محمدا ﷺ أرجح العالمين عقلا وأصدقهم قولا وأنزههم نفسا وأفضلهم علما وأحسنهم عملا، وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه.. فكيف وقد انضم إلى ذلك معجزات تخرّ لها صمّ الجبال.

وجملة ﴿**إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد**﴾؛ دليل على صدق دعوته حيث ظهرت وفرة عقله وكمال شخصيته.. فخذوا حذركم مما أوعدكم به. ﴿**قل: ما سألتكم من أجر فهو لكم. إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد**﴾: هذا استقصاء لبقايا شبه التكذيب لدحضها. سواء منها ما تعلق به من نحو قولهم: كاهن وشاعر ومجنون، وما لم يدّعوه.. ولكنه قد يخطر ببال واحد منهم أن يزعم أنه يريد بهذه الدعوة نفعا لنفسه يكون أجرا له على التعليم والإرشاد. وهم لما ادعوا أنه ساحر أو أنه شاعر أو أنه كاهن لزم من دعواهم أنه يتعرض لجائزة الشاعر وحلوان الكاهن. وهذه طريقة بديعة في الكناية التهكمية عن عدم انتفاعه بما يدعوهم إليه. ﴿**قل: إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب**﴾: هذه الآية والتي بعدها: ﴿**قل: جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**﴾: مفصولتان عما قبلهما؛ لأنهما وعد بإظهار الإسلام وإعلاء كلمة الحق، ودحض للباطل الذي لا ريب أن نهايته الزهوق والمحق!. ﴿**قل: إن ضللت فإنما أضلّ على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب..**﴾ هذا آخر أمر موجه إلى الرسول في هذه السورة بفعل قل. وهو خمسة عشر.. والآية في مغزاها مثل آخر آية وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. وآية قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون. ﴿**ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب**﴾: هذه الآية

موصولة بالعطف على ما سبق من الإنذار للكافرين حتى وصل بهم إلى النهاية.. وإذ فزعوا يوم البعث. .فلا فوت مرتب على تلك الحال.. وأخذوا من مكانٍ قريب عطف على فزعوا. والمكان القريب الموقف الذي فيه بعد البعث. ﴿**وقالوا: آمنا به**﴾: قالوا ذلك القول في الموقف بعدما عرفوا مصيرهم المهول. ﴿**وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد**﴾: هذا تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعدما فات عنهم وبَعُدَ بحال من يريد أن يتناول الشيء بَعْدَ أن بَعُدَ عنه وفات، في الاستحالة!. والحال أنهم كافرون به في الدنيا: ﴿**وقد كفروا به من قبل. ويقذفون بالغيب من مكان بعيد**﴾!!..

فجملة ويقذفون عطف على جملة وقد كفروا.. فهو تمثيل لحالهم من التكلم بما يظهر لهم من أقوال الكفر في الدنيا، ولم ينشأ عن تحقيق بحال من يرمي شيئا لا يراه، من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه. ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب**﴾: هكذا تختم السورة في هذا الإيقاع السريع العنيف الشديد! وتختم بمشهد من مشاهد القيامة.. التي أنكرها هؤلاء واستهزؤوا بها واستعجلوا مجيئها.. فالنص هنا يثبت القضية التي عليها التركيز ويدور حولها الحوار، ويتكرر من أجلها التوكيد بالقول والفعل في السورة من أولها إلى آخرها؛ كما مضى في نهاية كل شوط فيها وفي ثناياها.. فقد بدأت هذه السورة بقضية البعث، وختمت بها هذا الختام العنيف!.. فمن براعة المطلع إلى براعة المقطع! وهذا الربط العجيب لا يكون إلا من إلهٍ سميع قريب!.

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والاحكام

التوجيه الأول: ﴿**الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير**﴾: في هذا التوجيه عرض قضية التوحيد من جميع جوانبها وبجميع دلائلها.. فابتداء السورة التي تستعرض إشراك المشركين بالله، وتكذيبهم لرسوله، وشكهم في الآخرة، واستبعادهم للبعث والنشور بالحمد لله توجيه للسامع إلى أول الحقائق التي ينبغي أن تبنى عليها العقيدة الصحيحة.. ومع الحمد صفة الملك لما في السماوات وما في الأرض.. فليس لأحد معه شيء، وما لأحد في السماوات والأرض من شرك.. فله ـ سبحانه ـ كل شيء فيهما. وله الحمد في الآخرة: الحمد الذاتي والحمد المرتفع من عبادهِ.. حتى

ممن كانوا يجحدونه في الدنيا، أو يشركون معه غيره عن ضلالة؛ تنكشف في الآخرة.. فيتمحّض له الحمد والثناء. وهو الحكيم الخبير: الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بحكمة، ويصرف الدنيا والآخرة بحكمة؛ ويدبر أمر الوجود كله بحكمة.. الخبير الذي يعلم بكل شيء وبكل أمر وبكل تدبير علماً كاملاً شاملاً عميقاً يحيط بالأمور كلها..

ثم يكشف صفحة من صحائف علم الله، مجالها الأرض والسماء: ﴿**يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها**﴾، ويقف الإنسان أمام هذه الصفحة المعروضة في كلمات قليلة.. فإذا هو أمام حشد عجيب من الأشياء والحركات والأحجام والأشكال والصور والمعاني والهيئات، لا يصمد لها الخيال!. ولو أن أهل الأرض جميعاً وقفوا حياتهم كلها يتتبعون ويحصون ما يقع في لحظة واحدة مما تشير إليه الآية لأعجزهم تتبعه وإحصاؤه عن يقين!.. فكم من شيء في هذه اللحظة الواحدة يلج في الأرض؟ وكم من شيء في هذه اللحظة يخرج منها؟ وكم من شيء في هذه اللحظة ينزل من السماء؟ وكم من شيء في هذه اللحظة يعرج فيها؟ كم من شيء يلج في الأرض؟ كم من حبة تختبئ أو تخبّأ في جنبات هذه الأرض؟ كم من دودة ومن حشرة ومن هامة ومن زاحفة تلج في الأرض في أقطارها المترامية؟ كم من قطرة ماء ومن ذرة هواء ومن إشعاع كهرباء تندس في الأرض في أرجائها؟ وكم وكم مما يلج في الأرض وعين الله عليه ترعاه؟! وكم يخرج منها؟ كم من نبتة تنبثق؟ وكم من نبع يفور؟ وكم من بركان يتفجر؟ وكم من غاز يتصاعد؟ وكم من مستور ينكشف؟ وكم من حشرة تخرج من بيتها المستور؟ وكم وكم مما يُرى ومما لا يرى، ومما يعلمه البشر ومما يجهلونه وهو كثير؟!.. وكم مما ينزل من السماء؟ كم من نقطة مطر؟ وكم من شهاب ثاقب؟ وكم من شعاع منير؟ وكم من قضاء نافذ ومن قدر مقدور؟ وكم من رحمة تشمل الوجود وتخص بعض العبيد؟ وكم من رزق يبسطه الله لمن يشاء من عباده ويقدر؟.. وكم وكم مما لا يحصيه إلا الله؟!.. وكم مما يعرج فيها؟ كم من نفس صاعدة من نبات أو حيوان أو إنسان أو خلق آخر مما لا يعرفه الإنسان؟ وكم من دعوة إلى الله معلنة أو مستترة لا يسمعها إلا الله؟! وأين يذهب علم البشر وإحصاؤهم لما في اللحظة الواحدة ولو قضوا الأعمار الطوال في العد والإحصاء؟ وعلم الله الشامل الهائل اللطيف العميق يحيط بهذا كله في كل مكان

وفي كل زمان.. وكل قلب وما فيه من نوايا وخواطر، وما له من حركات وسكنات تحت عين الله! وهو مع هذا يستر ويغفر: ﴿**وهو الرحيم الغفور**﴾. وإن آية واحدة من القرآن كهذه الآية لما يوحي بأن هذا القرآن ليس من قول البشر.. فمثل هذا الخاطر الكوني لا يخطر بطبيعته على قلب بشر. ومثل هذا التصور الكوني لا دافع إليه من طبيعة تصور البشر. ومثل هذه الإحاطة باللمسة الواحدة تتجلى فيها صنعة الله بارئ هذا الوجود التي لا تشبهها صنعة العبيد!.

وبعد تقرير تلك الحقيقة في تلك الصورة الرائعة الواسعة المدى الفسيحة المجال يحكي إنكار الذين كفروا بمجيء الساعة، وهم القاصرون الذين لا يعلمون ماذا يأتيهم به الغد؛ والله العليم بالغيب الذي لا يند عن علمه شيء في السماء ولا في الأرض؛ والساعة لا بد منها ليلاقى المحسن والمسيء جزاء ما قدما في هذه الأرض: ﴿**وقال الذين كفروا: لا تأتينا الساعة: قل: بلى وربي لتأتينكم..**﴾ فإنكار الذين كفروا للآخرة ناشئ من عدم إدراكهم لحكمة الله وتقديره.. فحكمة الله لا تترك الناس سدى؛ يحسن منهم من يحسن ويسيء منهم من يسيء.. ثم لا يلقى المحسن جزاء إحسانه، ولا يلقى المسيء جزاء إساءته. وقد أخبر الله على لسان رسله أنه يستبقي الجزاء كله أو بعضه للآخرة.. فكل من يدرك حكمة الله في خلقه يدرك أن الآخرة ضرورية لتحقيقِ وعد الله وخبره.. ولكن الذين كفروا محجوبون عن تلك الحكمة. ومن ثم يقولون قولتهم هذه: لا تأتينا الساعة فيرد عليهم مؤكدًا جازمًا: قل: بلى وربي لتأتينكم.. فهم لا يعلمون الغيب، ومع ذلك يتألون على الله، ويجزمون بما لا علم لهم به. والله الذي يؤكد مجيء الساعة هو: ﴿**عالم الغيب..**﴾ فقوله الحق عن علم بما هنالك وعن يقين.. ثم يعرض هذا العلم في صورة كونية كالتي سبقت في مطلع السورة تشهد هي الأخرى بأن هذا القرآن لا يكون من صنع البشر؛ لأن خيال البشر لا تخطر له عادة مثل هذه الصور: ﴿**لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين..**﴾ فإن طبيعة هذا التصور ليست بشرية. وإنها ليست لها سابقة في كلام البشر. شعره ونثره على السواء.. فعندما يتحدث البشر عن شمول العلم ودقته وإحاطته لا يخطر على بالهم أن يصوروه في هذه الصورة الكونية العجيبة.. ولا يعرف في كلام البشر اتجاهاً إلى مثل هذا التصور للعلم الدقيق الشامل.. فهو الله سبحانه الذي يصف نفسه ويصف علمه بما يعلم من

الأوصاف التي لا تخطر للبشر. وبذلك يرفع تصور المسلمين لإلههم الذي يعبدونه فيعرفونه بصفته في حدود طاقتهم البشرية المحدودة على كل حال. وأقرب تفسير لقوله تعالى: إلا في كتاب مبين، أنه علم الله الذي يقيد كل شيء ولا يند عنه مثقال ذرة.. فمثقال الذرة كان معروفاً إلى عهد قريب أنها أصغر الأجسام.. فتوصف بالهباءة أو أصغر نملة.. فالآن يعرف العلماء من الناس بعد تحطيم الذرة أن هناك ما يقال عنها ذرة في اصطلاح العلم.. وما هو أصغر من الذرة، وهو جزيئاتها التي لم تكن في حسبان أحد من الناس قبل هذا العصر.

وتبارك الله الذي يعلم عباده ما يشاء من أسرار صفته ومن أسرار خلقه عندما يشاء! مجيء الساعة حتماً وجزماً، وعلمه الذي لا يعزب عنه شيء: ﴿**ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات**..﴾ فهناك حكمة وقصد وتدبير. وهناك تقدير في الخلق لتحقيق الجزاء الحق للذين آمنوا وعملوا الصالحات.. فلهم مغفرة ورزق كريم.. ﴿**والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم**..﴾ وبهذا وذلك تتحقق حكمة الله وتدبيره.. وحكمة الساعة التي يجزمون بأنها لا تأتيهم؛ وهي لا بد أن تجيء!. وبمناسبة جزم الكافرين بأن الساعة لا تأتيهم. وهي غيب من غيب الله، وتأكيد الله لمجيئها، وهو عالم الغيب. وتبليغ رسول الله ما أمره ربه بتبليغه من أمرها وهو يقرر أن الذين أوتوا العلم يدركون ويشهدون بأن ما جاءه من ربه هو الحق وأنه يهدى إلى صراط العزيز الحميد: ﴿**ويرى الذين أوتوا الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد**..﴾ فالذين أوتوا العلم في أي زمان وفي أي مكان، من أي جيل ومن أي قبيل. يرون هذا متى صح علمهم واستقام؛ واستحق أن يوصف بأنه العلم، والقرآن كتاب مفتوح للأجيال. وفيه ما يكشف عن نفسه لكل ذي علم صحيح؛ وهو يكشف عن الحق المستكن في كيان هذا الوجود كله.. فهو أصدق ترجمة وصفية لهذا الوجود وما فيه من حق أصيل. وصراط العزيز الحميد: هو المنهج الذي أراده للوجود، واختاره للبشر لينسق خطاهم مع خطى هذا الكون الذي يعيشون فيه.. فهذا الكتاب هو الدليل إلى هذا الصراط. الدليل الذي وضعه خالق الإنسان وخالق الصراط. العالم بطبيعة هذا وذاك. وإنك لتكون حسن الطالع وأنت تقوم برحلة في طريق لو حصلت على دليل من وضع المهندس الذي أنشأ هذا الطريق.. فكيف ينشئ الطريق وينشئ السالك في الطريق؟!.. وبعد هذه اللمسة الموقظة الموجهة؛

يستأنف السياق حكاية حديثهم عن البعث، ودهشتهم البالغة لهذا الأمر، الذي يرونه عجيباً غريباً، لا يتحدث به إلا من أصابه طائف من الجن.. فهو يتفوه بكل غريب عجيب، أو يفتري الكذب ويقول بما لا يمكن أن يكون: ﴿**وقال الذين كفروا: هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد! أفترى على الله كذباً أم به جنة؟!..**﴾

إلى هذا الحد من الاستغراب والدهش كانوا يقابلون قضية البعث.. فيعجبون الناس من أمر القائل بها في أسلوب حاد من التهكم والتشهير: هل ندلكم على رجل عجيب غريب، ينطق بقول مستنكر بعيد.. حتى يقول: إنكم بعد الموت والبلى والتمزق الشديد تخلقون من جديد وتعودون للوجود؟. ويمضون في العجب والتعجيب والاستنكار والتشهير.. فما يقول مثل هذا الكلام. بزعمهم. إلا كاذب يفتري على الله ما لم يقله، أو مسته الجن فهو يهذي أو ينطق بالعجيب الغريب!. ولم هذا كله. لأنه يقول لهم: إنكم ستخلقون خلقاً جديداً! وفيم العجب وهم قد خلقوا ابتداء. إنهم لا ينظرون هذه العجيبة الواقعة: عجيبة خلقهم الأول. ولو قد نظروها وتدبّروها ما عجبوا أدنى عجب للخلق الجديد.. ولكنهم ضالون لا يهتدون ومن ثم يعقب على تشهيرهم وتعجيبهم تعقيباً شديداً مرهوباً: ﴿**بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد..**﴾ فقد يكون المقصود بالعذاب الذي هم فيه عذاب الآخرة.. فهو لتحققه كأنهم واقعون فيه ووقوعهم في الضلال البعيد الذي لا يرجى معه اهتداء.. وقد يكون هذا تعبيراً عن معنى آخر: معنى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة يعيشون في عذاب كما يعيشون في ضلال. وهي حقيقة عميقة.. فالذي يعيش بلا عقيدة في الآخرة يعيش في عذاب نفسي، لا أمل له ولا رجاء في نصفة ولا عدل ولا جزاء ولا عوض عما يلقاه في الحياة. وفي الحياة مواقف وابتلاءات لا يقوى الإنسان على مواجهتها إلا وفي نفسه رجاء الآخرة، وثوابها للمحسن وعقابها للمسيء. وإلا ابتغاء وجه الله والتطلع إلى رضاه في ذلك العالم الآخر، الذي لا تضيع فيه صغيرة ولا كبيرة.. فالذي يحرم هذه النافذة المضيئة الندية المريحة يعيش ولا ريب في العذاب كما يعيش في الضلال. يعيش فيهما وهو حي على هذه الأرض قبل أن يلقى عذاب الآخرة جزاء على هذا العذاب الذي لقيه في دنياه!.

إن الاعتقاد بالآخرة نعمة ورحمة يهبهما الله لمن يستحقهما من عباده

بإخلاص القلب، وتحري الحق والرغبة في الهدى.. فهؤلاء المكذبون بالآخرة يوقظهم بعنف على مشهد كوني يصور لهم أنه واقع بهم لو شاء الله. وظلوا هم في ضلالهم البعيد: مشهد الأرض تخسف بهم، والسماء تتساقط قطعاً عليهم: ﴿**أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض؟ إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء..**﴾ فهذا مشهد كوني عنيف، منتزع في الوقت ذاته من مشاهداتهم، أو من مدركاتهم المشهودة على كل حال.. فخسف الأرض يقع ويشهده الناس. وترويه القصص والروايات أيضًا. وسقوط قطع من السماء يقع كذلك عند سقوط الشهب وحدوث الصواعق. وهم رأوا شيئاً من هذا أو سمعوا عنه.. فهذه اللمسة توقظ الغفاة الغافلين الذين يستبعدون مجيء الساعة.. والعذاب أقرب لو أراد الله أن يأخذهم به في هذه الأرض قبل قيام الساعة.. ففي هذا الذي يشهدونه من السماء والأرض، والذي يتوقع من خسف الأرض في أية لحظة، أو سقوط قطع من السماء. في هذا آية للقلب الذي يرجع ويثوب وينوب: ﴿**إن في ذلك لآية لكل عبد منيب..**﴾ فلا يضل ذلك الضلال البعيد!

التوجيه الثاني: ﴿**ولقد آتينا داود منا فضلاً: يا جبال أوبي معه والطير. وألنا له الحديد: أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً. إني بما تعملون بصير..**﴾: في هذا التوجيه صور مما يعطيه الله من الفضل لكل عبد منيب.. فداوود عليه السلام عبد منيب. فالسياق يعقب بقصته بعد تلك الإشارة.. فيقدم لها بذكر ما آتاه الله له من الفضل.. ثم يبين هذا الفضل: يا جبال أوبي معه.. والطير.. فالنص يصور من فضل الله على داود أنه قد بلغ من الشفافية والتجرد في تسابيحه أن انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات.. فاتصلت حقيقتها بحقيقته في تسبيح بارئها وبارئه.. فرجعت معه الجبال والطير؛ إذ لم يعد بين وجوده ووجودها فاصل ولا حاجز حين اتصلت كلها بالله صلةً واحدة مباشرة؛ تنزاح معها الفوارق بين نوع من خلق الله ونوع، وبين كائن من خلق الله وكائن، وترتد كلها إلى حقيقتها اللدنية الواحدة، التي كانت تغشى عليها الفواصل والفوارق.. فإذا هي تتجاوب في تسبيحها للخالق، وتتلاقى في نغمة واحدة. وهي درجة من الإشراق والصفاء والتجرد لا يبلغها أحد إلا بفضل من الله، يزيح عنه حجاب كيانه المادي، ويرده إلى كينونته اللدنية التي يلتقي فيها بهذا الوجود، وكل ما فيه وكل

من فيه بلا حواجز، ولا سدود. وحين انطلق صوت داوود يرتل تسابيحه ويمجد خالقه رجعت معه الجبال والطير، وتجاوب الكون بتلك الترانيم السارية في كيانه الواحد، المتجهة إلى بارئه الواحد..

وإنها للحظات عجيبة لا يتذوقها إلا من عنده بها خبر، ومن جرب نوعها ولو في لحظة من حياته! وألنا له الحديد: وهو طرف آخر من فضل الله على داود. وفي ظل هذا السياق يبدو أن الأمر كان خارقة ليست من مألوف البشر.. فلم يكن الأمر أمر تسخين الحديد حتى يلين ويصبح قابلا للطرق.. إنما كان معجزة يلين بها الحديد من غير وسيلة اللين المعهودة.. أن اعمل سابغات وقدر في السرد: ألهم الله داوود أن يصنع دروعاً رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها بحركة الجسم، وأمره بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ منها الرماح. وهو التقدير في السرد. وكان الأمر كله إلهاماً وتعليما من الله. وخوطب داوود وآله: واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير، لا في الدروع وحدها بل في كل ما تعملون. مراقبين الله الذي لا يبصر ما تعملون ويجازي عليه فلا يفلت منه شيء، والله به بصير.. ذلك ما آتاه الله داوود.. فأما سليمان فقد آتاه الله أفضالا أخرى: ﴿**ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر**..﴾ فتسخير الريح لسليمان وردت هنا وفي سورة الأنبياء وفي سورة صاد. وهي معجزة من معجزات سليمان. لا يستطيع المحقق أن يزيد أكثر مما ذكر النص القرآني. وهو أسلم من الخوض في الروايات التي لا سند لها إلا الخيال ولا طائل تحته إلا قِيل أو يُقال!.. ﴿**وأسلنا له عين القطر**﴾: وسياق النص يشير إلى أن هذا كان معجزة خارقة كإلانة الحديد لداوود.. فألهمه الله إذابة النحاس حتى يسيل ويصبح قابلاً للصب والطرق.. وهو فضل من الله كبير. ﴿**ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه**﴾: وكذلك سخر الله لسليمان طائفة من الجن يعملون بأمره بإذن ربه. والجن خلق مستور لا يراه البشر. وهو يذكر هنا أن الله سخر طائفة منهم لنبيه سليمان..فمن عصى منهم ناله عذاب الله: ﴿**ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير**..﴾ ولعل هذا التعقيب ـ قبل الانتهاء من قصة التسخير ـ يذكر على هذا النحو لبيان خضوع الجن لله. وكان بعض المشركين يعبدهم من دون الله. وهم مثلهم مُعرّضون للعقاب عندما يزيغون عن أمر الله. وهم مسخرون لسليمان: ﴿**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات**..﴾

فهذه كلها نماذج مما سخر الله الجن لسليمان لتقوم له به حيث شاء بإذن. وكلها أمور خارقة لا سبيل إلى تصورها أو تعليلها إلا بأنها خارقة من صنع الله. وهذا هو تفسيرها الواضح الوحيد. ويختم هذا بتوجيه الخطاب إلى آل داود: ﴿**اعملوا آل داوود شكرا.** .﴾ سخرنا لكم هذا وذلك في شخص داوود، وشخص سليمان.. فاعملوا يا آل داوود شكرا لله. لا للتباهي والتعالي بما سخره الله. والعمل الصالح شكر لله كبير. ﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾. هذا تعقيب تقريري وتوجيهي من تعقيبات القرآن على القصص. يكشف من جانب عن عظمة فضل الله ونعمته حتى ليقل القادرون على شكرها. ويكشف من جانب آخر عن تقصير البشر في شكر نعمة الله وفضله. وهم مهما بالغوا في الشكر قاصرون عن الوفاء فكيف إذا قصّروا وغفلوا عن الشكر من الأساس؟!. ويعرض السياق المشهد الأخير من القصة: مشهد وفاة سليمان، والجن تعمل بأمره فيما كلفها عمله. وهي لا تعلم نبأ موته.. حتى يدلهم على ذلك أكل الأرضة لعصاه التي كان مستنداً عليها وسقوطه: ﴿**فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الإّ دابة الأرض تأكل منساته.. فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.** .﴾ فلما نخرت دابة الأرض عصا سليمان سقط على الأرض.. وحينئذ فقط علمت الجن موته.. وعندئذ تبينت الجن عدم علمهم بالغيب.. فهذه الجن التي كانت تعبدها وترجو منها الغوث والنجدة والسلامة والأمان!وهي محجوبة عن الغيب القريب.. وبعض الناس يطلب منها كشف أسرار الغيب البعيد!

التوجيه الثالث ـ ﴿لقد كان لسبإ في مساكنهم آية: جنتان عن يمين وشمال. كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور..﴾: في هذا التوجيه وصف ما كان فيه أهل سبإ من رزق ورغد ونعيم،وما طلب إليهم من شكر المنعم بقدر ما يطيقون. وسبأ اسم لقوم كانوا يسكنون اليمن،وقد ارتقوا في سلم الحضارة. .فتحكموا في مياه الأمطار التي تأتيهم من الجنوب والشرق فانتفعوا بها. .فأينعت جناتهم عن يمين السائر وشماله.. ولكنهم لم يشكروا ولم يذّكروا: ﴿**فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم.** .﴾ فأعرضوا عن شكر الله، وعن العمل الصالح، والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم.. فسلبهم سبب هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه.. وأرسل الله عليهم سيلاً عارما هَدّم السدود وأزال الحدود. وانساحت المياه فطغت وأغرقت.. وتبدلت تلك الجنان الفيح صحراء

تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة: ﴿**وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتَىْ أُكُلٍ تأكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. . ذلك جزيناهم بما كفروا. .**﴾ فلم يشكروا المنعم على تلك النعمة. . وهل يجازى إلا الكفور؟!. . وكانت قراهم قبل هذا الحادث العظيم عامرة وطرقهم متواصلة من اليمن إلى الشام: ﴿**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. .**﴾ فكان المسافر من اليمن إلى الشام يخرج من قرية فيدخل في قرية أخرى قبل دخول الظلام. . فكان السفر محدود المسافات مأمونا على المسافرين؛ كما كانت الراحة موفورة لتقارب المنازل وتقارب المحطات في الطريق. . ﴿**فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا. وظلموا أنفسهم. . فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق. .**﴾ فبطروا النعمة وغلبت عليهم الشقوة. . فتطلبوا الأسفار البعيدة الشاقة. وكان هذا من قساوة القلب وظلم النفس. . فشُرّدوا ومُزّقوا وتفرقوا. . فعادوا أحاديث يرويها الرواة. . وقصة على ألسنة الناس تتناقلها الأفواه، بعد أن كانوا أمة ذات وجود في الحياة: ﴿**إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور. .**﴾ وفي ختام القصة يخرج النص من إطار القصة المحدود إلى إطار التدبير الإلهي العام، والتقدير المحكم الشامل، والسنة الإلهية العامة، ويكشف عن الحكمة المستخلصة من القصة كلها، وما يكمن فيها وخلفها من تقدير وتدبير: ﴿**ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين. وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك. .**﴾ فقد سلك القوم هذا المسلك الذي انتهى إلى تلك النهاية؛ لأن إبليس صدق عليهم ظنه في قدرته على غوايتهم فأغواهم. . فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين. . كما يقع عادة في الجماعات. . فلا تخلو من قلة مؤمنة تستعصي على الغواية. . حتى في أحلك الظروف. وما كان لإبليس من سلطان قاهر عليهم لا يملكون رَفْعه. . فليس هنالك قهر لهم منه، ولا سيطرة عليهم له. . إنما هو تسليطه عليهم ليثبت على الحق من يثبت. وليزيغ منهم من لا يبتغي الحق ويتحراه. وليظهر في عالم الواقع من يؤمن بالآخرة فيعصمه إيمانه من الانحراف. . ممن هو منها في شك. . فهو يتأرجح أو يستجيب للغواية بلا عاصم من رقابة الله ولا تطلع لليوم الآخر. والله يعلم ما يقع قبل ظهوره للناس. . ولكنه سبحانه يرتب الجزاء على ظهوره ووقوعه فعلا في دنيا الناس. وفي هذا المجال الواسع المفتوح: مجال تقدير الله وتدبيره للأمور والأحداث.

ومجال غواية إبليس للناس بلا سلطان قاهر عليهم، إلا تسليطه ليظهر المكنون في علم الله من المصائر والنتائج. في هذا المجال الواسع تتصل قصة سبأ بقصة كل قوم في كل مكان وفي كل زمان. ويتسع مجال النص القرآني ومجال هذا التعقيب.. فلا يعود قاصرا على قصة سبأ.. إنما يصلح تقريرا لحال البشر أجمعين.. فهي قصة الغواية والهداية وملابساتهما وأسبابهما وغاياتهما ونتائجهما في كل حال. ﴿**وربك على كل شيء حفيظ..**﴾ فلا يندّ شيء ولا يغيب. ولا يهمل شيء ولا يضيع.

التوجيه الرابع: ﴿«**قل: ادعوا الذين زعمتم من دون الله. لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض. وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير..**»﴾: في هذا التوجيه جولة قصيرة حول قضية الشرك والتوحيد.. ولكنها جولة تطوف بالقلب البشري في مجال الوجود كله: ظاهره وخافيه، حاضره وغيبه، سمائه وأرضه، دنياه وآخرته. وتقف به مواقف مرهوبة ترجف فيها الأوصال، ويغشاها الذهول من الجلال. إنه التحدي في مجال السماوات والأرض على الإطلاق. ادعوا الذين زعمتم من دون الله.. فليأتوا. وليظهروا. وليقولوا أو لتقولوا أنتم: ماذا يملكون من شيء في السماوات أو في الأرض جل أو هان؟!. ولا سبيل لأن يدعوا ملكية شيء.. فالمالك لشيء يتصرف فيه وفق مشيئته.. فماذا يملك المزعومون من دون الله؟ وفي أي شيء يتصرفون تصرف المالك في هذا الكون العريض؟!.

والله سبحانه لا يستعين بهم في شيء.. فما هو في حاجة إلى معين. ويظهر أن الآية هنا تشير إلى نوع خاص من الشركاء المزعومين. وهم الملائكة الذين كانت العرب تدعوهم بنات الله؛ وتزعم لهم شفاعة عند الله؛ ولعلهم ممن قالوا عنهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.. فمن ثم نفى شفاعتهم لهم في الآية التالية: ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له..**﴾ فالشفاعة مرهونة بإذن الله. والله لا يأذن في الشفاعة في غير المؤمنين به المستحقين لرحمته.. فأما الذين يشركون به فليسوا أهلاً لأن يأذن بالشفاعة فيهم، لا للملائكة ولا لغيرهم من المأذونين بالشفاعة منذ الابتداء!. ثم صور المشهد الذي تقع فيه الشفاعة.. وهو مشهد مذهل مرهوب: ﴿**حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا:**

الحق. وهو العلي الكبير..﴾ فهو مشهد في اليوم العصيب: يوم يقف الناس وينتظر الشفعاء والمشفوع فيهم أن يتأذن ذو الجلال سبحانه بالشفاعة لمن ينالون هذا المقام.. ويطول الانتظار، ويطول التوقع وتعنو الوجوه. وتسكن الأصوات. وتخشع القلوب في انتظار الإذن من ذي الجلال والإكرام. وتصدر الكلمة الجليلة الرهيبة.. فتنتاب الرهبة الشافعين والمشفوعين لهم، ويتوقف إدراكهم عن الإدراك.. حتى إذا فزع عن قلوبهم.. فكشف الفزع الذي أصابهم، وأفاقوا من الروعة التي غمرتهم فأذهلتهم. قالوا: ماذا قال ربكم؟ يقولها بعضهم لبعض.. قالوا: الحق.. قال ربكم: الحق.. الحق الكلي. الحق الأزلي. الحق اللدنّي. فكلُّ قولِهِ الحقُّ. وهو العلي الكبير.. فهذه الإجابة المجملة تشي بالروعة الغامرة التي لا ينطق فيها إلا بالكلمة الواحدة.. فهذا هو موقف الشفاعة المرهوب. وهذه صورة الملائكة فيه بين يدي ربهم.. فهل بعد هذا المشهد يملك أحد أن يزعم أنهم شركاء لله، شفعاء في من يشرك بالله؟!. ذلك هو الإيقاع الأول في ذلك المشهد الخاشع الواجف المرهوب العسير.. ويليه الإيقاع الثاني عن الرزق الذي يستمتعون به ويغفلون عن مصدره الدال على وحدة الخالق الرازق الباسط القابض الذي ليس له شريك: **﴿قل: من يرزقكم من السماوات والأرض؟ قل: الله﴾** فالرزق مسألة واقعة في حياتهم: رزق السماء من مطر وحرارة وضوء ونور.. ذلك فيما كان يعرفه المخاطبون. ووراءه كثير من الأصناف والألوان تتكشف آناً بعد آنٍ.. ورزق الأرض من نبات وحيوان وعيون ماء وزيوت ومعادن وكنوز.. وغيرها مما يعرفه القدامى وينكشف غيره على مدار الزمان.. فما يملك الناس أن يماروا في هذا ولا أن يدعوا سواه.. قل: الله.. ثم كل أمرهم وأمركَ إلى الله.. فأحدكما لا بُدَّ مهتدٍ، وأحدكما لا بدّ ضال. ولا يمكن أن تكون أنت وهم على طريق واحد من هدى أو من ضلال: **﴿وإنا أو إياكم لعلى هُدًى أو في ضلال مبين..﴾**

فهذا الكلام هو غاية النصفة والاعتدال والأدب في الجدال: أن يقول رسول الله ـ ﷺ ـ للمشركين: إن أحدنا لا بد أن يكون على هدى، والآخر لا بد أن يكون على ضلال.. ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضال؛ ليثير التدبر والتفكر في هدوء لا تغشى عليه العزة بالإثم، والرغبة في الجدال والمحال!.. فإنما رسول الله هادٍ ومعلم يبتغي هداهم وإرشادهم لا إذلالهم وإفحامهم، لمجرد

الإذلال والإفحام!. الجدل على هذا النحو المهذب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام وأجدر بأن يثير التدبر الهادئ والاقتناع العميق. وهو نموذج من أدب الجدل ينبغي أن يتدبره مَن الدعاة. ومنه كذلك الإيقاع الثالث الذي يوقف كل قلب أمام عمله وتبعته، في أدب كذلك وقصد وإنصاف: قل: ﴿**لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون**..﴾ فهذا كان رداً على اتهام المشركين بأن الرسول ومن معه هم المخطئون الجارمون! وقد كانوا يسمونهم «الصابئين» أي: المرتدين عن دين الآباء والأجداد. وذلك ممّا يقع من أهل الباطل أن يتهموا أهل الحق بالضلال في تبجّح وفي غير ما استحياء!. وهذا هو الحق والإنصاف مع الخصوم.. فلكلٍّ عمله.. ولكلٍّ تبعتُه.. ولكل جزاؤه.. وعلى كل واحد أن يتدبر موقفه.. ويرى إن كان يقوده إلى فلاح أو إلى بوار. وبهذه اللمسة يوقظهم إلى التأمل والتفكر. وهذه هي الخطوة الأولى في رؤية وجه الحق.. ثم في الاقتناع.. ثم الإيقاع الرابع: ﴿**قل: يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق**..﴾ ففي أول الأمر يجمع الله بين أهل الحق وأهل الباطل؛ ليلتقي الحق بالباطل وجهاً لوجه.. ثم يفصل الله بين الفريقين بالحق، ويحكم بينهم حكمه الفاصل المميز الحاسم الأخير.. وهذا هو الاطمئنان إلى حكم الله وفصله. والله سبحانه هو الذي يعلم ويقدر متى يقول كلمة الفصل.. فليس لأحد أن يحدد موعدها، ولا أن يستعجلها.. فالله هو الذي يجمع وهو الذي يفتح: ﴿**وهو الفتاح العليم**﴾. ثم يأتي الإيقاع الأخير شبيهاً بالإيقاع الأول في التحدي عن الشركاء المزعومين: ﴿**قل: أرُونيَ الذين ألحقتم به شركاء؟.. كلا.. بل هو الله العزيز الحكيم**..﴾ ففي السؤال استنكار واستخفاف.. أروني إياهم: من هم؟ وما هم؟ وما قيمتهم؟ وما صفتهم؟ وما مكانهم؟ وبأي شيء استحقوا منكم هذه الدعوى؟!.. فكل هذه الاستفهامات تشي بالاستنكار والاستخفاف.. ثم الإنكار في ردع وتأنيب: كلا.. فما هم بشركاء.. وما له سبحانه من شركاء.. بل هو الله العزيز الحكيم.. فمن هذه صفاته لا تكون هذه الأصنام والمعبودات بالأوهام شركاء له. ولا يكون له على الإطلاق شريك. بهذا ينتهي ذلك الشوط القصير. وتلك الإيقاعات العنيفة العميقة.. في هيكل الكون الهائل، وفي موقف الشفاعة المرهوب، وفي مصطرع الحق والباطل، وفي أعماق النفوس وأغوار القلوب.

التوجيه الخامس: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر**

الناس لا يعلمون . .﴾: في هذا التوجيه جولة تتناول موقف الذين كفروا مما جاءهم به الرسول ﷺ وموقف المترفين من كل رسالة. وهم الذين تغرُّهم أموالهم وأولادهم وما يَجِدُون من أعراض الدنيا في أيديهم فيحسبونها دليلا على اختيارهم وتفضيلهم، ويحسبونها أنها مانعتهم من العذاب في الدنيا والآخرة. ومن ثم يعرض عليهم مشاهدهم في الآخرة كأنها واقعة، ليروا إن كان شيء من ذلك نافعا لهم أو واقيًا. وفي هذه المشاهد يتضح كذلك أنه لا الملائكة ولا الجن الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ويستعينونهم يملكون لهم في الآخرة شيئا. وفي خلال الجدل يوضح القرآن حقيقة القيم التي لها ثقل في ميزان الله. فتنكشف القيم الزائفة التي يعتزون بها في الحياة. ويتقرر أن بسط الرزق وقبضه أمران يجريان وفق إرادة الله، وليسا دليلا على رضى أو غضب، ولا على قربى أو بعد ،. إنما البسط والقبض ابتلاء واختبار!. يجيء هذا البيان بعد الجولة الماضية وما فيها من تقرير فردية التبعة، وأنه ليس بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل إلا الدعوة والبيان، وأمرهم بعد ذلك إلى الله. ويتبعه هنا بيان وظيفة النبي وجهلهم بحقيقتها، واستعجالهم له بما يعدهم ويوعدهم من الجزاء. وتقرير أن ذلك موكول إلى موعده المقدور له في غيب الله: **﴿ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. .﴾** فهذا السؤال يوحي بجهلهم لوظيفة الرسول وعدم إدراكهم لحدود الرسالة.

والقرآن حريص على تجريد عقيدة التوحيد . . فما محمد إلا رسول محدد الوظيفة. وهو قائم في حدود وظيفته لا يتخطاها. والله هو صاحب الأمر. هو الذي أرسله، وهو الذي حدد له عمله، وليس من عمله أن يتولى ولا حتى أن يعلم ـ تحقيق الوعد والوعيد. ذلك موكول إلى ربه. والرسول يعرف حدوده . . فلا يسأل مجرد سؤال عن شيء لم يطلعه عليه ربه، ولم يكل إليه أمره. وربه يكلفه أن يرد عليهم ردا معينا فيقوم به: **﴿قل: لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون. .﴾** فكل ميعاد يجيء في أجله الذي قدره الله له. لا يُستأخر لرغبة أحد، ولا يُستقدم لرجاء أحد. وليس شيء من هذا عبثا ولا مصادفة فكل شيء مخلوق بقدر وكل أمر متصل بالآخر وقدر الله يرتب الأحداث والمواعيد والآجال وفق حكمته المستورة التي لا يدركها أحد من عباده إلا بقدر ما يكشف الله له. والاستعجال بالوعد والوعيد دليلٌ على عدم إدراك هذه الحقيقة الكلية.

ومن ثم . . فإنّ أكثر الناس لا يعلمون !.وعدم العلم يقودهم إلى الكفر وإنكار الحقائق من أساسها: ﴿**وقال الذين كفروا: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه !..**﴾ فهذا هو العناد والإصرار على الكفر ابتداء على رفض الهدى في كل مصادره.. فمعنى هذا أنهم يصرون على الكفر ويجزمون عن قصد بأنهم لن ينظروا في دلائل الهدى كائنة ما كانت . . فهو العمد إذن وسبق الإصرار. عندئذ يجيبهم النص، بمشهدهم يوم القيامة، وفيه جزاء هذا الإصرار: ﴿**ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ..**﴾ فذلك كان قولهم في الدنيا: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه . . فلو ترى قولهم في موقف آخر: لو ترى هؤلاء الظالمين وهم موقفون على غير إرادة منهم ولا اختيار . . إنما هم مدينون بالوقوف في انتظار الجزاء. عند ربهم: ربهم الذي يجزمون بأنهم لن يؤمنوا بقوله ولا بوعيده.. ثم هم أولاء موقفون عنده !.. فلو ترى يومئذ لرأيت هؤلاء الظالمين يلومُ بعضهم بعضا، ويؤنب بعضهم بعضا، ويلقي بعضهم تبعة ما هم فيه على بعض !.. فماذا يرجعون من القول ؟ ﴿**يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا: لولا أنتم لكنا مؤمنين ..**﴾ فيلقي المستضعفون على المستكبرين تبعة الوقفة المرهوبة المهينة، وما يتوقعون بعدها من البلاء والعذاب المهين!. يقولون لهم هذه القولة الجاهرة اليوم، ولم يكونوا في الدنيا قادرين على مواجهتهم هذه المواجهة ! كان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام، وبيع الحرية التي وهبها الله لهم والكرامة التي منحها إياهم والإدراك الذي أنعم به عليهم.

أما اليوم وقد سقطت القيم الزائفة وواجهوا العذاب الأليم . . فهم يقولونها غير خائفين ولا مبقين: لولا أنتم لكنا مؤمنين!. ويضيق المستكبرون بالمستضعفين .. فهؤلاء الضعفاء يريدون أن يحملوا المستكبرين تبعة الإغواء الذي صار بهم إلى هذا البلاء ! وعندئذ يردون عليهم باستنكار ويجبهونهم بالسب الغليظ: ﴿**قال الذين استكبروا للذين استضعفوا: أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذْ جاءكم ؟.. بل كنتم مجرمين**﴾!.. فهو التخلي عن التبعة، والإقرار بالهدى . . وقد كانوا في الدنيا لا يقيمون وزنا للمستضعفين ولا يأخذون منهم رأيا ولا يعتبرون لهم وجودا ولا يقبلون منهم مخالفة ولا مناقشة !. أما اليوم ـ وأمام العذاب ـ فهم يسألونهم في إنكار: أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟.. بل كنتم مجرمين من ذات أنفسكم. لا تهتدون، لأنكم مجرمون !. ولو كانوا في الدنيا لقبع

المستضعفون لا ينبسون ببنت شفة .. ولكنهم في الآخرة حيث تسقط الهالات الكاذبة والقيم الزائفة .. وتتفتح العيون المغلقة وتظهر الحقائق المستورة. ومن ثم لا يسكت المستضعفون ولا يخنعون .. بل يجبهون المستكبرين بمكرهم الذي لم يكن يفتر ليلا ولا نهارا للصد عن الهدى وللتمكين للباطل ولتلبيس الحق وللأمر بالمنكر، ولاستخدام النفوذ والسلطان في التضليل والإغواء: ﴿**وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا: بل مكر الليل والنهار: إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا..**﴾ ثم يدرك هؤلاء وهؤلاء أن هذا الحوار اليائس لا ينفع هؤلاء ولا هؤلاء، ولا ينجي المستكبرين ولا المستضعفين.. فلكُلٍّ جريمتُه وإثمُه. المستكبرون عليهم وزرهم، وعليهم تبعة إضلال الآخرين وإغوائهم. والمستضعفون عليهم وزرهم .. فهم مسؤولون عن اتباعهم للطغاة، لا يعفيهم أنهم كانوا مستضعفين. لقد كرمهم الله بالإدراك والحرية .. فعطلوا الإدراك وباعوا الحرية، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا ذيولا، وقبلوا لأنفسهم أن يكونوا مستذلين.. فاستحقوا العذاب جميعا.. وأصابهم الكمد والحسرة، وهم يرون العذاب حاضرا لهم مُهَيّأً: ﴿**وأسروا الندامة لمّا رأوا العذاب ..**﴾ فهي حالة الكمد الذي يدفن الكلمات في الصدور .. فلا تفوه بها الألسنة ولا تتحرك بها الشفاه !.. ثم أخذهم العذاب المهين الغليظ الشديد: ﴿**وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا..**﴾

ثم يلتفت السياق يحدث عنهم وهم مسحوبون في الغلال مهملا خطابهم إلى خطاب السامعين: ﴿**هل يجزون إلا ما كانوا يعملون**﴾؟!. ويسدل الستار على المستكبرين والمستضعفين من الظالمين. وكلاهما ظالم. هذا ظالم بتجبره وطغيانه وبغيه وتضليله.. وهذا ظالم بتنازله عن كرامة الإنسان وإدراك الإنسان وحرية الإنسان، وخنوعه وخضوعه للبغي والطغيان .. فكلهم في العذاب سواء، لا يجزون إلا ما كانوا يعملون .. يسدل الستار وقد شهد الظالمون أنفسهم في ذلك المشهد الحي الشاخص. شهدوا أنفسهم هناك، وهم بعد أحياء في الأرض. وشهدهم غيرهم كأنما يرونهم. وفي الوقت متسع لتلافي ذلك الموقف لمن يشاء!. ذلك الذي قاله المترفون من كبراء قريش، قاله قبلهم كل مترف أمام كل رسالة: ﴿**وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها: إنا بما أرسلتم به كافرون..**﴾ فهي قصة معادة، وموقف مكرر، على مدار الدهور. وهو الترف

يغلظ القلوب ويفقدها الحساسية.. ويفسد الفطرة ويُغشّيها.. فلا ترى دلائل الهداية.. فتستكبر على الهدى وتصر على الباطل ولا تتفتح للنور. والمترفون تخدعهم القيم الزائفة والنعيم الزائل.. ويغرهم ما هم فيه من ثراء وقوة .. فيحسبونه مانعهم من عذاب الله .. يخالون أنه آية الرضى عنهم.. أو أنهم في مكان أعلى من الحساب والجزاء. ﴿**وقالوا: نحن أكثر أموالا وأولادا، وما نحن بمعذبين..**﴾ والقرآن يضع لهم ميزان القيم كما هي عند الله ويبين لهم أنّ بسط الرزق وقبضه ليست له علاقة بالقيم الثابتة الأصلية. ولا يدل على رضى ولا غضب من الله. ولا يمنع بذاته عذابا ولا يدفع عذاباً .. إنما هو أمر منفصل عن الحساب والجزاء، وعن الرضى والغضب يتبع قانونا آخر من سنن الله: ﴿**قل: إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .. ولكن أكثر الناس لا يعلمون ..**﴾ فهذه المسألة: مسألة بسط الرزق وقبضه وتملك وسائل المتاع والزينة أو الحرمان منها مسألة يحيك منها شيء في صدور كثيرة .. ذلك حين تتفتح الدنيا أحيانا على أهل الشر والباطل والفساد، ويحرم من أعراضها أحيانا أهل الخير والحق والصلاح.. فيحسب بعض الناس أن الله ما كان ليغدق على أحد ألا وهو عنده ذو مقام. أو يشك بعض الناس في قيمة الخير والحق والصلاح، وهم يرونها محوطة بالحرمان.

ويفصل القرآن هنا بين أعراض الحياة الدنيا والقيم التي ينظر الله إليها. ويقرر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. وأن هذه مسألة. ورضاه وغضبه مسألة أخرى، ولا علاقة بينهما. وقد يغدق الله الرزق على من هو عليه غاضب. كما يغدقه على من هو عليه راض. وقد يضيق الله على أهل الشر، كما يضيق على أهل الخير. ولكن العلل والغايات لا تكون واحدة في جميع هذه الحالات. لقد يغدق الله على أهلَ الشر استدراجا لهم ليزدادوا إثما وسوءا وبطرا وإفسادا .. فيتضاعف رصيدهم من الإثم والجريمة .. ثم يأخذهم في الدنيا أو في الآخرة ـ وفق حكمته وتقديره ـ بهذا الرصيد الأثيم. وقد يغدق الله على أهل الخير، ليمكنهم من أعمال صالحة كثيرة .. ما كانوا بالغيها لو لم يبسط لهم في الرزق .. فمن وهبه الله مالا وولدا فأحسن فيهما التصرف فقد يضاعف له الله في الثواب جزاء ما أحسن في نعمة الله .وليست الأموال والأولاد بذاتها هي التي تقربهم من الله. ولكن تصرفهم في الأموال والأولاد هو الذي يضاعف لهم في الجزاء: ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل**

صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون. والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون ..﴾ ثم يقرر قاعدة تتعلق بكل فرد من أفراد الناس بعدما قرر القاعدة التي تتعلق بجميع الناس: **﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له. وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين..﴾** فلا يخشى العبد من الإنفاق عندما يكون موسعا عليه في الرزق.. ولا ييأس من البسط عندما يكون مقترا عليه في الرزق.. بل قد يكون بعد الفقر من أغنى الخلق!.. ثم ينتقل السياق إلى قضية تتعلق بالمشركين المخاطبين.. يتحدث عنهم يوم يحشرون جميعا، حيث يواجههم الله بالملائكة الذين كانوا يعبدونهم: **﴿ويوم نحشرهم جميعا.. ثم نقول للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟. قالوا: سبحانك أنت ولينا من دونهم ..﴾** فهؤلاء هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله. أو يتخذونهم عند الله شفعاء.. هؤلاء هم يواجهون بهم.. فيسبحون الله تنزيها له من هذا الادعاء. ويتبرأون من عبادة القوم لهم.. فكأنما هذه العبادة كانت باطلا أصلا. وكأنها لم تقع، ولم تكن لها حقيقة.. إنما هم يتولون الشيطان: إما بعبادته والتوجه إليه.. وإما بطاعته في اتخاذ شركاء من دون الله. فقد عبد العرب الجنّ بالتوجه إليهم في طلب المهمات، ودفع المهلكات.. بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون.. وبينما المشهد معروض، يتغير السياق من الحكاية والوصف إلى الخطاب والمواجهة، ويوجه القول إليهم بالتأنيب والتبكيت: **﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرّا..﴾** فلا الملائكة يملكون للناس شيئا ولا هؤلاء الذين كفروا يملك بعضهم لبعض شيئا، والنار التي كذب بها الظالمون.. وكانوا يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.. هاهم أولاء يرونها واقعا لا شكّ فيه: **﴿ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون..﴾** فبهذا تختم الجولة مركزة على قضية البعث والحساب والجزاء؛ كسائر الجولات في هذه السورة.

التوجيه السادس ـ ﴿«وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا: ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى..»﴾: في هذا التوجيه الشوط الأخير في السورة يبدأ بالحديث عن المشركين ومقولاتهم عن النبي وعن القرآن الذي جاء به.. ويذكرهم بما وقع لأمثالهم، ويريهم مصرع الغابرين أخذهم النكير في الدنيا؛ وهم كانوا أقوى منهم وأعلم وأغنى .. فقد قابل

المشركون الحق الواضح البيّن الذي يتلوه عليهم رسول الله برواسب غامضة من آثار الماضي وتقاليد لا تقوم على أساس واضح، وليس لها قوام متماسك. ولقد أحسوا خطورة ما يواجههم به القرآن الكريم من الحق البسيط المستقيم المتماسك. أحسوا خطورته على ذلك الخليط المشوش من العقائد والعادات والتقاليد التي وجدوا عليها آباءهم فقالوا قولتهم هذه. .ولكن هذا وحده لا يكفي. . فإن مجرد أنه يخالف ما كان عليه الآباء ليس مطعنا مقنعا لجميع العقول والنفوس. ومن ثم اتبعوا الادّعاء الأول بادعاء آخر يمس أمانة المبلغ ويرد قوله أنه جاء بما جاء به من عند الله. . ثم مضوا يصفون القرآن ذاته: ﴿**وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم: إن هذا إلا سحر مبين. .**﴾ فهو كلام مؤثر يزلزل القلوب.

فلا يكفي أن يقولوا: إنه مفترى. . فحاولوا إذا أن يعللوا وقعه القاهر في القلوب. . فقالوا: إنه سحر مبين!. . فهي سلسلة من الاتهامات، حلقة بعد حلقة، يواجهون بها الآيات البينات؛ كي يحولوا بينها وبين القلوب. ولا دليل لهم على دعواهم. . ولكنها جملة من الأكاذيب لتضليل العامة والجماهير. وقد كشف القرآن أمرهم، وهو يقرر أنهم أميون لم يؤتوا من قبلُ كتابا يقيسون به الكتب . . ويعرفون به الوحي. . فيفتوا بأن ما جاءهم اليوم ليس كتابا وليس وحيا وليس من عند الله. ولم يُرسل إليهم من قبل رسول. . فهم يهرفون إذًا بما لا علم لهم به، ويدّعون ما ليس يعلمون: ﴿**وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير**﴾!. ويلمس قلوبهم بتذكيرهم بمصارع الذين كذبوا من قبل. وهم لم يؤتوا معشار ما أوتي أولئك الغابرون من علم، ومن مال، ومن ملك ومن قوة، ومن تعمير: فلما كذبوا الرسل أخذهم النكير: ﴿**وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير**﴾؟. . فقد كان النكير عليهم مدمرا مهلكا. وكانت قريش تعرف مصارع بعضهم في الجزيرة. . فهذا التذكير يكفي. . وهذا السؤال التهكمي ـ فكيف كان نكير ـ سؤال مُوحٍ يلمس قلوب المخاطبين. وهم يعرفون كيف كان ذلك النكير!. وهنا يدعوهم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق، ومعرفة الافتراء من الصدق، وتقدير الواقع الذي يواجهونه من غير زيف ولا دخل: ﴿**قل: إنما أعظكم بواحدة: أن تقوموا لله مثنى وفرادى. . ثم تتفكروا: ما بصاحبكم من جنة! إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد. .**﴾ فإنها دعوة إلى القيام لله بعيدا عن الهوى. بعيدا عن المصلحة. بعيدا عن

ملابسات الأرض. بعيدا عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب فتبعد به عن الله. بعيدا عن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة. والمؤثرات الشائعة في الجماعة. دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لا مع القضايا والدعاوى الرائجة، ولا مع العبارات المطاطة التي تبعد القلب والعقل من مواجهة الحقيقة في بساطتها. دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي، بعيدا عن الضجيج والخلط واللبس والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة. وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة.

منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات. وعلى مراقبة الله وتقواه وهي واحدة.. إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق بالقيام لله.. لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة.. التجرد.. الخلوص.. ثم التفكير والتدبر بلا مؤثر خارجي عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون: أن تقوموا لله. مثنى وفرادى.. مثنى ليراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء.. وفرادى مع النفس وجها لوجه في تمحيص هادئ عميق.. ثم تتفكروا.. ما بصاحبكم من جنة.. فما عرفتم عنه إلا العقل والتدبر والرزانة. وما يقول شيئا يدعو إلى التظنن بعقله ورشده. إن هو إلا القول المحكم القوي المبين: إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد: فهي لمسة تصور العذاب الشديد وشيكا أن يقع، وقد سبقه النذير بخطوة؛ لينقذ من يستمع.. كالهاتف المحذر من حريق في دار يوشك أن يلتهم من لا يفر من الحريق. وهو تصوير - فوق أنه صادق - بارع مُوح مثير!. ذلك هو الإيقاع الأول المؤثر الموحي، يتبعه الإيقاع الثاني: ﴿**قل: ما سألتكم من أجر فهو لكم**..﴾ فدعاهم في المرة الأولى إلى التفكر الهادئ البريء.. ويدعوهم في المرة الثانية إلى أن يسألوا أنفسهم عما يدعوه إلى القيام بإنذارهم بين يدي عذاب شديد: ما مصلحته؟ ما بواعثه؟ ماذا يعود عليه؟. ويأمره أن يلمس منطقهم ويوقظ وجدانهم إلى هذه الحقيقة في صورة موحية: إن طلبت منكم أجرا فخذوه! وهو أسلوب فيه تهكم. وفيه توجيه. وفيه تنبيه.. فأنا لا أطلب منكم أجرا .. ﴿**إن أجري إلا على الله**..﴾ فهو الذي كلفني، وهو الذي يأجرني. وأجره هو الذي أتطلع إليه. ومن يتطلع إلى ما عند الله فكل ما عند الناس هيّن عنده هزيل زهيد لا يستحق التفكير.. ﴿**وهو على كل شيء شهيد**..﴾

فهو يعلم ويرى ولا يخفى عليه شيء. وهو عليّ شهيد فيما أفعل وفيما أنوي وفيما أقول. ويشتد الإيقاع الثالث وتقصر خطاه: ﴿**قل: إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب**﴾: فهذا الذي جئتكم به هو الحق. الحق القوي الذي يقذف به الله.. فمن ذا يقف للحق الذي يقذف به الله؟!.. فإنه تعبير مصور مجسم متحرك.

وكأنما الحق قذيفة تصدع وتخرق وتنفذ ولا يقف لها أحد في طريق.. وهو علام الغيوب.. فهو يقذف بها عن علم، ويوجهها على علم، ولا يخفى عليه هدف، ولا تغيب عنه غاية، ولا يقف للحق الذي يقذف به معترض ولا سدٌّ يعوق.. فالطريق أمامه مكشوف ليس فيه مستور!.. ويتلوه الإيقاع الرابع في مثل عنفه وسرعته: ﴿**قل: جاء الحق، وما يبديء الباطل وما يعيد..**﴾ فجاء هذا الحق في صورة من صوره: في الرسالة وفي قرآنها وفي منهجها المستقيم. قل: جاء الحق. أعلن هذا الإعلان. وقرر هذا الحدث. واصدع بهذا النبأ. جاء الحق: جاء بقوته، جاء بدفعته، جاء باستعلائه وسيطرته.. وما يبديء الباطل وما يعيد!.. فقد انتهى أمره. وما عادت له حياة، وما عاد له مجال، وقد تقرر مصيره وعرف أنه إلى زوال. إنه الإيقاع المزلزل، الذي يشعر من يسمعه أن القضاء المبرم قد قضى، وأنه لم يعد هناك مجال لشيء آخر يقال. وإنه لكذلك.. فمنذ جاء القرآن استقر منهج الحق واتضح. ولم يعد الباطل إلا مماحكة ومماحلة أمام الحق الواضح الحاسم الجازم. ومهما يقع من غلبة مادية للباطل في بعض الأحوال والظروف فإنها ليست غلبة على الحق.. إنما هي غلبة على المنتمين إلى الحق.. فهي غلبة الناس لا المبادئ. وهذه موقوتة.. ثم تزول. أما الحق فواضح بيّن صريح. والإيقاع الأخير: ﴿**قل: إن ضللت فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربي..**﴾ فلا عليكم إذن إن ضللت.. فإنما أضل على نفسي.. وإن كنت مهتديا فإن الله هو الذي هداني بوحيه، لا أملك لنفسي منه شيئا إلا بإذنه. وأنا تحت مشيئته أسيرُ فضْلِه. ﴿**إنه سميع قريب..**﴾ فهكذا كان الرسل عليهم السلام يجدون الله. هكذا كانوا يجدون صفاته هذه في نفوسهم. كانوا يجدونها رطبة بالحياة الحقيقية. كانوا يحسون أن الله يسمع لهم. وهو قريب منهم. وإنه معنيّ بأمرهم عناية مباشرة. وإن شكواهم ونجواهم تصل إليه بلا واسطة. وإنه لا يهملها ولا يكلها إلى سواه. ومن ثم كانوا يعيشون في أنس بربهم. في كنفه. في جواره. في عطفه. في رعايته. ويجدون هذا كله في نفوسهم حيا واقعا بسيطا؛ وليس

معنى ولا فكرة ولا مجرد تمثيل وتقرير. وأخيرا يجيء الختام في مشهد من مشاهد القيامة. حافل بالحركة العنيفة المترددة بين الدنيا والأخرى. كأنما هو مجال واحد، وهم كُرة يتقاذفها السياق في المشهد السريع العنيف: ﴿**ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب**..﴾

فالمشهد معروض للأنظار في وقت امتلأت فيه النفوس فزعا من الهول الذي فوجئوا به.. فحاولوا الإفلات دون جدوى.. فأخذوا ولم يبعدوا في محاولتهم البائسة وحركتهم المذهولة.. ﴿**وقالوا آمنا به**..﴾ الآن بعد فوات الأوان، يؤمنون بهذا اليوم الذي كانوا ينكرونه .. فكيف يتناولون الإيمان من مكانهم هذا ومكان الإيمان بعيد عنهم.. فقد كان ذلك في الدنيا فضيّعوه! ﴿**وقد كفروا به من قبل**..﴾ فانتهى الأمر، ولم يعد لهم أن يُحَاوِلُوه اليوم! وقد كانوا يقذفون بالغيب من مكان بعيد، حيث كانوا ينكرون هذا اليوم، ولم يكن لهم على إنكاره من دليل.. إنما كانوا يقذفون بالغيب من مكان بعيد واليوم يحاولون تناول الإيمان به من مكان كذلك بعيدا! ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾ من الإيمان في غير موعده، والإفلات من العذاب الذي يشهدونه والنجاة من الخطر الذي يواجهونه!: ﴿**كما فعل بأشياعهم من قبل**..﴾ ممن أخذهم الله.. فطلبوا النجاة بعد نفاد الأمر، وبعد أن لم يعد منه مفر!. ﴿**إنهم كانوا في شك مريب**..﴾ فها هو ذا اليقين بعد الشك المريب!.